سورة الواقعة

[٨٨٤] ك.. أخرج أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند فيه من لا يعرف عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾[(١)] شق ذلك على المسلمين فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾[(٢)].

[٨٨٥] ك.. وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبدالله قال: لما نزلت ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾[(٣)] وذكر فيها: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾[(٤)] قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا فامسك آخر السورة سنة ثم نزل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾[(٥)] فقال رسول الله [ﷺ]: **«يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله:** ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾»[(٦)].

[٨٨٦] وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلاً وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في البعث عن عطاء ومجاهد قالا: لما سأل أهل الطائف الوادي يحمي لهم وفيه عسل ففعل وهو وادٍ معجب فسمعوا الناس يقولون أن في الجنة كذا وكذا قالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فأنزل الله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨﴾[(٧)] الآيات.

[٨٨٧] وأخرج البيهقي من وجه آخر عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بَوَجٍّ وظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[(٨)].

---

[٨٨٤] (١) سورة الواقعة: الآية (١٣و١٤).
(٢) سورة الواقعة: الآية (٣٩و٤٠).
[٨٨٥] (٣) سورة الواقعة: الآية (١).
(٤) سورة الواقعة: الآية (١٣و١٤).
(٥) سورة الواقعة: الآية (٣٩و٤٠).
(٦) سورة الواقعة: الآية (٣٩و٤٠).
[٨٨٦] (٧) سورة الواقعة: الآية (٢٧و٢٨).
[٨٨٧] (٨) سورة الواقعة: الآية (٢٧و٣٠).

[٨٨٨] وأخرج مسلم[١] عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله [ﷺ] فقال رسول الله [ﷺ]: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم لقد صدق نوه كذا**» فنزلت هذه الآيات: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾[٢] حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٣].

[٨٨٩] وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حزرة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله [ﷺ] أن لا يحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى النبي [ﷺ] فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبي [ﷺ] فأمطر الله علينا السماء فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا.

* * *

[٨٨٨] (١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان (١٢٧) والطبراني في الكبير ١٢/١٩٨ والواحدي في أسباب النزول ص (٢٢٩).

(٢) سورة الواقعة: الآية (٧٥).

(٣) سورة الواقعة: الآية (٨٢).

(٥٦) سورة الواقعة مكية وآياتها ست وتسعون

سورة الواقعة من السور المكية ، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على تفصيل أحوال الناس يوم القيامة ، وما يكون بين يدي الساعة من أهوال وشدائد ، وما يلقاه المؤمنون والمجرمون من نعيم أو شقاء يوم ينقسم الناس إلى ثلاث طوائف « أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، وأهلِ الدرجات العالية وهم المقربون » وقد تحدثت السورة عن مآل كل فريق ، وما أعده الله تعالى لهم من الجزاء العادل يوم الدين .

سميت السورة الكريمة « سورة الواقعة » لأن الله تعالى فصَّل فيها أمور القيامة وأحوالها وما يكون بين يدي الساعة من شدائد وأهوال ، وانقسامَ الناس في الآخرة إلى طوائف ، وذكر فيها الأدلة والبراهين على الحشر والنشر والحساب والجزاء ، والواقعة اسم من أسماء القيامة كالصاخة والطامة والحاقة ، سميت بالواقعة لأنه واقعة لا محالة وقد ذكرت السورة الدلائل على وجود الله ووحدانيته ، وكمال قدرته في بديع صنعه ، في خلق الإنسان ، وإخراج النبات ، وإنزال المطر ، وما أودعه الباري جل وعلا في الشجر من النار الموقدة ، وغير ذلك من دلائل القدرة الباهرة ، ثم نوهت بذكر القرآن العظيم وأنه تنزيل الحكيم العليم ، ثم ذكرت ما يلقاه المرء عند الاحتضار من الأهوال ، ثم ختمت السورة الكريمة بذكر الطوائف الثلاثة « أهل

السعادة ، وأهل الشقاوة ، والسابقين إلى الخيرات » فكان ذلك كالتفصيل لما ورد في بداية السورة من الإجمال ، والإشادة بذكر مآثر المتقين والمقربين في البدء والختام .

وقد ورد في فضائل هذه السورة أحاديث عديدة تدل على فضل تلاوتها فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » أخرجه الحافظ أبو يعلى ، ويعني بالفاقة الحاجة والفقر وأخرج الحافظ ابن عساكر في ترجمة « عبد الله بن مسعود » بسنده عن أبي ظبية قال : « مرض عبد الله بن مسعود مرضه الذي توفي فيه ، فعاده عثمان بن عفان فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ، قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمةَ ربي ، قال : ألا آمرُ لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، قال : الا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، قال : يكون لبناتك من بعدك ، قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ ! إنَّ عندي خمس بنات ، وقد أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة لم تصبه فاقةٌ أبداً » .

تبتدىء السورة الكريمة بوصف القيامة ، وما يجري فيها من أحداثٍ وأهوال ، حيث تتطاير الجبال ، وتهتز الأرض اهتزازاً عنيفاً ، يندك كل ما فوق سطحها من بيوت وقصور ، وحصون رفيعة وسدود منيعة ، وتتبدل أوضاع الأرض كما تتبدل أقدار الناس ، فترفع أولياء الله وتخفض أعداء الله ﴿ إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضةٌ رافعة . إذا رُجَّت الأرضَ رجاً . وبُسَّت الجبال بَسّاً . فكانت هباءً منبثاً . وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ ثم تفصِّل السورة مصائر هذه الفرق الثلاثة أو فى تفصيل ، وتصف ما يلقون من نعيم وعذاب في ذلك اليوم الرهيب ، مبتدئة بذكر السابقين وهم الذين سبقوا بالإيمان والعمل

الصالح فنالوا أعلى الدرجات وأرفع المنازل ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثُلةٌ من الأولين . وقليلٌ من الآخرين . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين﴾ .

ثم تُثَنّي بذكر السعداء «أصحاب اليمين» وهم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ، وهم عامة أهل الجنة ولكنهم دون مرتبة السابقين في الأجر والفضل ﴿وأصحاب اليمين ما أصحابُ اليمين . في سدر مخضود . وطلحٍ منضود . وظلٍ ممدود . وماءٍ مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة﴾ ثم تذكر السورة الكريمة الأشقياء المجرمين ، وهم أهل المشئمة الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم ، وتتحدث عما أعدَّ الله لهم من العذاب المقيم في دركات الجحيم ﴿وأصحابُ الشمال ما أصحابُ الشمال ؟ في سَمومٍ وحميم . وظلٍ من يحموم . لا باردٍ ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحِنث العظيم . وكانوا يقولون : إئذا امتنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا المبعوثون . أَوَ آباؤنا الأولون ؟﴾ ثم يأتي الجواب مؤكداً بأنهم لا بدَّ أن يجمعوا هم وآباؤهم في الآخرة للحساب والجزاء ، وأنهم بسبب كفرهم سيأكلون من الزقوم ، ويشربون من الماء الحار الذي تناهى حره وهو الحميم (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم . ثم إنكم أيها الضالون المكذبون . لآكلون من شجرٍ من زقوم . فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم . هذا نزلهم يوم الدين﴾ .

ثم تتحدث الآيات عن دلائل القدرة والوحدانية ، فيما خلق الله تعالى وبثَّ في هذا الكون ، من آثار القدرة الفائقة ، والصَنْعَةِ الباهرة ، في الإنسان ، والنبات ، والماء ، والنار ، وتذكر هذه الأمور الأربعة كبرهانٍ على قدرة الله ، وإمكانِ البعث والنشور ﴿أفرأيتم

ما تمنون؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون؟ نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين. على أن نبدِّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون؟﴾ وتأتي الإشارة إلى آثار القدرة الإلهية بصيغة الاستفهام الذي يخاطبهم مباشرة بلا وساطة، تعجيزاً لهم ليعترفوا بقدرة الله ووجوده ﴿أفرأيتم ما تحرثون؟ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾؟ ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون؟ أأنتم أنزلتموه من المُزْن أم نحن المنزلون﴾؟ ﴿أفرأيتم النار التي تورون؟ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾؟ وفي كل هذه الاسئلة تعجيز للبشر عن مضاهاة خلق الله. وبعد هذا البيان الواضح تتحدث السورة عن القرآن الكريم معجزة محمد الخالدة، الباقية أبد الدهر، ثم تختم السورة بذكر الطوائف الثلاث مع بيان مآل كل فريق منهم في الجنة أو في السعير ﴿فأما إن كان من المقربين. فَرَوْح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم. إن هذا لهو حق اليقين. فسبح باسم ربك العظيم﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الواقعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[١]

قوله: **إذا وقعت الواقعة**، هذا مما لا يبتدأ به الخطاب، وإنما هو جواب سؤال وخطاب لم يذكر. فيحتمل أن يكون المؤمنون ذكروا كراماتهم التي وُعدوا في الآخرة، فقال لهم أولئك الكفرة: متى يكون ذلك لكم؟ فقالوا: **إذا وقعت الواقعة**، كما يسأل الرجل: متى يكون أمر كذا؟ فيقول: إذا كان كذا، فهو حرف جواب لسؤاله. وعلى هذا يُخرج جميع ما ذكر في القرآن من هذا النوع من نحو قوله تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[2] ونحو ذلك. وقوله: **الواقعة**،[3] جائز[4] أن يكون تأويلها:[5] إذا وقعت المثوبة والعقوبة؛ فتكون[6] الواقعة كنايةً عنهما.[7] وجائز أن تكون[8] الواقعة اسما من أسماء البعث كالقيامة والساعة وغير ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] ر – سورة الواقعة؛ ن م: ذكر أن سورة الواقعة مكية؛ ث + وهي ست وتسعون آيات مكية.

[2] سورة الزلزال، ١/٩٩.

[3] ر م + كناية عنها.

[4] ن: جائزة.

[5] جميع النسخ: تأوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[6] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ث م: عنها.

[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ليس لوقعتها كاذبة**، قال بعضهم: أي ليس لوقعتها مثنوية[١] ولا تَرْداد.[٢] يقال: حَمَل عليه فما كَذَبَ أي فما رجع. وقال بعضهم: أي هي حقٌّ ليست بكذب. وقال بعضهم: أي لا يكذّب بها أحد إذا وقعت ليست كالآيات التي عاينوها في الدنيا مع ما عرفوا أنها آيات كذبوها، كقوله تعالى: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ،[٣] وغير ذلك يكذبونها[٤] مع العلم بأنها آيات. يقول الله[٥] تعالى: إذا عاينوا القيامة يُقرّون بها ويصدّقونها ولا يكذّبون بها، كقوله: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[٦] ونحوه. ويحتمل أن يكون قوله:[٧] **ليس لوقعتها كاذبة**، أي ليست الأنباء[٨] والأخبار التي جاءت على وقوعها وقيامها كاذبةً بل هي صادقة.

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾[٣]

وقوله تعالى: **خافضة رافعة**، قال بعضهم: **خافضة**، تُسمِع القريب **رافعة** تُسمع[٩] البعيد. وقال صاحب هذا التأويل: إنّ تفسير[١٠] الواقعة هو الصيحة وتلك **خافضة رافعة**. وقال بعضهم: **خافضة** أناسا في النار، **ورافعة** أناسا في الجنة. ويحتمل **خافضة** لمن تكبّر وتعظّم على الخلق ورده، **ورافعة** لمن تواضع للحق[١١] وانقاد له وقَبِله. وقيل: **خافضة** لأهل النار في النار، كقوله تعالى: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ،[١٢] **ورافعة** لأهل الجنة، كقوله:[١٣] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ،[١٤] وقوله: [أَنَّ] لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ.[١٥]

---

[١] ر م: مثبوتة؛ ن ث: مثوبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ. مثنوية: أي رجوع.
[٢] ن: ولا تزداد.
[٣] سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥.
[٤] ن: يكذبوها.
[٥] ر ث م – الله.
[٦] سورة فاطر، ٣٥/٣٧.
[٧] ن – ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ونحوه ويحتمل أن يكون قوله.
[٨] ن ث: للأنباء.
[٩] جميع النسخ: خافضة يسمع القريب رافعة يسمع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.
[١٠] جميع النسخ: أن يفسر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: للخلق.
[١٢] ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذُوقوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٤٨).
[١٣] ن: لقوله.
[١٤] ﴿إن المتقين في جنات ونَهَرٍ في مَقْعَدِ صدقٍ عند مليك مقتدرٍ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٥٤-٥٥).
[١٥] سورة يونس، ١٠/٢.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إذا رجت الأرض،**[1] على السؤال، كأنهم لمّا سمعوا وصف القيامة والواقعة من المؤمنين فقالوا عند ذلك: متى[2] تكون[3] الواقعة فعند ذلك قال:[4] **إذا رجت الأرض رجا،** وهو كقوله عز وجل: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[5] فزلزلت حتى تُلقيَ[6] ما في بطنها.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وبست الجبال بسا،** قيل: فُتِتَتْ حتى صارت[7] كالدقيق[8] المبسوس. والبَسيسة [عند العرب: دقيق أو][9] سويق يُلَتّ به الزيت[10] ويخلط به.[11] وقال الحسن: **بُست الجبال،** أي سُيِّرت تسييرا.[12]

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فكانت هباء منبثا،** قيل: الهباء الذي يكون فوق النار إذا خَمَدت[13] لا يكون غيره، **منبثا،** أي متفرقا. وقيل: **هباء منبثا،**[14] أي ترابا منتشرا. وقيل: الهباء المبثوث هو ما يَسْطَع من سَنابِك[15] الخيل. وقيل: الهباء الغبار الذي تراه[16] في الشمس إذا دخلت من الكَوَّة.

---

[1] «هذا أيضا يخرج على ما ذكرنا في قوله: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾، يخرج على إثر سؤال، فعلى ذلك قوله: ﴿إذا رجة الأرض﴾»، (*شرح التأويلات*، ورقة ١٨٦ظ).

[2] ن: حتى.

[3] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[4] م – قال.

[5] سورة الزلزال، ٩٩/١.

[6] جميع النسخ: يلقي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٦ظ.

[7] جميع النسخ: فتت حتى يصير. والتصحيح مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٧/٢٧.

[8] جميع النسخ + ومنه يقال للسويق.

[9] الزيادة مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٧/٢٧.

[10] ن: تلت بالزيت.

[11] ر ث م: والخلط.

[12] م: تسير. روي عن محمد بن كعب. *النكت والعيون* للماوردي، ٤٤٦/٥؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩٧/١٧

[13] ن: إذا جمدت.

[14] ث – قيل الهباء الذي يكون فوق النار إذا خمدت لا يكون غيره منبثا أي متفرقا وقيل هباء منبثا.

[15] السُنْبُك: طرف الحافر وجانباه من قُدُم، وجمعه سنابك (*لسان العرب*، «سنبك»).

[16] ر ث م: يراه.

فيه إخبار[1] عن شدة ذلك اليوم وهَوْلِه أنه يُفعل بالجبال كذا مع صلابتها وطاعتها لله تعالى، فكيف يفعل بكم يا بني آدم مع ضعفكم وكفركم ومعصيتكم. *والله أعلم.*

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[٧] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[٨] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[٩] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وكنتم أزواجا ثلاثة**، أي أصنافا ثلاثة. والأصناف الثلاثة[2] ما فَسّر عقيبه، حيث قال: **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون**، الآية. وقيل: الأصناف الثلاثة المكذبون والمحسنون والسابقون.

وقوله عز وجل: **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**، يحتمل وجهين. أحدهما أصحاب الميمنة من اليُمْن وأصحاب المشأمة من الشُّؤْم. والثاني سُمُّوا أصحابَ الميمنة لأنهم أصحاب الطيبات. واليمين هي[3] التي تستعمل[4] في الطيبات؛ والكفرةُ أصحابُ الشمال لأنهم أصحاب الخبائث، والشمال تستعمل[5] في الخبائث. وعلى ذلك قوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[6] لأن في كتبهم طيبات وخيرات، وفي كتب[7] الكفرة خبائث فتؤتى[8] بشمالهم. وقيل: سُمُّوا أصحاب الميمنة والمشأمة لِما ذكر الله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
[٧٧٢ظ] فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا،[9] / وقوله: وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،[10] فكذا كل[11] من أوتي كتابه بيمينه فهو من[12] أصحاب اليمين ومن أوتي كتابه بشماله فهو من[13] أصحاب المشأمة.

---

[1] ن: إخبارا.
[2] ر م – والأصناف الثلاثة.
[3] ر م: وهي.
[4] جميع النسخ: يستعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[5] جميع النسخ: يستعمل.
[6] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.
[7] ر: وفي الكتب.
[8] جميع النسخ: فيؤتى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[9] سورة الانشقاق، ٧/٨٤–٨.
[10] سورة الانشقاق، ١٠/٨٤.
[11] ر ث م: فكل.
[12] ر م – من.
[13] ر م – من.

وكذا قوله:[١] **والسابقون السابقون**، يحتمل وجهين أيضا. أحدهما السابقون في الخيرات يسبقون الناس في كل خير. والثاني السابقون في الإجابة لله ورسوله في ما[٢] دعاهم إليه.

ثم جائز أن يكون الخطاب به للناس كافةً الأولين والآخرين؛ فيكون الناس كلهم أصنافا ثلاثة: السابقون[٣] وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال. وجائز أن يكون الخطاب بهذه الآية[٤] لهذه الأمة خاصة[٥] ففيهم السابقون، وفيهم أصحاب اليمين وهم أصحاب النظر في الحجج والآيات والتأملِ فيها، وأصحاب[٦] الشمال وهم الكفرة.

ثم قوله: **وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة**، على التعجيب[٧] لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يُكرمهم أو على التعظيم لأولئك لعِظَم ما يُعطيهم. وكذلك قوله:[٨] **وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**، يخرج على هذين الوجهين. على التعجيب[٩] والتعظيم لما يحل[١٠] بهم. وكذلك قوله: **والسابقون السابقون**، يخرج على هذا أيضا. يقال:[١١] فلانٌ ما أمرُ فلان. ويقال:[١٢] فلانٌ فلانٌ على تعظيم أمره وشأنه، فعلى ذلك هذا.[١٣]

ثم في قوله تعالى: **وكنتم أزواجا ثلاثة** [دلالة][١٤] لقول[١٥] أصحابنا رحمهم الله في جعلهم الكفرَ كلّه ملة واحدة؛ لأنه جعل الله[١٦] تعالى أهلَ الكفر على اختلاف مذاهبهم وأديانهم زوجا واحدا،[١٧] وأهلَ الإسلام زوجين، حيث جعل الكلّ أزواجا ثلاثة. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: وقوله.
[٢] جميع النسخ: إلى ما.
[٣] ن + السابقون.
[٤] ن- بهذه الآية.
[٥] ر ث م: عامة.
[٦] ر م: أصحاب.
[٧] ر ن م: على التعجب.
[٨] ر م: وقوله.
[٩] ر ث م: وجهين على التعجب.
[١٠] جميع النسخ: ما يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧و.
[١١] ر م - يقال.
[١٢] ر م: فيقال.
[١٣] ن - هذا.
[١٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[١٥] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ن - الله.
[١٧] ر م - واحدا.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **أولئك المقربون**، يحتمل أن يكون وصفُ التقريب[١] لهم لمسابقتهم[٢] في الخيرات في الدنيا. ويحتمل أنهم مقرّبون في الآخرة بالكرامات والمنزلة لسبقهم في الخيرات[٣] أو في الإجابة. والسبقُ فعلُهم والتقريبُ بلطف من الله تعالى وفضل منه. ***والله أعلم***.

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **في جنات النعيم**، جميع الجنان نعيم لأن فيها نعيما. وله أن يسمي واحدة منها نعيما والأخرى عَدْنًا[٤] والفردوسَ والمأوى لما له أن يسمِّي ما شاء بما شاء[٥] وكيف شاء.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، اختلف في ذلك. قال بعضهم: أي **ثلة من الأولين** ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَرُبوا منه. **وقليل من الآخرين** ممن بَعُد من هذه الأمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته[٦] وإدراك[٧] زمانه. **وقليل** من المقربين **من الآخرين**. وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير الناس قرني[٨] ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلونهم»[٩] وعلى ذلك قوله تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ،[١٠] على ما يذكر. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: **ثلة من الأولين**، أي جماعة من المؤمنين الذين كانوا في الأمم الماضية، **وقليل من الآخرين**، أي من هذه الأمة. وهكذا يكون لو اجتمع أهل الإيمان من هذه الأمة مع الأمم الماضية يكون هؤلاء أقل منهم.

---

[١] ر ث م: القريب.

[٢] ث: لمسابقيهم.

[٣] ن + في الدنيا ويحتمل أنهم مقربون في الآخرة.

[٤] ن: عذبا.

[٥] ر م: ما شاء ثم ما شاء؛ ن: ما شاء ثم شاء؛ ث: ما شاء بم شاء. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ن ث: وصحبه.

[٧] ر ث م: وأدرك.

[٨] ن ث: قربي.

[٩] ر م – ثم الذين يلونهم. صحيح *البخاري* الشهادات، ٩؛ وصحيح *مسلم* فضائل الصحابة، ٢١٢.

[١٠] سورة الحديد، ٥٧/١٠.

ويحتمل أيضا أن السابقين المقربين من الأمم الماضية أكثر من السابقين المقربين[١] من هذه الأمة لأن الأنبياء عليهم السلام كلهم من الأمم السالفة.

وقال أهل التأويل: لما نزل قوله تعالى: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، وجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجْدا شديدا، وقالوا: لن يدخل الجنة منا إلا قليل[٢] فنزل قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ.[٣] لكنَ هذا لا يحتمل لأنه خبر ولا يَرِد[٤] في الأخبار نسخ،[٥] وما قالوه[٦] فهو نسخ. والوجه فيه ما ذكرنا. ويحتمل قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ[٧] مِنَ الْآخِرِينَ، هم أصحاب اليمين من الأولين والآخرين جميعا أي جماعة، كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين. ثم يحتمل أن يكون الأولون والآخرون من هذه الأمة. ويحتمل أن يكون الأولون[٨] من الأمم الماضية والآخرون من هذه الأمة وهم المؤمنون. وقوله: **ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**، في المقربين خاصة. ***والله أعلم.***

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **على سرر موضونة**، وقال في آية أخرى: عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ.[٩] والسرر قد تكون[١٠] في الدنيا مصفوفة ولكن لا تكون[١١] موضونة أي منسوجة.[١٢] والوَضْن هو[١٣] النسج.[١٤] يخبر أنه لا يكون بين السرر في الآخرة انفصال ولا فروج كما يكون في الدنيا لكن موصولةٌ بعضها ببعض.

---

[١] ث – من الأمم الماضية أكثر من السابقين المقربين.
[٢] ر م: قليلا.
[٣] سورة الواقعة، ٥٦/٣٩-٤٠.
[٤] جميع النسخ: ترد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[٥] ن: فنسخ.
[٦] م: قالوا.
[٧] ن: وقليل. صح هـ.
[٨] ن – والآخرون من هذه الأمة ويحتمل أن يكون الأولون.
[٩] سورة الطور، ٥٢/٢٠.
[١٠] جميع النسخ: قد يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[١١] جميع النسخ: لا يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: أي منسوخة.
[١٣] ر م: وهو.
[١٤] ن: النسخ.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **متكئين عليها**، أي على السرر التي ذكر أنها مصفوفة موضونة. وقوله: **متقابلين**، أي يقابل بعضهم[١] بعضا ولا يُعرضون ولا ينظر بعضهم إلى بعض بالقفا كما يفعل أهل المجالس في الدنيا يعرض بعضهم عن بعض ويجفو[٢] بعضهم بعضا. يخبر أنهم يكونون[٣] في الآخرة خلاف ما [يكونون][٤] في الدنيا بحيث لا يتأذى بعضهم[٥] من بعض بوجهٍ مّا.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **يطوف عليهم ولدان مخلدون**. فيه أنهم يعطون في الجنة على ما يستحبون في الدنيا من الشرف وطواف الولدان، وكذلك ما ذكر من السرر والفرش وغير ذلك من أنواع ما ترغب[٦] أنفسهم في الدنيا. ثم ذكر أنهم ولدان وإن لم يكن في الجنة وِلاد. فهو يَخرج على وجهين. أحدهما أن يكونوا[٧] على هيئة الولدان وإن لم يولدوا. أو سُمُّوا ولدانا لوِلادهم في الدنيا وإن لم يولَدوا في الجنة لأن التوالد في الدنيا لحاجة البقاء، وأهل الجنة باقون. وقوله عز وجل:
[٧٧٣و] **مخلدون**، قال بعضهم: أي المقرّطون. والخَلَدَة:[٨] القُرط، وجمعه / الخِلَدَة. وقال بعضهم: هو من الخلود، كقوله تعالى: خَالِدِينَ فِيهَا،[٩] أي باقين[١٠] ويقال: مُسوَّرون[١١] من السِّوار.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾[١٨]

وقوله: **بأكواب وأباريق**، قيل: الأكواب[١٢] هي الكيزان المدوَّرَةُ الرءوسِ التي لا عُرَى لها، والأباريق التي لها عُرًى وخراطيم. وجائز أن تكون الأكواب الأقداح[١٣] التي يشربون بها

---

[١] ر م – بعضهم؛ ن: أي يقابل بعضهم.
[٢] ر: ويحقر؛ ن: ويحفوا؛ م: يحضر.
[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[٤] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٥] جميع النسخ: بعض. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر ث م: ما يرغب؛ ن: ما رغب.
[٧] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: والخلد. والتصحيح مستفاد من *المعجم الوسيط*، «خلد».
[٩] سورة البقرة، ١٦٢/٢؛ وسورة آل عمران، ١٥/٣، ٨٨.
[١٠] ر ن م: باقون.
[١١] جميع النسخ: مسور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٧ظ.
[١٢] ر ث م – قيل الأكواب.
[١٣] جميع النسخ: أن يكون الأكواب القداح.

لأن في الدنيا يكون لأهل الشراب الأباريق والأقداح يصبون من الأباريق في القَدَح ويشربون منه لا يشربون من الأباريق فعلى ذلك وعدوا في الجنة. وقوله عز وجل: **وكأس من معين،** الكأس: هو القدَح المملوء من الشراب، وأما المعين فقال[1] بعضهم: هو الظاهر من الماء الذي يقع عليه البصر لأن أهل الدنيا يستحبون شرب[2] الشراب الذي يقع عليه البصر[3] فوعد لأهل الجنة ذلك. *والله أعلم.*[4]

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **لا يصدعون عنها ولا ينزفون،** قرئ بكسر الزاي ونصبه[5] أي لا تُصدِّع[6] خمورُهم في الجنة رءوسَهم كما تصدِّع[7] خمور الدنيا أهلها. وقوله: **ولا ينزفون،** قيل: بكسر الزاي لا يَنفد شرابُهم، وبالفتح لا يَسكَرون فيه؛ إنه ليس في خمورهم الآفةُ التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل والصُّداع والنَّفاد.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[٢٠]

وقوله: **وفاكهة مما يتخيرون،** جميع فواكه[8] الجنة مختارة لكن يخرج على وجهين. أحدهما[9] أن جميع فواكهها مما يتخيرون.[10] والثاني أن[11] العرف في الفواكه أن تقدم[12] من أجناس مختلفة وألوان لا من لون واحد ونوع واحد[13] فيتخيرون من أي نوع اشتهَوْا وشاءوا.[14]

---

[1] جميع النسخ: قال.
[2] ن: شراب.
[3] ر م - لأن أهل الدنيا يستحبون شرب الشراب الذي يقع عليه البصر.
[4] ر: الله أعلم.
[5] ﴿ولا يُنزِفون﴾ (بكسر الزاي) عاصم وحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش. ﴿ولا يُنْزَفون﴾ الباقون (*الميسر في القراءات الأربع عشرة* لمحمد فهد خاروف، ٥٣٥).
[6] جميع النسخ: لا يصدع.
[7] جميع النسخ: كما يصدع.
[8] م: فاكهه.
[9] م: أحدها.
[10] ن: فواكههما مما يتخير؛ ث: مما يتخير.
[11] ر م - أن.
[12] جميع النسخ: أن يقدم.
[13] م - ونوع واحد.
[14] ر: أو شاءوا.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **ولحم طير مما يشتهون**، إن أهل الجنة إنما يتناولون ما يتناولون على الشهوة لا على الحاجة لأن ما يؤكل على الشهوة يكون أكله على اللذة، وما يتناول لحاجة يكون لدفع الحاجة[1] وسدّ الجوع وهو كما ذكر: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ.[2]

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[٢٢] ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون**، يحتمل تشبيه الحور العين باللؤلؤ وجهين. أحدهما لِما لا شيء أصفى من اللؤلؤ والياقوت، فَضَرب مَثَلَهن بذلك لصفائه وبياضه، وإلا ما خَطَرُ اللؤلؤ حتى يُشبَه[3] الموعود في الجنة من الجواري[4] به. والثاني أن للؤلؤ والياقوت فضل قدر ومنزلة عند العرب، وليس ذلك الخطر[5] لغيره من الأشياء، فيُشْبه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك عندهم ليس[6] ذلك لغيره، وهو كقوله تعالى: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ،[7] ضَرَب مَثَل مَنْ يشرك بالله بالذي خرّ من السماء، والشرك بالله أعظم مما ذكر، لكن ليس [عندهم] شيء أعظم وأبعد[8] من الخر من فوق السماء السابعة،[9] فعلى ذلك الأول. ***والله أعلم***.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٤]

وقوله: **جزاء بما كانوا يعملون**، إن الله تعالى ذكر لأعمال العباد[10] جزاءً كأنهم عملوا له فضلا منه وكرما في حق عباده وإن كانوا في الحقيقة عاملين لأنفسهم، كقوله تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، الآية.[11] وكذلك ما ذكر من شرائه أنفسهم وأموالهم منهم[12]

---

[1] ر ث م – لأن ما يؤكل على الشهوة يكون أكله على اللذة وما يتناول لحاجة يكون لدفع الحاجة.
[2] سورة الزخرف، ٧١/٤٣.
[3] ر م: تشبه؛ ث: شبه.
[4] ر ث: من الحواري.
[5] ر ث م: أن للؤلؤ فضل ومنزلة عند العرب وليس الخطر.
[6] ن – ليس.
[7] سورة الحج، ٣١/٢٢.
[8] ن + عنهم مما ذكر من الخبر من السماء فيشبهه وإن كان الشرك به أعظم وأبعد.
[9] جميع النسخ: السابع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.
[10] ر ث م: الأعمال.
[11] ر ث م – الآية. سورة الإسراء، ٧/١٧.
[12] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلُون وَعْدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).

وما ذكر من الإقراض بقوله تعالى: وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا،[١] وإن كانت أنفسهم وأموالهم له. ولكن[٢] عاملَ[٣] عبادَه في أنفسهم وأموالهم كأنها ليست له فضلا وكرما؛ فعلى ذلك ذَكَر لأعمالهم جزاء كأن منهم إلى الله تعالى صنعا[٤] وإحسانا[٥] وإن كانوا عاملين لأنفسهم ومنافعُ أعمالهم ترجع[٦] إليهم، بفضله[٧] وكرمه. *والله أعلم*.[٨]

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما**، هذا يرجع إلى وصف خمور أهل الجنة، أي ليس فيها الآفات التي تكون[٩] في خمور الدنيا من ذهاب العقل وقول[١٠] اللغو والهذيان مثل ما يجري على ألسنتهم في الدنيا حين يشربون[١١] الخمور وما يأثمون به. وذَكَر لهم هذه الخمور في الجنة لأن قوما يرغبون فيها في الدنيا فوعد لهم ليرغبوا فيها ويطلبوها[١٢] بالامتناع عن شربها[١٣] في الدنيا من الخمور المحرمة. *والله أعلم*.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **إلا قيلا سلاما سلاما**، يخرج هذا على وجهين. أحدهما أي إلا كلاما فيه سلامة عن جميع الآفات التي ذكر. والثاني **إلا قيلا سلاما سلاما**، أي يُحَيِّي بعضهم بعضا بالسلام، كقوله تعالى: تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ.[١٤]

---

[١] سورة الحديد، ١٨/٥٧.
[٢] ر ث م - ولكن.
[٣] ر م + على.
[٤] جميع النسخ: صنع.
[٥] جميع النسخ: وإحسان.
[٦] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.
[٧] ن: لفضله.
[٨] ن ث: والله الموفق.
[٩] ر ث م: يكون.
[١٠] ث + اللهو.
[١١] جميع النسخ: شربوا.
[١٢] ن: ويطلبونها.
[١٣] ن ث: شبهها.
[١٤] سورة إبراهيم، ٢٣/١٤.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٢٧] ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾[٢٨] ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود،** الآية، أصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا. ثم اختلف في ذكر شجر السدر لهم وما ذكر من الطلح وغير ذلك. منهم من قال: إنما ذكر هذا لهم لتفضيل المقرَّبين على أصحاب اليمين لأنه قال في المقربين: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ،[١] إلى آخر ما ذكر من عِظَمِ[٢] الكرامات التي ذكر لهم. ثم ذكر لأصحاب اليمين دون ذلك ليعلم تفضيل المقربين على أصحاب اليمين. ومنهم من قال: إن قوما من العرب ينتفعون بذلك لأن لها ثمرةً لكن ليست بمرغَبة ولها شوك، فأخبر الله تعالى أن لهم في الجنة ذلك بلا شوك ولا أذى بل مرغَب[٣] فيه. وهو كما وعد لهم من الخمور ثم نفى عن خمورها الآفات فعلى ذلك جائز أن يكون شجر السدر فيها بغير آفات. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وطلح منضود،** منهم[٤] من قال: هو طلح منضود متراكم كما ذَكَر في آية أخرى: طَلْعٌ نَضِيدٌ.[٥] ذكر في إحدى الآيتين فعيل وفي الأخرى مفعول، وذلك جائز في اللغة. وقيل: **طلحٍ** بالحاء هو المَوْز. وذكر أن عليا رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ: **وطلح منضود.** فقال علي رضي الله عنه: ما[٦] شأن الطلح إنما هو طلع. فقيل له: / إن في المصحف [٧٧٣ظ] **وطلحٍ،** أفلا نغيره فقال: إن المصحف لا يغيَّر اليوم.[٧] وهذا يؤيد التأويل الأول. وقال أبو معاذ: الطلح[٨] في كلام العرب شجر عظام كثير الأغصان، واحدها طلحة. وقوله عز وجل:[٩] **مَخْضُودٍ،** أي مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك. ومنه قوله عليه السلام في شجر الحرم: «لا يُخضَد شوكُها ولا يُعضَد شجرُها».[١٠]

[١] سورة الواقعة، ٥٦/١٠-١٢.
[٢] جميع النسخ: من عظيم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨و.
[٣] ر: يرغب.
[٤] ر م: ومنهم.
[٥] ﴿والنخلَ باسقاتٍ لها طلع نضيد﴾ (سورة ق، ٥٠/١٠).
[٦] ن ث – ما.
[٧] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٣٤.
[٨] ر ث م: الطلع.
[٩] ر ن م: وقال.
[١٠] *صحيح البخاري*، العلم، ٣٩.

﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وظل ممدود**، يصف أنه ليس فيها شمس يؤذي حرُّها ولا برد يؤذي بل ظل، لأن الظل شيء لطيف لا أذى فيه ولا [هو] شيء يثقل[١] على الأبدان بل هو شيء يوافق البدنَ ويخفّ عليه. وقيل: **ممدود**، لأنه لا شمس فيها فتنسخه[٢] وبالشمس يعرف الظل هاهنا، وظل الآخرة ممدود أبدا.

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وماء مسكوب**، قيل: جارٍ غير منقطع، وهو قول القُتَبِي.[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: أي مصبوب. والأول كأنه أقرب، أي جارٍ[٤] أبدا ليس كمياه الدنيا إلا أن يراد بالانصباب صبه من الأعلى إلى الأسفل وذلك مما يرغب[٥] إليه في الدنيا. ثم قوله: **وماء مسكوب**، جائز أن يكون ذكر هذا لأصحاب اليمين، وما ذكر من قوله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ،[٦] وقوله: وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ.[٧] يكون[٨] للمقربين.[٩] وكذلك ما ذكر من [قوله:] جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،[١٠] للمقربين؛ يكونون في العليين وتكون[١١] الأنهار تحتهم.[١٢] وما ينسكب وينصبّ من الأعلى لأصحاب اليمين لأنهم يكونون دونهم في الدرجة. *والله أعلم*.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾[٣٢] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **وفاكهة كثيرة لا مقطوعة**، كانقطاع فواكه الدنيا. يخبر أنها لا تنقطع[١٣] في الجنة في وقت من الأوقات وأنها كلما قُطعت مرة خرجت أخرى مكانَها بهيئة الأكل من غير

---

[١] ر ث م: أثقل.
[٢] جميع النسخ: ينسخه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٨.
[٤] ن: جاري.
[٥] ر ث: رغب.
[٦] سورة الإنسان، ٦/٧٦.
[٧] سورة المطففين، ٢٧/٨٣.
[٨] جميع النسخ: فيكون.
[٩] جميع النسخ + قوله عينا يشرب ولأصحاب اليمين ومزاجه من تسنيم.
[١٠] سورة البقرة، ٢٥/٢؛ وسورة آل عمران، ١٥/٣، ١٣٦.
[١١] جميع النسخ: ويكون.
[١٢] ر: تحيتهم؛ ن: تحبهم.
[١٣] ر ن م: لا ينقطع.

أن يحتاج فيه إلى وقت النضج، كما في الدنيا تنقطع[1] في وقت[2] خروجها إلى وقت نضجها، وبعد النضج والإدراك تنقطع[3] إلى وقت وجود حمل آخر. وقوله عز وجل: **ولا ممنوعة**، أي لا آفة بها[4] تصير[5] ممنوعة كفواكه الدنيا إذ هي ربما تُمْنَع[6] بآفة تصيبها.[7] وقال القُتَبِي وأبو عَوْسَجَة: **لا مقطوعةٍ**، أي لا تحبس[8] كما يمنع في الدنيا بعضهم من بعض.

﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **وفرش مرفوعة**، أي مرفوعة القدر والمنزلة أو مرفوعة بنفسها[9] في القامة،[10] وهو ما ذكرنا في قوله تعالى: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا.[11] وقيل: **وفرش مرفوعة**، النساءُ، يقال: امرأةٌ فَرِيش[12] ونساء فُرُشٌ.

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنا أنشأناهن إنشاء**، قال الأصم[13] وغيره: إن هذا صلة قوله: وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ،[14] كأنه قال على إثره. وقال القُتَبِي: إنه لمّا ذكر على إثر قوله: وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ،[15] **إنا أنشأناهن**، دل أن الفَرش كناية عن الأزواج إذ هن[16] اللواتي[17] تُفْرَش.[18]

[1] جميع النسخ: ينقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[2] ر ن ث: من وقت.
[3] جميع النسخ: ينقطع. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر: لها.
[5] ن ث: يصير.
[6] ر ث م: يمتنع؛ ن: يمنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: يصيبها.
[8] ر م: لا يحبس؛ ن: أي لا بحر حتى ينقطع ولا ممنوعة؛ ث: أي يحبس.
[9] ن: نفسها.
[10] ر ث م: في القيامة.
[11] ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٧-٨).
[12] م: فرش.
[13] ر: الأمم.
[14] الآية ٢٢ و٢٣ من هذه السورة.
[15] الآية السابقة.
[16] ن: إذ بين.
[17] ر م: اللؤلؤ؛ ث: اللوائي.
[18] جميع النسخ: يفرش. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.

وواحدة الفُرُش فَرِيش. وقيل: قد استَفرشتِ الناقةُ إذا اشتهت الفحل.[١] والأشبه أن يكون هذا[٢] صلة: وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، إذ ذَكَر قوله:[٣] وَحُورٌ عِينٌ، على ذكر إثر المجالس والزوجات، لا معنى لذكرهن في هذا الموضع. ثم قوله:[٤] **إنا أنشأناهن إنشاء**، أي أنشأناهن في الابتداء على هيئة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا. وهو كما ذكرنا في قوله في صفة الفواكه أنها غير مقطوعة ولا ممنوعة أي أنها تخرج أول ما تخرج على هيئة الأكل لا كثمار الدنيا.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾[٣٦] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٣٧] ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٣٨] ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[٣٩] ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فجعلناهن أبكارا عربا أترابا**، قيل: أي خلقناهن كذلك ويكنّ أبدا كذلك: كلما ذهبت عُذْرَتهن عادت فيكنّ[٥] أبدا على تلك اللذة لأنهن أنشئن[٦] هكذا. ***والله أعلم***. وقال عامة أهل التأويل في قوله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً،[٧] **فجعلناهن أبكارا**، أي خلقنا نساء الدنيا من الثيبات والأبكار خلقا جديدا سوى الخلق الذي كان في الدنيا **فجعلناهن أبكارا**، وكنّ في الدنيا عجائز[٨] وثيبات. ورووا[٩] على ذلك خبرا[١٠] عن النبي صلى الله عليه وسلم -إن ثبت أنه قال- في قوله: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً: «الثيب والبكر». وفي بعض الأخبار قال: «إن العجوز لا تدخل الجنة»[١١] ثم تلا[١٢] قوله: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، **فجعلناهن أبكارا**.[١٣] ومن قال: هو صلة قوله: وَحُورٌ عِينٌ،[١٤] هنّ[١٥] لسنَ نساء الدنيا. ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: العمل.
[٢] ر م + على.
[٣] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.
[٤] ر م: وقوله.
[٥] ن: فتكن.
[٦] ر ن م: أمسين.
[٧] الآية السابقة.
[٨] جميع النسخ: عجاز. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: روي.
[١٠] ر م: خبر.
[١١] ن – الجنة.
[١٢] ر م – تلا.
[١٣] *تفسير ابن كثير*، ٨/٤٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/١٥.
[١٤] الآية ٢٢ من هذه السورة.
[١٥] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٨ظ.

وقوله عز وجل: **عُرُبا أترابا**، بجزم الراء مخففة وضمها.[1] قال[2] أبو عُبيد: نقرأها[3] بالضم لوجهين. أحدهما[4] التفخيم. والثاني أنها أقيس في العربية لأن واحدها عَرُوب وهو مثل صَبُور وصُبُر وشَكُور وشُكُر. وأما الوجه الآخر التخفيف. وقيل في تأويله: عرُبا، [أي] عاشقاتٍ لأزواجهن.[5] وقال أبو عَوْسَجة: العروب المَرِحَة. وقال القُتَبِي: هي المتحبِبَة إلى زوجها.[6] وقيل: الغَنِجات لأزواجهن. وقيل: إن أهل مكة يسمونها العَرِبَة وأهل مدينة غَنِجَة[7] وأهل العراق الشَكِلَة.[8] وقال سعيد بن جبير: **عربا**، أي ضَبَعَاتٍ[9] والضبعات هي التي تَعرض للزوج من الشهوة. ويقال للناقة إذا اشتهت الضِراب:[10] ضَبِعَة. وقوله عز وجل: **أترابا**، أي مستويات الأسنان. وقال القتبي: التِرب واللِدة[11] واحدة وهو بالفارسية هَمْزَاذ.[12] وأصله: أنهن انشئن بلا وِلاد يتقدم ويتأخر -كما يكون في الدنيا يتفاضلن[13] في الأسنان- فصرن[14] في الآخرة أترابا.

ثم قال: **وثُلَّةٌ من الآخِرين**، قد ذكرنا تأويله أنه يخرج على الوجهين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هما جميعا من أمتي»[15] / وكذلك تأويل [٧٧٤و] قوله تعالى: ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ.[16]

---

[1] جميع النسخ: ومضمومة.
[2] ر م: وقال.
[3] جميع النسخ: يقرأها. والتصحيح من *الشرح*، نفس الورقة.
[4] ث: أحدها.
[5] «العَرِبة والعَروب: كلتاهما المرأة الضحاكة. وقيل: هي المتحبِبَة إلى زوجها المظهرة له ذلك؛ وبذلك فُسّر قوله عز وجل: ﴿عُرُبا أترابا﴾. وقيل: هي العاشقة له. فأما العُرُب فجميع عَروب، وهي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها (*لسان العرب*، «عرب»).
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٤٩.
[7] ن: المدينة الغنجة.
[8] ث: الشكله.
[9] ر م: عربا ضبعات. وقد تستعمل الضَبَعَة في النساء (*تاج العروس*، «ضبع»).
[10] ر ن م: الضرات.
[11] ن ث: والذلذة.
[12] «التِرْب اللِدَة والسِنّ. يقال: هذه تِرْبُ هذه أي لِدَتُها. وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث. وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾، فسره ثعلب فقال: الأتراب هنا الأمثال. وهو حسن إذ ليست هناك وِلادةٌ (*لسان العرب*، «ترب»). ومعنى «همزاد»: اللتان وُلدتا في نفس الوقت.
[13] ن: يتفاصلن.
[14] ن: فيصرن.
[15] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٤٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/١٩.
[16] الآية ١٣ و١٤ من هذه السورة.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال**، وذَكَر في أصحاب اليمين مثله من التعجب[١] وأخبر عما يكرمهم به[٢] ويعطيهم من أنواع النعم، وذكر أصحابَ الشمال وذكر على إثره ما أعدّ[٣] لهم من العذاب والهوان بقوله: فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ،[٤] الآية. ثم ذكر في أول السورة أصحاب الميمنة والمشأمة و لم يذكر لهم الثواب ولا العذاب، وذلك -والله أعلم- لأن في ذكر الميمنة والمشأمة دلالةَ ما لهم؛ لأن الميمنة من اليمن والمشأمة من الشؤم ففي ذكر ذلك بيان ما[٥] لهم من الكرامات وما لأولئك من العقوبات. وليس في ذكر اليمين والشمال بيان العقاب فذكر على إثر ذلك ليُعرَف ما لكل[٦] فريق من الجزاء. ***والله أعلم***.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **في سموم وحميم**، قيل: السموم هو فَيْح جهنم، والحميم هو الذي قد انتهى حرُّه[٧] غايته؛ وقيل: السموم هو[٨] حر النار، وقيل: هو ريح باردة، وقيل: ريح[٩] حارة. وأصله أنه لمّا أصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند ذلك يشربون الحميم رجاء أن يسكن به[١٠] عطشهم ويذهب ذلك عنهم، فلا يزداد لهم بذلك إلا شدة عطش على ما كان. ***والله أعلم***.

﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾[٤٣]

وقوله تعالى: **وظل من يحموم**، قيل:[١١] هو دخان أسود. وقال بعضهم: اليحموم هو من الحميم. وقال أبو بكر: أي ظل من بخار[١٢] يجعل اليحموم بخارا. ثم الظل الذي ذكر هاهنا

---

[١] ن ث: من التعجيب.

[٢] ر م - به.

[٣] جميع النسخ: ما أوعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩و.

[٤] الآية التالية.

[٥] ر م - ما.

[٦] ن: ليعرف بالكل.

[٧] ن: بحرة.

[٨] م: هي.

[٩] ث - ريح.

[١٠] ر ث م: بهم؛ ن - بهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م: وقيل.

[١٢] م: من بخار.

يحتمل أن يكون هو الظل الذي ذكر في قوله: اِنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ،[1] وقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ.[2] وقيل: هو السرادق من النار.

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **لا بارد ولا كريم**. لا بارد لأنه من النار ولا كريم لأنه لهوانهم ليس للكرامة. وقال الحسن وقتادة: **لا باردِ** المنزل **ولا كريم** المنظرِ.[3]

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين**، أي هذا الجزاء لهم لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[4] وإنما قال ذلك مترفوهم دون السفلة والأتباع لقوله تعالى: إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.[5]

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وكانوا يصرون على الحنث العظيم**، اختلف فيه. قال بعضهم: **كانوا يصرون على الحنث**، أي على الإثم العظيم وهو الشرك. وقيل: **الحنث العظيم**، الكبائر والإصرار،[6] [و]هو الإدامة عليها. وقال بعضهم: **يصرون**، على القَسَم:[7] يُقسمون ويَحْنَثُون[8] فيه، كقوله تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ، أقسموا أنهم لا يُبعَثون فحنثوا[9] في ذلك لأنه تعالى أخبر أنهم يبعثون، حيث قال: بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا.[10] ويحتمل أن يكون قسمهم ما ذكر: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[11]

---

[1] سورة المرسلات، ٣٠/٧٧.
[2] سورة الزمر، ١٦/٣٩.
[3] *تفسير ابن كثير*، ٨/٥١٤؛ و*تفسير الطبري*، ٢٥١/٢٧.
[4] سورة سبأ، ٣٥/٣٤.
[5] سورة سبأ، ٣٤/٣٤.
[6] ن: والأضرار.
[7] جميع النسخ: أنفسهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩و.
[8] ر ن: ويخشون.
[9] ن: فحشوا.
[10] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[11] سورة الأنعام، ١٠٩/٦.

وقوله:[١] لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[٢] وقد جاءهم النذير[٣] فلم يكونوا أهدى، وجاءتهم الآيات فلم يؤمنوا بها فحنثوا[٤] فيها. فإن كان قسمهم بأنهم لا يبعثون حنثوا[٥] حين فراغهم من[٦] اليمين لأنهم أيسوا عن ذلك. وفيه دلالة لصحة مذهب أصحابنا أنّ من حلف لَيَمَسَّنّ[٧] السماء أنه يحنث عند فراغه من اليمين.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤٧] ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون،**[٨] قالوا هذا القول[٩] على الاستهزاء والاستبعاد للبعث. ألا ترى أنه أجابهم فقال:

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾[٤٩] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[٥٠]

قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم. ثم قوله:[١٠] **إن الأولين والآخرين،** يخرج على[١١] وجهين. أحدهما أي يجمع الأولين والآخرين[١٢] في التخليق، أي جمع بين الأولين والآخرين في التخليق،[١٣] حيث خلق الآخرين[١٤] على إثر الأولين وإلا لم يكونوا وقت ما قال: **لمجموعون،** إذ الآخرون لم يكونوا مخلوقين بعدُ. والثاني مجموعون في الأرض أي في القبور **إلى ميقات يوم معلوم.**

---

[١] ث: وقولهم.
[٢] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[٣] ن: اليدين.
[٤] ن: فحشوا.
[٥] ن: خشوا.
[٦] ن – من.
[٧] ر م: للمس.
[٨] ر ث م – الأولون.
[٩] ر م – القول.
[١٠] ر: ثم وقوله.
[١١] ث + على.
[١٢] ن – يخرج على وجهين أحدهما أي يجمع الأولين والآخرين.
[١٣] ث – أي جمع بين الأولين والآخرين في التخليق.
[١٤] ر ن م: الأخرى.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون**، أي الضالون المكذبون[١] بآيات الله[٢] الدالة على توحيده ورسله والبعث.

﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾[٥٢]

وقوله: **لآكلون من شجر من زقوم**، أخبر أن المكذبين يكونون[٣] آكلين من الشجر الزقوم فيكون كما أخبر. ثم شجرة الزقوم هي التي ذكر: إِنَّهَا [شَجَرَةٌ] تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ،[٤] وقد ذكرنا تأويله[٥] في موضعه.

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[٥٣]

وقوله: **فمالئون منها البطون**، يخبر أنْ[٦] ليس لهم مما يأكلون ويشربون إلا امتلاء البطون لا يدفع عنهم ما يأكلون من الزقوم وغيره الجوعَ،[٧] ولا ما يشربون من الحميم العطشَ عنهم، بل يزداد لهم بذلك[٨] جوع وعطش[٩] على ما كان. *والله أعلم*.

﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾[٥٤] ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾[٥٥]

وقوله: **فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم**، قيل: الهيم هو إبل يأخذه الداء فيشرب حتى يملأ البطن فلا يَرْوَى أبدا[١٠] للداء الذي فيه، فعلى ذلك أهل النار يشربون ويأكلون حتى تمتلئ[١١] بطونهم فلا يَرْوَوْن ولا يشبعون. *والله أعلم*. وقيل: الهِيم الإبل الذي يهيم[١٢] في الأرض ولا يَرِد الماءَ أياما ثم إذا ورد الماء فيشرب فيمتلئ بطنه حتى يهلك لامتلاء البطن، وهو قول الأصم.

---

[١] ر ث م – أي الضالون المكذبون.

[٢] ن – الله.

[٣] ن: يكونوا.

[٤] سورة الصافات، ٣٧/٦٤-٦٥.

[٥] ن ث: تأويلها.

[٦] ر: أنه.

[٧] ر م: الجموع.

[٨] ر: عنهم يزداد لهم بذلك؛ م: عنهم يزداد بذلك لهم.

[٩] جميع النسخ: جوعا وعطشا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٩ظ.

[١٠] ن – أبدا.

[١١] جميع النسخ: يمتلئ. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر ث م: يهم.

﴿هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هذا نزلهم يوم الدين**، أي الذي[١] / ذكر غذاؤهم ورزقهم يوم الدين. [٧٧٤ظ]

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **نحن خلقناكم فلولا تصدقون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: لما صدقتموني ورسلي بأنا خلقناكم في الابتداء فهلّا صدقتمونا ورسلنا بأنا نعيدكم تارة أخرى، إذ الأعجوبة[٢] في ابتداء الإنشاء[٣] أكثر[٤] منها في الإعادة[٥] وهو ما قال: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[٦] والثاني إنكم صدقتموه ورسله أنه أنشأكم[٧] في بطون أمهاتكم في الظلمات الثلاث[٨] ونقّلكم من حال إلى حال لا يحتمل أن يترككم سُدًى بلا عاقبة، فيكون فيه إثبات البعث؛ إذ لولا ذلك لكان خلقهم وتحويلهم من حال إلى حال عبثا كما قال تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا.[٩] *والله أعلم*.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾[٥٨] ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**، قد علموا أنهم لم يخلقوا ما يُمْنون[١٠] ولا خلقوا أنفسهم؛ فيقول -والله أعلم-: قد أقررتم أنكم لم تخلقوا ما أمنيتم[١١] ولا أنفسكم ولا تملكون[١٢] ذلك، فقد عرفتم أن الله هو خالقكم وخالق ذلك كله وهو المالك لذلك.

---

[١] ر م: الذين.

[٢] ر: إذ لا أعجوبة.

[٣] جميع النسخ: الأشياء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.

[٤] ث: أكبر.

[٥] ن: منها والإعادة.

[٦] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).

[٧] ر م: أنشأ لكم.

[٨] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).

[٩] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.

[١٠] جميع النسخ: تمنون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.

[١١] ر: أنيتهم؛ ن م: أمنيتهم.

[١٢] ر م: ولا يملكون.

فإذا[1] عرفتم ذلك وأنتم أهل تمييز وأكمل عقلا من غيركم فإذ[2] لم تملكوا[3] خلق أنفسكم فالذين هم دونكم أحق أن لا يملكوا خلق أنفسكم وخلق ما ذكر؛ ثبت أن الله تعالى هو خالق ذلك كله، فكيف عبدتم غيره وصرفتم الألوهية إلى غيره؟

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[٦٠] ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **نحن قدرنا بينكم الموت،** يحتمل وجوها. أحدها أنه لما كان هو الذي خلقكم وما ذكر ثم قدّر بينكم الموت وفيكم الولي له والعدو وقد سوّى في الدنيا بين الولي والعدو وفي الحكمة التفريق بينهما،[4] دلّ أن هنالك دارا أخرى يُفرِّق بينهما.

والثاني **نحن قدرنا بينكم الموت،** أي المعجل والمؤجل، أي لم يجعل موت جميعكم في وقت واحد بل جعل معجلا ومؤجلا في الأصل، وقدّر أن تكون[5] مدة أجل هذا أكثر من مدة أجل الآخر. وقيل: **نحن قدرنا بينكم الموت،** أي سوينا بينكم في الموت بين عزيزكم وذليلكم ورفيعكم ووضيعكم لا يَسلم[6] أحد عنه.

ويحتمل وجها آخر هو أولى [به][7] وهو أنه لما قدّر بينكم الموت، وكلُّ واحد منكم يكره[8] الموت ثم لم تملكوا[9] دفع الموت عن أنفسكم، دلّ أن هاهنا غيرا[10] قاهرا قادرا يجب القول بوجوده والانقياد لأوامره ونواهيه.

[٧٧٤و س١٨] * وفي قوله تعالى: **نحن قدرنا بينكم الموت،** نقض قولهم من أن المقتول لم يمت بأجله؛ لأنه تعالى أخبر أنه قدّر الموت بينهم، وعندهم أنّ من قُتِل لم يمت بما قدّر الله تعالى و لم يمت بأجله،

---

[1] ن ث: فإذ.
[2] ر م: فإذا.
[3] ن ث: لم يملكوا.
[4] ر + أن.
[5] جميع النسخ: أن يكون.
[6] ن: لا تسلم.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٩ظ.
[8] ن: بكرة.
[9] ن: لم يملكون؛ ر م: لم تملكون.
[10] ر ن م - غيرا.

وقد أخبر أنه[1] قدّر ذلك، وأنه لا يسبق في ذلك، لقوله:[2] **وما نحن بمسبوقين**، ولو كان على ما تقوله[3] المعتزلة: إن المقتول[4] يموت قبل أجله فقد قالوا: إنه لم يقدّر[5] له الموتَ وإن القاتل[6] قد سبقه ومنعه عن وفاء ما جعل له من الأجل والبلوغ إلى ذلك الأجل الذي جعل له وكذّبه في خبره أنه يبلغ إلى ذلك الأجل. ***والله الموفق.**** ٧٧٤و س ٢٢]

وقوله: **وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم**، أي وما نحن بمغلوبين في تبديل أمثالكم. أو يقول: وما نحن بعاجزين على أن نبدل[8] أمثالكم. وقوله: **وننشئكم فيما لا تعلمون**، قال أبو بكر الأصم: **وننشئكم**[9] **فيما لا تعلمون**، من تبديلكم إلى صورة ذميمة قبيحة كصورة القِرَدَة والخنازير ونحوهما.[10] وقيل: **ننشئكم فيما لا تعلمون**، في أيّ خلقٍ شاء، وهو قريب[11] من الأول. وجائز أن يكون معناه **وننشئكم فيما لا تعلمون** في ظلمات ثلاث[12] الذي لا يبلغه علم البشر ولا تدبير الحكماء إلى أن بلغوا ما بلغوا، فمن ملك[13] ذلك لا يحتمل أن يعجز عن بعث أو غيره. ***والله أعلم.***

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **ولقد علمتم النشأة الأولى**، فهو على ما ذكرنا أنكم لما عرفتم أنه هو الذي أنشأكم النشأة الأولى[14] لا عن أصل سبق لا يحتمل أن يَعْجِز عن النشأة الآخرة

---

[1] ر ث م + هو.
[2] ر ث م: بقوله.
[3] ن: يقوله.
[4] ر م - إن المقتول.
[5] ن + إنه لم يقدر.
[6] ن: وإن العامل.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٧٤و /سطر ١٨-٢٢.
[8] ن: يبدل.
[9] ر ث م - وننشئكم.
[10] جميع النسخ: ونحوها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[11] ر م: أقرب.
[12] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).
[13] ر م: تلك.
[14] ن - فهو على ما ذكرنا أنكم لما عرفتم أنه هو الذي أنشأكم النشأة الأولى.

لأنها مثل الأولى بل في وهمكم أسهل وأهون. وقوله عز وجل: **فلولا تَذَكَّرون**، يخرج على ما ذكرنا: هلّا تذكرون وحدانيته وربوبيته؛[1] أو هلا تذكرون أنه قادر على البعث؛ أو [لو]لا تذكرون[2] أنه هو المستوجب لشكر ما أنعم عليكم؛ أو هلا تذكرون[3] نعمه وإحسانه. ومن الناس من قال: النشأة الأولى هاهنا نشأة آدم عليه السلام وخلقه، أي علمتم نشأته لا من أصل ولا احتذاء[4] بغير،[5] فمن قدر على ذلك فهو على النشأة الأخرى لقادر، وعلى تقدير وهمكم أقدر. ***والله الموفق.***

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾[٦٣] ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**، جائز أن يكون هذا[6] صلة ما تقدم من قوله: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ،[7] كأنه يقول: **أفرأيتم ما تحرثون**، أأنتم[8] تخلقون الزرع أم نحن الخالقون له؛ فيكون فيه الذي ذكرنا في ذلك. ***والله أعلم.*** والثاني **أفرأيتم ما تحرثون**، أأنتم جعلتم الحِراثة بحيث تُنبت أم نحن الجاعلون بحيث تنبت.[9]

[٧٧٣ظ س٣٥ * وأهل التأويل يقولون: **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**، أي تُنبتونه[10]
٧٧٣ظ س٣٥] أم نحن المنبتون، وأصله ما ذكرنا.*

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[٦٥]

ثم قال: **لو نشاء لجعلناه حطاما**، أي يابسا، وقال أبو عَوْسَجَة: أي[12] متكسرا. يذكر[13] نعمه[14] التي أنعمها عليهم. يقول: هو الذي جعله بحيث ينتفع [به] ويبقى ولو شاء لجعله بحيث

---

[1] ر: وحدانية وربوبية.
[2] ن: يذكرون.
[3] ن: يذكرون.
[4] ر ن: ولا احتدا.
[5] جميع النسخ: لغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[6] ر: هذه؛ ن ث: هذه الآية.
[7] الآية ٥٨ من هذه السورة.
[8] ن: لأنتم.
[9] جميع النسخ: ينبت أم نحن الجاعلون بحيث ينبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: ينبتونه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٧٣ظ/ سطر ٣٥.
[12] ن – أي.
[13] جميع النسخ: متكسر ليذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[14] ر: نعمته؛ ن: لنعمه.

لا يُنتفع به. أو يخبر عن قدرته أنه قادر على الإنبات وعلى الإهلاك؛[١] فعلى ذلك قادر على الإنشاء والإعادة.*

وقوله عز وجل: **فظَلْتم تفكهون**، قيل: تَعَجَّبون،[٣] وقيل: تَنَدَّمون،[٤] وهي لغة عُكْل.[٥] وقال أبو بكر الأصم: أي صرتم تتنعمون وتتلذذون،[٦] كما يقول الرجل لآخر: لو أخذتُ[٧] مالك أو سلبتُه صرتُ غنيا[٨] أو استغنيت. ولكن[٩] لا ندري أيقال ما ذكر أم لا؟ فإن كان يقال ذلك يصير تقديره: كأنه يتلذذ لكثرة ما يذكره[١٠] في كل وقت؛ لأن الرجل إذا ذهب ماله لا يزال يذكره[١١] كالمتلذذ به والمتنعم. وعن ابن عباس رضي الله عنه:[١٢] **فظَلْتم تفكهون**، أي تَلَاومون.[١٣] / وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فظِلْتم[١٤] تفكهون. وقوله: **فظلتم**، [٧٧٥و] يستعمل في زمان النهار دون الليل.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾[٦٦] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **إنا لمغرمون بل نحن محرومون**، أي فَظَلْتم تقولون:[١٥] **إنا لمغرمون**. ثم اختلف فيه، قيل: إنا لمعذبون، بقوله: إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا.[١٦] وقيل: إنا لَمُذَمُّون المُلْقَوْن للشر[١٧] ونحو ذلك.

---

[١] ن: على الإثبات وعلى الإهلاك؛ م: على الإنبات والإهلاك.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٧٣ظ/ سطر ٣٥.

[٣] ن: يعجبون.

[٤] ن: يندمون.

[٥] ر م: عكيل. عُكْلٌ، وتَيْمٌ، وَعَدِيٌّ قبائل من الرِّباب (*لسان العرب*، «عكل»)؛ وقال ثعلب: الرِّباب هم خمس قبائل: ضَبَّةُ، وثَوْرٌ، وعُكْلٌ، وتَيْمٌ، وَعَدِيٌّ (*لسان العرب*، «ربب»).

[٦] ن: يتنعمون ويتلذذون.

[٧] ن: لو أحدث؛ م: لو أخذته.

[٨] ن: عينا.

[٩] ر: ولا كن.

[١٠] ث: يذكر.

[١١] ر م: ذكره.

[١٢] ن – رضي الله عنه.

[١٣] نسبه الطبري إلى عكرمة (*تفسير الطبري*، ٣٤٩/٢٢).

[١٤] جميع النسخ: فصرتم. والتصحيح من *تفسير القرطبي*، ٢١٩/١٧.

[١٥] ر م: يقولون.

[١٦] ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما﴾ (سورة الفرقان، ٦٥/٢٥).

[١٧] ر: للبشر؛ ن: للسرت.

لكنه من الغُرْم الظاهر لأن من لحقه[1] خسران في ماله أو هلاك تلحقه[2] الغرامة لما يحتاج إلى غيره. وأصله كأنه يقول -والله أعلم- لو جعله حطاما يابسا [بحيث][3] لا تنتفعون[4] به ظَلْتم تقولون: **إنا لمغرمون**. وقوله: **بل نحن محرمون**، قيل: المحروم هو الذي يُمنع[5] عنه المال أو ما ينتفع به. وقال بعضهم: محدودون، وقيل: مُحارَفون،[6] لكن المحروم ظاهر لا يحتاج إلى التفسير. ***والله أعلم.***

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾[٦٨] ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[٦٩] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم الماء الذين تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون**، يذكر نعمه عليهم بما أنزل لهم من الماء العذب فيشربونه،[7] وأخبر أنه لو شاء لجعله أجاجا مالحا ما تهلك[8] به[9] الأنفس ولا تقوم[10] له. وكذلك قوله: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا،[11] حتى يَخرجَ من أن يكون غذاءً[12] لهم[13] فيه، ولكن بفضله ورحمته أبقى لهم ذلك أغذية وأشربة ولذلك قال في آخره: **فلولا تشكرون**، أي هلا تشكرون ما أنعم عليكم.

ثم في هذه الآيات دلالة نقض قول المعتزلة في أفعال العباد حيث قال: أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ،[14] والإمناء[15] هو فعل العبد؛ إذ هو دفق المَنِيِّ، ثم أخبر أنه هو خالق ذلك حيث قال: أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ. وكذلك الحِراثة والزراعة فعل العباد، وأخبر أنه خالق ذلك.

---

[1] جميع النسخ: مرتجعه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[2] جميع النسخ: يلحقه.
[3] الزيادة من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: لا ينتفعون. الزيادة والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: ينتفي.
[6] وفي الصحاح: رجل مُحارَف -بفتح الراء- أي محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك (*لسان العرب*، «حرف»).
[7] ر م: فيشربون.
[8] جميع النسخ: ما يهلك.
[9] ر م - به.
[10] جميع النسخ: ولا يقوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠و.
[11] الآية ٦٥ من هذه السورة.
[12] ن ث: غدا.
[13] ر ث م - لهم.
[14] الآية ٥٨ و٥٩ من هذه السورة.
[15] م: والإمنار.

وفي قوله[١] تعالى: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا،[٢] و[قوله: **لو نشاء جعلناه**][٣] **أجاجا**، نقض قولهم في الأصلح. فإنه يقال لهم: إن قوله: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا و[قوله: **لو نشاء جعلناه**] **أجاجا**، لا يخلو إما أن يكون الأصلح لهم في ترك ما ذكر أنه لو شاء[٤] لجعل[٥] كذا ثم لم يفعل ذلك فقد ترك الأصلح لهم؛ أو يكونَ الأصلح لهم في إبقاء[٦] ذلك فيصير كأنه قال: لو شاء لجعل ما هو حق وعدل جورا، ولا يجوز أن يقال: إن الله تعالى لو شاء أن يجور لجار.[٧] فعلى أيّ الوجهين حُمِل كان في ذلك نقضُ مذهبهم.* ثم قوله:[٩] **أأنتم أنزلتموه من المزن**، اختلف في تأويل المزن. قال عامة أهل التأويل والأدب: المزن هو السحاب. وقال أبو بكر الأصم: المزن هو الماء[١٠] العذب، فعلى قوله يكون حرف "مِن" صلة كأنه قال: أأنتم أنزلتم[١١] المزن. والظاهر ما ذهب إليه أولئك أنه ينزل من السحاب. *والله أعلم*.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **أفرأيتم النار التي تورون**، قال بعضهم: توقدون، وقال بعضهم: تَقدَحون.[١٢] يقال: قدحتُ[١٣] النار وأَوْرَيْتُها،[١٤] أي أخرجتها. يقال: وَرَتِ[١٥] النارُ تَرِي[١٦] وَرْيا فهي[١٧] وارية، أي أضاءت.

---

[١] ر م: في قوله.

[٢] الآية ٦٥ من هذه السورة.

[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.

[٤] ر ث م – حطاما وأجاجا لا يخلوا ما أن يكون الأصلح لهم في ترك ما ذكر أنه لو شاء.

[٥] ر ث م: لجعله.

[٦] ن: إتقاء.

[٧] ن: أن يجوز لجاز.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦٠، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٧٤و/ سطر١٨-٢٢.

[٩] ر: ثم وقوله.

[١٠] ن + هو الماء.

[١١] ث + من.

[١٢] ر م: تفرحون.

[١٣] ر م: قرحت.

[١٤] ن: وأورثتها.

[١٥] ر م: وزت.

[١٦] ر م: يري.

[١٧] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾[٧٢]

وقوله[١] عز وجل: **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**، قيل: هي الشجرة التي تُجعل[٢] حطبا وتوقد بها النار وتُحْرَق[٣] وقيل: هي الشجرة التي فيها النار وهي التي تتخذ منها الزُّنُود.[٤] والأول أقرب. *والله أعلم*.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾[٧٣] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **نحن جعلناها تذكرة**، قال بعض أهل التأويل: أي جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى وهي نار الآخرة. ويحتمل أن يكون قوله:[٥] **نحن جعلناها**، أي هذه النعم الحاضرة **تذكرة** للنعم[٦] الموعودة، أو جعلنا هذه الشدائد والبلايا في الدنيا تذكرة لما أُوعدوا[٧] في الآخرة. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **ومتاعا للمقوين**، قال بعض أهل التأويل: أي متاعا للمسافرين؛ خصّ المسافرين لنزولهم[٨] القَوَاء وهو القَفْر، وهو قول القُتَبِي.[٩] وقيل: المقوين المستمتعين. وقال أبو عَوْسَجَة: المقوي الذي[١٠] لا زاد له. وقيل: الذي يقع في أرضٍ قَوَاءٍ، والقَوَاء الخالية من الناس. وقال أبو عبيد: لا أرى[١١] الذي لا زاد[١٢] معه أولى بالنار ولا أحوج إليها مِن الذي معه الزاد[١٣] بل صاحب الزاد[١٤] إليها أحوج. ويقال: رجلُ مُقوٍ[١٥] إذا كانت معه مطية قوية.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن: يجعل.

[٣] جميع النسخ: ويوقد بها النار ويحرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.

[٤] جميع النسخ: يتخذ منها الربود. والتصحيح من المرجع السابق. الزَّنْد: العود الأعلى الذي يقتدح به النار. والجمع: أَزْنُد وأَزْناد وزُنُود وزِنَاد. وأزانِد جمع الجمع (*لسان العرب*، «زند»).

[٥] ر ث م – قوله.

[٦] ث: المنعم.

[٧] ر م: أوعدها.

[٨] ن: ليزولهم.

[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥١.

[١٠] ن – الذي.

[١١] جميع النسخ: أرى. والتصحيح من *الشرح*، ١٩٠ظ.

[١٢] ر م – له.

[١٣] ن: الراد.

[١٤] ن: الراد.

[١٥] جميع النسخ: مقوى. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[٧٥] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**، عن ابن مسعود وإبراهيم [النخعي][1] أنهما قرءا[2] "بموقع النجوم" على الوُحْدان. وعن الحسن أنه قرأها: **بمواقع النجوم**،[3] على الجمع[4] وبه أخذ أبو عبيد. وقال: إن بعض أهل التأويل يتأولونها على منازل القرآن، وبعضَهم على مغائب الكواكب[5] ومساقطها، وأي الوجهين كان فالجمع فيه أولى من الوحدان. ثم اختلف في قوله: **فلا أقسم**، منهم من قال: إن حرف "لا" هاهنا صلة كأنه قال: أقسم بمواقع النجوم. وذلك جائز في اللغة كقوله:[6] / مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ،[7] ونحوه، يكون [٧٧٥ظ] على الصلة والزيادة على التوكيد. ومنهم من قال: على إثبات حرف "لا" لكنه جعل ذِكْره لرد قولٍ كان من أولئك الكفرة ولدفع منازعةٍ كانت منهم، لكن لم يَذكر ذلك لِما كانت معروفة بينهم فردّ ذلك بقوله: **فلا**، ثم ابتدأ القسم بقوله: **أقسم**، كأنه قال: أقسم قسما بمواقع النجوم.

ثم اختلف في تأويل قوله: **بمواقع النجوم** على الوجهين اللذين ذكرناهما. قال[8] بعضهم: **بمواقع النجوم**، أي بمواقع نزول القرآن نجوما، دليله ما ذكر على إثره: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ.[9] والثاني **بمواقع النجوم**، النجوم المعروفة على ما قال بعضهم. ثم إن كان المراد منه الكواكب فالقسم بها يكون[10] على وجوه. أحدها لعظم موقع النجوم ومحلها في القلوب وجليل قدرها عند الناس حتى يجعلُها بعض الملحدة[11] مدبرةَ العالم. أو لكثرة منافع الخلق بها من معرفة الطرق[12] بها والسبل، ومعرفة كثرة الأنداء[13] والمياه ومعرفة الأوقات والأزمنة وغيرها مما يكثر ذكرها.

---

[1] ر ث: قرأ. *كتاب المصاحف* للسجستاني، ٣٣٧؛ و*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧/ ٢٢٤.

[2] هو أبو عمران (أبو عمار) إبراهيم بن يزيد بن الأسود، الفقيه الكوفي النخعي، أحد الأئمة، تابعي. توفي سنة ٩٦هـ/٧١٤م. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ١/٢٥-٢٦.

[3] ر ث م – النجوم. *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧/ ٢٢٤.

[4] ن: على الجميع.

[5] ر م: الكوكب.

[6] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٠ظ.

[7] سورة الأعراف، ١٢/٧.

[8] ر م: وقال.

[9] الآيتان التاليتان.

[10] ن: يقع.

[11] م: الملاحدة.

[12] ث: الطريق.

[13] ر م: الأنداد. النَّدَى: المطر والبلل، وجمعه أنداء (*الصحاح*، «ندى»).

أو **بمواقع النجوم**، أي بمساقطها[1] وفي ذلك إخبار وإنباء[2] عن شدة طاعة[3] النجوم له[4] وتسخيره إياها للخلق حيث يملك قطع مسيرةِ خمسِمِائةِ عامٍ بيوم واحد أو ليلة[5] واحدة ما لا يتوهم قطع ذلك مَن سواها من ذوي الأرواح[6] والأجنحة التي[7] هي أسرع لقطع المسافات والوصول إلى مقاصدها. *والله أعلم*.

ثم قال أهل التأويل بأجمعهم بأن القسم بها[8] من الله تعالى. وجائز أن يكون القسم بذلك[9] من الرسول صلى الله عليه وسلم[10] لكن أضاف إلى نفسه تعليما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم برب هذه الأشياء، وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الأشياء؛[11] إذ لم يقع التنازع[12] بينهم وبين الله لِيُقْسَمَ، وإنما وضع القسم لتأكيد الخبر عند الإنكار والتنازع ولكن التنازع فيما بينهم وبين الرسل عليهم السلام. وكذلك ما ذكر من قوله:[13] فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ،[14] [جائز أن يكون القسم برب المشارق والمغارب][15] ليس من الله تعالى ولكن من الرسول؛ إذ لا يحتمل أن يكون الرب عز وجل هو الْمُقسِم ويقولَ:[16] بِرَبِّ الْمَشَارِقِ، فظاهره[17] أن يكون الرسول هو المقسم بها، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: مساقطها.
[2] م: إنباء وإخبار.
[3] ث: إطاعة.
[4] ر ث م – له.
[5] ر ث م: خمسمائة بيوم وليلة (ث: أو ليلة).
[6] ث: الأزواج.
[7] ن: أي.
[8] م: بهما.
[9] ر ث م – بذلك.
[10] ن – صلى الله عليه وسلم.
[11] ر – وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الأشياء.
[12] ر م: إذ المتنازع؛ ث: إذ لم التنازع.
[13] ر ث م – من قوله.
[14] ر م: والمشارق. سورة المعارج، ٧٠/٤٠.
[15] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[16] ن: وتقول.
[17] ر ث م: بظاهره.

ومن الناس من قال: إن الأقسام التي جرى ذكرها في القرآن بالأشياء التي ذكرها لو لم يكن القسم بها لكانت تلك الأشياء تؤكد وتوجب القسم وتؤكد[١] أن لو وقع بها القسم، لأن الأقسام فيه[٢] إنما جرى أكثرها في إيجاب البعث والتوحيد وإثبات الرسالة ونحوها. وما جرى ذكرها لو لم يكن القسم بها لكان يوجب ما يوجب القسم لأن في هذه الأشياء دلالاتٍ على البعث والتوحيد والرسالة. *والله الموفق*.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **إنه لقرآن كريم**، على قول من يجعل القسم بالقرآن فهو ظاهر.[٣] يقول: **إنه لقرآن كريم**، أي الذي أقسم به وأنزله نجوما[٤] هو كريم. وعلى التأويل الذي يجعل القسم بالنجوم المعروفة[٥] يجعل قوله: **إنه لقرآن كريم**، ابتداءَ ذكرٍ منه له. ثم تسمية القرآن كريما يخرج على وجوه. أحدها وصفه بالكرم لما هو محل لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، وفي العرف الكريم: مَنْ نَصَب نفسَه وأعدّها[٦] لقضاء حوائج الخلق والقيام لإنجاحها.[٧] أو وصفه بالكرم لأن من اتبعه كَرُم وشَرُف. أو كريم عند الله عظيم لذلك وصفه بالكرم. *والله أعلم*.

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **في كتاب مكنون**، قال أهل التأويل: في اللوح المحفوظ. سماه مكنونا لأنه مستور عن خلقه عند الله.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٧٩] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨٠]

وقال عز وجل: **لا يمسه إلا المطهرون**، يقول: لا يمس ذلك إلا المطهرون. وقال بعضهم: هم الملائكة الذين يجري ذلك على أيديهم، كقوله تعالى: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ،[٨]

---

[١] جميع النسخ: يؤكد ويوجب القسم ويؤكد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[٢] أي في القرآن.
[٣] ر م + أن.
[٤] ر م: نحو ما.
[٥] م: والمعروفة.
[٦] ث: وأعد.
[٧] ر: لإنجاها. يقال: أُنجحت الحاجةُ أي قضيت (*المعجم الوسيط*، «نجح»).
[٨] سورة عبس، ١٥/٨٠-١٦.

طُهِّروا من الذنوب والآثام، وكان ذكر هذا ليأمنوا عن تحريف هذا الكتاب وتبديله. وهو ما قال على إثره: **تنزيل من رب العالمين،** أي إنه مكنون عمن يحرفه ويبدّله وإنه **لا يمسه إلا المطهرون،** من الذنوب، إذ التحريف[1] إثم وذنب وإنه تنزيل[2] من رب العالمين، وهو كما ذكر في آية أخرى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[3] وقال: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى.[4] أخبر أن الذي[5] نزل به من السماء أمين لا يكون منه التحريف ولا التبديل، وأنه قويّ لا يقدر أحد من جني أوإنسي[6] أخذَه من يده[7] ولا تحريفَه.[8] ثم تمام الأمن بقوله[9] تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[10] وَكَلَ حفظَه إلى نفسه لا إلى أحد من خلقه فصار محفوظا عن التبديل والتحريف. ***والله أعلم.***

﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾[٨١] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٨٢]

وقوله:[11] **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون،** قال بعضهم: أفبهذا[12] القرآن أنتم كافرون.

وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون. الله تعالى جعل هذا القرآن حياة الدين وقوامه[13] والرزقَ حياة الأبدان والأنفس[14] وما به قوامها، فكذبوا الأمرين جميعا: ما به حياة الدين والأبدان[15] جميعا. ثم يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه. أحدها ما ذكر بعض[16] أهل التأويل أنهم كانوا يقولون: رزقنا بنوء كذا، كانوا ينسبون الرزق إلى[17] ذلك النَّوء. [لكن إن أرادوا بقولهم:

---

[1] جميع النسخ: والتحريف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١و.
[2] ن ث + وإنه تنزيل.
[3] سورة الشعراء، ٢٦/١٩٣-١٩٤.
[4] سورة النجم، ٥٣/٥.
[5] ر + أخبر.
[6] ر ن م: وإنسي.
[7] ن – ولا التبديل وأنه قوي لا يقدر أحد من جني وإنسي أخذه من يده.
[8] ث + وقوله عز وجل.
[9] ر ث م: لقوله.
[10] سورة الحجر، ١٥/٩.
[11] ن: قوله.
[12] ر م: فبهذا.
[13] جميع النسخ: قواما.
[14] ر م – والأنفس.
[15] ث: حياة الأبدان والدين.
[16] ر م + الناس.
[17] ر م – إلى.

رُزقنا بنوء كذا أنّ فِعل الرزق من النوء][1] فهذا يخرج على قول[2] / المنجمة: إن النجوم هي[3] مدبرة العالم وأرزاقِهم، لا يجعلون لله في ذلك تدبيرا. فأما من ينسب الرزق إلى الله تعالى ويقول: رَزَقَنا اللهُ بنوء كذا، فليس في ذلك تكذيبه. إنما يخرج ذكر النوء ذكرَ[4] سبب من الأسباب التي يرزق الله تعالى بها. وكذلك من رأى الرزق من الأسباب خاصة. وأما من يقول: رزقنا الله[5] تعالى بسبب كذا فكذا[6] فذلك جائز القول به. وقال بعضهم: **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**، أي تجعلون[7] شكر الرزق التكذيب، وبه قال أبو عبيدة.[8] وجائز أن يكون تكذيبهم الرزق صرف تسمية الألوهية إلى غير الذي رزقهم، والعبادةَ لغير المستحق لها. *والله أعلم*. [٧٧٦و]

وقال الحسن: **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**، بِئسما أَخَذَ[9] القومُ لأنفسهم حتى لم يُرْزَقُوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيب.[10] يقول: صار حظكم من القرآن التكذيب، ويجعل هذه الآية مع الآية الأولى:[11] **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**. وقال أبو بكر الأصم في هذه الآية: **وتجعلون رزقكم**، وهو هذا القرآن الذي خصكم به دون آبائكم ورُزقتم به ما لم يُرزق آباؤكم منه، ثم جعلتم تكذبون ذلك الرزق الذي خُصصتم به ورزقتم، أو كلام[12] نحوه، وهو كقوله تعالى: وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ.[13] وقال في قوله تعالى: **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون**، [المدهن][14] هو الذي يُرِي الموافقة ويحتال[15] في دفع حجة ما يُلزمه ويَرِدّ عليه، أو كلام يشبه معناه هذا. *والله أعلم*.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[2] ر م: قوله.
[3] جميع النسخ: هن. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] م - ذكر.
[5] ر م - الله.
[6] ر ث م - فكذا.
[7] جميع النسخ: يجعلون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن ث: عبيد. تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٥٢.
[9] ر ن م: أخذ.
[10] *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٠.
[11] ر: أولى.
[12] ر ث م + من.
[13] سورة الأنعام، ٦/٩١.
[14] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[15] ر: ويختال.

وقال أبو معاذ: مُدهِن ومُداهِن[1] لغتان. ثم أصل المداهنة[2] المخادعة. يقال: داهنتُه وأدهنته واحد.[3] ثم الفرق بين المداهنة والمداراة، كأن المداهنة لطمع له فيه يخادعه[4] حتى يصل إلى ما يطمع. والمداراة الشفقة يداريه إشفاقا عليه ليتحقق عنده الحق لِيَسلم له دينُه، وإلا هما في الظاهر واحد وهما الملاينة وخفض[5] الجناح، لكن الفرق بينهما ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[٨٣] ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون**، ليس هذا الكلام صلة ما تقدم من الكلام. ثم يشبه أن يكون صلةَ ما قال أولئك الكفرة: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا.[6] يقول -والله أعلم-: لو كانوا عندكم لم يموتوا و لم يقتلوا على ما زعمتم، فهلا إذا كانوا عندكم فبلغت الأرواح الحلقوم أن ترجعوها وتردوها[7] إلى الأجساد التي كانت لو كنتم صادقين في قولكم: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، الآية، على هذا جائز أن يخرج تأويل الآية. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **وأنتم حينئذ تنظرون**، يخرج على وجهين. أحدهما تنظرون أي تنتظرون[8] خروج الروح أنها متى تخرج؟ لا تملكون[9] ردها إلى حيث كانت ولكن تنتظرون[10] خروجها متى تخرج؟ والثاني **وأنتم حينئذ تنظرون**، على حقيقة النظر أي تنظرون[11] إلى سلطاني وقدرتي. وقيل: هو من الانتظار أي تنتظرون أن يَحُلّ[12] بكم الموت، وهو[13] ما ذكرنا. وجائز أن يكون قوله:

[1] جميع النسخ: ومدهن. والتصحيح من *الشرح*، ١٩١ظ.
[2] ر ث م + من.
[3] ر – وأدهنته واحد.
[4] ر م: مخادعة.
[5] ر: وحفض.
[6] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ (سورة آل عمران، ١٥٦/٣).
[7] ر م: أن يرجعوها ويردها؛ ن: أن يرجعوها ويردوها.
[8] ر ن م: ينظرون أي ينتظرون.
[9] جميع النسخ: لا يملكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[10] جميع النسخ: ينتظرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: ينظرون.
[12] ن: يجعل.
[13] ر م: هو.

وأنتم حينئذ تنظرون، لأنهم كانوا يعبدون هذه[١] الأصنام رجاء أن تشفع[٢] لهم في ضيق الحال، وإنما يضيق[٣] عليهم الأمر عند حلول الموت بهم؛[٤] إذ لا بعث عندهم. فيقول: فلولا إذا بلغت الأرواح الحلقوم فتشفع[٥] لكم[٦] الأصنام التي تعبدونها[٧] وترد الأرواح إلى المكان الذي كانت فيه؛[٨] فإذا لم تملك[٩] ذلك فكيف عبدتموها؟ *والله أعلم*.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**، قال بعض أهل التأويل: **ونحن أقرب إليه منكم**، أي ملائكتي ورسلي في ذلك الوقت أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون الملائكة، لكن أضاف إلى نفسه لما أن الملائكة بأمره وتسليطه يعملون. وقيل: **ونحن**[١٠] **أقرب إليه منكم**، أي أولى به منكم[١١] في ذلك الوقت لما يعلم هو خطأه ويتبين[١٢] له الحق في ذلك الوقت من الباطل **ولكن لا تبصرون** أنتم، أي لا تعلمون ذلك. *والله أعلم*.

﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[٨٦] ﴿تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين**، قال بعضهم: **غير مدينين**، أي لو كنتم غير مملوكين لله تعالى على ما زعمتم، ترجعون الأرواح وتردونها إلى الأجساد التي كانت فيها إن كنتم صادقين أنكم غير مملوكين فإذ[١٣] كنتم عندكم غير مملوكين تكونون[١٤] مالكين؛

---

[١] ر م – هذه.
[٢] جميع النسخ: أن يشفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩١ظ.
[٣] ر م + الحال.
[٤] ر ث م – بهم.
[٥] ن: فيشفع؛ ر ث م: فينتفع.
[٦] جميع النسخ: لهم.
[٧] ر ث م: يعبدونها.
[٨] ر ث م – فيه.
[٩] جميع النسخ: لم يملك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م – منكم.
[١٢] جميع النسخ: وتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م: فإذا.
[١٤] ن: يكونون.

إذ ليس إلا المملوك أو المالك فإذا لم تكونوا[1] مملوكين تكونون[2] مالكين فتملكون[3] ردها إلى ما فيها فإذ[4] لم تملكوا[5] كنتم مملوكين. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: **غر مدينين**، أي غير محاسَبين ولا مجزيِّين ولا مبعوثين. من قولك: كما تَدِينُ تُدانُ،[6] وكذلك الدين[7] يستعمل في الحساب. وإنه يخرج على تسفيه عقولهم وتحقيق سفههم من وجهين. أحدهما يقول -والله أعلم-: إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين[8] فرُدُّوا النشأة الأولى[9] واجعلوها بأنفسكم حتى تكونَ[10] النشأة الأولى حكمةً؛ إذ لم تملكوا[11] ردّ هذه الأرواح إلى الأنفس. أو اجعلوا النشأة الأولى لغير الذي يكوّن النشأة الأخرى حتى تكون[12] النشأة الأولى[13] حكمة. ***والله أعلم***.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٨٨] ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٨٩] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩٠] ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩١] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾[٩٢] ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾[٩٣] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**، إلى آخره.[14] اختلف[15] في وقت ما ذكر لمن ذكر[16] ذلك. قال بعضهم: إنّ ذلك يقال لهم عند الموت بِشارةً لهم

---

[1] ر م: والمالك فإذا لم يكونوا؛ ن: لم يكونوا.
[2] ن: يكونون.
[3] ر ن م: فيملكون.
[4] جميع النسخ: فإذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٩٢و.
[5] ر م: يملكوا.
[6] يروى حديثا مرفوعا ومرسلا، وفي إسناده ضعف. انظر: كشف *الخفاء* للعجلوني، «كما تدين».
[7] ن: ولذلك الذي.
[8] ر ث م – ولا مبعوثين من قولك كما تدين تدان وكذلك الدين يستعمل في الحساب وإنه يخرج على تسفيه عقولهم وتحقيق سفههم من وجهين أحدهما يقول والله أعلم إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين.
[9] ن: التي؛ ث: الأخرى.
[10] ر ن م: يكون.
[11] ر ن م: لم يملكوا.
[12] ن: يكون.
[13] ر ث م – لغير الذي يكون النشأة الأخرى حتى تكون النشأة الأولى.
[14] ن: إلخ؛ م: الآية.
[15] ر م: واختلف.
[16] ث – لمن ذكر.

بما يكون لهم[١] في الجنة. ومنهم من يقول: إنما يقال ذلك إذا دخل هؤلاء الجنة وأولئك النارَ أعني الكافرين، وهو ما ذكر / **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم**. وجائز أن يكون يقال ذلك[٢] لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة. وَصَف لرسول الله صلى الله عليه وسلم محلهم[٣] عنده في الجنة ومكانَهم لديه على ما كانوا عنده في الدنيا: السابقون كانوا في الدنيا المقربين[٤] عنده، ومكانهم لديه أقرب من مكان غيرهم من المؤمنين. فعلى ذلك يخبر أن السابقين في الإجابة يكونون في الآخرة عنده أقرب، ويكون قوله: **فَرَوْحٌ وَرَيْحان**، أي يستأنس هو بهم[٥] ويستأنسون به لا يفارقونه ولا يفارقهم على ما كانوا في الدنيا. وسائر المؤمنين يسلِّمون عليه في أوقات وهو ما ذكر: **فسلام لك من أصحاب اليمين**، على ما كانوا يفعلون في الدنيا وهو أقرب من الوجهين اللذين ذكرناهما. ويحتمل ما ذكروا من البِشارة عند الموت أعني المؤمنين والكافرين: في حق[٦] المؤمنين: **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان** [**وجنة نعيم**] **وأما إن كان من أصحاب اليمين** فكذا.[٧] وفي حق الكفرة: **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنُزُلٌ من حميم**، الآية. ويحتمل ما ذكر[٨] بعضهم أن ذلك يقال لهم بعد ما دخل أهل الجنة الجنةَ[٩] وأصحاب[١٠] النار النارَ. ***والله أعلم***. [٧٧٦ظ]

وقوله عز وجل: **فروحٌ وريحان وجنةُ نعيم**، اختلف في تلاوته [وتأويله].[١١] أما تلاوته [فقد] روي عن عائشة رضي الله عنها [أنها] قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا الحرف فرُوح وَرَيْحان يعني بضم الراء.[١٢] وعن الحسن أنه قرأها بالضم أيضا.[١٣]

---

[١] ن - بما يكون لهم، صح هـ.
[٢] م - ذلك.
[٣] ر م - محلهم.
[٤] جميع النسخ: المقربون.
[٥] ن: هونهم.
[٦] م: وفي حق.
[٧] ر ن م: كذا.
[٨] ر م: ويحتمل ذكر.
[٩] ر: والجنة.
[١٠] ر: أهل الجنة والجنة أصحاب النار النار؛ م: أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٩٢و.
[١٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٦٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٦؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٦.
[١٣] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٥؛ و*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٨.

وعن الضحاك بفتح الراء.[1] وعليه[2] جميع القراء. وقال أبو عبيد: لولا كراهة خلاف الأمة وإلا ما قرأتها إلا بالضم ولكن لا أجد[3] أحدا عليها،[4] فاستوحش من مفارقة الناس، ولا يجمع الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة.[5] وأما تأويله فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال: الرُوح الرحمة، والريحان ريحاننا.[6] وعن أبي عبيدة[7] قال: بالرفع هو الحياة والبقاء.[8] وعن الضحاك بالفتح: الرَّوح الاستراحة والريحان الرزق.[9] وقال بعضهم: الرَّوح كناية عن دوام النعمة والسعة؛ يقال: فلان[10] في رَوْحٍ إذا كان في سعة ونعمة. والريحان كناية عن الشرف والمنزلة؛ يقال: فلان ريحانيّ وذلك لشرفه ومنزلته عنده. ومنهم من قال: الرَّوح الراحة، والريحان الرزق في الجنة. وقال بعضهم: الرُّوح بالرفع من الرحمة وبالنصب من الراحة.[11] ونحن نقول: جائز أن يكونا جميعا -بالنصب والرفع- من الرحمة لقوله: لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ،[12] أي من رحمته. وقال في موضع آخر: وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ،[13] أي برحمة منه. يخبر[14] الله تعالى أن المقربين يكونون في الجنة في رحمة الله ونعمته. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلامٌ لك من أصحاب اليمين**، يحتمل ما وَصَفْنا أنّ أصحاب اليمين يسلّمون على النبي صلى الله عليه وسلم ويُحَيّي بعضهم بعضا بالسلام.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٥؛ *والمبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢٨.
[2] ر م: عليه.
[3] ر ث م + عليها.
[4] ث - عليها.
[5] ر م: الضلالة. يروى حديثا مرفوعا: «لا تجتمع أمتي على الضلالة». انظر: مسند *أحمد بن حنبل*، ٦/٣٩٦؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ٨؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ٢/٤٨٨.
[6] ث: ريحانيا. *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٧.
[7] ر ث: أبي عبيد؛ ن: ابن عبيد.
[8] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٥٣.
[9] *تفسير الطبري*، ٢٧/٢٧٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٧.
[10] ث + فلان.
[11] ر ث م: وبالنصب الراحة.
[12] سورة يوسف، ١٢/٨٧.
[13] سورة المجادلة، ٥٨/٢٢.
[14] ر م + أن.

ويحتمل **فسلام لك**، أي السلامة لك منهم من جميع الآفات والأذى. وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فسلام إنك من أصحاب اليمين. فهذا إن ثبت فهو يخرج على البشارة له عند الموت. *والله أعلم*. وقيل: يسلّم عليهم الملائكة. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **إن هذا لهو حق اليقين**، يقول: هذا الذي ذكرنا للمقرَّبين ولأصحاب اليمين وللمكذِّبين[١] هو الحق اليقين، أي كائن لا محالة، لا شك فيه. مثلُ هذا يقال على التأكيد وتحقيقِ ما سبق ذكرُه ووصفُه.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **فسبح باسم ربك العظيم**، يقول -والله أعلم-: فسبح ربك باسم[٢] لا يُسمَّى به غيره، أي نزِّهه عن جميع ما قالت الملحدة[٣] فيه من الولد والشريك وتسميةِ مَنْ دونه إلٰها وغيرِ ذلك. *والله الموفق للصواب وبه نستعين*.[٤]

---

[١] ث - وللمكذبين.

[٢] ن: باسم ربك.

[٣] م: الملاحدة.

[٤] ر ن ث - للصواب وبه نستعين.

سورة الواقعة

وهي ست وتسعون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾

أما تعلق هذه السورة بما قبلها، فذلك من وجوه: أحدها: أن تلك السورة مشتملة على تعديد النعم على الإنسان ومطالبته بالشكر ومنعه عن التكذيب كما مر، وهذه السورة مشتملة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كذب وكفر، ثانيها: أن تلك السورة متضمنة للتنبيهات بذكر الآلاء في حق العباد، وهذه السورة كذلك لذكر الجزاء في حقهم يوم التناد، ثالثها: أن تلك السورة سورة إظهار الرحمة، وهذه السورة سورة إظهار الهيبة على عكس تلك السورة مع ما قبلها، وأما تعلق الأول بالآخر ففي آخر تلك السورة إشارة إلى الصفات من باب النفي والإثبات، وفي أول هذه السورة إلى القيامة وإلى ما فيها من المثوبات والعقوبات، وكل واحد منهما يدل على علو اسمه وعظمة شأنه، وكمال قدرته وعز سلطانه، **ثم في الآية مسائل:**

المسألة الأولى: ففي تفسيرها جملة وجوه: أحدها: المراد إذا وقعت القيامة الواقعة أو الزلزلة الواقعة يعترف بها كل أحد، ولا يتمكن أحد من إنكارها، ويبطل عناد المعاندين فتخفض الكافرين في دركات النار، وترفع المؤمنين في درجات الجنة، هؤلاء في الجحيم وهؤلاء في النعيم، الثاني: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ تزلزل الناس، فتخفض المرتفع، وترفع المنخفض، وعلى هذا فهي كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾[الحجر: ٧٤] في الإشارة إلى شدة الواقعة، لأن العذاب الذي جعل العالي سافلاً بالهدم، والسافل عاليًا حتى صارت الأرض المنخفضة كالجبال الراسية، والجبال الراسية كالأرض المنخفضة أشد وأبلغ، فصارت البروج العالية مع الأرض متساوية، والواقعة التي تقع ترفع المنخفضة فتجعل من الأرض أجزاء عالية ومن السماء أجزاء سافلة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾[الواقعة: ٤، ٥] فإنه إشارة إلى أن الأرض تتحرك بحركة مزعجة، والجبال تتفتت، فتصير الأرض المنخفضة كالجبال الراسية، والجبال الشامخة كالأرض السافلة، كما يفعل هبوب الريح في الأرض المرملة، الثالث: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يظهر وقوعها لكل أحد، وكيفية وقوعها، فلا يوجد لها كاذبة ولا متأول يظهر فقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ معطوف على ﴿كَاذِبَةٌ﴾ نسقًا، فيكون كما يقول القائل: ليس لي في الأمر شك ولا خطأ، أي لا قدرة لأحد على رفع المنخفض ولا خفض المرتفع.

المسألة الثانية: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يحتمل أن تكون الواقعة صفة لمحذوف وهي القيامة أو

الزلزلة على ما بينا، ويحتمل أن يكون المحذوف شيئًا غير معين، وتكون تاء التأنيث مشيرة إلى شدة الأمر الواقع وهوله، كما يقال: كانت الكائنة والمراد كان الأمر كائنًا ما كان، وقولنا: الأمر كائن لا يفيد إلا حدوث أمر ولو كان يسيرًا بالنسبة إلى قوله: كانت الكائنة، إذ في الكائنة وصف زائد على نفس كونه شيئًا، ولنبين هذا ببيان كون الهاء للمبالغة في قولهم: فلان راوية ونسابة، وهو أنهم إذا أرادوا أن يأتوا بالمبالغة في كونه راويًا كان لهم أن يأتوا بوصف بعد الخبر ويقولون: فلان راوٍ جيد أو حسن أو فاضل، فعدلوا عن التطويل إلى الإيجاز مع زيادة فائدة، فقالوا: نأتي بحرف نيابة عن كلمة كما أتينا بهاء التأنيث حيث قلنا: ظالمة بدل قول القائل: ظالم أنثى، ولهذا لزمهم بيان الأنثى عند مالا يمكن بيانها بالهاء في قولهم شاة أنثى وكالكتابة في الجمع حيث قلنا: قالوا بدلاً عن قول القائل: قال وقال وقال، وقالا بدلاً عن قوله: قال وقال فكذلك في المبالغة أرادوا أن يأتوا بحرف يغني عن كلمة والحرف الدال على الزيادة ينبغي أن يكون في الآخر، لأن الزيادة بعد أصل الشيء، فوضعوا الهاء عند عدم كونها للتأنيث والتوحيد في اللفظ المفرد لا في الجمع للمبالغة إذا ثبت هذا فنقول: في كانت الكائنة ووقعت الواقعة حصل هذا معنى لا لفظًا، أما معنى فلأنهم قصدوا بقولهم: كانت الكائنة أن الكائن زائد على أصل ما يكون، وأما لفظًا فلأن الهاء لو كانت للمبالغة لما جاز إثبات ضمير المؤنث في الفعل، بل كان ينبغي أن يقولوا: كان الكائنة ووقع الواقعة، ولا يمكن ذلك لأنا نقول: المراد به المبالغة.

المسألة الثالثة: العامل في (إذا) ماذا؟ نقول: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: فعل متقدم يجعل إذا مفعولاً به لا ظرفًا وهو اذكر، كأنه قال: اذكر القيامة، ثانيها: العامل فيها ليس لوقعتها كاذبة كما تقول: يوم الجمعة ليس لي شغل، ثالثها: يخفض قوم ويرفع قوم، وقد دل عليه ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾، وقيل: العامل فيها قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] أي في يوم وقوع الواقعة.

المسألة الرابعة: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ إشارة إلى أنها تقع دفعة واحدة فالوقعة للمرة الواحدة، وقوله: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل وجوهًا: أحدها: كاذبة صفة لمحذوف أقيمت مقامه تقديره: ليس لها نفس تكذب، ثانيها: الهاء للمبالغة كما تقول في الواقعة وقد تقدم بيانه، ثالثها: هي مصدر كالعاقبة فإن قلنا بالوجه الأول فاللام تحتمل وجهين: أحدهما: أن تكون للتعليل أي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها كما يقال: لا كاذب عند الملك لضبطه الأمور فيكون نفيًا عامًّا بمعنى أن كل أحد يصدقه فيما يقول وقال: وقبله نفوس كواذب في أمور كثيرة ولا كاذب فيقول: لا قيامة لشدة وقعتها وظهور الأمر وكما يقال: لا يحتمل الأمر الإنكار لظهوره لكل أحد فيكون نفيًا خاصًّا بمعنى لا يكذب أحد فيقول: لا قيامة وقبله نفوس قائلة به كاذبة فيه. ثانيهما: أن تكون للتعدية وذلك كما يقال: ليس لزيد ضارب، وحينئذ تقديره إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها

امرؤ يوجد لها كاذب إن أخبر عنها فهي خافضة رافعة تخفض قومًا وترفع قومًا، وعلى هذا لا تكون عاملاً في ﴿إِذَا﴾ وهو بمعنى ليس لها كاذب يقول: هي أمر سهل يطاق يقال لمن يقدم على أمر عظيم ظانًّا أنه يطيقه: سل نفسك أي سهلت الأمر عليك وليس بسهل، وإن قلنا بالوجه الثاني وهو المبالغة ففيه وجهان: أحدهما: ليس لها كاذب عظيم بمعنى أن من يكذب ويقدم على الكذب العظيم لا يمكنه أن يكذب لهول ذلك اليوم، وثانيهما: أن أحدًا لو كذب وقال في ذلك اليوم لا قيامة ولا واقعة لكان كاذبًا عظيمًا ولا كاذب لهذه العظمة في ذلك اليوم والأول أدل على هول اليوم، وعلى الوجه الثالث يعود ما ذكرنا إلى أنه لا كاذب في ذلك اليوم بل كل أحد يصدقه.

المسألة الخامسة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تقديره: هي خافضة رافعة وقد سبق ذكره في التفسير الجملي وفيه وجوه أخرى: أحدها: خافضة رافعة صفتان للنفس الكاذبة أي ليس لوقعتها من يكذب ولا من يغير الكلام فتخفض امْرَأً وترفع آخر فهي خافضة أو يكون هو زيادة لبيان صدق الخلق في ذلك اليوم وعدم إمكان كذبهم والكاذب يغير الكلام، ثم إذا أراد نفي الكذب عن نفسه يقول ما عرفت مما كان كلمة واحدة وربما يقول ما عرفت حرفًا واحدًا، وهذا لأن الكاذب قد يكذب في حقيقة الأمر وربما يكذب في صفة من صفاته والصفة قد يكون ملتفتًا إليها وقد لا يكون ملتفتًا إليها التفاتًا معتبرًا وقد لا يكون ملتفتًا إليها أصلاً مثال الأول قول القائل: ما جاء زيد ويكون قد جاء، ومثال الثاني: ما جاء يوم الجمعة، ومثال الثالث: ما جاء بكرة يوم الجمعة ويكون قد جاء بكرة يوم الجمعة وما جاء أول بكرة يوم الجمعة، والثاني دون الأول والرابع دون الكل، فإذا قال القائل: ما أعرف كلمة كاذبة نفى عنه الكذب في الإخبار وفي صفته والذي يقول: ما عرفت حرفًا واحدًا نفى أمرًا وراءه، والذي يقول: ما عرفت أعرافة واحدة يكون فوق ذلك فقوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي من يغير تغييرًا ولو كان يسيرًا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝﴾

أي كانت الأرض كثيبًا مرتفعًا والجبال مهيلاً منبسطًا، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كقوله تعالى في وصف الجبال: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وقد تقدم بيان فائدة ذكر المصدر وهي أنه يفيد أن الفعل كان قولاً معتبرًا ولم يكن شيئًا لا يلتفت إليه، ويقال فيه: إنه ليس بشيء فإذا قال القائل: ضربته ضربًا معتبرًا لا يقول القائل فيه: ليس بضرب محتقرًا له كما يقال: هذا ليس بشيء، والعامل في: ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ يحتمل وجوهًا: أحدها: أن يكون إذا رجت بدلاً عن إذا وقعت فيكون العامل فيها ما ذكرنا من قبل، ثانيها: أن يكون العامل في: ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ [الواقعة: ١] هو قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ [الواقعة: ٢] والعامل في: ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ هو قوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣]

تقديره: تخفض الواقعة وترفع وقت رجِّ الأرض وبس الجبال والفاء للترتيب الزماني لأن الأرض ما لم تتحرك والجبال مالم تَنْبَسَّ لا تكون هباء منبثًا، والبس: التقليب، والهباء هو الهواء المختلط بأجزاء أرضية تظهر في خيال الشمس إذا وقع شعاعها في كوة، وقال: الذين يقولون: إن بين الحروف والمعاني مناسبة إن الهواء إذا خالطه أجزاء ثقيلة أرضية ثقل من لفظه حرف فأبدلت الواو الخفيفة بالباء التي لا ينطق بها إلا بإطباق الشفتين بقوة ما أو في الباءِ ثقل ما.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾

أي في ذلك اليوم أنتم أزواج ثلاثة أصناف وفسرها بعدها بقوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: الفاء تدل على التفسير، وبيان ما ورد على التقسيم كأنه قال: (أزواجًا ثلاثة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة) إلخ، ثم بيَّن حال كل قوم، فقال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ فترك التقسيم أولاً واكتفى بما يدل عليه، فإنه ذكر الأقسام الثلاثة مع أحوالها، وسبق قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ يغني عن تعديد الأقسام، ثم أعاد كل واحدة لبيان حالها.

المسألة الثانية: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هم أصحاب الجنة، وتسميتهم بأصحاب الميمنة إما لكونهم من جملة من كتبهم بأيمانهم، وإما لكون أيمانهم تستنير بنور من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] وإما لكون اليمين يراد به الدليل على الخير، والعرب تتفاءل بالسانح، وهو الذي يقصد جانب اليمين من الطيور والوحوش عند الزجر والأصل فيه أمر حكمي، وهو أنه تعالى لما خلق الخلق كان له في كل شيء دليل على قدرته واختياره، حتى إن في نفس الإنسان له دلائل لا تعد ولا تحصى، ودلائل الاختيار إثبات مختلفين في محلين متشابهين، أو إثبات متشابهين في محلين مختلفين، إذ حال الإنسان من أشد الأشياء مشابهة فإنه مخلوق من متشابه، ثم إنه تعالى أودع في الجانب الأيمن من الإنسان قوة ليست في الجانب الأيسر لو اجتمع أهل العلم على أن يذكروا له مرجحًا غير قدرة الله وإرادته لا يقدرون عليه، فإن كان بعضهم يدعى كياسة وذكاء يقول: إن الكبد في الجانب الأيمن، وبها قوة التغذية، والطحال في الجانب الأيسر، وليس فيه قوة ظاهرة النفع فصار الجانب الأيمن قويًا لمكان الكبد على اليمين؟ فنقول: هذا دليل الاختيار لأن اليمين كالشمال، وتخصيص الله اليمين بجعله مكان الكبد دليل الاختيار إذا ثبت أن الإنسان يمينه أقوى من شماله، فضلوا اليمين على الشمال، وجعلوا الجانب الأيمن للأكابر، وقيل لمن له مكانة هو من أصحاب اليمين، ووضعوا له لفظًا على وزن العزيز، فينبغي أن يكون الأمر على ذلك الوجه كالسميع والبصير، ومالا يتغير كالطويل والقصير، وقيل له: اليمين، وهو يدل على القوة، ووضعوا مقابلته اليسار

على الوزن الذي اختص به الاسم المذموم عند النداء بذلك الوزن، وهو الفعال، فإن عند الشتم والنداء بالاسم المذموم يؤتى بهذا الوزن مع البناء على الكسر، فيقال: يا فجار يا فساق يا خباث، وقيل: اليمين اليسار، ثم بعد ذلك استعمل في اليمين، وأما الميمنة فهي مفعلة كأنه الموضع الذي فيه اليمين وكل ما وقع بيمين الإنسان في جانب من المكان، فذلك موضع اليمين فهو ميمنة كقولنا: ملعبة.

المسألة الثالثة: جعل الله تعالى الخلق على ثلاثة أقسام دليل غلبة الرحمة، وذلك لأن جوانب الإنسان أربعة، يمينه وشماله، وخلفه وقدامه، واليمين في مقابلة الشمال والخلف في مقابلة القدام ثم إنه تعالى أشار بأصحاب اليمين إلى الناجين الذين يُعطَون كتبهم بأيمانهم وهم من أصحاب الجانب الأشرف المكرمون، وبأصحاب الشمال إلى الذين حالهم على خلاف أصحاب اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم مهانون وذكر السابقين الذين لا حساب عليهم ويسبقون الخلق من غير حساب بيمين أو شمال، أن الذين يكونون في المنزلة العليا من الجانب الأيمن، وهم المقربون بين يدي الله يتكلمون في حق الغير ويشفعون للغير ويقضون أشغال الناس وهؤلاء أعلى منزلة من أصحاب اليمين، ثم إنه تعالى لم يقل: في مقابلتهم قومًا يكونون متخلفين مؤخرين عن أصحاب الشمال لا يلتفت إليهم لشدة الغضب عليهم وكانت القسمة في العادة رباعية فصارت بسبب الفضل ثلاثية وهو كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]لم يقل: منهم متخلف عن الكل.

المسألة الرابعة: ما الحكمة في الابتداء بأصحاب اليمين والانتقال إلى أصحاب الشمال ثم إلى السابقين مع أنه في البيان بيَّن حال السابقين ثم أصحاب الشمال على الترتيب، والجواب: أن نقول: ذكر الواقعة وما يكون عند وقوعها من الأمور الهائلة إنما يكون لمن لا يكون عنده من محبة الله تعالى ما يَكُفُّه مانعًا عن المعصية، وأما الذين سرهم مشغول بربهم فلا يحزنون بالعذاب، فلما ذكر تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١]وكان فيه من التخويف مالا يخفى وكان التخويف بالذين يرغبون ويرهبون بالثواب والعقاب أولى ذكر ما ذكره لقطع العذر لا نفع الخبر، وأما السابقون فهم غير محتاجين إلى ترغيب أو ترهيب فقدم سبحانه أصحاب اليمين الذين يسمعون ويرغبون ثم ذكر السابقين ليجتهد أصحاب اليمين ويقربوا من درجتهم وإن كان لا ينالها أحد إلا بجذب من الله فإن السابق يناله ما يناله بجذب، وإليه الإشارة بقوله: جذبة من جذبات الرحمن خير من عبادة سبعين سنة.

المسألة الخامسة: ما معنى قوله: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؟ نقول: هو ضرب من البلاغة وتقريره هو أن يشرع المتكلم في بيان أمر ثم يسكت عن الكلام ويشير إلى أن السامع لا يقدر على سماعه كما يقول القائل لغيره: أخبرك بما جرى عليَّ ثم يقول هناك هو مجيبًا لنفسه لا أخاف أن يحزنك وكما يقول القائل: من يعرف فلانًا فيكون أبلغ من أن يصفه، لأن السامع إذا سمع وصفه يقول:

هذا نهاية ما هو عليه، فإذا قال: من يعرف فلانًا يفرض السامع من نفسه شيئًا، ثم يقول: فلان عند هذا المخبر أعظم مما فرضته وأنبه مما علمت منه.

المسألة السادسة: ما إعرابه ومنه يعرف معناه؟ نقول: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ أراد المتكلم أن يذكر خبره فرجع عن ذكره وتركه وقوله: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ جملة استفهامية على معنى التعجب كما تقول: لمدعي العلم ما معنى كذا مستفهمًا ممتحنًا زاعمًا أنه لا يعرف الجواب حتى إنك تحب وتشتهي ألا يجيب عن سؤالك ولو أجاب لكرهته لأن كلامك مفهوم كأنك تقول: إنك لا تعرف الجواب، إذا عرفت هذا فكأن المتكلم في أول الأمر مخبرًا ثم لم يخبر بشيء لأن في الإخبار تطويلاً ثم لم يسكت وقال ذلك ممتحنًا زاعمًا أنك لا تعرف كنهه، وذلك لأن من يشرع في كلام ويذكر المبتدأ ثم يسكت عن الخبر قد يكون ذلك السكوت لحصول علمه بأن المخاطب قد علم الخبر من غير ذكر الخبر، كما أن قائلاً إذا أراد أن يخبر غيره بأن زيدًا وصل، وقال: إن زيدًا ثم قبل قوله: جاء وقع بصره على زيد ورآه جالسًا عنده يسكت ولا يقول جاء لخروج الكلام عن الفائدة وقد يسكت عن ذكر الخبر من أول الأمر لعلمه بأن المبتدأ وحده يكفي لمن قال: من جاء فإنه إن قال: زيد يكون جوابًا وكثيرًا ما نقول: زيد ولا نقول: جاء، وقد يكون السكوت عن الخبر إشارة إلى طول القصة كقول القائل الغضبان: من زيد؟ ويسكت ثم يقول: ماذا أقول عنه. إذا علم هذا فنقول لما قال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ كان كأنه يريد أن يأتي بالخبر فسكت عنه ثم قال في نفسه: إن السكوت قد يوهم أنه لظهور حال الخبر كما يسكت على زيد في جواب من جاء؟ فقال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ ممتحنًا زاعمًا أنه لا يفهم ليكون ذلك دليلاً على أن سكوته على المبتدأ لم يكن لظهور الأمر بل لخفائه وغرابته، وهذا وجه بليغ، وفيه وجه ظاهر وهو أن يقال: معناه أنه جملة واحدة استفهامية كأنه قال: وأصحاب الميمنة ما هم؟ على سبيل الاستفهام غير أنه أقام المظهر مقام المضمر وقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ والإتيان بالمظهر إشارة إلى تعظيم أمرهم حيث ذكرهم ظاهرًا مرتين وكذلك القول في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ وكذلك في قوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢]وفي قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢].

المسألة السابعة: ما الحكمة في اختيار لفظ ﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ في مقابلة ﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، مع أنه قال في بيان أحوالهم: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١]؟ نقول: اليمين وضع للجانب المعروف أولاً ثم تفاءلوا به واستعملوا منه ألفاظًا في مواضع وقالوا: هذا ميمون وقالوا: أيمن به ووضعوا للجانب المقابل له اليسار من الشيء اليسير إشارة إلى ضعفه، فصار في مقابلة اليمين كيفما يدور فيقال: في مقابلة اليمنى اليسرى، وفي مقابلة الأيمن الأيسر، وفي مقابلة الميمنة الميسرة، ولا تستعمل الشمال كما تستعمل اليمين، فلا يقال: الأشمل ولا المشملة، وتستعمل المشأمة كما تستعمل الميمنة، فلا يقال: في مقابلة اليمين لفظ من باب الشؤم، وأما الشآم فليس

في مقابلة اليمين بل في مقابلة يمان، إذا علم هذا فنقول: بعد ما قالوا باليمين لم يتركوه واقتصروا على استعمال لفظ اليمين في الجانب المعروف من الآدمي، ولفظ الشمال في مقابلته وحدث لهم لفظان آخران فيه: أحدهما: الشمال وذلك لأنهم نظروا إلى الكواكب من السماء وجعلوا ممرها وجه الإنسان وجعلوا السماء جانبين وجعلوا أحدهما أقوى كما رأوا في الإنسان، فسموا الأقوى بالجنوب لقوة الجانب كما يقال: غضوب ورءوف، ثم رأوا في مقابلة الجنوب جانبًا آخر شمل ذلك الجانب عمارة العالم فسموه شمالاً واللفظ الآخر: المشأمة والأشأم في مقابلة الميمنة والأيمن، وذلك لأنهم لما أخذوا من اليمين اليمن وغيره للتفاؤل وضعوا الشؤم في مقابلته لا في أعضائهم وجوانبهم تكرهًا لجعل جانب من جوانب نفسه شؤمًا، ولما وضعوا ذلك واستمر الأمر عليه نقلوا اليمين من الجانب إلى غيره، فالله تعالى ذكر الكفار بلفظين مختلفين فقال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١] وترك لفظ الميسرة واليسار الدال على هون الأمر، فقال هاهنا: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ بأفظع الاسمين، ولهذا قالوا في العساكر: الميمنة والميسرة اجتنابًا من لفظ الشؤم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في إعرابه ثلاثة أوجه أحدها: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ عطف على ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] وعنده تم الكلام، وقوله: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ جملة واحدة، والثاني: أن قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ جملة واحدة، كما يقول القائل: أنت أنت، وكما قال الشاعر:

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي(١)

وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون لشهرة أمر المبتدأ بما هو عليه فلا حاجة إلى الخبر عنه وهو مراد الشاعر وهو المشهور عند النحاة، والثاني: للإشارة إلى أن في المبتدأ مالا يحيط العلم به ولا يخبر عنه ولا يعرف منه إلا نفس المبتدأ، وهو كمايقول القائل لغيره أخبرني عن حال الملك فيقول: لا أعرف من الملك إلا أنه ملك فقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ أي لا يمكن الإخبار عنهم إلا بنفسهم فإن حالهم وما هم عليه فوق أن يحيط به علم البشر وهاهنا لطيفة: وهي أنه في أصحاب الميمنة قال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] بالاستفهام وإن كان للإعجاز لكن جعلهم مورد الاستفهام وهاهنا لم يقل: والسابقون ما السابقون، لأن الاستفهام الذي للإعجاز يورد على مدعي العلم فيقال له: إن كنت تعلم فبين الكلام وأما إذا كان يعترف بالجهل فلا يقال له: كذبت، ولا يقال: كيف كذا، وما الجواب عن ذلك، فكذلك في: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ ما جعلهم بحيث يدعون، فيورد

(١) تقدم.

عليهم الاستفهام فيبين عجزهم بل بنى الأمر على أنهم معترفون في الابتداء بالعجز، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ كقول العالم: لمن سأل عن مسألة معضلة وهو يعلم أنه لا يفهمها وإن كان أبانها غاية الإبانة أن الأمر فيها على ما هو عليه ولا يشتغل بالبيان، وثالثها: هو أن السابقون ثانيًا تأكيد لقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ والوجه الأوسط هو الأعدل الأصح، وعلى الوجه الأوسط قول آخر: وهو أن المراد منه أن السابقين إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى.

المسألة الثانية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ يقتضي الحصر فينبغي أن لا يكون غيرهم مقربًا، وقد قال في حق الملائكة إنهم مقربون، نقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من الأزواج الثلاثة، فإن قيل: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ ليسوا من المقربين، نقول: للتقريب درجات (والسابقون) في غاية القرب، ولا حد هناك، ويحتمل وجهًا آخر، وهو أن يقال: المراد السابقون مقربون من الجنات حال كون أصحاب اليمين متوجهين إلى طريق الجنة لأنه بمقدار ما يحاسب المؤمن حسابًا يسيرًا ويؤتى كتابه بيمينه يكون السابقون قد قربوا من المنزل أو قربهم إلى الله في الجنة وأصحاب اليمين بعد متوجهون إلى ما وصل إليه المقربون، ثم إن السير والارتفاع لا ينقطع فإن السير في الله لا انقطاع له، والارتفاع لا نهاية له، فكلما تقرب أصحاب اليمين من درجة السابق، يكون قد انتقل هو إلى موضع أعلى منه، فأولئك هم المقربون في جنات النعيم، في أعلى عليين حال وصول أصحاب اليمين إلى الحور العين.

المسألة الثالثة: بعد بيان أقسام الأزواج لم يعد إلى بيان حالهم على ترتيب ذكرهم، بل بيّن حال السابقين مع أنه أخرهم، وأخر ذكر أصحاب الشمال مع أنه قدمهم أولاً في الذكر على السابقين، نقول: قد بينا أن عند ذكر الواقعة قدم من ينفعه ذكر الأهوال، وأخر من لا يختلف حاله بالخوف والرجاء، وأما عند البيان فذكر السابق لفضيلته وفضيلة حاله.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: عرف النعيم باللام هاهنا وقال في آخر السورة: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩] بدون اللام، والمذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة من هذه الجنات وهذه معرفة بالإضافة إلى المعرفة، وتلك غير معرفة فما الفرق بينهما؟ فنقول: الفرق لفظي ومعنوي: فاللفظي هو أن السابقين معرفون باللام المستغرقة لجنسهم، فجعل موضع المعرفين معرفًا، وأما هناك فهو غير معرف، لأن قوله: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨] أي إن كان فردًا منهم فجعل موضعه غير معرف مع جواز أن يكون الشخص معرفًا وموضعه غير معرف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] و﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]

وبالعكس أيضًا، وأما المعنوي: فنقول: عند ذكر الجمع جمع الجنات في سائر المواضع فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾ وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ﴾[الواقعة: ١١، ١٢] لكن السابقون نوع من المتقين، وفي المتقين غير السابقين أيضًا، ثم إن السابقين لهم منازل ليس فوقها منازل، فهي صارت معروفة لكونها في غاية العلو أو لأنها لا أحد فوقها، وأما باقي المتقين فلكل واحد مرتبة وفوقها مرتبة فهم في جنات متناسبة في المنزلة لا يجمعها صقع واحد لاختلاف منازلهم، وجنات السابقين على حد واحد في أعلى عليين يعرفها كل أحد، وأما الواحد منهم فإن منزلته بين المنازل، ولا يعرف كل أحد أنه لفلان السابق فلم يعرفها، وأما منازلهم فيعرفها كل أحد، ويعلم أنها للسابقين، ولم يعرف الذي للمتقين على وجه كهذا.

المسألة الثانية: إضافة الجنة إلى النعيم من أي الأنواع؟ نقول: إضافة المكان إلى ما يقع في المكان يقال: دار الضيافة، ودار الدعوة، ودار العدل، فكذلك جنة النعيم، وفائدتها أن الجنة في الدنيا قد تكون للنعيم، وقد تكون للاشتغال والتعيش بأثمان ثمارها، بخلاف الجنة في الآخرة فإنها للنعيم لا غير.

المسألة الثالثة: في ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، يحتمل أن يكون خبرًا بعد خبر، ويحتمل أن يكون خبرًا واحدًا، أما الأول فتقديره: أولئك المقربون كائنون في جنات، كقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج: ١٦]، وأما الثاني فتقديرهم: المقربون في الجنات من الله كما يقال: هو المختار عند الملك في هذه البلدة، وعلى الوجه الأول فائدته بيان تنعيم جسمهم، وكرامة نفسهم فهم مقربون عند الله فهم في غاية اللذة وفي جنات، فجسمهم في غاية النعيم، بخلاف المقربين عند الملوك، فإنهم يلتذون بالقرب لكن لا يكون لجسمهم راحة، بل يكونون في تعب من الوقوف وقضاء الأشغال، ولهذا قال: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ولم يقتصر على جنات، وعلى الوجه الثاني فائدته التمييز عن الملائكة، فإن المقربين في يومنا هذا في السموات هم الملائكة والسابقون: المقربون في الجنة فيكون المقربون في غيرها هم الملائكة، وفيه لطيفة: وهي أن قرب الملائكة قرب الخواص عند الملك الذين هم للأشغال، فهم ليسوا في نعيم، وإن كانوا في لذة عظيمة ولا يزالون مشفقين قائمين بباب الله يرد عليهم الأمر ولا يرتفع عنهم التكليف، والسابقون لهم قرب عند الله، كما يكون لجلساء الملوك، فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يرد عليهم أمر، فيلتذون بالقرب، ويتنعمون بالراحة.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾

وهذا خبر بعد خبر، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: قد ذكرت أن قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠] جملة، وإنما كان الخبر عين المبتدأ لظهور حالهم أو لخفاء أمرهم على غيرهم، فكيف جاء خبر بعده؟ نقول: ذلك المقصود قد

أفاد ذكر خبر آخر لمقصود آخر، كما أن واحدًا يقول: زيد لا يخفى عليك حاله إشارة إلى كونه من المشهورين ثم يشرع في حال يخفى على السامع مع أنه قال: لا يخفى، لأن ذلك كان لبيان كونه ليس من الغرباء كذلك هاهنا قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ لبيان عظمتهم ثم ذكر حال عددهم.

المسألة الثانية: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من هم؟ نقول: المشهور أنهم من كان قبل نبينا ﷺ وإنما قال: ﴿ثُلَّةٌ﴾ والثلة: الجماعة العظيمة، لأن من قبل نبينا من الرسل والأنبياء من كان من كبار أصحابهم إذا جمعوا يكونون أكثر بكثير من السابقين من أمة محمد ﷺ، وعلى هذا قيل: إن الصحابة لما نزلت هذه الآية صعب عليهم قلتهم، فنزل بعده: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠] هذا في غاية الضعف من وجوه: أحدها: أن عدد أمة محمد ﷺ إذا كان في ذلك الزمان بل إلى آخر الزمان، بالنسبة إلى من مضى في غاية القلة فماذا كان عليهم من إنعام الله على خلق كثير من الأولين وما هذا إلا خُلْف غير جائز، وثانيها: أن هذا كالنسخ في الأخبار وأنه في غاية البعد، ثالثها: ما ورد بعدها لا يرفع هذا لأن الثلة من الأولين هنا في السابقين من الأولين وهذا ظاهر لأن أمة محمد ﷺ كثروا ورحمهم الله تعالى فعفا عنهم أمورًا لم تعف عن غيرهم، وجعل للنبي ﷺ الشفاعة فكثر عدد الناجين وهم أصحاب اليمين، وأما من لم يأثم ولم يرتكب الكبيرة من أمة محمد ﷺ فهم في غاية القلة وهم السابقون، ورابعها: هذا توهم وكان ينبغي أن يفرحوا بهذه الآية لأنه تعالى لما قال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ دخل فيهم الأول من الرسل والأنبياء، ولا نبي بعد محمد ﷺ، فإذا جعل قليلاً من أمته مع الرسل والأنبياء والأولياء الذين كانوا في درجة واحدة، يكون ذلك إنعامًا في حقهم ولعله إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، الوجه الثاني: المراد منه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] فإن أكثرهم لهم الدرجة العليا، لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ [الحديد: ١٠] الآية. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وعلى هذا فقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧] يكون خطابًا مع الموجودين وقت التنزيل، ولا يكون فيه بيان الأولين الذين كانوا قبل نبينا عليه السلام، وهذا ظاهر فإن الخطاب لا يتعلق إلا بالموجودين من حيث اللفظ، ويدخل فيه غيرهم بالدليل، الوجه الثالث: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنفسهم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور: ٢١] فالمؤمنون وذرياتهم إن كانوا من أصحاب اليمين فهم في الكثرة سواء، لأن كل صبي مات وأحد أبويه مؤمن فهو من أصحاب اليمين، وأما إن كانوا من المؤمنين السابقين، فقلما يدرك ولدهم درجة السابقين وكثيرًا ما يكون ولد المؤمن أحسن حالاً من الأب لتقصير في أبيه ومعصية لم توجد في الابن الصغير وعلى هذا فقوله: ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾ المراد منه الآخرون التابعون من الصغار.

قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ ﴾

والموضونة: هي المنسوجة القوية اللحمة والسدى، ومنه يقال للدرع المنسوجة: موضونة والوضين هو الحبل العريض الذي يكون منه الحزم لقوة سداه ولحمته، والسرر التي تكون للملوك يكون لها قوائم من شيء صلب ويكون مجلسهم عليها معمولاً بحرير وغير ذلك لأنه أنعم من الخشب وما يشبهه في الصلابة وهذه السرر قوائمها من الجواهر النفيسة، وأرضها من الذهب الممدود، وقوله تعالى: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا ﴾ للتأكيد، والمعنى أنهم كائنون على سرر متكئين عليها متقابلين، ففائدة التأكيد هو أن لا يظن أنهم كائنون على سرر متكئين على غيرها كما يكون حال من يكون على كرسي صغير لا يسعه للاتكاء فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه، فلما قال: على سرر متكئين عليها دل هذا على أن استقرارهم واتكاءهم جميعًا على سرر، وقوله تعالى: ﴿ مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن أحدًا لا يستدبر أحدًا، وثانيهما: أن أحدًا من السابقين لا يرى غيره فوقه، وهذا أقرب لأن قوله: ﴿ مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ على الوجه الأول يحتاج إلى أن يقال: متقابلين معناه أن كل أحد يقابل أحدًا في زمان واحد، ولا يفهم هذا إلا فيما لا يكون فيه اختلاف جهات، وعلى هذا فيكون معنى الكلام أنهم أرواح ليس لهم أدبار وظهور، فيكون المراد من السابقين هم الذين أجسامهم أرواح نورانية جميع جهاتهم وجه كالنور الذي يقابل كل شيء ولا يستدبر أحدًا، والوجه الأول أقرب إلى أوصاف المكانيات.

ثم قال تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ والولدان: جمع الوليد، وهو في الأصل فعيل بمعنى مفعول وهو المولود لكن غلب على الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين، والدليل أنهم قالوا للجارية الصغيرة وليدة، ولو نظروا إلى الأصل لجردوها عن الهاء كالقتيل، إذا ثبت هذا فنقول: في الولدان وجهان: أحدهما: أنه على الأصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف، لأن صغار المؤمنين أخبر الله تعالى عنهم أنه يلحقهم بآبائهم، ومن الناس المؤمنين الصالحين من لا ولد له فلا يجوز أن يخدم ولد المؤمن مؤمنًا غيره، فيلزم إما أن يكون لهم اختصاص ببعض الصالحين وأن لا يكون لمن لا يكون له ولد من يطوف عليه من الولدان، وإما أن يكون ولد الآخر يخدم غير أبيه وفيه منقصة بالأب، وعلى هذا الوجه قيل: هم صغار الكفار وهو أقرب من الأول إذ ليس فيه ما ذكرنا من المفسدة، والثاني: أنه على الاستعمال الذي لم يلحظ فيه الأصل وهو إرادة الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين وهو حينئذ كقوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾ [الطور: ٢٤] وفي قوله تعالى: ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ وجهان أحدهما: أنه من الخلود والدوام، وعلى هذا الوجه يظهر وجهان آخران: أحدهما: أنهم مخلدون ولا موت لهم ولا فناء،

وثانيهما: لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغارًا دائمًا لا يكبرون ولا يلتحون، والوجه الثاني: أنه من الخلدة وهو القرط بمعنى في آذانهم حلق، والأول أظهر وأليق.

قوله تعالى: ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾

أواني الخمر تكون في المجالس، وفي الكوب وجهان: أحدهما: أنه من جنس الأقداح وهو قدح كبير، وثانيهما: من جنس الكيزان ولا عروة له ولا خرطوم والإبريق له عروة وخرطوم.

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: ما الفرق بين الأكواب والأباريق والكأس حيث ذكر الأكواب والأباريق بلفظ الجمع والكأس بلفظ الواحد ولم يقل: وكئوس؟ نقول: هو على عادة العرب في الشرب يكون عندهم أوان كثيرة فيها الخمر معدة موضوعة عندهم، وأما الكأس فهو القدح الذي يشرب به الخمر إذا كان فيه الخمر ولا يشرب واحد في زمان واحد إلا من كأس واحد، وأما أواني الخمر المملوءة منها في زمان واحد فتوجد كثيرًا، فإن قيل: الطواف بالكأس على عادة أهل الدنيا وأما الطواف بالأكواب والأباريق فغير معتاد فما الفائدة فيه؟ نقول: عدم الطواف بها في الدنيا لدفع المشقة عن الطائف لثقلها وإلا فهي محتاج إليها بدليل أنه عند الفراغ يرجع إلى الموضع الذي هي فيه، وأما في الآخرة فالآنية تدور بنفسها والوليد معها إكرامًا لا للحمل، وفيه وجه آخر من حيث اللغة وهو أن الكأس إناء فيه شراب فيدخل في مفهومه المشروب، والإبريق آنية لا يشترط في إطلاق اسم الإبريق عليها أن يكون فيها شراب، وإذا ثبت هذا فنقول الإناء المملوء الاعتبار لما فيه لا للإناء، وإذا كان كذلك فاعتبار الكأس بما فيه لكن فيه مشروب من جنس واحد وهو المعتبر، والجنس لا يجمع إلا عند تنوعه فلا يقال للأرغفة من جنس واحد: أخباز، وإنما يقال: أخباز عندما يكون بعضها أسود وبعضها أبيض وكذلك اللحوم يقال عند تنوع الحيوانات التي منها اللحوم ولا يقال للقطعتين من اللحم لحمان، وأما الأشياء المصنفة فتجمع، فالأقداح وإن كانت كبيرة لكنها لما ملئت خمرًا من جنس واحد لم يجز أن يقال لها: خمور فلم يقل: كئوس وإلا لكان ذلك ترجيحًا للظروف، لأن الكأس من حيث إنها شراب من جنس واحد لا بجمع واحد فيترك الجمع ترجيحًا لجانب المظروف بخلاف الإبريق فإن المعتبر فيه الإناء فحسب، وعلى هذا يتبين بلاغة القرآن حيث لم يرد فيه لفظ الكئوس إذ كان ما فيها نوع واحد من الخمر، وهذا بحث عزيز في اللغة.

المسألة الثانية: في تأخير الكأس ترتيب حسن، فكذلك في تقديم الأكواب إذ كان الكوب منه يصب الشراب في الإبريق ومن الإبريق في الكأس.

المسألة الثالثة: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ بيان ما في الكأس أو بيان ما في الأكواب والأباريق، نقول: يحتمل أن يكون الكل من معين والأول أظهر بالوضع، والثاني ليس كذلك، فلما قال: ﴿وَكَأْسٍ﴾

فكأنه قال: ومشروب، وكأن السامع محتاجًا إلى معرفة المشروب، وأما الإبريق فدلالته على المشروب ليس بالوضع، وأما المعنى فلأن كون الكل ملآنًا هو الحق، ولأن الطواف بالفارغ لا يليق فكان الظاهر بيان ما في الكل، ومما يؤيد الأول هو أنه تعالى عند ذكر الأواني ذكر جنسها لا نوع ما فيها فقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الإنسان: ١٥] الآية، وعند ذكر الكأس بين ما فيها فقال: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ فيحتمل أن الطواف بالأباريق، وإن كانت فارغة للزينة والتجمل وفي الآخرة تكون للإكرام والتنعم لا غير.

المسألة الرابعة: ما معنى المعين؟ قلنا: ذكرنا في سورة الصافات أنه فعيل أو مفعول ومضى فيه خلاف، فإن قلنا: فعيل فهو من مَعِن الماء إذا جرى، وإن قلنا: مفعول فهو من عانه إذا شخصه بعينه وميزه، والأول أصح وأظهر لأن المعيون يوهم بأنه معيوب لأن قول القائل: عانني فلان معناه ضرني إذا أصابتني عينه، ولأن الوصف بالمفعول لا فائدة فيه، وأما الجريان في المشروب فهو إن كان في الماء فهو صفة مدح وإن كان في غيره فهو أمر عجيب لا يوجد في الدنيا، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥].

قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: لا يصيبهم منها صداع يقال: صدعني فلان أي أورثني الصداع، والثاني: لا ينزفون عنها ولا ينفدونها من الصدع، والظاهر أن أصل الصداع منه، وذلك لأن الألم الذي في الرأس يكون في أكثر الأمر بخلط وريح في أغشية الدماغ فيؤلمه فيكون الذي به صداع كأنه يتطرق في غشاء دماغه.

المسألة الثانية: إن كان المراد نفي الصداع فكيف يحسن عنها مع أن المستعمل في السبب كلمة (من)، فيقال: مرض من كذا وفي المفارقة يقال: عن، فيقال: برىء عن المرض؟ نقول: الجواب هو أن السبب الذي يثبت أمرًا في شيء كأنه ينفصل عنه شيء ويثبت في مكانه فعله، فهناك أمران ونظران إذا نظرت إلى المحل ورأيت فيه شيئًا تقول: هذا من ماذا، أي ابتداء وجوده من أي شيء فيقع نظرك على السبب فتقول: هذا من هذا أي ابتداء وجوده منه، وإذا نظرت إلى جانب المسبب ترى الأمر الذي صدر عنه كأنه فارقه والتصق بالمحل، ولهذا لا يمكن أن يوجد ذلك مرة أخرى، والسبب كأنه كان فيه وانتقل عنه في أكثر الأمر فهاهنا يكون الأمران من الأجسام والأمور التي لها قرب وبعد، إذا علم هذا فنقول: المراد هاهنا بيان خمر الآخرة في نفسها وبيان ما عليها، فالنظر وقع عليها لا على الشاربين ولو كان المقصود أنهم لا يصدعون عنها لوصف منهم لما كان مدحًا لها، وأما إذا قال: هي لا تصدع لأمر فيها يكون مدحًا لها فلما وقع النظر عليها قال: عنها، وأما إذا كنت تصف رجلاً بكثرة الشرب وقوته عليه، فإنك تقول في

حقه: هو لا يصدع من كذا من الخمر، فإذا وصفت الخمر تقول هذه لا يصدع عنها أحد.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ تقدم تفسيره في الصافات، والذي يحسن ذكره هنا أن نقول: إن كان معنى ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ لا يسكرون، فنقول: إما أن نقول معنى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ أنهم لا يصيبهم الصداع، وإما أنهم لا يفقدون، فإن قلنا بالقول الأول فالترتيب في غاية الحسن لأنه على طريقة الارتقاء، فإن قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ معناه لا يصيبهم الصداع لكن هذا لا ينفي السكر فقال بعده: ولا يورث السكر، كقول القائل: ليس فيه مفسدة كثيرة، ثم يقول: ولا قليلة، تتميمًا للبيان، ولو عكست الترتيب لا يكون حسنًا، وإن قلنا: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ لا يفقدون فالترتيب أيضًا كذلك لأن قولنا: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ أي لا يفقدونه ومع كثرته ودوام شربه لا يسكرون فإن عدم السكر لنفاد الشراب ليس بعجب، لكن عدم سكرهم مع أنهم مستديمون للشراب عجيب وإن قلنا: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ بمعنى لا ينفد شرابهم كما بينا هناك. فنقول أيضًا: إن كان لا يصدعون بمعنى لا يصيبهم صداع فالترتيب في غاية الحسن، وذلك لأن قوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ لا يكون بيان أمر عجيب إن كان شرابهم قليلاً فقال: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ مع أنهم لا يفقدون الشراب ولا ينزفون الشراب، وإن كان بمعنى لا ينزفون عنها فالترتيب حسن لأن معناه لا ينزفون عنها بمعنى لا يخرجون عما هم فيه ولا يؤخذ منهم ما أعطوا من الشراب، ثم إذا أفنوها بالشراب يعطون.

قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما وجه الجر، والفاكهة لا يطوف بها الولدان والعطف يقتضي ذلك؟ نقول: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حالتين: أحدهما: حالة الشرب والأخرى حال عدمه، فالفاكهة من رءوس الأشجار تؤخذ، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] وقال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] إلى غير ذلك، وأما حالة الشراب فجاز أن يطوف بها الولدان، فيناولوهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للأكل بل للإكرام، كما يضع المكرم للضيف أنواع الفواكه بيده عنده وإن كان كل واحد منهما مشاركًا للآخر في القرب منها، والوجه الثاني: أن يكون عطفًا في المعنى على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، أي هم المقربون في جنات وفاكهة، ولحم وحور، أي في هذه النعم يتقلبون، والمشهور أنه عطف في اللفظ للمجاورة لا في المعنى، وكيف لا يجوز هذا، وقد جاز تقلد سيفًا ورمحًا.

المسألة الثانية: هل في تخصيص التخيير بالفاكهة والاشتهاء باللحم بلاغة؟ قلت: وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة، وإن كان لا يحيط بها ذهني الكليل، ولا يصل إليها علمي القليل، والذي يظهر لي فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم، وإذا حضرا عند الشبعان تميل إلى الفاكهة، والجائع مشته والشبعان غير مشته، وإنما هو

مختار إن أراد أكل، وإن لم يرد لا يأكل، ولا يقال في الجائع: إن أراد أكل لأن (إن) لا تدخل إلا على المشكوك، إذا علم هذا ثبت أن في الدنيا اللحم عند المشتهي مختار والفاكهة عند غير المشتهى مختارة وحكاية الجنة على ما يفهم في الدنيا فخص اللحم بالاشتهاء والفاكهة بالاختيار، والتحقيق فيه من حيث اللفظ أن الاختيار هو أخذ الخير من أمرين والأمران اللذان يقع فيهما الاختيار في الظاهر لا يكون للمختار أولاً ميل إلى أحدهما، ثم يتفكر ويتروى، ويأخذ ما يغلبه نظره على الآخر فالتفكه هو ما يكون عند عدم الحاجة، وأما إن اشتهى واحد فاكهة بعينها فاستحضرها وأكلها فهو ليس بمتفكه وإنما هو دافع حاجة، وأما فواكه الجنة تكون أولاً عند أصحاب الجنة من غير سبق ميل منهم إليها ثم يتفكهون بها على حسب اختيارهم، وأما اللحم فتميل أنفسهم إليه أدنى ميل فيحضر عندهم، وميل النفس إلى المأكول شهوة، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] وقوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] فهو دليل على أنها دائمة الحضور، وأما اللحم فالمروي أن الطائر يطير فتميل نفس المؤمن إلى لحمه فينزل مشويًا ومقليًا على حسب ما يشتهيه، فالحاصل أن الفاكهة تحضر عندهم فيتخير المؤمن بعد الحضور واللحم يطلبه المؤمن وتميل نفسه إليه أدنى ميل، وذلك لأن الفاكهة تلذ الأعين بحضورها، واللحم لا تلذ الأعين بحضوره، ثم إن في اللفظ لطيفة، وهي أنه تعالى قال: ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ولم يقل: مما يختارون مع قرب أحدهما إلى الآخر في المعنى، وهو أن التخير من باب التكلف فكأنهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال، وهذا لا يوجد إلا ممن لا يكون له حاجة ولا اضطرار.

المسألة الثالثة: ما الحكمة في تقديم الفاكهة على اللحم؟ نقول: الجواب عنه من وجوه أحدها: العادة في الدنيا التقديم للفواكه في الأكل والجنة وضعت بما علم في الدنيا من الأوصاف وعلى ما علم فيها، ولا سيما عادة أهل الشرب وكأن المقصود بيان حال شرب أهل الجنة، وثانيها: الحكمة في الدنيا تقتضي أكل الفاكهة أولاً لأنها ألطف وأسرع انحدارًا وأقل حاجة إلى المكث الطويل في المعدة للهضم، ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها، وثالثها: يخرج مما ذكرنا جوابًا خلا عن لفظ التخيير والاشتهاء هو أنه تعالى لما بيَّن أن الفاكهة دائمة الحضور والوجود، واللحم يشتهى ويحضر عند الاشتهاء دل هذا على عدم الجوع لأن الجائع حاجته إلى اللحم أكثر من اختياره اللحم فقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ لأن الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا فيميل إلى الفاكهة أكثر فقدمها، وهذا الوجه أصح لأن من الفواكه مالا يؤكل إلا بعد الطعام، فلا يصح الأول جوابًا في الكل.

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝﴾

وفيها قراءات الأولى: الرفع وهو المشهور، ويكون عطفًا على ولدان، فإن قيل قال قبله: ﴿حُورٌ

﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[الرحمن: ٧٢] إشارة إلى كونها مخدرة ومستورة، فكيف يصح قولك: إنه عطف على ولدان؟ نقول: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: وهو المشهور أن نقول: هو عطف عليهم في اللفظ لا في المعنى، أو في المعنى على التقدير والمفهوم لأن قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾[الواقعة: ١٧] معناه لهم ولدان كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾[الطور: ٢٤] فيكون: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بمعنى ولهم حور عين، وثانيهما: وهو أن يقال: ليست الحور منحصرات في جنس، بل لأهل الجنة: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾ في حظائر مُعظَّمات ولهن جواري وخوادم، وحور تطوف مع الولدان السقاة فيكون كأنه قال: يطوف عليهم ولدان ونساء، الثانية: الجر عطفًا على أكواب وأباريق، فإن قيل: كيف يطاف بهن عليهم؟ نقول: الجواب سبق عند قوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ [الواقعة: ٢١] أو عطفًا على: ﴿جَنَّٰتِ﴾[الواقعة: ١٢] أي: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وحور وقرئ (وحورًا عينًا) بالنصب، ولعل الحاصل على هذه القراءة على غير العطف بمعنى العطف لكن هذا القارئ لا بد له من تقدير ناصب فيقول: يؤتون حورًا فيقال: قد رافعًا فقال: ولهم حور عين فلا يلزم الخروج عن موافقة العاطف وقوله تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ **فيه مباحث:**

الأول: الكاف للتشبيه، والمثل حقيقة فيه، فلو قال: أمثال اللؤلؤ المكنون لم يكن إلى الكاف حاجة، فما وجه الجمع بين كلمتي التشبيه؟ نقول: الجواب المشهور أن كلمتي التشبيه يفيدان التأكيد والزيادة في التشبيه، فإن قيل: ليس كذلك بل لا يفيدان ما يفيد أحدهما لأنك إن قلت مثلاً: هو كاللؤلؤة للمشبه، دون المشبه به في الأمر الذي لأجله التشبيه؟ نقول: التحقيق فيه، هو أن الشيء إذا كان له مثل فهو مثله، فإذا قلت: هو مثل القمر لا يكون في المبالغة مثل قولك هو قمر وكذلك قولنا: هو كالأسد، وهو أسد، فإذا قلت: كمثل اللؤلؤ كأنك قلت: مثل اللؤلؤ وقولك: هو اللؤلؤ أبلغ من قولك: هو كاللؤلؤ، وهذا البحث يفيدنا هاهنا، ولا يفيدنا في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١] لأن النفي في مقابلة الإثبات، ولا يفهم معنى النفي من الكلام مالم يفهم معنى الإثبات الذي يقابله، فنقول قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في مقابلة قول من يقول: كمثله شيء، فنفى ما أثبته لكن معنى قوله: ﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إذا لم نقل بزيادة الكاف هو أن مثل مثله شيء، وهذا كلام يدل على أن له مثلاً، ثم إن لمثله مثلاً، فإذا قلنا: ليس كذلك كان ردًا عليه، والرد عليه صحيح بقي أن يقال: إن الراد على من يثبت أمورًا لا يكون نافيًا لكل ما أثبته، فإذا قال قائل: زيد عالم جيد، ثم قيل ردًا عليه: ليس زيد عالمًا جيدًا لا يلزم من هذا أن يكون نافيًا لكونه عالمًا، فمن يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ بمعنى ليس مثل مثله شيء لا يلزم أن يكون نافيًا لمثله، بل يحتمل أن يكون نافيًا لمثل المثل، فلا يكون الراد أيضًا موحدًا فيخرج الكلام عن إفادة التوحيد، فنقول: يكون مفيدًا للتوحيد لأنا إذا قلنا: ليس مثل مثله شيء لزم أن لا يكون له مثل لأنه لو كان له مثل لكان هو مثل مثله، وهو شيء بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾[الأنعام: ١٩] فإن حقيقة الشيء هو الموجود فيكون مثل مثله شيء وهو

منفي بقولنا: ليس مثل مثله شيء، فعلم أن الكلام لا يخرج عن إفادة التوحيد، فعلم أن الحمل على الحقيقة يفيد في الكلام مبالغة في قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ﴾ وأما عدم الحمل عليها في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهو أوجز فتجعل الكاف زائدة لئلا يلزم التعطيل، وهو نفي الإله، نقول: فيه فائدة، وهو أن يكون ذلك نفيًا مع الإشارة إلى وجه الدليل على النفي، وذلك لأنه تعالى واجب الوجود، وقد وافقنا من قال بالشريك، ولا يخالفنا إلا المعطل، وذلك إثباته ظاهر، وإذا كان هو واجب الوجود فلو كان له مثل لخرج عن كونه واجب الوجود، لأنه مع مثله تعادلاً في الحقيقة، وإلا لما كان ذلك مثله وقد تعدد فلا بد من انضمام مميز إليه به يتميز عن مثله، فلو كان مركبًا فلا يكون واجبًا لأن كل مركب ممكن، فلو كان له مثل لما كان هو هو فيلزم من إثبات المثل له نفيه، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إذا حملناه أنه ليس مثل مثله شيء، ويكون في مقابلته قول الكافر: مثل مثله شيء فيكون مثبتًا لكونه مثل مثله ويكون مثله يخرج عن حقيقة نفسه ومنه لا يبقى واجب الوجود فذكر المثلين لفظًا يفيد التوحيد مع الإشارة إلى وجه الدليل على بطلان قول المشرك ولو قلنا: ليس مثله شيء يكون نفيًا من غير إشارة إلى دليل، والتحقيق فيه أنا نقول: في نفي المثل ردًّا على المشرك لا مثل لله، ثم نستدل عليه ونقول: لو كان له مثل لكان هو مثلاً لذلك المثل فيكون ممكنًا محتاجًا فلا يكون إلهًا ولو كان له مثل لما كان الله إلهًا واجب الوجود، لأن عند فرض مثل له يشاركه بشيء وينافيه بشيء، فيلزم تركه فلو كان له مثل لخرج عن حقيقة كونه إلهًا فإثبات الشريك يفضي إلى نفي الإله فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ توحيد بالدليل وليس مثله شيء توحيد من غير دليل وشيء من هذا رأيته في كلام الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله [١] بعدما فرغت من كتابة هذا مما وافق خاطري خاطره على أني معترف بأني أصبت منه فوائد لا أحصيها، وأما قوله تعالى: ﴿ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ إشارة إلى غاية صفائهن أي اللؤلؤ الذي لم يغير لونه الشمس والهواء.

قوله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

وفي نصبه وجهان أحدهما: أنه مفعول له وهو ظاهر تقديره فعل بهم هذا ليقع جزاء وليجزون بأعمالهم، وعلى هذا فيه لطيفة: وهي أن نقول: المعنى أن هذا كله جزاء عملكم، وأما الزيادة فلا يدركها أحد منكم، وثانيهما: أنه مصدر لأن الدليل على أن كل ما يفعله الله فهو جزاء فكأنه قال: تجزون جزاء، وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾ قد ذكرنا فائدته في سورة الطور وهي أنه تعالى قال في حق المؤمنين: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وفي حق الكافرين: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧] إشارة إلى أن العذاب عين جزاء ما فعلوا فلا زيادة عليهم، والثواب: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

---

(١) هذه العبارة تشعر وتؤكد أن الكتاب أو هذه السورة لمؤلف آخر غير فخر الدين الرازي وإنما هذا لأحد تلاميذه أكملها بعد وفاته أو نقص بالأصل وكمله أحد العلماء المتأخرين والله أعلم (هامش).

[السجدة: ١٧] فلا يعطيهم الله عين عملهم، بل يعطيهم بسبب عملهم ما يعطيهم، والكافر يعطيه عين ما فعل، فيكون فيه معنى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: أصولية ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله في مواضع كثيرة، ونحن نذكر بعضها فالأولى: قالت المعتزلة: هذا يدل على أن يقال: الثواب على الله واجب، لأن الجزاء لا يجوز المطالبة به، وقد أجاب عنه الإمام فخر الدين رحمه الله بأجوبة كثيرة، وأظن به أنه لم يذكر ما أقوله فيه وهو ما ذكروه. ولو صح لما كان في الوعد بهذه الأشياء فائدة، وذلك لأن العقل إذا حكم بأن ترك الجزاء قبيح وعلم بالعقل أن القبيح من الله لا يوجد علم أن الله يعطي هذه الأشياء لأنها أجزية، وإيصال الجزاء واجب، وأما إذا قلنا: بمذهبنا تكون الآيات مفيدة مبشرة، لأن البشارة لا تكون إلا بالخير عن أمر غير معلوم، لا يقال: الجزاء كان واجبًا على الله وأما الخبر بهذه الأشياء فلا يذكرها مبشرًا، لأنا نقول: إذا وجب نفس الجزاء فما أعطانا الله تعالى من النعم في الدنيا جزاء فثواب الآخرة لا يكون إلا تفضلاً منه، غاية ما في الباب أنه تعالى كمل النعمة بقوله: هذا جزاؤكم، أي جعلته لكم جزاء، ولم يكن متعينًا ولا واجبًا، كما أن الكريم إذا أعطى من جاء بشيء يسير شيئًا كثيرًا، فيظن أنه يودعه إيداعًا أو يأمره بحمله إلى موضع، فيقول له: هذا لك فيفرح، ثم إنه يقول: هذا إنعام عظيم يوجب على خدمة كثيرة، فيقول له هذا جزاء ما أتيت به، ولا أطلب منك على هذا خدمة، فإن أتيت بخدمة فلها ثواب جديد، فيكون هذا غاية الفضل، وعند هذا نقول: هذا كله إذا كان الآتي غير العبد، وأما إذا فعل العبد ما أوجب عليه سيده لا يستحق عليه أجرًا، ولا سيما إذا أتى بما أمر به على نوع اختلال، فما ظنك بحالنا مع الله عز وجل، مع أن السيد لا يملك من عبده إلا البنية، والله تعالى يملك منا أنفسنا وأجسامنا، ثم إنك إذا تفكرت في مذهب أهل السنة تجدهم قد حققوا معنى العبودية غاية التحقيق، واعترفوا أنهم عبيد لا يملكون شيئًا ولا يجب للعبد على السيد دين، والمعتزلة لم يحققوا العبودية، وجعلوا بينهم وبين الله معاملة توجب مطالبة، ونرجو أن يحقق الله تعالى معنا المالكية غاية التحقيق، ويدفع حاجاتنا الأصلية ويطهر أعمالنا، كما أن السيد يدفع حاجة عبده بإطعامه وكسوته، ويطهر صومه بزكاة فطره، وإذا جنى جناية لم يمكن المجنى عليه منه، بل يختار فداءه ويخلص رقبته من الجناية، كذلك يدفع الله حاجاتنا في الآخرة، وأهم الحاجات أن يرحمنا ويعفو عنا، ويتغمدنا بالمغفرة والرضوان، حيث منع غيره عن تملك رقابنا باختيار الفداء عنا، وأرجو أن لا يفعل مع إخواننا المعتزلة ما يفعله المتعاملان في المحاسبة بالنقير والقطمير، والمطالبة بما يفضل لأحدهما من القليل والكثير.

المسألة الثانية: قالوا: لو كان في الآخرة رؤية لكانت جزاء، وقد حصر الله الجزاء فيما ذكر، والجواب عنه: أن نقول: لم قلتم: إنها لو كانت تكون جزاء، بل تكون فضلاً منه فوق

الجزاء، وهب أنها تكون جزاء، ولكن لم قلتم: إن ذكر الجزاء حصر وإنه ليس كذلك، لأن من قال لغيره: أعطيتك كذا جزاء على عمل لا ينافي قوله: وأعطيتك شيئًا آخر فوقه أيضًا جزاء عليه، وهب أنه حصر، لكن لم قلتم: إن القربة لا تدل على الرؤية، فإن قيل: قال في حق الملائكة: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، ولم يلزم من قربهم الرؤية، نقول: أجبنا أن قربهم مثل قرب من يكون عند الملك لقضاء الأشغال، فيكون عليه التكليف والوقوف بين يديه بالباب تخرج أوامره عليه، كما قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقرب المؤمن قرب المنعم من الملك، وهو الذي لا يكون إلا للمكالمة والمجالسة في الدنيا، لكن المقرب المكلف ليس كلما يروح إلى باب الملك يدخل عليه، وأما المنعم لا يذهب إليه إلا ويدخل عليه فظهر الفرق.

والذي يدل على أن قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١] فيه إشارة إلى الرؤية هو أن الله تعالى في سورة المطففين ذكر الأبرار والفجار، ثم إنه تعالى قال في حق الفجار: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وقال في الأبرار: ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨] ولم يذكر في مقابلة (المحجوبون) ما يدل على مخالفة حال الأبرار حال الفجار في الحجاب والقرب، لأن قوله: ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وإن كان دليلاً على القرب وعلو المنزلة لكنه في مقابلة قوله: ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] فقوله تعالى في حقهم: ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] يدل على أن المراد منه القرب الذي يكون لجلساء الملك عند الملك، وقوله في حق الملائكة في تلك السورة: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١] يدل على أن المراد منه القرب الذي يكون للكتاب والحساب عند الملك لما أنه في الدنيا يحسد أحدهما الآخر، فإن الكاتب إن كان قربه من الملك بسبب الخدمة لا يختار قرب الكتاب والحساب، بل قرب النديم، ثم إنه بيَّن ذلك النوع من القرب وبيَّن القرب الذي بسبب الكتابة ما يحمله على أن يختار غيره، وفي سورة المطففين قوله: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ يدل على أن المقربين غير محجوبين عن النظر إلى الله تعالى، وينبغي أن لا ينظر إلى الله قولنا: جلساء الملك في ظاهر النظر الذي يقتضي في نظر القوم الجهة وإلى القرب الذي يفهم العامي منه المكان إلا بنظر العلماء الأحبار الحكماء الأخيار.

المسألة الثالثة: قالوا قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يدل على أن العمل عملهم وحاصل بفعلهم، نقول: لا نزاع في أن العمل في الحقيقة اللغوية وضع للفعل والمجنون للذي لا عقل له والعاقل للذي بلغ الكمال فيه، وذلك ليس إلا بوضع اللغة لما يدرك بالحس، وكل أحد يرى الحركة من الجسمين فيقول: تحرك وسكن على سبيل الحقيقة، كما يقول: تدور الرحا ويصعد الحجر، وإنما الكلام في القدرة التي بها الفعل في المحل المرئي، وذلك خارج عن وضع اللغة.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما الحكمة في تأخير ذكره عن الجزاء مع أنه من النعم العظيمة؟ نقول فيه لطائف الأولى: أن هذا من أتم النعم، فجعلها من باب الزيادة التي منها الرؤية عند البعض ولا مقابل لها من الأعمال، وإنما قلنا: إنها من أتم النعم، لأنها نعمة سماع كلام الله تعالى على ما سنبين أن المراد من قوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ هو ما قال في سورة يس: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] فلم يذكرها فيما جعله جزاء، وهذا على قولنا: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١]ليس فيه دلالة على الرؤية. الثانية: أنه تعالى بدأ بأتم النعم وهي نعمة الرؤيا، وهي الرؤية بالنظر كما مر وختم بمثلها، وهي نعمة المخاطبة. الثالثة: هي أنه تعالى لما ذكر النعم الفعلية وقابلها بأعمالهم حيث قال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]ذكر النعم القولية في مقابلة أذكارهم الحسنة ولم يذكروا اللذات العقلية التي في مقابلة أعمال قلوبهم من إخلاصهم واعتقادهم، لأن العمل القلبي لم ير ولم يسمع، فما يعطيهم الله تعالى من النعمة تكون نعمة لم ترها عين ولا سمعتها أذن، وإليه الإشارة بقوله ﷺ فيها: «مالا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» وقوله عليه السلام: «وَلاَ خَطَرَ» إشارة إلى الزيادة، والذي يدل على النعمة القولية في مقابلة قولهم الطيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣٢].

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ نفي للمكروه لما أن اللغو كلام غير معتبر، لأنه عند المعتبرين من الرجال مكروه، ونفي المكروه لا يعد من النعم العظيمة التي مر ذكرها، كيف وقد ذكرت أن تأخير هذه النعمة لكونها أتم، ولو قال: إن فلانًا في بلدة كذا محترم مكرم لا يضرب ولا يشتم فهو غير مكرم وهو مذموم، والواغل مذموم وهو الذي يدخل على قوم يشربون ويأكلون فيأكل ويشرب معهم من غير دعاء ولا إذن فكأنه بالنسبة إليهم في عدم الاعتبار كلام غير معتبر وهو اللغو، وكذلك ما يتصرف منه مثل الولوغ لا يقال إلا إذا كان الوالغ كلبًا أو ما يشبهه من السباع، وأما التأثيم فهو النسبة إلى الإثم ومعناه لا يذكر إلا باطلاً ولا ينسبه أحد إلا إلى الباطل، وأما التقديم فلأن اللغو أعم من التأثيم أي يجعله آثمًا كما تقول: إنه فاسق أو سارق ونحو ذلك وبالجملة فالمتكلم ينقسم إلى أن يلغو وإلى أن لا يلغو والذي لا يلغو يقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيأخذ الناس بأقوالهم وهو لا يؤخذ عليه شيء، فقال تعالى: لا يلغو أحد ولا يصدر منه لغو ولا ما يشبه اللغو فيقول له: الصادق لا يلغو ولا يأثم ولا شك في أن الباطل أقبح ما يشبهه فقال: لا يأثم أحد.

المسألة الثالثة: قال تعالى في سورة النبأ: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبأ: ٣٥] فهل بينهما

فرق؟ قلنا: نعم الكذاب كثير التكذيب، ومعناه هناك أنهم لا يسمعون كذبًا ولا أحدًا يقول لآخر: كذبت، وفائدته أنهم لا يعرفون كذبًا من معين من الناس ولا من واحد منهم غير معين لتفاوت حالهم وحال الدنيا فإنا نعلم أن بعض الناس بأعيانهم كذابون فإن لم نعرف ذلك نقطع بأن في الناس كذابًا لأن أحدهم يقول لصاحبه: كذبت فإن صدق فصاحبه كذاب، وإن لم يصدق فهو كاذب فيعلم أن في الدنيا كذابًا بعينه أو بغير عينه ولا كذلك في الآخرة فلا كذب فيها، وقال هاهنا: ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ وهو أبلغ من التكذيب فإن من يقول في حق من لا يعرفه: إنه زان أو شارب خمر مثلاً فإنه يأثم وقد يكون صادقًا، فالذي ليس عن علم إثم فلا يقول أحد لأحد: قلت مالا علم لك به فالكلام هاهنا أبلغ لأنه قصر السورة على بيان أحوال الأقسام لأن المذكورين هنا هم السابقون وفي سورة النبأ هم المتقون، وقد بينا أن السابق فوق المتقي.

المسألة الرابعة: ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ استثناء متصل منقطع، فنقول: فيه وجهان: أحدهما: وهو الأظهر أنه منقطع لأن السلام ليس من جنس اللغو تقديره لكن يسمعون: قيلاً سلامًا سلامًا، ثانيهما: أنه متصل ووجهه أن نقول: المجاز قد يكون في المعنى، ومن جملته أنك تقول: مالي ذنب إلا أني أحبك، فلهذا تؤذيني فتستثني محبته من الذنب ولا تريد المنقطع لأنك لا تريد بهذا القول بيان أنك تحبه إنما تريد في ذلك تبرئتك عن الذنوب ووجهه هو أن بينهما غاية الخلاف وبينهما أمور متوسطة، مثاله: الحار والبارد وبينهما الفاتر الذي هو أقرب إلى الحار من البارد وأقرب إلى البارد من الحار، والمتوسط يطلق عليه اسم البارد عند النسبة إلى الحار فيقال: هذا بارد ويخبر عنه بالنسبة إلى البارد فيقال: إنه حار، إذا ثبت هذا فنقول قول القائل: مالي ذنب إلا أني أحبك، معناه لا تجد ما يقرب من الذنب إلا المحبة فإن عندي أمورًا فوقها إذا نسبتها إلى الذنب تجد بينها غاية الخلاف فيكون ذلك كقوله: درجات الحب عندي طاعتك وفوقها إن أفضل جانب أقل أمر من أمورك على جانب الحفظ لروحي، إشارة إلى المبالغة كما يقول القائل: ليس هذا بشيء مستحقرًا بالنسبة إلى ما فوقه فقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي يسمعون فيها كلامًا فائقًا عظيم الفائدة كامل اللذة أدناها وأقربها إلى اللغو قول بعضهم لبعض: سلام عليك فلا يسمعون ما يقرب من اللغو إلا سلامًا، فما ظنك بالذي يبعد منه كما يبعد الماء البارد الصادق والماء الذي كسرت الشمس برودته وطلب منه ماء حار ليس عندي ماء حار إلا هذا أي ليس عندي ما يبعد من البارد الصادق البرودة ويقرب من الحار إلا هذا وفيه المبالغة الفائقة والبلاغة الرائقة وحينئذ يكون اللغو مجازًا، والاستثناء متصلاً فإن قيل: إذا لم يكن بد من مجاز وحمل اللغو على ما يقرب منه بالنسبة إليه فليحمل إلا على لكن لأنهما مشتركان في إثبات خلاف ما تقدم، نقول: المجاز في الأسماء أولى من المجاز في الحروف لأنها تقبل التغير في الدلالة وتتغير في الأحوال، ولا كذلك الحروف لأن الحروف لا تصير مجازًا إلا بالاقتران باسم والاسم يصير مجازًا من غير الاقتران بحرف فإنك تقول: رأيت أسدًا يرمي ويكون مجازًا ولا

اقتران له بحرف، وكذلك إذا قلت لرجل: هذا أسد وتريد بأسد كامل الشجاعة، ولأن عرض المتكلم في قوله مالي ذنب إلا أني أحبك، لا يحصل بما ذكرت من المجاز، ولأن العدول عن الأصل لا يكون له فائدة من المبالغة والبلاغة.

المسألة الخامسة: في قوله تعالى: ﴿قِيلًا﴾ قولان: أحدهما: أنه مصدر كالقول فيكون قيلًا مصدرًا، كما أن القول مصدر لكن لا يظهر له في باب فَعَل يَفْعُل إلا حرف، ثانيهما: أنه اسم والقول مصدر فهو كالسِّدْل والسَّتْر بكسر السين اسم وبفتحها مصدر وهو الأظهر، وعلى هذا نقول: الظاهر أنه اسم مأخوذ من فعل هو: قال وقيل، لما لم يذكر فاعله، وما قيل: إن النبي ﷺ نهى عن القيل والقال[1]، يكون معناه نهى عن المشاجرة، وحكاية أمور جرت بين أقوام لا فائدة في ذكرها، وليس فيها إلا مجرد الحكاية من غير وعظ ولا حكمة لقوله ﷺ: «رَحِمَ اللَّه عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ» وعلى هذا فالقيل اسم لقول لم يعلم قائله، والقال اسم للقول مأخوذ من قِيلَ لما لم يذكر فاعله، تقول: قال فلان كذا، ثم قيل له: كذا، فقال: كذا، فيكون حاصل كلامه قيل وقال، وعلى هذا فالقيل اسم لقول لم يعلم قائله، والقال مأخوذ من قيل هو قال، ولقائل أن يقول: هذا باطل لقوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] فإن الضمير للرسول ﷺ أي يعلم الله قيل محمد: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما قال نوح عليه السلام: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ [نوح: ٢٧]، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٩] إرشاد له لئلا يدعو على قومه عند يأسه منهم كما دعا عليهم نوح عنده، وإذا كان القول مضافًا إلى محمد ﷺ فلا يكون القيل اسمًا لقول لم يعلم قائله؟ فنقول: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن قولنا: إنه اسم مأخوذ من قيل الموضوع لقول لم يعلم قائله في الأصل لا ينافي جواز استعماله في قول من علم بغير الموضوع. وثانيهما: وهو الجواب الدقيق أن نقول: الهاء في: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ ضمير كما في ربه وكالضمير المجهول عند الكوفيين وهو ضمير الشأن، وعند البصريين قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] والهاء غير عائد إلى مذكور، غير أن الكوفيين جعلوه لغير معلوم والبصريين جعلوه ضمير القصة، والظاهر في هذه المسألة قول الكوفيين، وعلى هذا معنى عبارتهم بلغ غاية علم الله تعالى قيل القائل منهم: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الزخرف: ٨٨]، إشارة إلى أن الاختصاص بذلك القول في كل أحد أنهم لا يؤمنون لعلمه أنهم قائلون بهذا وأنهم عالمون، وأهل السماء علموا بأن عند الله علم الساعة يعلمها فيعلم قول من يقول: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] من

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في كتاب (الأدب) باب (عقوق الوالدين من الكبائر) (١٠/ ٤١٩) حديث رقم (٥٩٧٥) من طريق المسيب... به ومسلم في كتاب (الأقضية) باب (النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة) (٣/ ١٢/ ١٣٤١) من طريق الشعبي... به جميعًا عن وراد.. به.

غير تعيين قول لاشتراك الكل فيه، ويؤيد هذا أن الضمير لو كان عائدًا إلى معلوم فإما أن يكون إلى مذكور قبله، ولا شيء فيما قبله يصح عود الضمير إليه، وإما إلى معلوم غير مذكور وهو محمد ﷺ لكن الخطاب بقوله: ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ [الحجر: ٨٥] كان يقتضي أن يقول: وقيلك يا رب لأن محمدًا ﷺ هو المخاطب أولاً بكلام الله، وقد قال قبله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ [الزخرف: ٨٧] وقال من قبل: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] وكان هو المخاطب أولاً، إذا تحقق هذا؟ نقول: إذا تفكرت في استعمال لفظ القيل في القرآن ترى ما ذكرنا ملحوظًا مراعى، فقال هاهنا: ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ لعدم اختصاص هذا القول بقائل دون قائل فيسمع هذا القول دائمًا من الملائكة والناس كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨] حيث كان المسلم منفردًا، وهو الله كأنه قال: سلام قولاً منا، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [فصلت: ٣٣] وقال: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] لأن الداعي معين وهم الرسل ومن اتبعهم من الأمة، وكل من قام ليلاً فإن قوله: قويم، ونهجه مستقيم، وقال تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨] لأن كل أحد يقول: إنهم لا يؤمنون. أما هم فلاعترافهم ولإقرارهم، وأما غيرهم فلكفرانهم بإسرافهم وإصرارهم، ويؤيد ما ذكرنا أنه تعالى قال: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾ والاستثناء المتصل يقرب إلى المعنى بالنسبة إلى غيره وهو قول لا يعرف قائله، فقال: ﴿إِلَّا قِيلٗا﴾ وهو سلام عليك، وأما قول من يعرف وهو الله فهو الأبعد عن اللغو غاية البعد وبينهما نهاية الخلاف فقال: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا﴾ [يس: ٥٨].

المسألة السادسة: ﴿سَلَٰمٗا﴾، فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه صفة وصف الله تعالى بها ﴿قِيلٗا﴾ كما يوصف الشيء بالمصدر حيث يقال: رجل عدل، وقوم صوم، ومعناه إلا قيلاً سالمًا عن العيوب، وثانيها: هو مصدر تقديره: إلا أن يقولوا سلامًا، وثالثها: هو بدل من ﴿قِيلٗا﴾، تقديره: إلا سلامًا.

المسألة السابعة: تكرير السلام هل فيه فائدة؟ نقول: فيه إشارة إلى تمام النعمة، وذلك لأن أثر السلام في الدنيا لا يتم إلا بالتسليم ورد السلام، فكما أن أحد المتلاقيين في الدنيا يقول للآخر: السلام عليك، فيقول الآخر: وعليك السلام، فكذلك في الآخرة يقولون: ﴿سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ ثم إنه تعالى لما قال: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨] لم يكن له رد، لأن تسليم الله على عبده مؤمن له، فأما الله تعالى فهو منزه عن أن يؤمنه أحد، بل الرد إن كان فهو قول المؤمن: سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

المسألة الثامنة: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ بنصبهما، وبين قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود: ٦٩] قلنا: قد ذكرنا هناك أن قوله: (سلام عليك) أتم وأبلغ من قولهم سلامًا عليك فإبراهيم عليه السلام أراد أن يتفضل عليهم بالذكر ويجيبهم بأحسن ما حيوا، وأما هنا فلا

يتفضل أحد من أهل الجنة على الآخر مثل التفضل في تلك الصورة إذ هم من جنس واحد، وهم المؤمنون ولا ينسب أحد إلى أحد تقصيرًا.

المسألة التاسعة: إذا كان قول القائل: (سَلامٌ عَلَيْكَ) أتم وأبلغ فما بال القراءة المشهورة صارت بالنصب، ومن قرأ (سَلَامٌ) ليس مثل الذي قرأ بالنصب، نقول ذلك من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ فلأنه يستثنى من المسموع وهو مفعول منصوب، فالنصب بقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ وأما المعنى فلأنا بينا أن الاستثناء متصل، وقولهم: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أبعد من اللغو من قولهم: ﴿سَلَٰمًا﴾ فقال: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا﴾ ليكون أقرب إلى اللغو من غيره، وإن كان في نفسه بعيدًا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾

لما بيَّن حال السابقين شرع في شأن أصحاب الميمنة من الأزواج الثلاثة.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما الفائدة في ذكرهم بلفظ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] عند ذكر الأقسام، وبلفظ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ عند ذكر الإنعام؟ نقول: الميمنة مفعلة إما بمعنى موضع اليمين كالمحكمة لموضع الحكم، أي الأرض التي فيها اليمين، وإما بمعنى موضع اليمن كالمنارة موضع النار، والمجمرة موضع الجمر، فكيفما كان الميمنة فيها دلالة على الموضع، لكن الأزواج الثلاثة في أول الأمر يتميز بعضهم عن بعض، ويتفرقون لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤] وقال: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] فيتفرقون بالمكان فأشار في الأول إليهم بلفظ يدل على المكان، ثم عند الثواب وقع تفرقهم بأمر مبهم لا يتشاركون فيه كالمكان، فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ وفيه وجوه: أحدها: أصحاب اليمين الذين يأخذون بأيمانهم كتبهم، ثانيها: أصحاب القوة، ثالثها: أصحاب النور، وقد تقدم بيانه.

المسألة الثانية: ما الحكمة في قوله تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ﴾ وأية نعمة تكون في كونهم في سدر، والسدر من أشجار البوادي، لا بمر ولا بحلو ولا بطيب؟ نقول: فيه حكمة بالغة غفلت عنها الأوائل والأواخر، واقتصروا في الجواب والتقريب أن الجنة تمثل بما كان عند العرب عزيزًا محمودًا، وهو صواب ولكنه غير فائق، والفائق الرائق الذي هو بتفسير كلام الله لائق، هو أن نقول: إنا قد بينا مرارًا أن البليغ يذكر طرفي أمرين، يتضمن ذكرهما الإشارة إلى جميع ما بينهما، كما يقال: فلان ملك الشرق والغرب، ويفهم منه أنه ملكهما وملك ما بينهما، ويقال: فلان أرضى الصغير والكبير، ويفهم منه أنه أرضى كل أحد إلى غير ذلك، فنقول: لا خفاء في أن تزين المواضع التي يتفرج فيها بالأشجار، وتلك الأشجار تارة يطلب منها نفس الورق والنظر

إليه والاستظلال به، وتارة يقصد إلى ثمارها، وتارة يجمع بينهما، لكن الأشجار أوراقها على أقسام كثيرة، ويجمعها نوعان: أوراق صغار، وأوراق كبار، والسدر في غاية الصغر، والطلح وهو شجر الموز في غاية الكبر، فقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ إشارة إلى ما يكون ورقه في غاية الصغر من الأشجار، وإلى ما يكون ورقه في غاية الكبر منها، فوقعت الإشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظرًا إلى أوراقها، والورق أحد مقاصد الشجر ونظيره في الذكر ذكر النخل والرمان عند القصد إلى ذكر الثمار، لأن بينهما غاية الخلاف كما بيناه في موضعه، فوقعت الإشارة إليهما جامعة لجميع الأشجار نظرًا إلى ثمارها، وكذلك قلنا في النخيل والأعناب، فإن النخل من أعظم الأشجار المثمرة، والكرم من أصغر الأشجار المثمرة، وبينهما أشجار فوقعت الإشارة إليهما جامعة لسائر الأشجار، وهذا جواب فائق وفقنا الله تعالى له.

المسألة الثالثة: ما معنى المخضود؟ نقول فيه وجهان: أحدهما: مأخوذ الشوك، فإن شوك السدر يستقصف ورقها، ولولاه لكان منتزه العرب، ذلك لأنها تظل لكثرة أوراقها ودخول بعضها في بعض، وثانيهما: مخضود أي متعطف إلى أسفل، فإن رؤوس أغصان السدر في الدنيا تميل إلى فوق بخلاف أشجار الثمار، فإن رؤوسها تتدلى، وحينئذ معناه أنه يخالف سدر الدنيا، فإن لها ثمرًا كثيرًا.

المسألة الرابعة: ما الطلح؟ نقول: الظاهر أنه شجر الموز، وبه يتم ما ذكرنا من الفائدة، روي أن عليًّا عليه السلام سمع من يقرأ: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فقال: ما شأن الطلح؟ إنما هو (وطلع)، واستدل بقوله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فقالوا: في المصاحف كذلك، فقال: لا تحول المصاحف، فنقول: هذا دليل معجزة القرآن، وغزارة علم علي رضي الله عنه. أما المعجزة فلأن عليًّا كان من فصحاء العرب ولما سمع هذا حمله على الطلع واستمر عليه، وما كان قد اتفق حرفه لمبادرة ذهنه إلى معنى، ثم قال في نفسه: إن هذا الكلام في غاية الحسن، لأنه تعالى ذكر الشجر المقصود منه الورق للاستظلال به، والشجر المقصود منه الثمر للاستغلال به، فذكر النوعين، ثم إنه لما اطلع على حقيقة اللفظ علم أن الطلح في هذا الموضع أولى، وهو أفصح من الكلام الذي ظنه في غاية الفصاحة فقال: المصحف بيّن لي أنه خير مما كان في ظني فالمصحف لا يحول. والذي يؤيد هذا أنه لو كان طلع لكان قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢] تكرار أحرف من غير فائدة، وأما على الطلح فتظهر فائدة قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ وسنبينها إن شاء الله تعالى.

المسألة الخامسة: ما المنضود؟ فنقول: إما الورق وإما الثمر، والظاهر أن المراد الورق، لأن شجر الموز من أوله إلى أعلاه يكون ورقًا بعد ورق، وهو ينبت كشجر الحنطة ورقًا بعد ورق وساقه يغلظ وترتفع أوراقه، ويبقى بعضها دون بعض، كما في القصب، فموز الدنيا إذا ثبت كان

بين القصب وبين بعضها فرجة، وليس عليها ورق، وموز الآخرة يكون ورقه متصلاً بعضه ببعض فهو أكثر أوراقًا، وقيل: المنضود المثمر، فإن قيل: إذا كان الطلح شجرًا فهو لا يكون منضودًا وإنما يكون له ثمر منضود، فكيف وصف به الطلح؟ نقول: هو من باب (حسن الوجه) وصف بسبب اتصاف ما يتصل به، يقال: زيد حسن الوجه، وقد يترك الوجه ويقال: زيد حسن والمراد حسن الوجه ولا يترك إن أوهم فيصح أن يقال: زيد مضروب الغلام، ولا يجوز ترك الغلام لأنه يوهم الخطأ، وأما حسن الوجه فيجوز ترك الوجه.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾

وفيه وجوه الأول: ممدود زمانًا، أي لا زوال له فهو دائم، كما قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] أي كذلك، الثاني: ممدود مكانًا، أي يقع على شيء كبير ويستره من بقعة الجنة، الثالث: المراد ممدود أي منبسط، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الحجر: ١٩] فإن قيل: كيف يكون الوجه الثاني؟ نقول: الظل قد يكون مرتفعًا، فإن الشمس إذا كانت تحت الأرض يقع ظلها في الجو فيتراكم الظل فيسود وجه الأرض وإذا كانت على أحد جانبيها قريبة من الأفق ينبسط على وجه الأرض فيضيء الجو ولا يسخن وجه الأرض، فيكون في غاية الطيبة، فقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي عند قيامه عمودًا على الأرض كالظل بالليل، وعلى هذا فالظل ليس ظل الأشجار بل ظل يخلقه الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ فيه أيضًا وجوه:

الأول: مسكوب من فوق، وذلك لأن العرب أكثر ما يكون عندهم الآبار والبرك فلا سكب للماء عندهم بخلاف المواضع التي فيها العيون النابعة من الجبال الحاكمة على الأرض تسكب عليها. **الثاني:** جار في غير أخدود، لأن الماء المسكوب يكون جاريًا في الهواء ولا نهر هناك، كذلك الماء في الجنة. **الثالث:** كثير وذلك الماء عند العرب عزيز لا يسكب، بل يحفظ ويشرب، فإذا ذكروا النعم يعدون كثرة الماء ويعبرون عن كثرتها بإراقتها وسكبها، والأول أصح.

ثم قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لما ذكر الأشجار التي يطلب منها ورقها ذكر بعدها الأشجار التي يقصد ثمرها، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: ما الحكمة في تقديم الأشجار المورقة على غير المورقة؟ نقول: هي ظاهرة، وهو أنه قدم الورق على الشجر على طريقة الارتقاء من نعمة إلى ذكر نعمة فوقها، والفواكه أتم نعمة.

المسألة الثانية: ما الحكمة في ذكر الأشجار المورقة بأنفسها، وذكر أشجار الفواكه بثمارها؟ نقول: هي أيضًا ظاهرة، فإن الأوراق حسنها عند كونها على الشجر، وأما الثمار فهي في أنفسها

مطلوبة سواء كانت عليها أو مقطوعة، ولهذا صارت الفواكه لها أسماء بها تعرف أشجارها، فيقال: شجر التين وورقه.

المسألة الثالثة: ما الحكمة في وصف الفاكهة بالكثرة، لا بالطيب واللذة؟ نقول: قد بينا في سورة الرحمن أن الفاكهة فاعلة كالراضية في قوله: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي ذات فكهة، وهي لا تكون بالطبيعة إلا بالطيب واللذة، وأما الكثرة، فبينا أن الله تعالى حيث ذكر الفاكهة ذكر ما يدل على الكثرة، لأنها ليست لدفع الحاجة حتى تكون بقدر الحاجة، بل هي للتنعم، فوصفها بالكثرة والتنوع.

المسألة الرابعة: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي ليست كفواكه الدنيا، فإنها تنقطع في أكثر الأوقات والأزمان، وفي كثير من المواضع والأماكن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي لا تمنع من الناس لطلب الأعواض والأثمان، والممنوع من الناس لطلب الأعواض والأثمان ظاهر في الحس، لأن الفاكهة في الدنيا تمنع عن البعض فهي ممنوعة، وفي الآخرة ليست ممنوعة. وأما القطع فيقال في الدنيا: إنها انقطعت فهي منقطعة لا مقطوعة، فقوله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في غاية الحسن، لأن فيه إشارة إلى دليل عدم القطع، كما أن في: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ دليلاً على عدم المنع، وبيانه هو أن الفاكهة في الدنيا لا تمنع إلا لطلب العوض، وحاجة صاحبها إلى ثمنها لدفع حاجة به، وفي الآخرة مالكها الله تعالى ولا حاجة له، فلزم أن لا تمنع الفاكهة من أحد كالذي له فاكهة كثيرة، ولا يأكل ولا يبيع، ولا يحتاج إليها بوجه من الوجوه لا شك في أنه يفرقها ولا يمنعها من أحد. وأما الانقطاع فنقول الذي يقال في الدنيا: الفاكهة انقطعت، ولا يقال عند وجودها: امتنعت، بل يقال: منعت، وذلك لأن الإنسان لا يتكلم إلا بما يفهمه الصغير والكبير، ولكن كل أحد إذا نظر إلى الفاكهة زمان وجودها يرى أحدًا يحوزها ويحفظها ولا يراها بنفسها تمتنع فيقول: إنها ممنوعة، وأما عند انقطاعها وفقدها لا يرى أحدًا قطعها حسًّا وأعدمها فيظنها منقطعة بنفسها لعدم إحساسه بالقاطع ووجود إحساسه بالمانع، فقال تعالى: لو نظرتم في الدنيا حق النظر علمتم أن كل زمان نظرًا إلى كونه ليلاً ونهارًا ممكن فيه الفاكهة فهي بنفسها لا تنقطع، وإنما لا توجد عند المحقق لقطع الله إياها وتخصيصها بزمان دون زمان، وعند غير المحقق لبرد الزمان وحره، وكونه محتاجًا إلى الظهور والنمو والزهر ولذلك تجري العادة بأزمنة فهي يقطعها الزمان في نظر غير المحقق فإذا كانت الجنة ظلها ممدودًا لا شمس هناك ولا زمهرير استوت الأزمنة والله تعالى يقطعها فلا تكون مقطوعة بسبب حقيقي ولا ظاهر، فالمقطوع يتفكر الإنسان فيه ويعلم أنه مقطوع لا منقطع من غير قاطع، وفي الجنة لا قاطع فلا تصير مقطوعة.

المسألة الخامسة: قدم نفي كونها مقطوعة لما أن القطع للموجود والمنع بعد الوجود لأنها توجد أولاً ثم تمنع فإن لم تكن موجودة لا تكون ممنوعة محفوظة فقال: لا تقطع فتوجد أبدًا ثم إن ذلك الموجود لا يمنع من أحد وهو ظاهر غير أنا نحب أن لا نترك شيئًا مما يخطر بالبال ويكون صحيحًا.

قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾

وقد ذكرنا معنى الفرش ونذكر وجهًا آخر فيها إن شاء الله تعالى، وأما المرفوعة ففيها ثلاثة أوجه أحدها: مرفوعة القدر يقال: ثوب رفيع أي عزيز مرتفع القدر والثمن، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا﴾ [الرحمن: ٥٤]، وثانيها: مرفوعة بعضها فوق بعض، ثالثها: مرفوعة فوق السرير. **وفي الإنشاء مسائل:**

المسألة الأولى: الضمير في: ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ عائد إلى من؟ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: إلى ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] وهو بعيد لبعدهن ووقوعهن في قصة أخرى، ثانيها: أن المراد من الفرش النساء والضمير عائد إليهن لقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ويقال للجارية صارت فراشًا وإذا صارت فراشًا رفع قدرها بالنسبة إلى جارية لم تصر فراشًا، وهو أقرب من الأول لكن يبعد ظاهرًا لأن وصفها بالمرفوعة ينبئ عن خلاف ذلك، وثالثها: أنه عائد إلى معلوم دل عليه فرش لأنه قد علم في الدنيا وفي مواضع من ذكر الآخرة، أن في الفرش حظايا تقديره: وفي فرش مرفوعة حظايا منشآت، وهو مثل ما ذكر في قوله تعالى: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] و﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ [الرحمن: ٧٢] فهو تعالى أقام الصفة مقام الموصوف ولم يذكر نساء الآخرة بلفظ حقيقي أصلًا وإنما عرفهن بأوصافهن ولباسهن إشارة إلى صونهن وتخدرهن، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ يحتمل أن يكون المراد الحور فيكون المراد الإنشاء الذي هو الابتداء، ويحتمل أن يكون المراد بنات آدم فيكون الإنشاء بمعنى إحياء الإعادة، وقوله تعالى: ﴿أَبْكَارًا﴾ يدل على الثاني لأن الإنشاء لو كان بمعنى الابتداء لعلم من كونهن أبكارًا من غير حاجة إلى بيان ولما كان المراد إحياء بنات آدم قال: ﴿أَبْكَارًا﴾ أي نجعلهن أبكارًا وإن متن ثيبات، فإن قيل: فما الفائدة على الوجه الأول؟ نقول: الجواب من وجهين: الأول: أن الوصف بعدها لا يكون من غيرها إذا كن أزواجهم بين الفائدة لأن البكر في الدنيا لا تكون عارفة بلذة الزوج فلا ترضى بأن تتزوج من رجل لا تعرفه وتختار التزويج بأقرانها ومعارفها لكن أهل الجنة إذا لم يكن من جنس أبناء آدم وتكون الواحدة منهن بكرًا لم تر زوجًا ثم تزوجت بغير جنسها فربما يتوهم منها سوء عشرة فقال: ﴿أَبْكَارًا﴾ فلا يوجد فيهن ما يوجد في أبكار الدنيا، الثاني: المراد أبكارًا بكارة تخالف بكارة الدنيا، فإن البكارة لا تعود إلا على بعد. وقوله تعالى: ﴿أَتْرَابًا﴾ يحتمل وجوهًا: أحدها: مستويات في السن فلا تفضل إحداهن على الأخرى بصغر ولا كبر كلهن خلقن في زمان واحد، ولا يلحقهن عجز ولا زمانة ولا تغير لون، وعلى هذا إن كن من بنات آدم فاللفظ فيهن حقيقة، وإن كن من غيرهن فمعناه ما كبرن سمين به لأن كلًّا منهن تمس وقت مس الأخرى لكن نسي الأصل، وجعل عبارة عن ذلك كاللذة للمتساويين من العقلاء، فأطلق على حور الجنة أترابًا، ثانيها: أترابًا متماثلات في النظر إليهن

كالأتراب سواء وجدن في زمان أو في أزمنة، والظاهر أنه في أزمنة لأن المؤمن إذا عمل عملاً صالحًا خلق له منهن ما شاء الله، ثالثها: أترابًا لأصحاب اليمين، أي على سنهم، وفيه إشارة إلى الاتفاق، لأن أحد الزوجين إذا كان أكبر من الآخر فالشاب يعيره.

المسألة الثانية: إن قيل: ما الفائدة في قوله: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ ﴾؟ نقول: فائدته ظاهرة تتبين بالنظر إلى اللام في: ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ فنقول: إن كانت اللام متعلقة بأترابًا يكون معناه: ﴿ أَنشَأْنَٰهُنَّ ﴾ وهذا لا يجوز، وإن كانت متعلقة بأنشأناهن يكون معناه أنشأناهن لأصحاب اليمين والإنشاء حال كونهن أبكارًا وأترابًا فلا يتعلق الإنشاء بالأبكار بحيث يكون كونهن أبكارًا بالإنشاء لأن الفعل لا يؤثر في الحال تأثيرًا واجبًا فنقول: صرفه للإنشاء لا يدل على أن الإنشاء كان بفعل فيكون الإنعام عليهم بمجرد إنشائهن لأصحاب اليمين: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ ليكون ترتيب المسبب على السبب فاقتضى ذلك كونهن أبكارًا، وأما إن كان الإنشاء أولاً من غير مباشرة للأزواج ما كان يقتضي جعلهن أبكارًا فالفاء لترتيب المقتضى على المقتضي.

قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

وقد ذكرنا ما فيه لكن هنا لطيفة: وهي أنه تعالى قال في السابقين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣] قبل ذكر السرر والفاكهة والحور وذكر في أصحاب اليمين: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بعد ذكر هذه النعم، نقول: السابقون لا يلتفتون إلى الحور العين والمأكول والمشروب ونعم الجنة تتشرف بهم، وأصحاب اليمين يلتفتون إليها فقدم ذكرها عليهم ثم قال: هذا لكم وأما السابقون فذكرهم أولاً ثم ذكر مكانهم، فكأنه قال لأهل الجنة هؤلاء واردون عليكم. والذي يتمم هذه اللطيفة أنه تعالى لم يقدم ثلة السابقين إلا لكونهم مقربين حسًّا فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ﴾ [الواقعة: ١١-١٢] ثم قال: ﴿ ثُلَّةٌ﴾ ثم ذكر النعم لكونها فوق الدنيا إلا المودة في القربى من الله فإنها فوق كل شيء، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] أي في المؤمنين ووعد المرسلين بالزلفى في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ [ص: ٢٥] وأما قوله: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٢] فقد ذكرنا أنه لتمييز مقربي المؤمنين من مقربي الملائكة، فإنهم مقربون في الجنة وهم مقربون في أماكنهم لقضاء الأشغال التي للناس وغيرهم بقدرة الله وقد بان من هذا أن المراد من أصحاب اليمين هم الناجون الذين أذنبوا وأسرفوا وعفا الله عنهم بسبب أدنى حسنة لا الذين غلبت حسناتهم وكثرت، وسنذكر الدليل عليه في قوله تعالى: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١].

قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما الحكمة في ذكر السموم والحميم وترك ذكر النار وأهوالها؟ نقول: فيه

إشارة بالأدنى إلى الأعلى فقال: هواؤهم الذي يهب عليهم سموم، وماؤهم الذي يستغيثون به حميم، مع أن الهواء والماء أبرد الأشياء، وهما أي السموم والحميم من أضر الأشياء بخلاف الهواء والماء في الدنيا فإنهما من أنفع الأشياء فما ظنك بنارهم التي هي عندنا أيضًا أحر، ولو قال: هم في نار، كنا نظن أن نارهم كنارنا لأنا ما رأينا شيئًا أحر من التي رأيناها، ولا أحر من السموم، ولا أبرد من الزلال، فقال: أبرد الأشياء لهم أحرها فكيف حالهم مع أحرها، فإن قيل: ما السموم؟ نقول: المشهور هي ريح حارة تهب فتمرض أو تقتل غالبًا، والأولى أن يقال: هي هواء متعفن، يتحرك من جانب إلى جانب فإذا استنشق الإنسان منه يفسد قلبه بسبب العفونة ويقتل الإنسان، وأصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما، ويحتمل أن يكون هذا السم من السَّم، وهو خرم الإبرة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] لأن سم الأفعى ينفذ في المسام فيفسدها، وقيل: إن السموم مختصة بما يهب ليلًا، وعلى هذا فقوله: ﴿سَمُومٍ﴾ إشارة إلى ظلمة ما هم فيه غير أنه بعيد جدًا، لأن السموم قد ترى بالنهار بسبب كثافتها.

المسألة الثانية: الحميم: هو الماء الحار وهو فعيل بمعنى فاعل من حمم الماء بكسر الميم، أو بمعنى مفعول من حمم الماء إذا سخنه، وقد ذكرناه مرارًا غير أن هاهنا لطيفة لغوية: وهي أن فَعُولاً لما تكرر منه الشيء والريح لما كانت كثيرة الهبوب تهب شيئًا بعد شيء خص السموم بالفَعُول، والماء الحار لما كان لا يفهم منه الورود شيئًا بعد شيء لم يقل: فيه حموم، فإن قيل: ما اليحموم؟ نقول: فيه وجوه: أولها: أنه اسم من أسماء جهنم، ثانيها: أنه الدخان، ثالثها: أنه الظلمة، وأصله من الحمم وهو الفحم فكأنه لسواده فحم فسموه باسم مشتق منه، وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك المعنى فيه، وربما تكون الزيادة فيه جاءت لمعنيين: الزيادة في سواده والزيادة في حرارته، وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب دائمًا لأنهم إن تعرضوا لمهب الهواء أصابهم الهواء الذي هو السموم، وإن استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان في الكن يكونوا في ظل من يحموم، وإن أرادوا الرد عن أنفسهم السموم بالاستكنان في مكان من حميم فلا انفكاك لهم من عذاب الحميم، ويحتمل أن يقال فيه ترتيب وهو أن السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في أحشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه ويريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل ظل اليحموم، فإن قيل: كيف وجه استعمال (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾؟ فنقول: إن قلنا إنه اسم جهنم فهو لابتداء الغاية كما تقول: جاءني نسيم من الجنة، وإن قلنا: إنه دخان فهو كما في قولنا: خاتم من فضة، وإن قلنا: إنه الظلمة فكذلك، فإن قيل: كيف يصح تفسيره بجهنم مع أنه اسم منصرف منكر فكيف وضع لمكان معرف، ولو كان اسمًا لها، قلنا: استعماله بالألف واللام كالجحيم، أو كان غير منصرف كأسماء جهنم يكون مثله على ثلاثة مواضع كلها يحموم.

قوله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قال الزمخشري: كرم الظل: نفعه الملهوف، ودفعه أذى الحر عنه، ولو كان كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد، والأقرب أن يقال: فائدة الظل أمران: أحدهما دفع الحر، والآخر كون الإنسان فيه مكرمًا، وذلك لأن الإنسان في البرد يقصد عين الشمس ليتدفأ بحرها إذا كان قليل الثياب، فإذا كان من المكرمين يكون أبدًا في مكان يدفع الحر والبرد عن نفسه في الظل، أما الحر فظاهر، وأما البرد فيدفعه بإدفاء الموضع بإيقاد ما يدفئه، فيكون الظل في الحر مطلوبًا للبرد فيطلب كونه باردًا، وفي البرد يطلب لكونه ذا كرامة لا لبرد يكون في الظل فقال: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ يطلب لبرده، ولا ذي كرامة قد أعد للجلوس فيه، وذلك لأن المواضع التي يقع عليها ظل كالمواضع التي تحت أشجار وأمام الجدار يتخذ منها مقاعد فتصير تلك المقاعد محفوظة عن القاذورات، وباقي المواضع تصير مزابل، ثم إذا وقعت الشمس في بعض الأوقات عليها تطلب لنظافتها، وكونها معدة للجلوس، فتكون مطلوبة في مثل هذا الوقت لأجل كرامتها لا لبردها، فقوله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ يحتمل هذا، ويحتمل أن يقال: إن الظل يطلب لأمر يرجع إلى الحس، أو لأمر يرجع إلى العقل، فالذي يرجع إلى الحس هو برده، والذي يرجع إلى العقل أن يكون الرجوع إليه كرامة، وهذا لا برد له ولا كرامة فيه، وهذا هو المراد بما نقله الواحدي عن الفراء أن العرب تتبع كل منفي بكريم إذا كان المنفي أكرم فيقال: هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة، والتحقيق فيه ما ذكرنا أن وصف الكمال، إما حسي، وإما عقلي، والحسي يصرح بلفظه، وأما العقلي فلخفائه عن الحس يشار إليه بلفظ جامع، والكرامة عند العرب من أشهر أوصاف المدح ونفيها نفي وصف الكمال العقلي، فيصير قوله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ معناه لا مدح فيه أصلاً لا حسًّا ولا عقلاً.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ وفي الآيات لطائف، **نذكرها في مسائل:**

المسألة الأولى: ما الحكمة في بيان سبب كونهم في العذاب مع أنه تعالى لم يذكر سبب كون أصحاب اليمين في النعيم، ولم يقل: إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين؟ فنقول: قد ذكرنا مرارًا أن الله تعالى عند إيصال الثواب لا يذكر أعمال العباد الصالحة، وعند إيصال العقاب يذكر أعمال المسيئين لأن الثواب فضل والعقاب عدل، والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يتوهم في المتفضل به نقص وظلم، وأما العدل فإن لم يعلم سبب العقاب، يظن أن هناك ظلمًا فقال: هم فيها بسبب ترفهم، والذي يؤيد هذه اللطيفة أن الله تعالى قال في حق السابقين: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]ولم يقل: في حق أصحاب اليمين، ذلك لأنا أشرنا أن أصحاب اليمين هم الناجون بالفضل العظيم، وسنبين ذلك في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ [الواقعة: ٩١]وإذا كان كذلك فالفضل في حقهم متمحض فقال: هذه النعم لكم، ولم يقل جزاء لأن قوله: ﴿جَزَآءًۢ﴾ في مثل هذا الموضع، وهو موضع العفو عنهم لا يثبت لهم سرورًا بخلاف من كثرت حسناته، فيقال له: نعم ما فعلت خذ هذا لك جزاء.

المسألة الثانية: جعل السبب كونهم مترفين وليس كل من هو من أصحاب الشمال يكون مترفًا فإن فيهم من يكون فقيرًا؟ نقول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ ليس بذم، فإن المترف هو الذي جعل ذا ترف أي نعمة، فظاهر ذلك لا يوجب ذمًا، لكن ذلك يبين قبح ما ذكر عنهم بعده وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ لأن صدور الكفران ممن عليه غاية الإنعام أقبح القبائح فقال: إنهم كانوا مترفين، ولم يشكروا نعم الله بل أصروا على الذنب وعلى هذا فنقول: النعم التي تقتضي شكر الله وعبادته في كل أحد كثيرة فإن الخلق والرزق وما يحتاج إليه وتتوقف مصالحه عليه حاصل للكل، غاية ما في الباب أن حال الناس في الإتراف متقارب، فيقال في حق البعض بالنسبة إلى بعض: إنه في ضر، ولو حمل نفسه على القناعة لكان أغنى الأغنياء وكيف لا والإنسان إذا نظر إلى حاله يجدها مفتقرة إلى مسكن يأوي إليه ولباس الحر والبرد وما يسد جوعه من المأكول والمشروب، وغير هذا من الفضلات التي يحمل عليها شح النفس، ثم إن أحدًا لا يغلب عن تحصيل مسكن باشتراء أو اكتراء، فإن لم يكن فليس هو أعجز من الحشرات، لا تفقد مدخلاً أو مغارة، وأما اللباس فلو اقتنع بما يدفع الضرورة كان يكفيه في عمره لباس واحد، كلما تمزق منه موضع يرقعه من أي شيء كان، بقي أمر المأكول والمشروب، فإذا نظر الناظر يجد كل أحد في جميع الأحوال غير مغلوب عن كسرة خبز وشربة ماء، غير أن طلب الغنى يورث الفقر فيريد الإنسان بيتًا مزخرفًا ولباسًا فاخرًا ومأكولاً طيبًا، وغير ذلك من أنواع الدواب والثياب، فيفتقر إلى أن يحمل المشاق، وطلب الغنى يورث فقره، وارتياد الارتفاع يحط قدره، وبالجملة شهوة بطنه وفرجه تكسر ظهره على أننا نقول في قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ لا شك أن أهل القبور لما فقدوا الأيدي الباطشة، والأعين الباصرة، وبان لهم الحقائق، علموا أنهم كانوا قبل ذلك مترفين بالنسبة إلى تلك الحالة.

المسألة الثالثة: ما الإصرار على الحنث العظيم؟ نقول: الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]وفيها لطيفة وهي أنه أشار في الآيات الثلاث إلى الأصول الثلاثة فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ من حيث الاستعمال يدل على ذمهم بإنكار الرسل، إذ المترف متكبر بسبب الغنى فينكر الرسالة، والمترفون كانوا يقولون: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر: ٣٤]وقوله: ﴿يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٦]إشارة إلى الشرك ومخالفة التوحيد، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ إشارة إلى إنكار الحشر والنشر، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟

يصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ فيه مبالغات من وجوه: أحدها: قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ ﴾ وهو آكد من قول القائل: إنهم قبل ذلك أصروا لأن اجتماع لفظي الماضي والمستقبل يدل على الاستمرار، لأن قولنا: فلان كان يحسن إلى الناس، يفيد كون ذلك عادة له، ثانيها: لفظ الإصرار فإن الإصرار مداومة المعصية والغلول، ولا يقال: في الخير أصر، ثالثها: الحنث فإنه فوق الذنب فإن الحنث لا يكاد في اللغة يقع على الصغيرة والذنب يقع عليها، وأما الحنث في اليمين فاستعملوه لأن نفس الكذب عند العقلاء قبيح، فإن مصلحة العالم منوطة بالصدق وإلا لم يحصل لأحد بقول أحد ثقة فلا يبنى على كلامه مصالح، ولا يجتنب عن مفاسد، ثم إن الكذب لما وجد في كثير من الناس لأغراض فاسدة أرادوا توكيد الأمر بضم شيء إليه يدفع توهمه فضموا إليه الأيمان ولا شيء فوقها، فإذا حنث لم يبق أمر يفيد الثقة فيلزم منه فساد فوق فساد الزنا والشرب، غير أن اليمين إذا كانت على أمر مستقبل ورأى الحالف غيره جوز الشرع الحنث ولم يجوزه في الكبيرة كالزنا والقتل لكثرة وقوع الأيمان وقلة وقوع القتل والذي يدل على أن الحنث هو الكبيرة قولهم للبالغ: بلغ الحنث، أي بلغ مبلغًا بحيث يرتكب الكبيرة وقبله ما كان ينفى عنه الصغيرة، لأن الولي مأمور بالمعاقبة على إساءة الأدب وترك الصلاة.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ٱلْعَظِيمِ ﴾ هذا يفيد أن المراد الشرك، فإن هذه الأمور لا تجتمع في غيره.

المسألة الخامسة: كيف اشتهر (مِتْنا) بكسر الميم مع أن استعمال القرآن في المستقبل يموت قال تعالى عن يحيى وعيسى عليهما السلام: ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾[مريم: ٣٣] ولم يقرأ أمات على وزن أخاف، وقال تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ ﴾[آل عمران: ١١٩] ولم يقل: قل ماتوا، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ ﴾[آل عمران: ١٠٢] ولم يقل: ولا تماتوا كما قال: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ ﴾[فصلت: ٣٠] قلنا: فيه وجهان: أحدهما: أن هذه الكلمة خالفت غيرها، فقيل فيها: ﴿أَمُوتُ ﴾ والسماع مقدم على القياس، والثاني: مات يَمَاتُ لغة في مَاتَ يَموتُ، فاستعمل ما فيها الكسر لأن الكسر في الماضي يوجد أكثر الأمرين أحدهما: كثرة يفعَل على يفعُل، وثانيهما: كونه على فَعِل يَفْعَل، مثل خَافَ يَخَافُ، وفي مستقبلها الضم لأنه يوجد لسببين أحدهما: كون الفعل على فَعُل يَفْعُل، مثل طَال يَطول، فإن وصفه بالتطويل دون الطائل يدل على أنه من باب قَصُر يَقْصُر، وثانيهما: كونه على فَعِل يَفْعُل، تقول: فَعِلت في الماضي بالكسر وفي المستقبل بالضم.

المسألة السادسة: كيف أتى باللام المؤكدة في قوله: ﴿لَمَبْعُوثُونَ ﴾ مع أن المراد هو النفي وفي النفي لا يذكر في خبر إن اللام يقال: إن زيدًا ليجيء وإن زيدًا لا يجيء، فلا تذكر اللام، وما مرادهم بالاستفهام إلا الإنكار بمعنى إنا لا نبعث؟ نقول: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: عند إرادة التصريح بالنفي يوجد التصريح بالنفي وصيغته، ثانيهما: أنهم أرادوا تكذيب من يخبر عن البعث فذكروا أن المخبر عنه يبالغ في الإخبار ونحن نستكثر مبالغته وتأكيده فحكوا كلامهم

على طريقة الاستفهام بمعنى الإنكار، ثم إنهم أشاروا في الإنكار إلى أمور اعتقدوها مقررة لصحة إنكارهم فقالوا أولاً: ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ ولم يقتصروا عليه بل قالوا بعده: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ أي فطال عهدنا بعد كوننا أمواتًا حتى صارت اللحوم ترابًا والعظام رفاتًا، ثم زادوا وقالوا: مع هذا يقال لنا: ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بطريق التأكيد من ثلاثة أوجه: أحدها: استعمال كلمة إن، ثانيها: إثبات اللام في خبرها، ثالثها: ترك صيغة الاستقبال، والإتيان بالمفعول كأنه كائن، فقالوا لنا: ﴿أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ثم زادوا وقالوا: ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ يعني هذا أبعد فإنا إذا كنا ترابًا بعد موتنا والآباء حالهم فوق حال العظام الرفات فكيف يمكن البعث؟ وقد بينا في سورة والصافات هذا كله وقلنا: إن قوله: ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٧] معناه: أو يقولوا: آباؤنا الأولون، إشارة إلى أنهم في الإشكال أعظم، ثم إن الله تعالى أجابهم ورد عليهم في الجواب في كل مبالغة بمبالغة أخرى فقال:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝٥٠﴾

فقوله: ﴿قُلْ﴾ إشارة إلى أن الأمر في غاية الظهور، وذلك أن في الرسالة أسرارًا لا تقال إلا للأبرار، ومن جملتها تعيين وقت القيامة لأن العوام لو علموا لاتّكلوا والأنبياء ربما اطلعوا على علاماتها أكثر مما بينوا وربما بينوا للأكابر من الصحابة علامات على ما نبين ففيه وجوه: أولها: قوله: ﴿قُلْ﴾ يعني أن هذا من جملة الأمور التي بلغت في الظهور إلى حد يشترك فيه العوام والخواص، فقال: قل قولاً عامًّا وهكذا في كل موضع، قال: قل كان الأمر ظاهرًا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] وقال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] أي هذا هو الظاهر من أمر الروح وغيره خفي، ثانيها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ بتقديم الأولين على الآخرين في جواب قولهم: ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة: ٤٨] فإنهم أخروا ذكر الآباء لكون الاستبعاد فيهم أكثر، فقال: إن الأولين الذين تستبعدون بعثهم وتؤخرونهم يبعثهم الله في أمر مقدم على الآخرين، يتبين منه إثبات حال من أخرتموه مستبعدين، إشارة إلى كون الأمر هينًا، ثالثها: قوله تعالى: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ فإنهم أنكروا قوله: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧] فقال: هو واقع مع أمر زائد، وهو أنهم يحشرون ويجمعون في عرصة الحساب، وهذا فوق البعث، فإن من بقي تحت التراب مدة طويلة ثم حشر ربما لا يكون له قدرة على الحركة، وكيف لو كان حيًّا محبوسًا في قبره مدة لتعذرت عليه الحركة، ثم إنه تعالى بقدرته يحركه بأسرع حركة ويجمعه بأقوى سير، وقوله تعالى: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ فوق قول القائل: مجموعون، كما قلنا: إن قول القائل: إنه يموت في إفادة التوكيد دون قوله: إنه ميت، رابعها: قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ فإنه يدل على أن الله تعالى يجمعهم في يوم واحد معلوم، واجتماع عدد من الأموات لا يعلم عددهم إلا الله تعالى في وقت واحد أعجب من نفس

البعث وهذا كقوله تعالى في سورة والصافات: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الصافات: ١٩] أي أنتم تستبعدون نفس البعث، والأعجب من هذا أنه يبعثهم بزجرة واحدة أي صيحة واحدة: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الصافات: ١٩] أي يبعثون مع زيادة أمر، وهو فتح أعينهم ونظرهم، بخلاف من نعس فإنه إذا انتبه يبقى ساعة ثم ينظر في الأشياء، فأمر الإحياء عند الله تعالى أهون من تنبيه نائم، خامسها: حرف ﴿إِلَىٰ﴾ أدل على البعث من اللام، ولنذكر هذا في جواب سؤال هو أن الله تعالى قال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] وقال هنا: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ولم يقل: لميقاتنا وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ [التغابن: ١٤٣] نقول: لما كان ذكر الجمع جوابًا للمنكرين المستبعدين ذكر كلمة ﴿إِلَىٰ﴾ الدالة على التحرك والانتقال لتكون أدل على فعل غير البعث ولا يجمع هناك قال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ﴾ ولا يفهم النشور من نفس الحرف وإن كان يفهم من الكلام، ولهذا قال هاهنا: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ بلفظ التأكيد، وقال هناك: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ وقال هاهنا: ﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ﴾ وهو مصير الوقت إليه، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣] فنقول: الموضع هناك لم يكن مطلوب موسى عليه السلام، وإنما كان مطلوبه الحضور، لأن من وقت له وقت وعين له موضع كانت حركته في الحقيقة لأمر بالتبع إلى أمر، وأما هناك فالأمر الأعظم الوقوف في موضعه لا زمانه فقال بكلمة دلالتها على الموضع والمكان أظهر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

في تفسير الآيات مسائل:

المسألة الأولى: الخطاب مع من؟ نقول: قال بعض المفسرين: مع أهل مكة، والظاهر أنه عام مع كل ضال مكذب وقد تقدم مثل هذا في مواضع، وهو تمام كلام النبي ﷺ كأنه تعالى قال لنبيه: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون ثم إنكم تعذبون بهذه الأنواع من العذاب.

المسألة الثانية: قال هاهنا: ﴿الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ بتقديم الضال وقال في آخر السورة: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢] بتقديم المكذبين، فهل بينهما فرق؟ قلت: نعم، وذلك أن المراد من الضالين هاهنا هم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم، فضلوا في سبيل الله ولم يصلوا إليه ولم يوحدوه، وذلك ضلال عظيم، ثم كذبوا رسله وقالوا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ [الواقعة: ٤٧] فكذبوا بالحشر، فقال: ﴿أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ الذين أشركتم: ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ الذين أنكرتم الحشر لتأكلون ما تكرهون، وأما هناك فقال لهم: ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين كذبتم بالحشر: ﴿الضَّالِّينَ﴾ في طريق الخلاص الذين لا يهتدون إلى النعيم، وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب هنا مع الكفار فقال: يا أيها الذين ضللتم أولاً وكذبتم ثانيًا، والخطاب في آخر السورة مع محمد ﷺ يبين له حال الأزواج الثلاثة فقال: المقربون في روح وريحان وجنة ونعيم، وأصحاب اليمين في

سلام، وأما المكذبون الذين كذبوا فقد ضلوا فقدم تكذيبهم إشارة إلى كرامة محمد ﷺ حيث بيَّن أن أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم، والذي يدل على أن الكلام هناك مع محمد ﷺ قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[الواقعة: ٩١].

المسألة الثالثة: ما الزقوم؟ نقول: قد بيناه في موضع آخر، واختلف فيه أقوال الناس ومآل الأقوال إلى كون ذلك في الطعم مرًّا وفي اللمس حارًّا، وفي الرائحة منتنًا، وفي المنظر أسود لا يكاد آكله يسيغه فيكره على ابتلاعه، والتحقيق اللغوي فيه أن الزقوم لغية عربية دلنا تركيبه على قبحه، وذلك لأن زق لم يجتمع إلا في مهمل أو في مكروه، منه مزق، ومنه زمق شعره إذا نتفه، ومنه القزم للدناءة، وأقوى من هذا أن القاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل على المكروه في أكثر الأمر، فالقاف مع الميم قمامة وقمقمة، وبالعكس مقامق: الغليظ الصوت والقمقمة هو السور، وأما القاف مع الزاي فالزق رمي الطائر بذرقه، والزقزقة الخفة، وبالعكس القزنوب فينفر الطبع من تركيب الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح، ثم قرن بالأكل فدل على أنه طعام ذو غصة، وأما ما يقال بأن العرب تقول: زقمتني بمعنى أطعمتني الزبد والعسل واللبن، فذلك للمجانة كقولهم: ارشقني بثوب حسن، وارجمني بكيس من ذهب، وقوله: ﴿مِن شَجَرٍ﴾ لابتداء الغاية أي تناولكم منه، وقوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ زيادة في بيان العذاب أي لا يكتفى منكم بنفس كما الأكل يكتفى من يأكل الشيء لتحلة القسم، بل يلزمون بأن تملأوا منها البطون والهاء عائدة إلى الشجرة، والبطون يحتمل أن يكون المراد منه مقابلة الجمع بالجمع أي يملأ كل واحد منكم بطنه ويحتمل أن يكون المراد أن كل واحد منكم يملأ البطون، والبطون حينئذ تكون بطون الأمعاء، لتخيل وصف المعى في باطن الإنسان له، كيأكل في سبعة أمعاء، فيملأون بطون الأمعاء وغيرها، والأول أظهر، والثاني أدخل في التعذيب والوعيد، قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي عقيب الأكل تجر مرارته وحرارته إلى شرب الماء فيشربون على ذلك المأكول وعلى ذلك الزقوم من الماء الحار، وقد تقدم بيان الحميم، وقوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ بيان أيضًا لزيادة العذاب أي لا يكون أمركم أمر من شرب ماءً حارًّا منتنًا فيمسك عنه بل يلزمكم أن تشربوا منه مثل ما تشرب الهيم وهي الجمال التي أصابها العطش فتشرب ولا تروى، وهذا البيان في الشرب لزيادة العذاب، وقوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ في الأكل، فإن قيل: الأهيم إذا شرب الماء الكثير يضره ولكن في الحال يلتذ به، فهل لأهل الجحيم من شرب الحميم الحار في النار لذة؟ قلنا: لا، وإنما ذلك لبيان زيادة العذاب، ووجهه أن يقال: يلزمون بشرب الحميم ولا يكتفى منهم بذلك الشرب بل يلزمون أن يشربوا كما يشرب الجمل الأهيم الذي به الهيام، أو هم إذا شربوا تزداد حرارة الزقوم في جوفهم فيظنون أنه من الزقوم لا من الحميم فيشربون منه شيئًا كثيرًا بناء على وِهم الري، والقول في الهِيم كالقول في البِيض، أصله هِوم، وهذا من هام يهيم كأنه من العطش يهيم، والهيام ذلك الداء الذي يجعله كالهائم من العطش.

قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ ﴾

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يعني ليس هذا كل العذاب بل هذا أول ما يلقونه وهو بعض منه وأقطع لأمعائهم.

ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ دليلاً على كذبهم وصدق الرسل في الحشر، لأن قوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ إلزام على الإقرار بأن الخالق في الابتداء هو الله تعالى، ولما كان قادرًا على الخلق أولاً كان قادرًا على الخلق ثانيًا، ولا مجال للنظر في ذاته وصفاته تعالى وتقدس، وإن لم يعترفوا به، بل يشكون ويقولون: الخلق الأول من مني بحسب الطبيعة، فنقول: المنى من الأمور الممكنة ولا وجود للممكن بذاته بل بالغير على ما عرف، فيكون المنى من القادر القاهر، وكذلك خلق الطبيعة وغيرها من الحادثات أيضًا، فقال لهم: هل تشكون في أن الله خلقكم أولاً أم لا؟ فإن قالوا: لا نشك في أنه خالقًا، فيقال: فهل تصدقون أيضًا بخلقكم ثانيًا؟ فإن من خلقكم أولاً من لا شيء لا يعجز أن يخلقكم ثانيًا من أجزاء هي عنده معلومة، وإن كنتم تشكون وتقولون: الخلق لا يكون إلا من مني وبعد الموت لا والدة ولا مني، فيقال لهم: هذا المني أنتم تخلقونه أم الله، فإن كنتم تعترفون بالله وبقدرته وإرادته وعمله، فذلك يلزمكم القول بجواز الحشر وصحته، و(لولا) كلمة مركبة من كلمتين معناها التحضيض والحث والأصل فيه: لم لا، فإذا قلت: لم لا أكلت ولم ما أكلت، جاز الاستفهامان، فإن معناه لا علة لعدم الأكل ولا يمكنك أن تذكر علة له، كما تقول: لم فعلت؟ موبخًا، يكون معناه فعلت أمرًا لا سبب له ولا يمكنك ذكر سبب له ثم إنهم تركوا حرف الاستفهام عن العلة وأتوا بحرف الاستفهام عن الحكم، فقالوا: هلا فعلت؟ كما يقولون في موضع: لم فعلت هذا وأنت تعلم فساده، أتفعل هذا وأنت عاقل؟ وفيه زيادة حث؛ لأن قول القائل: لم فعلت حقيقته سؤال عن العلة، ومعناه أن علته غير معلومة وغير ظاهرة، فلا يجوز ظهور وجوده، وقوله: أفعلت، سؤال عن حقيقته، ومعناه أنه في جنسه غير ممكن، والسائل عن العلة كأنه سلم الوجود وجعله معلومًا وسأل عن العلة كما يقول القائل: زيد جاء فلم جاء، والسائل عن الوجود لم يسلمه، وقول القائل: لم فعلت وأنت تعلم ما فيه دون قوله: أفعلت وأنت تعلم ما فيه، لأن في الأول جعله كالمصيب في فعله لعلة خفية تطلب منه، وفي الثاني جعله مخطئًا في أول الأمر، وإذا علم ما بين لم فعلت، وأفعلت، علم ما بين لم تفعل وهلا تفعل، وأما (لولا) فنقول: هي كلمة شرط في الأصل والجملة الشرطية غير مجزومة بها كما أن جملة الاستفهام غير مجزوم به لكن لولا تدل على الاعتساف وتزيد نفي النظر والتواني، فيقول: لولا تصدقون، بدل قوله: لم لا، وهلا، لأنه أدل على نفي ما دخلت عليه وهو عدم التصديق

وفيه لطيفة: وهي أن لولا تدخل على فعل ماض على مستقبل قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] فما وجه اختصاص المستقبل هاهنا بالذكر وهلا قال: فلولا صدقتم؟ نقول: هذا كلام معهم في الدنيا والإسلام فيها مقبول ويجب ما قبله فقال: لم لا تصدقون في ساعتكم، والدلائل واضحة مستمرة والفائدة حاصلة، فأما في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ لم تكن الفائدة تحصل إلا بعد مدة فقال: لو سافرتم لحصل لكم الفائدة في الحال وقد فات ذلك، فإن كنتم لا تسافرون في الحال تفوتكم الفائدة أيضًا في الاستقبال، ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ من تقرير قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ وذلك لأنه تعالى لما قال: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ قال الطبيعيون: نحن موجودون من نطف الخلق بجواهر كامنة وقبل كل واحد نطفة واحد فقال تعالى ردًّا عليهم: هل رأيتم هذا المني وأنه جسم ضعيف متشابه الصورة لا بد له من مكون، فأنتم خلقتم النطفة أم غيركم خلقها، ولا بد من الاعتراف بخالق غير مخلوق قطعًا للتسلسل الباطل وإلى ربنا المنتهى، ولا يرتاب فيه أحد من أول ما خلق الله النطفة وصورها وأحياها ونورها فلم لا تصدقون أنه واحد أحد صمد قادر على الأشياء، فإنه يعيدكم كما أنشأكم في الابتداء، والاستفهام يفيد زيادة تقرير وقد علمت ذلك مرارًا.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في الترتيب فيه وجهان: أحدهما: أنه تقرير لما سبق وهو كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] فقال: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الواقعة: ٥٧] ثم قال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ فمن قدر على الإحياء والإماتة وهما ضدان ثبت كونه مختارًا فيمكن الإحياء ثانيًا منه بعد الإماتة بخلاف ما لو كان الإحياء منه ولم يكن له قدرة على الإماتة فيظن به أنه موجب لا مختار، والموجب لا يقدر على كل شيء ممكن فقال: نحن خلقناكم وقدرنا الموت بينكم فانظروا فيه واعلموا أنا قادرون أن ننشئكم، ثانيهما: أنه جواب عن قول مبطل يقول: إن لم تكن الحياة والموت بأمور طبيعية في الأجسام من حرارات ورطوبات إذا توفرت بقيت حية، وإذا نقصت وفنيت ماتت لم يقع الموت وكيف يليق بالحكيم أن يخلق شيئًا يتقن خلقه ويحسن صورته ثم يفسده ويعدمه ثم يعيده وينشئه، فقال تعالى: نحن قدرنا الموت، ولا يرد قولكم: لماذا أعدم ولماذا أنشأ، ولماذا هدم، لأن كمال القدرة يقتضي ذلك وإنما يقبح من الصائغ والباني صياغة شيء وبناؤه وكسره وإفناؤه لأنه يحتاج إلى صرف زمان إليه وتحمل مشقة وما مَثَلُه إلا مثل إنسان ينظر إلى شيء فيقطع نظره عنه طرفة عين، ثم يعاوده ولا يقال له: لم قطعت النظر ولم نظرت إليه، ولله المثل الأعلى من هذا، لأن هنا لا بد من حركة وزمان ولو توارد على الإنسان أمثاله

لتعب لكن في المرة الواحدة لا يثبت التعب، والله تعالى منزه عن التعب ولا افتقار لفعله إلى زمان ولا زمان لفعله ولا إلى حركة بجرم، وفيه وجه آخر ألطف منها وهو أن قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨] معناه أفرأيتم ذلك ميتًا لا حياة فيه وهو مني، ولو تفكرتم فيه لعلمتم أنه كان قبل ذلك حيًّا متصلاً بحي وكان أجزاء مدركة متألمة متلذذة ثم إذا أمنيتموه لا تستريبون في كونه ميتًا كالجمادات، ثم إن الله تعالى يخلقه آدميًّا ويجعله بشرًا سويًّا فالنطفة كانت قبل الانفصال حية، ثم صارت ميتة ثم أحياها الله تعالى مرة أخرى فاعلموا أنما إذا خلقناكم أولاً ثم قدرنا بينكم الموت ثانيًا ثم ننشئكم مرة أخرى فلا تستبعدوا ذلك كما في النطف.

المسألة الثانية: ما الفرق بين هذا الموضع وبين أول سورة تبارك حيث قال هناك: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] بتقديم ذكر الموت؟ نقول: الكلام هنا على الترتيب الأصلي كما قال تعالى في مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] ثم قال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥] وأما في سورة الملك فنذكر إن شاء الله تعالى فائدتها ومرجعها إلى ما ذكرنا أنه قال: خلق الموت في النطف بعد كونها حية عند الاتصال ثم خلق الحياة فيها بعد الموت وهو دليل الحشر، وقيل: المراد من الموت هنا الموت الذي بعد الحياة، والمراد هناك الذي قبل الحياة.

المسألة الثالثة: قال هاهنا: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ وقال في سورة الملك: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] فذكر الموت والحياة بلفظ الخلق، وهاهنا قال: ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ وقال: ﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ فنقول: كان المراد هناك بيان كون الموت والحياة مخلوقين مطلقًا لا في الناس على الخصوص، وهنا لما قال: ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ [الواقعة: ٥٧] خصصهم بالذكر فصار كأنه قال: خلقنا حياتكم، فلو قال: نحن قدرنا موتكم، كان ينبغي أنه يوجد موتهم في الحال ولم يكن كذلك، ولهذا قال: ﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ﴾ وأما هناك فالموت والحياة كانا مخلوقين في محلين ولم يكن ذلك بالنسبة إلى بعض مخصوص.

المسألة الرابعة: هل في قوله تعالى: ﴿بَيْنَكُمُ﴾ بدلاً عن غيره من الألفاظ فائدة؟ نقول: نعم فائدة جليلة، وهي تبين بالنظر إلى الألفاظ التي تقوم مقامها فنقول: قدرنا لكم الموت، وقدرنا فيكم الموت، فقوله: قدرنا فيكم يفيد معنى الخلق لأن تقدير الشيء في الشيء يستدعي كونه ظرفًا له إما ظرف حصول فيه أو ظرف حلول فيه كما يقال: البياض في الجسم والكحل في العين، فلو قال: قدرنا فيكم الموت لكان مخلوقًا فينا وليس كذلك، وإن قلنا: قدرنا لكم الموت كان ذلك ينبئ عن تأخره عن الناس، فإن القائل إذا قال: هذا معد لك كان معناه أنه اليوم لغيرك وغدًا لك، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

المسألة الخامسة: قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ المشهور أن المراد منه: وما نحن بمغلوبين عاجزين عن خلق أمثالكم وإعادتكم بعد تفرق أوصالكم، يقال: فاته الشيء إذا غلبه ولم يقدر عليه ومثله سبقه وعلى هذا نعيد ما ذكرناه من الترتيب، ونقول: إذا كان قوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ﴾

لبيان أنه خلق الحياة وقدر الموت، وهما ضدان وخالق الضدين يكون قادرًا مختارًا فقال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ عاجزين عن الشيء بخلاف الموجب الذي لا يمكنه من إيقاع كل واحد من الضدين فيسبقه ويفوته، فإن النار لا يمكنها التبريد لأن طبيعتها موجبة للتسخين، وأما إن قلنا بأنه ذكره ردًا عليهم حيث قالوا: لو لم يكن الموت من فناء الرطوبات الأصلية وانطفاء الحرارة الغريزية وكان بخلق حكيم مختار ما كان يجوز وقوعه لأن الحكيم كيف يبني ويهدم ويوجد ويعدم فقال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي عاجزين بوجه من الوجوه التي يستبعدونها من البناء والصائغ فإنه يفتقر في الإيجاد إلى زمان ومكان وتمكين من المفعول وإمكان ويلحقه تعب من تحريك وإسكان والله تعالى يخلق بكن فيكون، فهو فوق ما ذكرنا من المثل من قطع النظر وإعادته في أسرع حين حيث لا يصح من القائل أن يقول: لم قطعت النظر في ذلك الزمان اللطيف الذي لا يدرك ولا يحس بل ربما يكون مدعى القدرة التامة على الشيء في الزمان اليسير بالحركة السريعة يأتي بشيء ثم يبطله ثم يأتي بمثله ثم يبطله يدلك عليه فعل أصحاب خفة اليد، حيث يوهم أنه يفعل شيئًا ثم يبطله، ثم يأتي بمثله إراءة من نفسه القدرة، وعلى هذا فنقول قوله في سورة تبارك: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك: ٢] معناه أمات وأحيا لتعلموا أنه فاعل مختار، فتعبدونه وتعتقدون الثواب والعقاب فيحسن عملكم ولو اعتقدتموه موجبًا لما عملتم شيئًا على هذا التفسير المشهور، والظاهر أن المراد من قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ حقيقته وهي أنا ما سبقنا وهو يحتمل شيئين: أحدهما: أن يكون معناه أنه هو الأول لم يكن قبله شيء، وثانيهما: في خلق الناس وتقدير الموت فيهم ما سبق وهو على طريقة منع آخر، وفيه فائدتان أما إذا قلنا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ معناه ما سبقنا شيء فهو إشارة إلى أنكم من أي وجه تسلكون طريق النظر تنتهون إلى الله وتقفون عنده ولا تجاوزونه، فإنكم إن كنتم تقولون: قبل النطفة أب وقبل الأب نطفة فالعقل يحكم بانتهاء النطف والآباء إلى خالق غير مخلوق، وأنا ذلك فإني لست بمسبوق وليس هناك خالق ولا سابق غيري، وهذا يكون على طريقة التدرج والنزول من مقام إلى مقام، والعاقل الذي هداه الله تعالى الهداية القوية يعرف أولاً والذي دونه يعرف بعد ذلك برتبة، والمعاند لا بد من أن يعرف إن عاد إلى عقله بعد المراتب، ويقول: لا بد للكل من إله، وهو ليس بمسبوق فيما فعله، فمعناه أنه فعل ما فعل، ولم يكن لمفعوله مثال، وأما إن قلنا: إنه ليس بمسبوق، وأي حاجة في إعادته له بمثال هو أهون فيكون كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] ويؤيده قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإن قيل: هذا لا يصح، لأن مثل هذا ورد في سؤال سائل، والمراد ما ذكرنا كأنه قال: وإنا لقادرون على أن نبدل أمثالكم وما نحن بمسبوقين، أي لسنا بعاجزين مغلوبين فهذا دليلنا، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠] أفاد فائدة انتفاء العجز عنه، فلا بد من أن يكون لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ فائدة ظاهرة، ثم قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ في الوجه المشهور، قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ يتعلق بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ

بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي على التبديل، ومعناه وما نحن عاجزين عن التبديل.

والتحقيق في هذا الوجه أن من سبقه الشيء كأنه غلبه فعجز عنه، وكلمة (على) في هذا الوجه مأخوذة من استعمال لفظ المسابقة فإنه يكون على شيء، فإن من سبق غيره على أمر فهو الغالب، وعلى الوجه الآخر يتعلق بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ وتقديره: نحن قدرنا بينكم على وجه التبديل لا على وجه قطع النسل من أول الأمر، كما يقول القائل: خرج فلان على أن يرجع عاجلاً، أي على هذا الوجه خرج، وتعلق كلمة (على) هذا الوجه أظهر، فإن قيل: على ما ذهب إليه المفسرون لا إشكال في تبديل أمثالكم، أي أشكالكم وأوصافكم، ويكون الأمثال جمع مثل، ويكون معناه: وما نحن بعاجزين على أن نمسخكم، ونجعلكم في صورة قردة وخنازير، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾[يس: ٦٧] وعلى ما قلت في تفسير المسبوقين، وجعلت المتعلق لقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ هو قوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ فيكون قوله: ﴿نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ معناه: على أن نبدل أمثالهم لا على عملهم، نقول: هذا إيراد وارد على المفسرين بأسرهم إذا فسروا الأمثال بجمع المثل، وهو الظاهر كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[محمد: ٣٨] وقوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[الإنسان: ٢٨] فإن قوله: ﴿وَإِذَا﴾ دليل الوقوع، وتغير أوصافهم بالمسخ ليس أمرًا يقع، والجواب: أن يقال: الأمثال إما أن يكون جمع مِثْل، وإما جمع مَثَل، فإن كان جمع مَثَل فنقول معناه قدرنا بينكم الموت على هذا الوجه، وهو أن نغير أوصافكم فتكونوا أطفالاً، ثم شبانًا، ثم كهولاً، ثم شيوخًا، ثم يدرككم الأجل، وما قدرنا بينكم الموت على أن نهلككم دفعة واحدة إلا إذا جاء وقت ذلك فتهلكون بنفخة واحدة. وإن قلنا: هو جمع مِثْل فنقول معنى: ﴿نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ نجعل أمثالكم بدلاً وبَدَّله بمعنى جعله بدلاً، ولم يحسن أن يقال: بدلناكم على هذا الوجه، لأنه يفيد أنا جعلنا بدلاً فلا يدل على وقوع الفناء عليهم، غاية ما في الباب أن قول القائل: جعلت كذا بدلاً لا تتم فائدته إلا إذا قال: جعلته بدلاً عن كذا لكنه تعالى لما قال: ﴿نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ فالمثل يدل على المثل، فكأنه قال: جعلنا أمثالكم بدلاً لكم، ومعناه على ما ذكرنا أنه لم نقدر الموت على أن نفني الخلق دفعة بل قدرناه على أن نجعل مثلهم بدلهم مدة طويلة ثم نهلكهم جميعًا ثم ننشئهم، وقوله تعالى: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ على الوجه المشهور في التفسير أنه فيما لا تعلمون من الأوصاف والأخلاق، والظاهر أن المراد: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾من الأوصاف والزمان، فإن أحدًا لا يدري أنه متى يموت ومتى ينشأ أو كأنهم قالوا: ومتى الساعة والإنشاء؟ فقال: لا علم لكم بهما، هذا إذا قلنا: إن المراد ما ذكر فيه على الوجه المشهور، وفيه لطيفة: وهي أن قوله: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تقرير لقوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الواقعة: ٥٩] وكأنه قال: كيف يمكن أن تقولوا هذا وأنتم تنشأون في بطون أمهاتكم على أوصاف لا تعلمون وكيف يكون خالق الشيء غير عالم به؟ وهو كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾[النجم: ٣٢] وعلى

ما ذكرنا فيه فائدة وهي التحريض على العمل الصالح، لأن التبديل والإنشاء وهو الموت والحشر إذا كان واقعًا في زمان لا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ تقريرًا لإمكان النشأة الثانية.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝﴾

ذكر بعد دليل الخلق دليل الرزق فقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨] إشارة إلى دليل الخلق وبه الابتداء، وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ إشارة إلى دليل الرزق وبه البقاء، وذكر أمورًا ثلاثة المأكول، والمشروب، وما به إصلاح المأكول، ورتبه ترتيبًا فذكر المأكول أولاً لأنه هو الغذاء، ثم المشروب لأن به الاستمراء، ثم النار للتي بها الإصلاح وذكر من كل نوع ما هو الأصل، فذكر من المأكول الحب فإنه هو الأصل، ومن المشروب الماء لأنه هو الأصل، وذكر من المصلحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية وأعمها، ودخل في كل واحد منها ما هو دونه، هذا هو الترتيب، وأما التفسير فنقول: الفرق بين الحرث والزرع هو أن الحرث أوائل الزرع ومقدماته من كراب الأرض، وإلقاء البذر، وسقي المبذور، والزرع هو آخر الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوائه على الساق، فقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي ما تبتدئون منه من الأعمال أأنتم تبلغونها المقصود أم الله؟ ولا يشك أحد في أن إيجاد الحب في السنبلة ليس بفعل الناس، وليس بفعلهم إن كان سوى إلقاء البذر والسقي، فإن قيل: هذا يدل على أن الله هو الزارع، فكيف قال تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال النبي ﷺ: «الزَّرْعُ لِلزَّارِعِ» [1] قلنا: قد ثبت من التفسير أن الحرث متصل بالزرع، فالحرث أوائل الزرع، والزرع أواخر الحرث، فيجوز إطلاق أحدهما على الآخر، لكن قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ بدلاً عن قوله: يعجب الحراث، يدل على أن الحارث إذا كان هو المبتدئ، فربما يتعجب بما يترتب على فعله من خروج النبات والزارع لما كان هو المنتهي، ولا يعجبه إلا شيء عظيم، فقال: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ الذين تعودوا أخذ الحراث، فما ظنك بإعجابه الحراث، وقوله ﷺ: «الزَّرْعُ لِلزَّارِعِ» فيه فائدة، لأنه لو قال: للحارث فمن ابتدأ بعمل الزرع وأتى بكراب الأرض وتسويتها يصير حارثًا، وذلك قبل إلقاء البذرة لزرع لمن أتى بالأمر المتأخر وهو إلقاء البذر، أي من له البذر على مذهب أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه وهذا أظهر، لأنه بمجرد الإلقاء في الأرض يجعل الزرع للملقى سواء كان مالكًا أو غاصبًا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝﴾

وهو تدريج في الإثبات، وبيانه هو أنه لما قال: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤] لم

---

(١) ذكره الصنعاني في (سبل السلام) (٣/ ٧٢) وقال: لم يخرجه أحد قال في المغار: وقد بحثت عنه فلم أجده وأورده الألباني في (الضعيفة) (٨٨) وقال: باطل لا أصل له.

يبعد من معاند أن يقول: نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعًا، لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا، فقال تعالى: ولو سلم لكم هذا الباطل، فما تقولون في سلامته عن الآفات التي تصيبه، فيفسد قبل اشتداد الحب وقبل انعقاده، أو قبل اشتداد الحب وقبل ظهور الحب فيه، فهل تحفظونه منها أو تدفعونها عنه، أو هذا الزرع بنفسه يدفع عن نفسه تلك الآفات، كما تقولون: إنه بنفسه ينبت، ولا يشك أحد أن دفع الآفات بإذن الله تعالى، وحفظه عنها بفضل الله، وعلى هذا أعاده ليذكر أمورًا مرتبة بعضها على بعض فيكون الأمر الأول: للمهتدين، والثاني: للظالمين والثالث: للمعاندين الضالين فيذكر الأمر الذي لا شك فيه في آخر الأمر إقامة للحجة على الضال المعاند، وفيه سؤال وهو أنه تعالى هاهنا قال: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ﴾ بلام الجواب، وقال في الماء: ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠] من غير لام فما الفرق بينهما؟ نقول: ذكر الزمخشري عنه جوابين: أحدهما قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ كان قريب الذكر فاستغنى بذكر اللام فيه عن ذكرها ثانيًا، وهذا ضعيف لأن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦] مع قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ [يس: ٦٧] أقرب من قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ و﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠] اللهم إلا أن نقول هناك: أحدهما قريب من الآخر ذكرًا لا معنى لأن الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس والمأكول معه المشروب في الدهر، فالأمران تقاربا لفظًا ومعنى، والجواب الثاني: أن اللام يفيد نوع تأكيد فذكر اللام في المأكول ليعلم أن أمر المأكول أهم من أمر المشروب وأن نعمته أعظم وما ذكرنا أيضًا وارد عليه لأن أمر الطمس أهون من أمر المسخ وأدخل فيهما اللام، وهاهنا جواب آخر يبين بتقديم بحث عن فائدة اللام في جواب لو، فنقول: حرف الشرط إذا دخل على الجملة يخرجها عن كونها جملة في المعنى فاحتاجوا إلى علامة تدل على المعنى، فأتوا بالجزم في المستقبل لأن الشرط يقتضي جزاء، وفيه تطويل فالجزم الذي هو سكون أليق بالموضع وبينه وبين المعنى أيضًا مناسبة لكن كلمة لو مختصة بالدخول على الماضي معنى فإنها إذا دخلت على المستقبل جعلته ماضيًا، والتحقيق فيه أن الجملة الشرطية لا تخرج عن أقسام فإنها إذا ذكرت لا بد من أن يكون الشرط معلوم الوقوع لأن الشرط إن كان معلوم الوقوع فالجزاء لازم الوقوع فجعل الكلام جملة شرطية عدول عن جملة إسنادية إلى جملة تعليقية وهو تطويل من غير فائدة فقول القائل: آتيك إن طلعت الشمس تطويل والأولى أن يقول: آتيك جزمًا من غير شرط فإذا علم هذا فحال الشرط لا يخلو من أن يكون معلوم العدم أو مشكوكًا فيه فالشرط إذا وقع على قسمين فلا بد لهما من لفظين وهما (إن) و(لو)، واختصت (إن) بالشكوك، و(لو) بمعلوم لأمر بيناه في موضع آخر لكن ما علم عدم يكون الآخر فقد أثبت منه فهو ماض أو في حكمه لأن العلم بالأمور يكون بعد وقوعها وما يشك فيه فهو مستقبل أو في معناه لأننا نشك في الأمور المستقبلة أنها تكون أولا تكون والماضي خرج عن التردد، وإذا ثبت هذا، فنقول: لما دخل لو على الماضي وما اختلف آخر بالعامل لم يتبين فيه إعراب، وإن لما دخل على المستقبل بان فيه

الإعراب، ثم إن الجزاء على حسب الشرط وكان الجزاء في باب (لو) ماضيًا فلم يتبين فيه الحال بحركة ولا سكون، فيضاف له حرف يدل على خروجه عن كونه جملة ودخوله في كونه جزء جملة، إذا ثبت هذا فنقول: عندما يكون الجزاء ظاهرًا يستغنى عن الحرف الصارف، لكن كون الماء المذكور في الآية، وهو الماء المشروب المنزل من المزن أجاجًا ليس أمرًا واقعًا يظن أنه خبر مستقل، ويقويه أنه تعالى يقول: ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ على طريقة الإخبار والحرث والزرع كثيرًا ما وقع كونه حطامًا فلو قال: جعلناه حطامًا، كان يتوهم منه الإخبار فقال هناك: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ﴾ ليخرجه عما هو صالح له في الواقع، وهو الحطامية وقال في الماء المنزل المشروب من المزن ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ لأنه لا يتوهم ذلك فاستغنى عن اللام، وفيه لطيفة: أخرى نحوية، وهي أن في القرآن إسقاط اللام عن جزاء لو حيث كانت لو داخلة على مستقبل لفظًا، وأما إذا كان ما دخل عليه لو ماضيًا، وكان الجزاء موجبًا فلا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا﴾ [السجدة: ١٣] و﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١] وذلك لأن لو إذا دخلت على فعل مستقبل كما في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ﴾ فقد أخرجت عن حيزها لفظًا، لأن لو للماضي فإذا خرج الشرط عن حيزه جاز في الجزاء الإخراج عن حيزه لفظًا وإسقاط اللام عنه، لأن إن كان حيزها المستقبل وتدخل على المستقبل، فإذا جعل ما دخل إن عليه ماضيًا كقولك: إن جئتني، جاز في الخبر الإخراج عن حيزه وترك الجزم فنقول: أكرمك بالرفع، وأكرمك بالجزم، كما تقول في: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ﴾ وفي: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ﴾ [الواقعة: ٧٠] وما ذكرناه من الجواب في قوله: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] إذا نظرت إليه تجده مستقيمًا، وحيث لم يقل: لو شاء الله أطعمه، علم أن الآخر جزاء ولم يبق فيه توهم، لأنه إما أن يكون عند المتكلم، وذلك غير جائز لأن المتكلم عالم بحقيقة كلامه، وإما أن يكون عندهم وذلك غير جائز هاهنا، لأن قولهم: لو شاء الله أطعمه رد على المؤمنين في زعمهم يعني أنتم تقولون: إن الله لو شاء فعل فلا نطعم من لو شاء الله أطعمه على زعمكم، فلما كان أطعمه جزاءً معلومًا عند السامع والمتكلم استغنى عن اللام، والحطام كالفتات والجذاذ وهو من الحطم كما أن الفتات والجذاذ من الفت والجذ والفعال في أكثر الأمر يدل على مكروه أو منكر، أما في المعاني: فكالسبات والفواق والزكام والدوار والصداع لأمراض وآفات في الناس والنبات.

وأما في الأعيان: فكالجذاذ والحطام والفتات، وكذا إذا لحقته الهاء كالبرادة والسحالة، وفيه زيادة بيان وهو أن ضم الفاء من الكلمة يدل على ما ذكرنا في الأفعال فإنا نقول: فعل لما لم يسم فاعله وكان السبب أن أوائل الكلم لما لم يكن فيه التخفيف المطلق وهو السكون لم يثبت التثقيل المطلق وهو الضم، فإذا ثبت فهو لعارض، فإن علم كما ذكرنا فلا كلام وإن لم يعلم كما في بُرْد وقُفْل فالأمر خفي يطول ذكره والوضع يدل عليه في الثلاثي. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ وفيه وجهان: أما على الوجه الأول: كأنما هو كلام مقدر عنهم كأنه يقول: وحينئذ

يحق أن تقولوا: إنا لمعذبون دائمون في العذاب. وأما على الوجه الثاني: فيقولون: إنا لمعذبون ومحرومون عن إعادة الزرع مرة أخرى، يقولون: إنا لمعذبون بالجوع بهلاك الزرع ومحرومون عن دفعه بغير الزرع لفوات الماء، والوجه الثالث: في الغرم إنا لمكرهون بالغرامة من غَرِم الرجل وأصل الغَرْم والغَرَام لزوم المكروه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾

خصه بالذكر لأنه ألطف وأنظف أو تذكيرًا لهم بالإنعام عليهم، والمزن: السحاب الثقيل بالماء لا بغيره من أنواع العذاب يدل على ثقله قلب اللفظ وعلى مدافعة الأمر وهو التزم في بعض اللغات السحاب الذي مس الأرض وقد تقدم تفسير الأجاج أنه الماء المر من شدة الملوحة، والظاهر أنه هو الحار من أجيج النار كالحطام من الحطيم، وقد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣] ذكر في الماء الطيب صفتين إحداهما عائدة إلى طعمه والأخرى عائدة إلى كيفية ملمسه وهي البرودة واللطافة، وفي الماء الآخر أيضًا صفتين إحداهما عائدة إلى طعمه والأخرى عائدة إلى كيفية لمسه وهي الحرارة، ثم قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ لم يقل عند ذكر الطعام الشكر، وذلك لوجهين أحدهما: أنه لم يذكر في المأكول أكلهم، فلما لم يقل: تأكلون لم يقل: تشكرون، وقال في الماء: ﴿تَشْرَبُونَ﴾ فقال: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ والثاني: أن في المأكول قال: ﴿تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] فأثبت لهم سعيًا فلم يقل: تشكرون، وقال في الماء: ﴿أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ لا عمل لكم فيه أصلاً فهو محض النعمة فقال: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ وفيه وجه ثالث: وهو الأحسن أن يقال: النعمة لا تتم إلا عند الأكل والشرب ألا ترى أن في البراري التي لا يوجد فيها الماء لا يأكل الإنسان شيئًا مخافة العطش، فلما ذكر المأكول أولاً وأتمه بذكر المشروب ثانيًا قال: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ على هذه النعمة التامة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾

ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي تقدحون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾.

وفي شجرة النار وجوه:

أحدها: أنها الشجرة التي تورى النار منها بالزند والزندة كالمرخ، وثانيها: الشجرة التي تصلح لإيقاد النار كالحطب فإنها لو لم تكن لم يسهل إيقاد النار، لأن النار لا تتعلق بكل شيء كما تتعلق بالحطب، وثالثها: أصول شعلها ووقود شجرتها ولولا كونها ذات شعل لما صلحت لإنضاج الأشياء، والباقي ظاهر.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ في قوله: ﴿تَذْكِرَةً﴾ وجهان: أحدهما: تذكرة لنار القيامة فيجب على العاقل أن يخشى الله تعالى وعذابه إذا رأى النار الموقدة، وثانيهما: تذكرة بصحة البعث، لأن من قدر على إيداع النار في الشجر الأخضر لا يعجز عن إيداع الحرارة الغريزية في بدن الميت وقد ذكرناه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠] والمقوى: هو الذي أوقده فقواه وزاده، وفيه لطيفة: وهو أنه تعالى قدم كونها تذكرة على كونها متاعًا ليعلم أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم.

ثم قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: في وجه تعلقه بما قبله؟ نقول: لما ذكر الله تعالى حال المكذبين بالحشر والوحدانية ذكر الدليل عليهما بالخلق والرزق ولمَّا لم يفدهم الإيمان قال لنبيه ﷺ: أن وظيفتك أن تكمل في نفسك وهو علمك بربك وعملك لربك: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه: ١٣٠] وفي موضع آخر.

المسألة الثانية: التسبيح: التنزيه عما لا يليق به فما فائدة ذكر الاسم ولم يقل: فسبح بربك العظيم؟ فنقول الجواب عنه من وجهين: أحدهما: هو المشهور وهو أن الاسم مقحم، وعلى هذا الجواب فنقول: فيه فائدة زيادة التعظيم، لأن من عظم عظيمًا وبالغ في تعظيمه لم يذكر اسمه إلا وعظمه، فلا يذكر اسمه في موضع وضيع ولا على وجه الاتفاق كيفما اتفق، وذلك لأن من يعظم شخصًا عند حضوره ربما لا يعظمه عند غيبته فيذكره باسم عَلَمه، فإن كان بمحضر منه لا يقول ذلك، فإذا عظم عنده لا يذكره في حضوره وغيبته إلا بأوصاف العظمة، فإن قيل: فعلى هذا فما فائدة الباء وكيف صار ذلك، ولم يقل: فسبح اسم ربك العظيم، أو الرب العظيم، نقول: قد تقدم مرارًا أن الفعل إذا كان تعلقه بالمفعول ظاهرًا غاية الظهور لا يتعدى إليه بحرف فلا يقال: ضربت بزيد بمعنى ضربت زيدًا، وإذا كان في غاية الخفاء لا يتعدى إليه إلا بحرف فلا يقال: ذهبت زيدًا بمعنى ذهبت بزيد، وإذا كان بينهما جاز الوجهان فنقول: سبحته وسبحت به وشكرته وشكرت له، إذا ثبت هذا فنقول: لما علق التسبيح بالاسم وكان الاسم مقحمًا كان التسبيح في الحقيقة متعلقًا بغيره وهو الرب وكان التعلق خفيًّا من وجه فجاز ادخال الباء، فإن قيل: إذا جاز الإسقاط والإثبات فما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فنقول: هاهنا تقديم الدليل على العظمة أن يقال: الباء في قوله: ﴿بِٱسْمِ﴾ غير زائدة، وتقريره من وجهين: أحدهما: أنه لما ذكر الأمور وقال: نحن أم أنتم، فاعترف الكل بأن الأمور من الله، وإذا طولبوا بالوحدانية قالوا: نحن لا نشرك في المعنى وإنما نتخذ أصنامًا آلهة في الاسم ونسميها آلهة والذي خلقها وخلق السموات هو الله فنحن ننزهه في الحقيقة فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وكما أنك أيها العاقل اعترفت بعدم اشتراكهما في الحقيقة اعترف بعدم اشتراكهما في الاسم، ولا تقل لغيره إله، فإن الاسم يتبع المعنى والحقيقة، وعلى هذا فالخطاب

لا يكون مع النبي ﷺ بل يكون كما يقول الواعظ: يا مسكين أفنيت عمرك وما أصلحت عملك، ولا يريد أحدًا بعينه، وتقديره: يا أيها المسكين السامع، وثانيهما: أن يكون المراد بذكر ربك، أي إذا قلت: وتولوا، فسبح ربك بذكر اسمه بين قومك واشتغل بالتبليغ، والمعنى اذكره باللسان والقلب وبيِّن وصفه لهم وإن لم يقبلوا فإنك مقبل على شغلك الذي هو التبليغ، ولو قال: فسبح ربك، ما أفاد الذكر لهم، وكان ينبئ عن التسبيح بالقلب، ولما قال: فسبح باسم ربك، والاسم هو الذي يذكر لفظًا دل على أنه مأمور بالذكر اللساني وليس له أن يقتصر على الذكر القلبي، ويحتمل أن يقال: فسبح مبتدئًا باسم ربك العظيم فلا تكون الباء زائدة.

المسألة الثالثة: كيف يسبح ربنا؟ نقول: إما معنى، فبأن يعتقد فيه أنه واحد منزه عن الشريك وقادر بريء عن العجز فلا يعجز عن الحشر، وإما لفظًا فبأن يقال: سبحان الله وسبحان الله العظيم، وسبحانه عما يشركون، أو ما يقوم مقامه من الكلام الدال على تنزيهه عن الشريك والعجز فإنك إذا سبحته واعتقدت أنه واحد منزه عن كل مالا يجوز في حقيقته، لزم أن لا يكون جسمًا لأن الجسم فيه أشياء كثيرة وهو واحد حقيقي لا كثرة لذاته، ولا يكون عرضًا ولا في مكان، وكل مالا يجوز له ينتفي عنه بالتوحيد ولا يكون على شيء، ولا في شيء، ولا عن شيء، وإذا قلت: هو قادر ثبت له العلم والإرادة والحياة وغيرها من الصفات، وسنذكر ذلك في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله تعالى.

المسألة الرابعة: ما الفرق بين ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ وبين ﴿ٱلْأَعْلَى﴾، وهل في ذكر ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ هنا بدل ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ وذكر ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] بدل ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ فائدة؟ نقول: أما الفرق بين العظيم والأعلى فهو أن العظيم يدل على القرب، والأعلى يدل على البعد، بيانه هو أن ما عظم من الأشياء المدركة بالحس قريب من كل ممكن، لأنه لو بعد عنه لخلا عنه موضعه، فلو كان فيه أجزاء أخر لكان أعظم مما هو عليه فالعظيم بالنسبة إلى الكل هو الذي يقرب من الكل، وأما الصغير إذا قرب من جهة فقد بعد عن أخرى، وأما العلي فهو البعيد عن كل شيء لأن ما قرب من شيء من جهة فوق يكون أبعد منه وكان أعلى فالعلي المطلق بالنسبة إلى كل شيء هو الذي في غاية البعد عن كل شيء، إذا عرفت هذا فالأشياء المدركة تسبح الله، وإذا علمنا من الله معنى سلبيًا فصح أن نقول: هو أعلى من أن يحيط به إدراكنا وإذا علمنا منه وصفًا ثبوتيًا من علم وقدرة يزيد تعظيمه أكثر مما وصل إليه علمنا، فنقول: هو أعظم وأعلى من أن يحيط به علمنا، وقولنا: أعظم معناه عظيم لا عظيم مثله، ففيه مفهوم سلبي ومفهوم ثبوتي وقوله: أعلى، معناه هو علي ولا علي مثله، والعلي إشارة إلى مفهوم سلبي والأعلى مثله بسبب آخر، فالأعلى مستعمل على حقيقته لفظًا ومعنى، والأعظم مستعمل على حقيقته لفظًا، وفيه معنى سلبي، وكأن الأصل في العظيم مفهوم ثبوتي لا سلب فيه فالأعلى أحسن استعمالاً من الأعظم هذا هو الفرق.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في الترتيب ووجهه هو أن الله تعالى لما أرسل رسوله بالهدى ودين الحق آتاه كل ما ينبغي له وطهره عن كل مالا ينبغي له فآتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها، والموعظة الحسنة وهي الأمور المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور، والمجادلة التي هي على أحسن الطرق فأتى بها وعجز الكل عن معارضته بشيء ولم يؤمنوا والذي يتلى عليه كل ذلك ولا يؤمن لا يبقى له غير أنه يقول: هذا البيان ليس لظهور المدعى بل لقوة ذهن المدعي وقوته على تركيب الأدلة وهو يعلم أنه يغلب بقوة جداله لا بظهور مقاله وربما يقول أحد المناظرين للآخر عند انقطاعه: أنت تعلم أن الحق بيدي لكن تستضعفني ولا تنصفني وحينئذ لا يبقى للخصم جواب غير القسم بالأيمان التي لا مخارج عنها أنه غير مكابر وأنه منصف، وذلك لأنه لو أتى بدليل آخر لكان له أن يقول: وهذا الدليل أيضًا غلبتني فيه بقوتك وقدرتك، فكذلك النبي ﷺ لما آتاه الله جل وعز ما ينبغي قالوا: إنه يريد التفضل علينا وهو يجادلنا فيما يعلم خلافه، فلم يبق له إلا أن يقسم فأنزل الله تعالى عليه أنواعًا من القسم بعد الدلائل، ولهذا كثرت الأيمان في أوائل التنزيل وفي السبع الأخير خاصة.

المسألة الثانية: في تعلق الباء، نقول: إنه لما بيَّن أنه خالق الخلق والرزق وله العظمة بالدليل القاطع ولم يؤمنوا قال: لم يبق إلا القسم فأقسم بالله إني لصادق.

المسألة الثالثة: ما المعنى من قوله. ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ مع أنك تقول: إنه قسم؟ نقول: فيه وجوه منقولة ومعقولة غير مخالفة للنقل، أما المنقول فأحدها: أن (لا) زائدة مثلها في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩] معناه ليعلم، ثانيها: أصلها لأقسم بلام التأكيد أشبعت فتحتها فصارت لا كما في الوقف، ثالثها: لا نافية وأصله على مقالتهم والقسم بعدها كأنه قال: لا، والله لا صحة لقول الكفار أقسم عليه، أما المعقول فهو أن كلمة لا هي نافية على معناها غير أن في الكلام مجازًا تركيبيًا، وتقديره أن نقول: لا في النفي هنا كهي في قول القائل لا تسألني عما جرى علي، يشير إلى أن ما جرى عليه أعظم من أن يشرح فلا ينبغي أن يسأله فإن غرضه من السؤال لا يحصل ولا يكون غرضه من ذلك النهي إلا بيان عظمة الواقعة ويصير كأنه قال: جرى عليَّ أمر عظيم. ويدل عليه أن السامع يقول له ماذا جرى عليك ولو فهم من حقيقة كلامه النهي عن السؤال لما قال: ماذا جرى عليك، فيصح منه أن يقول: أخطأت حيث منعتك عن السؤال، ثم سألتني وكيف لا، وكثيرًا ما يقول ذلك القائل الذي قال: لا تسألني عند سكون صاحبه عن السؤال، أو لا تسألني، ولا تقول: ماذا جرى عليك ولا يكون للسامع أن يقول: إنك منعتني عن

السؤال كل ذلك تقرر في أفهامهم أن المراد تعظيم الواقعة لا النهي، إذا علم هذا فنقول في القسم: مثل هذا موجود من أحد وجهين إما لكون الواقعة في غاية الظهور فيقول: لا أقسم بأنه على هذا الأمر لأنه أظهر من أن يشهر، وأكثر من أن ينكر، فيقول: لا أقسم ولا يريد به القسم ونفيه، وإنما يريد الإعلام بأن الواقعة ظاهرة، وإما لكون المقسم به فوق ما يقسم به، والمقسم صار يصدق نفسه فيقول لا أقسم يمينًا بل ألف يمين، ولا أقسم برأس الأمير بل برأس السلطان ويقول: لا أقسم بكذا مريدًا لكونه في غاية الجزم، والثاني: يدل عليه أن هذه الصيغة لم ترد في القرآن والمقسم به هو الله تعالى أو صفة من صفاته، وإنما جاءت أمور مخلوقة، والأول لا يرد عليه إشكال إن قلنا: إن المقسم به في جميع المواضع رب الأشياء كما في قوله: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ﴾ [الصافات: ١] المراد منه رب الصافات ورب القيامة ورب الشمس إلى غير ذلك فإذًا قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي الأمر أظهر من أن يقسم عليه، وأن يتطرق الشك إليه.

المسألة الرابعة: مواقع النجوم ما هي؟ فنقول: فيه وجوه: الأول: المشارق والمغارب أو المغارب وحدها، فإن عندها سقوط النجوم، الثاني: هي مواضعها في السماء في بروجها ومنازلها، الثالث: مواقعها في اتباع الشياطين عند المزاحمة، الرابع: مواقعها يوم القيامة حين تنتثر النجوم، وأما مواقع نجوم القرآن، فهي قلوب عباده وملائكته ورسله وصالحي المؤمنين، أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها.

المسألة الخامسة: هل في اختصاص مواقع النجوم للقسم بها فائدة؟ قلنا: نعم فائدة جليلة، وبيانها أنا قد ذكرنا أن القسم بمواقعها كما هي قَسَمٌ كذلك هي من الدلائل، وقد بيناه في الذاريات، وفي الطور، وفي النجم، وغيرها، فنقول: هي هنا أيضًا كذلك، وذلك من حيث إن الله تعالى لما ذكر خلق الآدمي من المني وموته، بيَّن بإشارته إلى إيجاد الضدين في الأنفس قدرته واختياره، ثم لما ذكر دليلاً من دلائل الأنفس ذكر من دلائل الآفاق أيضًا قدرته واختياره، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ﴾ [الواقعة: ٦٨] إلى غير ذلك، وذكر قدرته على زرعه وجعله حطامًا، وخلقه الماء فراتًا عذبًا، وجعله أجاجًا، إشارة إلى أن القادر على الضدين مختار، ولم يكن ذكر من الدلائل السماوية شيئًا، فذكر الدليل السماوي في معرض القسم، وقال: مواقع النجوم، فإنها أيضًا دليل الاختيار، لأن كون كل واحد في موضع من السماء دون غيره من المواضع مع استواء المواضع في الحقيقة دليل فاعل مختار، فقال: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ ليس إلى البراهين النفسية والآفاقية بالذكر كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وهذا كقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] حيث ذكر الأنواع الثلاثة كذلك هنا، ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ والضمير عائد إلى القسم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ فإنه يتضمن ذكر المصدر، ولهذا توصف المصادر التي لم تظهر بعد

الفعل، فيقال: ضربته قويًا، **وفيه مسائل نحوية ومعنوية، أما النحوية:**

فالمسألة الأولى: هو أن يقال: جواب ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ ماذا، وربما يقول بعض من لا يعلم: إن جوابه ما تقدم وهو فاسد في جميع المواضع، لأن جواب الشرط لا يتقدم، وذلك لأن عمل الحروف في معمولاتها لا يكون قبل وجودها، فلا يقال: زيدًا إن قام ولا غيره من الحروف والسر فيه أن عمل الحروف مشبه بعمل المعاني، ويميز بين الفاعل والمفعول وغيرهما، فإذا كان العامل معنى لا موضع له في الحس فيعلم تقدمه وتأخر مدرك بالحس، جاز أن يقال: قائمًا ضربت زيد، أو ضربًا شديدًا ضربته، وأما الحروف فلها تقدم وتأخر مدرك بالحس فلم يمكن بعد علمنا بتأخرها فرض وجودها متقدمة بخلاف المعاني، إذا ثبت هذا فنقول: عمل حرف الشرط في المعنى إخراج كل واحدة من الجملتين عن كونها جملة مستقلة، فإذا قلت: من، وأن، لا يمكن إخراج الجملة الأولى عن كونها جملة بعد وقوعها جمل، ليعلم أن حرفها أضعف من عمل المعنى لتوقفه على عمله مع أن المعنى أمكن فرضه متقدمًا ومتأخرًا، وعمل الأفعال عمل معنوي، وعمل الحروف عمل مشبه بالمعنى، إذا ثبت هذا فنقول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا﴾ [يوسف: ٢٤] قال بعض الوعاظ متعلق بلولا: فلا يكون الهم وقع منه، وهو باطل لما ذكرنا، وهنا أدخل في البطلان، لأن المتقدم لا يصلح جزاء للمتأخر، فإن من قال: لو تعلمون إن زيدًا لقائم، لم يأت بالعربية، إذا تبين هذا فالقول يحتمل وجهين أحدهما: أن يقال: الجواب محذوف بالكلية لم يقصد بذلك جواب، وإنما يراد نفي ما دخلت عليه لو، وكأنه قال: وإنه لقسم لا تعلمون، وتحقيقه أن لو تذكر لامتناع الشيء لامتناع غيره، فلا بد من انتفاء الأول، فإدخال لو على تعلمون أفادنا أن علمهم منتف، سواء علمنا الجواب أو لم نعلم، وهو كقولهم في الفعل المتعدي فلان يعطى ويمنع، حيث لا يقصد به مفعول، وإنما يراد إثبات القدرة، وعلى هذا إن قيل: فما فائدة العدول إلى غير الحقيقة، وترك قوله: إنه لقسم ولا تعلمون؟ فنقول: فائدته تأكيد النفي، لأن من قال: لو تعلمون كان ذلك دعوى منه، فإذا طولب وقيل: لم قلت: إنا لا نعلم يقول: لو تعلمون لفعلتم كذا، فإذا قال في ابتداء الأمر: لا تعلمون كان مريدًا للنفي، فكأنه قال: أقول: إنكم لا تعلمون قولاً من غير تعلق بدليل وسبب، وثانيهما: أن يكون له جواب تقديره: لو تعلمون لعظمتموه لكنكم ما عظمتموه، فعلم أنكم لا تعلمون، إذ لو تعلمون لعظم في أعينكم، ولا تعظيم فلا تعلمون.

المسألة الثانية: إن قيل قوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ هل له مفعول أم لا؟ قلنا: على الوجه الأول لا مفعول له، كما في قولهم: فلان يعطي ويمنع، وكأنه قال: لا علم لكم، ويحتمل أن يقال: لا علم لكم بعظم القسم، فيكون له مفعول، والأول أبلغ وأدخل في الحسن، لأنهم لا يعلمون شيئًا أصلاً لأنهم لو علموا لكان أولى الأشياء بالعلم هذه الأمور الظاهرة بالبراهين القاطعة، فهو كقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ﴾ [البقرة: ١٨] وقوله: ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وعلى الثاني أيضًا

يحتمل وجهين أحدهما: لو كان لكم علم بالقسم لعظمتموه، وثانيهما: لو كان لكم علم بعظمته لعظمتموه.

المسألة الثالثة: كيف تعلق قوله تعالى: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بما قبله وما بعده؟ فنقول: هو كلام اعتراض في أثناء الكلام تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون لصدقتم، فإن قيل: فما فائدة الاعتراض؟ نقول: الاهتمام بقطع اعتراض المعترض، لأنه لما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ أراد أن يصفه بالعظمة بقوله: عظيم والكفار كانوا يجهلون ذلك ويدعون العلم بأمور النجم، وكانوا يقولون: لو كان كذلك فما باله لا يحصل لنا علم وظن، فقال: لو تعلمون لحصل لكم القطع، وعلى ما ذكرنا الأمر أظهر من هذا، وذلك لأنا قلنا: إن قوله: (لَآ أُقْسِمُ) معناه الأمر أوضح من أن يصدق بيمين، والكفار كانوا يقولون: أين الظهور ونحن نقطع بعدمه، فقال: لو تعلمون شيئًا لما كان كذلك، والأظهر منه أنا بينا أن كل ما جعله الله قسمًا فهو في نفسه دليل على المطلوب وأخرجه مخرج القسم، فقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ معناه عند التحقيق، وإنه دليل وبرهان قوي لو تعلمون وجهه لاعترفتم بمدلوله، وهو التوحيد والقدرة على الحشر، وذلك لأن دلالة اختصاص الكواكب بمواضعها في غاية الظهور ولا يلزم الفلاسفة دليل أظهر منه **وأما المعنوية:**

فالمسألة الأولى: ما المقسم عليه؟ نقول: فيه وجهان: الأول: القرآن كانوا يجعلونه تارة شعرًا وأخرى سحرًا وغير ذلك، وثانيهما: هو التوحيد والحشر وهو أظهر، وقوله: ﴿لَقُرْءَانٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] ابتداء كلام وسنبين ذلك.

المسألة الثانية: ما الفائدة في وصفه بالعظيم في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ فنقول: لما قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ وكان معناه: لا أقسم بهذا لوضوح المقسم به عليه. قال: لست تاركًا للقسم بهذا، لأنه ليس بقسم أو ليس بقسم عظيم، بل هو قسم عظيم ولا أقسم به، بل بأعظم منه أقسم لجزمي بالأمر وعلمي بحقيقته.

المسألة الثالثة: اليمين في أكثر الأمر توصف بالمغلظة والعظم، يقال: في المقسم حلف فلان بالأيمان العظام، ثم تقول في حقه يمين مغلظة لأن آثامها كبيرة. وأما في حق الله عز وجل فبالعظيم وذلك هو المناسب، لأن معناه هو الذي قرب قوله من كل قلب وملأ الصدر بالرعب لما بينا أن معنى العظيم فيه ذلك، كما أن الجسم العظيم هو الذي قرب من أشياء عظيمة وملأ أماكن كثيرة من العظم، كذلك العظيم الذي ليس بجسم قرب من أمور كثيرة، وملأ صدورًا كثيرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد إلى ماذا؟ فنقول: فيه وجهان

أحدهما: إلى معلوم وهو الكلام الذي أنزل على محمد ﷺ وكان معروفًا عند الكل، وكان الكفار يقولون: إنه شعر وإنه سحر، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ عائد إلى مذكور وهو جميع ما سبق في سورة الواقعة من التوحيد، والحشر، والدلائل المذكورة عليهما، والقسم الذي قال فيه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]وذلك لأنهم قالوا: هذا كله كلام محمد ومخترع من عنده، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾.

المسألة الثانية: القرآن مصدر أو اسم غير مصدر؟ فنقول: فيه وجهان: أحدهما: مصدر أريد به المفعول وهو المقروء، ومثله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] وهذا كما يقال في الجسم العظيم: انظر إلى قدرة الله تعالى أي مقدوره وهو كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى﴾ [لقمان: ١١] ثانيهما: اسم لما يقرأ كالقربان لما يتقرب به، والحلوان لما يحلى به فم المكاري أو الكاهن، وعلى هذا سنبين فساد قول من رد على الفقهاء قولهم في باب الزكاة: يعطى شيئًا أعلى مما وجب ويأخذ الجبران أو يعطى شيئًا دونه، ويعطى الجبران أيضًا، حيث قال: الجبران مصدر لا يؤخذ ولا يعطى، فيقال له هو كالقرآن بمعنى المقروء، ويجوز أن يقال لما أُخِذَ: جابر أو مجبور أو يقال: هو اسم لما يجبر به كالقربان.

المسألة الثالثة: إذا كان هذا الكلام للرد على المشركين فهم ما كانوا ينكرون كونه مقروءًا فما الفائدة في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾؟ نقول فيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار عن الكل وهو قوله: قرآن كريم فهم كانوا ينكرون كونه قرآنًا كريمًا وهم ما كانوا يقرون به، وثانيهما: وهو أحسن من الأول، أنهم قالوا: هو مخترع من عنده وكان النبي ﷺيقول: إنه مسموع سمعته وتلوته عليكم فما كان القرآن عندهم مقروءًا، وما كانوا يقولون: إن النبي ﷺيقرأ القرآن وفرق بين القراءة والإنشاء، فلما قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ أثبت كونه مقروءًا على النبي ﷺليقرأ ويتلى فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ سماه قرآنًا لكثرة ما قرئ، ويقرأ إلى الأبد بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة.

المسألة الرابعة: قوله: ﴿ كَرِيمٌ﴾ فيه لطيفة؟ وهي أن الكلام إذا قرئ كثيرًا يهون في الأعين والآذان، ولهذا ترى من قال شيئًا في مجلس الملوك لا يذكره ثانيًا، ولو قيل فيه: يقال لقائله لم تكرر هذا، ثم إنه تعالى لما قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ أي مقروء قرئ ويقرأ، قال: ﴿ كَرِيمٌ﴾ أي لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري، ومن هنا يقع أن يوصف القرآن بالحديث مع أنه قديم يستمد من هذا مددًا فهو قديم يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة، وما قرع سمع الجماعة لأن الملائكة الذين علموه قبل النبي بألوف من السنين إذا سمعوه من أحدنا يتلذذون به التذاذ السامع بكلام جديد لم يذكر له من قبل، والكريم اسم جامع لصفات المدح، قيل: الكريم هو الذي كان طاهر الأصل ظاهر الفضل، حتى إن من أصله غير زكي لا يقال له: كريم مطلقًا، بل يقال له: كريم في نفسه، ومن يكون زكي الأصل غير زكي النفس لا يقال له: كريم إلا مع تقييد، فيقال: هو كريم الأصل لكنه خسيس في نفسه، ثم إن السخي المجرد هو

الذي يكثر عطاؤه للناس، أو يسهل عطاؤه ويسمى كريمًا، وإن لم يكن له فضل آخر لا على الحقيقة ولكن ذلك لسبب، وهو أن الناس يحبون من يعطيهم، ويفرحون بمن يعطى أكثر مما يفرحون بغيره، فإذا رأوا زاهدًا أو عالمًا لا يسمونه كريمًا، ويؤيد هذا أنهم إذا رأوا واحدًا لا يطلب منهم شيئًا يسمونه كريم النفس لمجرد تركه الاستعطاء لما أن الأخذ منهم صعب عليهم وهذا كله في العادة الرديئة، وأما في الأصل فيقال: الكريم هو الذي استجمع فيه ما ينبغي من طهارة الأصل وظهور الفضل، ويدل على هذا أن السخي في معاملته ينبغي أن لا يوجد منه ما يقال بسببه إنه لئيم، فالقرآن أيضًا كريم بمعنى طاهر الأصل ظاهر الفضل لفظه فصيح، ومعناه صحيح لكن القرآن أيضًا كريم على مفهوم العوام فإن كل من طلب منه شيئًا أعطاه، فالفقيه يستدل به ويأخذ منه، والحكيم يستمد به ويحتج به، والأديب يستفيد منه ويتقوى به، والله تعالى وصف القرآن بكونه كريمًا، وبكونه عزيزًا، وبكونه حكيمًا، فلكونه كريمًا كل من أقبل عليه نال منه ما يريده فإن كثيرًا من الناس لا يفهم من العلوم شيئًا وإذا اشتغل بالقرآن سهل عليه حفظه، وقلما يرى شخص يحفظ كتابًا يقرؤه بحيث لا يغير منه كلمة بكلمة، ولا يبدل حرفًا بحرف وجميع القراء يقرأون القرآن من غير توقف ولا تبديل، ولكونه عزيزًا أن كل من يعرض عنه لا يبقى معه منه شيء، بخلاف سائر الكتب، فإن من قرأ كتابًا وحفظه ثم تركه يتعلق بقلبه معناه حتى ينقله صحيحًا، والقرآن من تركه لا يبقى معه منه شيء لعزته ولا يثبت عند من لا يلزمه بالحفظ، ولكونه حكيمًا من اشتغل به وأقبل عليه بالقلب أغناه عن سائر العلوم. وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ جعله شيئًا مظروفًا بكتاب فما ذلك؟ نقول فيه وجهان: أحدهما: المظروف: القرآن، أي هو قرآن في كتاب، كما يقال: فلان رجل كريم في بيته، لا يشك السامع أن مراد القائل: أنه في الدار قاعد ولا يريد به أنه كريم إذا كان في الدار، وغير كريم إذا كان خارجًا ولا يشك أيضًا أنه لا يريد به أنه كريم في بيته، بل المراد أنه رجل كريم وهو في البيت، فكذلك هاهنا أن القرآن كريم وهو في كتاب، أو المظروف كريم على معنى أنه كريم في كتاب، كما يقال: فلان رجل كريم في نفسه، فيفهم كل أحد أن القائل لم يجعله رجلاً مظروفًا، فإن القائل: لم يرد أنه رجل في نفسه قاعد أو نائم، وإنما أراد به أنه كريم كرمه في نفسه، فكذلك قرآن كريم فالقرآن كريم في اللوح المحفوظ وإن لم يكن كريمًا عند الكفار، ثانيهما: المظروف هو مجموع قوله تعالى: (لقرآن كريم) أي هو كذا في كتاب كما يقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩] في كتاب الله تعالى، والمراد حينئذ أنه في اللوح المحفوظ نعته مكتوب: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ والكل صحيح، والأول أبلغ في التعظيم بالمقروء السماوي.

المسألة الخامسة: ما المراد من الكتاب؟ نقول فيه وجوه: الأول: وهو الأصح أنه اللوح المحفوظ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: ٢٠، ٢١]، الثاني: الكتاب هو المصحف، الثالث: كتاب من الكتب المنزلة فهو قرآن في التوراة والإنجيل وغيرهما

فإن قيل: كيف سمي الكتاب كتابًا والكتاب فعال، وهو إذا كان للواحد فهو إما مصدر كالحساب والقيام وغيرهما، أو اسم لما يكتب كاللباس واللثام وغيرهما، فكيفما كان فالقرآن لا يكون في كتاب بمعنى المصدر، ولا يكون في مكتوب، وإنما يكون مكتوبًا في لوح أو ورق، فالمكتوب لا يكون في الكتاب، إنما يكون في القرطاس، نقول: ما ذكرت من الموازين يدل على أن الكتاب ليس المكتوب ولا هو المكتوب فيه أو المكتوب عليه، فإن اللثام ما يلثم به، والصوان ما يصان فيه الثوب، لكن اللوح لما لم يكن إلا الذي يكتب فيه صح تسميته كتابًا.

المسألة السادسة: المكنون: هو المستور، قال الله تعالى: ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]، قال: ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] فإن كان المراد من الكتاب اللوح فهو ليس بمستور وإنما الشيء فيه منشور، وإن كان المراد هو المصحف فعدم كونه مكتوبًا مستورًا، فكيف الجواب عنه؟ فنقول: المكنون المحفوظ إذا كان غير عزيز يحفظ بالعين، وهو ظاهر للناس فإذا كان شريفًا عزيزًا لا يكتفي بالصون والحفظ بالعين بل يستر عن العيون، ثم كلما تزداد عزته يزداد ستره فتارة يكون مخزونًا ثم يجعل مدفونًا، فالستر صار كاللازم للصون البالغ فقال: ﴿مَّكْنُونٍ﴾ أي محفوظ غاية الحفظ، فذكر اللازم وأراد الملزوم وهو باب من الكلام الفصيح تقول مثلاً: فلان كبريت أحمر، أي قليل الوجود، والجواب الثاني: إن اللوح المحفوظ مستور عن العين لا يطلع عليه إلا ملائكة مخصوصون، ولا ينظر إليه إلا قوم مطهرون، وأما القرآن فهو مكتوب مستور أبد الدهر عن أعين المبدلين، مصون عن أيدي المحرفين، فإن قيل: فما فائدة كونه ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ وكل مقروء في كتاب؟ نقول: هو لتأكيد الرد على الكفار لأنهم كانوا يقولون: إنه مخترع من عنده مفترى، فلما قال: مقروء عليه اندفع كلامهم، ثم إنهم قالوا: إن كان مقروءًا عليه فهو كلام الجن فقال: ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ أي لم ينزل به عليه الملك إلا بعدما أخذه من كتاب فهو ليس بكلام الملائكة فضلاً أن يكون كلام الجن، وأما إذا قلنا: إذا كان كريمًا فهو في كتاب، ففائدته ظاهرة، وأما فائدة كونه في كتاب مكنون فيكون ردًا على من قال: إنه أساطير الأولين في كتب ظاهرة، أي فلم لا يطالعها الكفار، ولم لا يطلعون عليه لا بل هو ﴿فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، فإذا بين فيما ذكرنا أن وصفه بكونه قرآنًا صار ردًا على من قال: يذكره من عنده، وقوله: ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ رد على من قال: يتلوه عليه الجن حيث اعترف بكونه مقروءًا ونازع في شيء آخر، وقوله: ﴿مَّكْنُونٍ﴾ رد على من قال: إنه مقروء في كتاب لكنه من أساطير الأولين.

المسألة السابعة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ الضمير عائد إلى الكتاب على الصحيح، ويحتمل أن يقال: هو عائد إلى ما عاد إليه المضمر من قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ ومعناه: لا يمس القرآن إلا المطهرون، والصيغة إخبار، لكن الخلاف في أنه هل هو بمعنى النهي، كما أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] إخبار بمعنى الأمر، فمن قال: المراد من الكتاب اللوح المحفوظ، وهو الأصح على ما بينا، قال: هو إخبار معنى كما هو إخبار لفظًا، إذا قلنا: إن المضمر في

﴿يَمَسُّهُۥٓ﴾ للكتاب، ومن قال: المراد المصحف اختلف في قوله، وفيه وجه ضعيف نقله ابن عطية أنه نهي لفظًا ومعنى وجلبت إليه ضمة الهاء لا للإعراب ولا وجه له.

المسألة الثامنة: إذا كان الأصح أن المراد من الكتاب اللوح المحفوظ، فالصحيح أن الضمير في ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ للكتاب، فكيف يصح قول الشافعي رحمة الله تعالى عليه: لا يجوز مس المصحف للمحدث، نقول: الظاهر أنه ما أخذه من صريح الآية ولعله أخذه من السنة فإن النبي ﷺ كتب إلى عمرو بن حزم: «**لاَ يَمَسُّ الْقُرْآنَ مَنْ هُوَ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ**»(١) أو أخذه من الآية على طريق الاستنباط، وقال: إن المس بطهر صفة من الصفات الدالة على التعظيم والمس بغير طهور نوع إهانة في المعنى، وذلك لأن الأضداد ينبغي أن تقابل بالأضداد، فالمس بطهر في مقابلة المس على غير طهر، وترك المس خروج عن كل واحدة منهما فكذلك الإكرام في مقابلة الإهانة وهناك شيء لا إكرام ولا إهانة فنقول: إن من لا يمس المصحف لا يكون مكرمًا ولا مهينًا وبترك المس خرج عن الضدين ففي المس على الطهر التعظيم، وفي المس على الحدث الإهانة فلا تجوز وهو معنى دقيق يليق بالشافعي رحمه الله ومن يقرب منه في الدرجة.

ثم إن هاهنا لطيفة فقهية لاحت لهذا الضعيف في حال تفكره في تفسير هذه الآية فأراد تقييدها هنا فإنها من فضل الله فيجب علي إكرامها بالتقييد بالكتاب، وهي أن الشافعي رحمه الله منع المحدث والجنب من مس المصحف وجعلهما غير مطهرين ثم منع الجنب عن قراءة القرآن ولم يمنع المحدث وهو استنباط منه من كلام الله تعالى، وذلك لأن الله تعالى منعه عن المسجد بصريح قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ [النساء: ٤٣] فدل ذلك على أنه ليس أهلاً للذكر لأنه لو كان أهلاً للذكر لما منعه من دخول المسجد لأنه تعالى أذن لأهل الذكر في الدخول بقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦] الآية، والمأذون في الذكر في المسجد مأذون في دخول المسجد ضرورة فلو كان الجنب أهلاً للذكر لما كان ممنوعًا عن دخول المسجد والمكث فيه وأنه ممنوع عنهما وعن أحدهما، وأما المحدث فعلم أنه غير ممنوع عن دخول المسجد فإن من الصحابة من كان يدخل المسجد وجوز النبي ﷺ نوم القوم في المسجد وليس النوم حدثًا إذ النوم الخاص يلزمه الحكم بالحدث على اختلاف بين الأئمة وما لم يكن ممنوعًا من دخول

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه مالك في (الموطأ) (١/ ١٩٩/ ٤٦٩) من طريق عبد الله بن أبي بكر بن حزم... به وعبد الرزاق في (مصنفه) (١/ ٣٤١) حديث رقم (١٣٢٨) وقال: رواه الطبراني في (الكبير والأوسط) وفيه سويد أبو حاتم ضعفه النسائي وابن معين في رواية ووثقه في رواية وقال أبو زرعة: ليس بالقوي حديثه حديث أهل الصدق، واللالكائي في (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (١/ ٢٢٢) حديث رقم (٥٧٢) وأورده شيخنا الألباني رحمه الله تعالى في كتاب (الإرواء) (١/ ١٥٨/ ١٢٢) وقال: رواه الأثرم والدارقطني متصلاً واحتج به أحمد وهو لمالك في (الموطأ) مرسلاً، أما حديث عمرو بن حزم فهو ضعيف فيه سليمان بن أرقم وهو ضعيف جدًا وقد أخطأ بعض الرواة فسماه سليمان بن داود وهو الخولاني وهو ثقة وبناء عليه توهم العلماء صحته وإنما هو ضعيف من أجل ابن أرقم هذا. اهـ وصحح الشيخ الحديث وقال في (الإرواء) (صحيح) ولعله لكثرة شواهده وطرقه فقد جاء من حديث عمرو بن حزم وحكيم بن حزام وابن عمر وعثمان بن أبي العاص.

المسجد لم يثبت كونه غير أهل للذكر فجاز له القراءة، فإن قيل: وكان ينبغي أن لا يجوز للجنب أن يسبح ويستغفر لأنه ذكر، نقول: القرآن هو الذكر المطلق قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] وقوله: ﴿يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ مع أنا نعلم أن المسجد يسمى مسجدًا، ومسجد القوم محل السجود والمراد منه الصلاة، والذكر الواجب في الصلاة هو القرآن، فالقرآن مفهوم من قوله: ﴿يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، ومن حيث المعقول هو أن غير القرآن ربما يذكر مريدًا به معناه فيكون كلامًا غير ذكرًا، فإن من قال: أستغفر الله أخبر عن نفسه بأمر، ومن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كذلك أخبر عن أمر كائن بخلاف من قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فإنه ليس بمتكلم به بل هو قائل له غير آمر لغيره بالقول، فالقرآن هو الذكر الذي لا يكون إلا على قصد الذكر لا على قصد الكلام فهو المطلق وغيره قد يكون ذكرًا، وقد لا يكون، فإن قيل: فإذا قال: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الحجر: ٤٦] وأراد الإخبار ينبغي أن لا يكون قرآنًا وذكرًا، نقول: هو في نفسه قرآن، ومن ذكره على قصد الإخبار، وأراد الأمر والإذن في الدخول يخرج عن كونه قارئًا للقرآن، وإن كان لا يخرج عن كونه قرآنًا، ولهذا نقول نحن ببطلان صلاته ولو كان قارئًا لما بطلت، وهذا جواب فيه لطف ينبغي أن يتنبه له المطالع لهذا الكتاب، وذلك من حيث إني فرقت بين أن يقال ليس قول القائل: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ على قصد الإذن قرآنًا، وبين قوله: ليس القائل ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ على غير قصد بقارئ للقرآن، وأما الجواب من حيث المعقول فهو أن العبادة على منافاة الشهوة، والشهوة إما شهوة البطن، وإما شهوة الفرج في أكثر الأمر، فإن أحدًا لا يخلو عنهما، وإن لم يشته شيئًا آخر من المأكول والمشروب والمنكوح، لكن شهوة البطن قد لا تبقى شهوة بل تصير حاجة عند الجوع وضرورة عند الخوف، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١] أي لا يكون لحاجة ولا ضرورة بل لمجرد الشهوة وقد بيناه في هذه السورة، وأما شهوة الفرج فلا تخرج عن كونها شهوة وإن خرجت تكون في محل الحاجة لا الضرورة، فلا يعلم أن شهوة الفرج ليست شهوة محضة، والعبادة فيها منضمة للشهوة، فلم تخرج شهوة الفرج عن كونها عبادة بدنية قط بل حكم الشارع ببطلان الحج به، وببطلان الصوم والصلاة، وأما قضاء شهوة البطن فلما لم يكن شهوة مجردة بطل به الصلاة والصوم دون الحج، وربما لم تبطل به الصلاة أيضًا، إذا ثبت هذا فنقول: خروج الخارج دليل قضاء الشهوة البطنية، وخروج المني دليل قضاء الشهوة الفرجية، فواجب بهما تطهير النفس، لكن الظاهر والباطن متحاذيان، فأمر الله تعالى بتطهير الظاهر عند الحدث والإنزال لموافقه الباطن، والإنسان إذا كان له بصيرة وينظر في تطهير باطنه عند الاغتسال للجنابة، فإنه يجد خفة ورغبة في الصلاة والذكر وهنا تتمة لهذه اللطيفة وهي أن قائلًا لو قال: لو صح قولك للزم أن يجب الوضوء بالأكل كما يجب بالحدث لأن الأكل قضاء الشهوة، وهذا كما أن الاغتسال لما وجب بالإنزال، لكونه دليل قضاء الشهوة، وكذا بالإيلاج لكونه قضاء بالإيلاج، فكذلك الإحداث والأكل فنقول: هاهنا سر مكنون وهو ما بيناه أن الأكل

قد يكون لحاجة وضرورة فنقول: الأكل لا يعلم كونه للشهوة إلا بعلامة، فإذا أحدث علم أنه أكل ولا يعلم كونه للشهوة وأما الإيلاج فلا يكون للحاجة ولا يكون للضرورة فهو شهوة كيفما كان، فناط الشارع إيجاب التطهير بدليلين: أحدهما: قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ» (١) فإن الإنزال كالإحداث، وكما أن الحدث هو الخارج وهو أصل في إيجاب الوضوء، كذلك ينبغي أن يكون الإنزال الذي هو الخروج هو الأصل في إيجاب الغسل فإن عنده يتبين قضاء الحاجة والشهوة فإن الإنسان بعد الإنزال لا يشتهي الجماع في الظاهر، وثانيهما: ما روي عنه ﷺ: «الْوُضُوءُ مِنْ أَكْلِ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ» (٢) فإن ذلك دليل قضاء الشهوة كما أن خروج الحدث دليله، وذلك لأن المضطر لا يصبر إلى أن يستوي الطعام بالنار بل يأكل كيفما كان، فأكل الشيء بعد الطبخ دليل على أنه قاض به الشهوة لا دافع به الضرورة، ونعود إلى الجواب عن السؤال ونقول: إذا تبين هذا فالشافعي رضي الله عنه قضى بأن شهوة الفرج شهوة محضة، فلا تجامع العبادة الجنابة، فلا ينبغي أن يقرأ الجنب القرآن، والمحدث يجوز له أن يقرأ لأن الحدث ليس يكون عن شهوة محضة.

المسألة التاسعة: قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ هم الملائكة طهرهم الله في أول أمرهم وأبقاهم كذلك طول عمرهم ولو كان المراد نفي الحدث لقال: لا يمسه إلا المتطهرون أو المطَّهِّرون، بتشديد الطاء والهاء، والقراءة المشهورة الصحيحة ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من التطهير لا من الاطهار، وعلى هذا يتأيد ما ذكرنا من وجه آخر، وذلك من حيث إن بعضهم كان يقول: هو من السماء ينزل به الجن ويلقيه عليه كما كانوا يقولون في حق الكهنة فإنهم كانوا يقولون: النبي ﷺ كاهن، فقال: لا يمسه الجن وإنما يمسه المطهرون الذين طهروا عن الخبث، ولا يكونون محلاً للإفساد والسفك، فلا يفسدون ولا يسفكون، وغيرهم ليس بمطهر على هذا الوجه، فيكون هذا ردًا على القائلين: بكونه مفتريًا، وبكونه شاعرًا، وبكونه مجنونًا بمس الجن، وبكونه كاهنًا، وكل ذلك قولهم والكل رد عليهم بما ذكر الله تعالى هاهنا من أوصاف كتاب الله العزيز.

المسألة العاشرة: قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مصدر، والقرآن الذي في كتاب ليس تنزيلاً إنما هو منزل كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] نقول: ذكر المصدر وإرادة

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي في كتاب (الطهارة) باب (الذي يحتلم ولا يرى الماء) (١/ ١٢٤) حديث رقم (١٩٩) من طريق سفيان به، وابن ماجه في كتاب (الطهارة) باب: (الماء من الماء) (١/ ١٩٩) حديث رقم (٦٠٧) من طريق سفيان... به وأحمد في (مسنده) (٥/ ٤١٦) والدارمي في كتاب (الطهارة) باب (الماء من الماء) (١/ ١٩٣) حديث رقم (٧٥٨) كلاهما (سفيان، ابن جريج) عن عمرو بن دينار... به.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم في كتاب (الحيض) باب (الوضوء مما مست النار) (١/ ٢٧٢) حديث رقم (٣٥٠) من طريق عبد الملك بن شعيب بن الليث عن أمية عن جده عن عقيل بن خالد... به والنسائي في كتاب (الطهارة) باب (الوضوء مما غيرت النار) (١/ ١٨٥) حديث رقم (١٧١) من طريق معمر عن الزهري... به وأحمد في (مسنده) (٢/ ٢٦٥) من طريق عبد الرزاق عن معمر... به كلاهما (عقيل بن خالد، ومعمر) عن ابن شهاب... به جميعًا من طريق ابن شهاب عن عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن قارظ عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ (توضئوا مما مست النار).

المفعول كثير كما قلنا في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١] فإن قيل: ما فائدة العدول عن الحقيقة إلى المجاز في هذا الموضع؟ فنقول: التنزيل والمنزل كلاهما مفعولان ولهما تعلق بالفاعل، لكن تعلق الفاعل بالمصدر أكثر، وتعلق المفعول عبارة عن الوصف القائم به، فنقول: هذا في الكلام، فإن كلام الله أيضًا وصف قائم بالله عندنا، وإنما نقول: من حيث الصيغة واللفظ، ولك أن تنظر في مثال آخر ليتيسر لك الأمر من غير غلط وخطأ في الاعتقاد، فنقول: في القدرة والمقدور تعلق القدرة بالفاعل أبلغ من تعلق المقدور، فإن القدرة في القادر والمقدور ليس فيه، فإذا قال: هذا قدرة الله تعالى كان له من العظمة مالا يكون في قوله: هذا مقدور الله، لأن عظمة الشيء بعظمة الله، فإذا جعلت الشيء قائمًا بالتعظيم غير مباين عنه كان أعظم، وإذا ذكرته بلفظ يقال مثله فيما لا يقوم بالله وهو المفعول به كان دونه، فقال: ﴿تَنزِيلٌ﴾ ولم يقل: منزل، ثم إن هاهنا: بلاغة أخرى وهي أن المفعول قد يذكر ويراد به المصدر على ضد ما ذكرنا، كما في قوله: ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] أي دخول صدق أو إدخال صدق، وقال تعالى: ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ٧] أي تمزيق، فالممزق بمعنى التمزيق، كالمنزل بمعنى التنزيل، وعلى العكس سواء، وهذه البلاغة هي أن الفعل لا يرى، والمفعول به يصير مرئيًا، والمرئي أقوى في العلم، فيقال: مزقهم تمزيقًا وهو فعل معلوم لكل أحد علمًا بينًا يبلغ درجة الرؤية ويصير التمزق هنا كما صار الممزق ثابتًا مرئيًا، والكلام يختلف بمواضع الكلام، ويستخرج الموفق بتوفيق الله، وقوله: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أيضًا لتعظيم القرآن، لأن الكلام يعظم بعظمة المتكلم، ولهذا يقال لرسول الملك هذا كلام الملك أو كلامك، وهذا كلام الملك الأعظم أو كلام الملك الذي دونه، إذا كان الرسول رسول ملوك، فيعظم الكلام بقدر عظمة المتكلم، فإذا قال: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تبين منه عظمة لا عظمة مثلها وقد بينا تفسير العالم وما فيه من اللطائف، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾ رد على طائفة أخرى، وهم الذين يقولون: إنه في كتاب ولا يمسه إلا المطهرون وهم الملائكة، لكن المَلَك يأخذ ويعلم الناس من عنده ولا يكون من الله تعالى، وذلك أن طائفة من الروافض يقولون: إن جبرائيل أنزل على علي، فنزل على محمد، فقال تعالى: هو من الله ليس باختيار الملك أيضًا، وعند هذا تبين الحق فعاد إلى توبيخ الكفار.

قوله تعالى: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: (هَٰذَا) إشارة إلى ماذا؟ فنقول: المشهور أنه إشارة إلى القرآن وإطلاق الحديث في القرآن على الكلام القديم كثير بمعنى كونه اسمًا لا وصفًا فإن الحديث اسم لما يتحدث به، ووصف يوصف به ما يتجدد، فيقال: أمر حادث ورسم حديث أي جديد، ويقال: أعجبني حديث فلان وكلامه وقد بينا أن القرآن قديم له لذة الكلام الجديد، والحديث الذي لم

يسمع، الوجه الثاني: أنه إشارة إلى ما تحدثوا به من قبل في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧-٤٨] وذلك لأن الكلام مستقل منتظم فإنه تعالى رد عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٩] وذكر الدليل عليهم بقوله: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الواقعة: ٥٧] وبقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] وأقسم بعد إقامة الدلائل بقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ [الواقعة: ٧٥] وبين أن ذلك كله إخبار من الله بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] ثم عاد إلى كلامهم، وقال: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الذي تتحدثون به ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ لأصحابكم تعلمون خلافه وتقولونه، أم أنتم به جازمون، وعلى الإصرار عازمون، وسنبين وجهه بتفسير المدهن، وفيه وجهان: أحدهما: أن المدهن المراد به المكذب، قال الزجاج: معناه أفبالقرآن أنتم تكذبون، والتحقيق فيه أن الإدهان: تليين الكلام لاستمالة السامع من غير اعتقاد صحة الكلام من المتكلم كما أن العدو إذا عجز عن عدوه يقول له أنا داع لك ومثن عليك مداهنة وهو كاذب، فصار استعمال المدهن في المكذب استعمالاً ثانيًا وهذا إذا قلنا: إن الحديث هو القرآن، والوجه الثاني: المدهن هو الذي يلين في الكلام ويوافق باللسان وهو مصر على الخلاف فقال: ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ فمنهم من يقول: إن النبي كاذب، وإن الحشر محال وذلك لما هم عليه من حب الرياسة، وتخافون أنكم إن صدقتم ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر يفوت عليكم من كسبكم ما تربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الرسل، والأول عليه أكثر المفسرين، لكن الثاني مطابق لصريح اللفظ فإن الحديث بكلامهم أولى وهو عبارة عن قولهم: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧] والمدهن يبقى على حقيقته فإنهم ما كانوا مدهنين بالقرآن، وقول الزجاج: مكذبون جاء بعده صريحًا. وأما قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ففيه وجوه: الأول: تجعلون شكر النعم أنكم تقولون: مطرنا بنوء كذا، وهذا عليه أكثر المفسرين، الثاني: تجعلون معاشكم وكسبكم تكذيب محمد، يقال: فلان قطع الطريق معاشه، والرزق في الأصل مصدر سمي به ما يرزق، يقال للمأكول رزق، كما يقال للمقدور قدرة، والمخلوق خلق، وعلى هذا فالتكذيب مصدر قصد به ما كانوا يحصلون به مقاصدهم، وأما قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ فعلى الأول المراد تكذيبهم بما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وغير ذلك، وعلى الثاني المراد جميع ما صدر منهم من التكذيب، وهو أقرب إلى اللفظ.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المراد من كلمة: (لولا) معنى هلا من كلمات التحضيض وهي أربع

كلمات: لولا، ولوما، وهلا، وألا، ويمكن أن يقال: أصل الكلمات لم لا، على السؤال كما يقول القائل: إن كنت صادقًا فلم لا يظهر صدقك، ثم إنما قلنا: الأصل لم لا لكونه استفهامًا أشبه قولنا: هلا، ثم إن الاستفهام تارة يكون عن وجود شيء وأخرى عن سبب وجوده، فيقال: هل جاء زيد ولم جاء، والاستفهام بهل قبل الاستفهام بلم، ثم إن الاستفهام قد يستعمل للإنكار وهو كثير، ومنه قوله تعالى هاهنا: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾[الواقعة: ٨١] وقوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ﴾[الصافات: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[الصافات: ٨٦] ونظائرها كثيرة، وقد ذكرنا لك الحكمة فيه، وهي أن النافي والناهي لا يأمر أن يكذب المخاطب فعرض بالنفي لئلا يحتاج إلى بيان النفي، إذا ثبت هذا فالاستفهام (بِهَلْ) لإنكار الفعل، والاستفهام (بِلَمَ) لإنكار سببه، وبيان ذلك أن من قال: لم فعلت كذا، يشير إلى أنه لا سبب للفعل، ويقول: كان الفعل وقع من غير سبب الوقوع، وهو غير جائز، وإذا قال: هل فعلت، ينكر نفس الفعل لا الفعل من غير سبب، وكأنه في الأول يقول: لو وجد للفعل سبب لكان فعله أليق، وفي الثاني يقول: الفعل غير لائق ولو وجد له سبب.

المسألة الثانية: إن كل واحد منهما يقع في صدر الكلام، ويستدعي كلامًا مركبًا من كلامين في الأصل، أما في (هَلْ) فلأن أصلها أنك تستعملها في جملتين، فتقول: هل جاء زيد أو ما جاء، لكنك ربما تحذف أحديهما، وأما في (لَوْ) فإنك تقول: لو كان كذا لكان كذا، وربما تحذف الجزاء كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾[الواقعة: ٧٦] لأنه يشير بلو إلى أن المنفي له دليل، فإذا قال القائل: لو كنتم تعلمون، وقيل له: لم لا يعلمون، قال: إنهم لو يعلمون لفعلوا كذا، فدليله مستحضر إن طولب به بَيَّنَه وإذا ثبت أن النفي بلو، والنفي بهل، أبلغ من النفي بلا، والنفي بقوله: لم، وإن كان بينهما اشتراك معنى ولفظًا وحكمًا وصارت كلمات التحضيض وهي: لو ما، ولولا، وهلا وألا، كما تقول: لم لا، فإذن قول القائل: هل تفعل وأنت عنه مستغن، كقوله: لم تفعل وهو قبيح، وقوله: وهلا تفعل وأنت إليه محتاج، وألا تفعل وأنت إليه محتاج، وقوله: لولا، ولوما، كقوله: لم لا تفعل، ولم لا فعلت، فقد وجد في (ألا) زيادة نص، لأن نقل اللفظ لا يخلو من نص، كما أن المعنى صار فيه زيادة ما، على ما في الأصل كما بيناه، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي لم لا يقولون عند الموت وهو وقت ظهور الأمور وزمان اتفاق الكلمات، ولو كان ما يقولونه حقًّا ظاهرًا كما يزعمون لكان الواجب أن يشركوا عند النزع، وهذا إشارة إلى أن كل أحد يؤمن عند الموت لكن لم يقبل إيمان من لم يؤمن قبله، فإن قيل: ما سمع منهم الاعتراف وقت النزع بل يقولون: نحن نكذب الرسل أيضًا وقت بلوغ النفس إلى الحلقوم ونموت عليه؟ فنقول: هذه الآية بعينها إشارة وبشارة، أما الإشارة فإلى الكفار، وأما البشارة فللرسل، أما الإشارة وهي أن الله تعالى ذكر للكفار حالة لا يمكنهم إنكارها وهي حالة الموت فإنهم وإن كفروا بالحشر وهو الحياة بعد الموت لكنهم لم ينكروا

الموت، وهو أظهر من كل ما هو من مثله فلا يشكُّون في حالة النزع، ولا يشكُّون في أن في ذلك الوقت لا يبقى لهم لسان ينطق، ولا إنكار بعمل فتفوتهم قوة الاكتساب لإيمانهم ولا يمكنهم الإتيان بما يجب فيكون ذلك حثًّا لهم على تجديد النظر في طلب الحق قبل تلك الحالة، وأما البشارة فلأن الرسل لما كذبوا وكذب مرسلهم صعب عليهم، فبشروا بأن المكذبين سيرجعون عما يقولون، ثم هو إن كان قبل النزع فذلك مقبول وإلا فعند الموت وهو غير نافع، والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس أو الحياة أو الروح، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ تأكيد لبيان الحق أي في ذلك الوقت تصير الأمور مرئية مشاهدة ينظر إليها كل من بلغ إلى تلك الحالة، فإن كان ما ذكرتم حقًّا كان ينبغي أن يكون في ذلك الوقت، وقد ذكرنا التحقيق في ﴿حِينَئِذٍ﴾ في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الطور: ١١]في سورة والطور واللفظ والمعنى متطابقان على ما ذكرنا لأنهم كانوا يكذبون بالرسل والحشر، وصرح به الله في هذه السورة عنهم حيث قال: إنهم (كانوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا) [الواقعة: ٤٦-٤٧]وهذا كالتصريح بالتكذيب لأنهم ما كانوا ينكرون أن الله تعالى منزل لكنهم كانوا يجعلون أيضًا الكواكب من المنزلين، وأما المضمر فذكره الله تعالى عند قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨]ثم قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩]بالواسطة وبالتفويض على ما هو مذهب المشركين أو مذهب الفلاسفة. وأيضًا التفسير المشهور محتاج إلى إضمار تقديره: أتجعلون شكر رزقكم، وأما جعل الرزق بمعنى المعاش فأقرب، يقال: فلان رزقه في لسانه، ورزق فلان في رجله ويده، وأيضًا فقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ متصل بما قبله لما بينا أن المراد أنكم تكذبون الرسل فلم لا تكذبونهم وقت النزع لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]فعلم أنهم كذبوا كما قال النبي ﷺ: «كَذَبَ الْمُنَجِّمُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»[(١)] ولم يكذبوا وهذا على قراءة من يقرأ (تَكْذِبُون) بالتخفيف، وأما المدهن فعلى ما ذكرنا يبقى على الأصل ويوافقه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]فإن المراد هناك ليس تكذب فيكذبون، لأنهم أرادوا النفاق لا التكذيب الظاهر.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أكثر المفسرين على أن ﴿لَوْلَا﴾ في المرة الثانية مكررة وهي بعينها هي التي قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]ولها جواب واحد، وتقديره على ما قاله الزمخشري: فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم، أي إن كنتم غير مدينين، وقال بعضهم: هو كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨]حيث جعل ﴿فَلَا

(١)ليس بحديث ولم أجده.

﴿خَوْفٌ﴾ جزاء شرطين، والظاهر خلاف ما قالوا، وهو أن يقال: جواب لولا في قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ هو ما يدل عليه ما سبق يعني تكذبون مدة حياتكم جاعلين التكذيب رزقكم ومعاشكم فلولا تكذبون وقت النزع وأنتم في ذلك الوقت تعلمون الأمور وتشاهدونها، وأما لولا في المرة الثانية فجوابها: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾.

المسألة الثانية: في ﴿مَدِينِينَ﴾ أقوال منهم من قال: المراد مملوكين، ومنهم من قال: مجزيين، وقال الزمخشري: من دانه السلطان: إذا ساسه، ويحتمل أن يقال: المراد غير مقيمين من مَدَن إذا أقام، هو حينئذ فعيل، ومنه المدينة، وجمعها مدائن، من غير إظهار الياء، ولو كانت مفعلة لكان جمعها مداين كمعايش بإثبات الياء، ووجهه أن يقال: كان قوم ينكرون العذاب الدائم، وقوم ينكرون العذاب ومن اعترف به كان ينكر دوامه، ومثله قوله تعالى: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] قيل: إن كنتم على ما تقولون لا تبقون في العذاب الدائم فلم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا إن لم تكن الآخرة دار الإقامة، وأما على قوله: (مَجْزِيِّينَ) فالتفسير مثل هذا كأنه قال: ستصدقون وقت النزع رسل الله في الحشر، فإن كنتم بعد ذلك غير مجزيين فلم لا ترجعون أنفسكم إلى دنياكم، فإن التعويق للجزاء لا غير، ولولا الجزاء لكنتم مختارين كما كنتم في دنياكم التي ليست دار الجزاء مختارين تكونون حيث تريدون من الأماكن، وأما على قولنا: مملوكين من الملك، ومنه المدينة للمملوكة، فالأمر أظهر بمعنى أنكم إذا كنتم لستم تحت قدرة أحد، فلم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا كما كنتم في دنياكم التي ليست دار جزاء مع أن ذلك مشتهى أنفسكم ومنى قلوبكم، وكل ذلك عند التحقيق راجع إلى كلام واحد، وأنهم كانوا يأخذون بقول الفلاسفة في بعض الأشياء دون بعض، وكانوا يقولون بالطبائع، وأن الأمطار من السحب، وهي متولدة بأسباب فلكية، والنبات كذلك، والحيوان كذلك، ولا اختيار لله في شيء وسواء عليه إنكار الرسل والحشر، فقال تعالى: إن كان الأمر كما يقولون فما بال الطبيعي الذي يدعى العلم لا يقدر على أن يرجع النفس من الحلقوم، مع أن في الطبع عنده إمكانًا لذلك، فإن عندهم البقاء بالغذاء وزوال الأمراض بالدواء، وإذا علم هذا فإن قلنا: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ معناه غير مملوكين رجع إلى قولهم من إنكار الاختيار وقلب الأمور كما يشاء الله، وإن قلنا: غير مقيمين فكذلك، لأن إنكار الحشر بناء على القول بالطبع، وإن قلنا: غير محاسبين ومجزيين فكذلك، ثم لما بيّن أن الموت كائن والحشر بعده لازم، بيّن ما يكون بعد الحشر ليكون ذلك باعثًا للمكلف على العمل الصالح، وزاجرًا للمتمرد عن العصيان والكذب فقال:

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

هذا وجه تعلقه معنى، وأما تعلقه لفظًا فنقول: لما قال: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الواقعة: ٨٦، ٨٧] وكان فيها أن رجوع الحياة والنفس إلى البدن ليس تحت قدرتهم ولا رجوع لهم بعد الموت إلى الدنيا صار كأنه قال: أنتم بعد الموت دائمون في دار الإقامة ومجزيون، فالمجزى إن كان من المقربين فله الروح والريحان، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: في معنى الروح وفيه وجوه: الأول: هو الرحمة قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] أي من رحمة الله، الثاني: الراحة، الثالث: الفرح، وأصل الروح: السعة، ومنه الروح لسعة ما بين الرجلين دون الفحج، وقرئ، (فَرُوْحٌ) بضم الراء بمعنى الرحمة.

المسألة الثانية: في الكلام إضمار تقديره: فله روح أفصحت الفاء عنه لكون فاء الجزاء لربط الجملة بالشرط فعلم كونها جزاء، وكذلك إذا كان أمرًا أو نهيًا أو ماضيًا، لأن الجزاء إذا كان مستقبلاً يعلم كونه جزاء بالجزم الظاهر في السمع والخط، وهذه الأشياء التي ذكرت لا تحتمل الجزم، أما غير الأمر والنهي فظاهر، وأما الأمر والنهي فلأن الجزم فيهما ليس لكونهما جزاءين فلا علامة للجزاء فيه، فاختاروا الفاء فإنها لترتيب أمر على أمر، والجزاء مرتب على الشرط.

المسألة الثالثة: في الريحان، وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢] ولكن هاهنا فيه كلام، فمنهم من قال: المراد هاهنا ما هو المراد ثمة، إما الورق وإما الزهر وإما النبات المعروف، وعلى هذا فقد قيل: إن أرواح أهل الجنة لا تخرج من الدنيا إلا ويؤتى إليهم بريحان من الجنة يشمونه، وقيل: إن المراد هاهنا غير ذلك وهو الخلود، وقيل: هو رضاء الله تعالى عنهم فإذا قلنا: الروح هو الرحمة فالآية كقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١] وأما: ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ فقد تقدم القول فيها عند تفسير السابقين في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١، ١٢] وذكرنا فائدة التعريف هناك وفائدة التنكير هاهنا.

المسألة الرابعة: ذكر في حق المقربين أمورًا ثلاثة هاهنا وفي قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ [التوبة: ٢١] وذلك لأنهم أتوا بأمور ثلاثة وهي: عقيدة حقة وكلمة طيبة وأعمال حسنة، فالقلب واللسان والجوارح كلها كانت مرتبة برحمة الله على عقيدته، وكل من له عقيدة حقة يرحمه الله ويرزقه الله دائمًا وعلى الكلمة الطيبة وهي كلمة الشهادة، وكل من قال: لا إله إلا الله فله رزق كريم والجنة له على أعماله الصالحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] وقال: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فإن قيل: فعلى هذا من أتى بالعقيدة الحقة، ولم يأت بالكلمة الطيبة ينبغي أن يكون من أهل الرحمة ولا يرحم الله إلا من قال: لا إله إلا الله، نقول: من كانت عقيدته حقة، لا بد وأن يأتي بالقول الطيب فإن لم يُسْمَع لا يحكم به، لأن العقيدة لا اطلاع لنا عليها فالقول دليل لنا، وأما الله تعالى فهو عالم الأسرار، ولهذا ورد في الأخبار أن من الناس من يدفن في مقابر الكفار ويحشر مع المؤمنين، ومنهم من يدفن في مقابر المسلمين ويحشر مع الكفار لا يقال: إن من لا

يعمل الأعمال الصالحة لا تكون له الجنة على ما ذكرت، لأنا نقول: الجواب عنه من وجهين أحدهما: أن عقيدته الحقة وكلمته الطيبة لا يتركانه بلا عمل، فهذا أمر غير واقع وفرض غير جائز، وثانيهما: أنا نقول من حيث الجزاء، وأما من قال: لا إله إلا الله فيدخل الجنة، وإن لم يعمل عملاً لا على وجه الجزاء بل بمحض فضل الله من غير جزاء، وإن كان الجزاء أيضًا من الفضل لكن من الفضل ما يكون كالصدقة المبتدأة، ومن الفضل مالا كما يعطي الملك الكريم آخر والمهدي إليه غيرملك لا يستحق هديته ولا رزقه.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في السلام وفيه وجوه: أولها: يسلم به صاحب اليمين على صاحب اليمين، كما قال تعالى من قبل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، ثانيها: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ أي سلامة لك من أمر خاف قلبك منه فإنه في أعلى المراتب، وهذا كما يقال لمن تعلق قلبه بولده الغائب عنه، إذا كان يخدم عند كريم، يقول له: كن فارغًا من جانب ولدك فإنه في راحة. ثالثها: أن هذه الجملة تفيد عظمة حالهم كما يقال: فلان ناهيك به، وحسبك أنه فلان، إشارة إلى أنه ممدوح فوق الفضل.

المسألة الثانية: الخطاب بقوله: ﴿لَّكَ﴾ مع من؟ نقول: قد ظهر بعض ذلك فنقول: يحتمل أن يكون المراد من الكلام النبي ﷺ، وحينئذ فيه وجه وهو ما ذكرنا أن ذلك تسلية لقلب النبي ﷺ فإنهم غير محتاجين إلى شيء من الشفاعة وغيرها، فسلام لك يا محمد منهم فإنهم في سلامة وعافية لا يهمك أمرهم، أو فسلام لك يا محمد منهم، وكونهم ممن يسلم على محمد ﷺ دليل العظمة، فإن العظيم لا يسلم عليه إلا عظيم، وعلى هذا ففيه لطيفة: وهي أن النبي ﷺ مكانته فوق مكانة أصحاب اليمين بالنسبة إلى المقربين الذين هم في عليين، كأصحاب الجنة بالنسبة إلى أهل عليين، فلما قال: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ كان فيه إشارة إلى أن مكانهم غير مكان الأولين المقربين، فقال تعالى: هؤلاء وإن كانوا دون الأولين لكن لا تنفع بينهم المكانة والتسليم، بل هم يرونك ويصلون إليك وصول جليس الملك إلى الملك والغائب إلى أهله وولده، وأما المقربون فهم يلازمونك ولا يفارقونك وإن كنت أعلى مرتبة منهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قال هاهنا: ﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ وقال من قبل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٥١] وقد بينا فائدة التقديم والتأخير هناك.

المسألة الثانية: ذكر الأزواج الثلاثة في أول السورة بعبارة وأعادهم بعبارة أخرى فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[الواقعة: ٨] ثم قال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[الواقعة: ٢٧] وقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[الواقعة: ٩] ثم قال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾[الواقعة: ٤١] وأعادهم هاهنا، وفي المواضع الثلاثة ذكر أصحاب اليمين بلفظ واحد أو بلفظين مرتين، أحدهما غير الآخر، وذكر السابقين في أول السورة بلفظ السابقين، وفي آخر السورة بلفظ المقربين، وذكر أصحاب النار في الأول بلفظ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[الواقعة: ٩] ثم بلفظ ﴿ٱلشِّمَالِ﴾ ثم بلفظ ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ فما الحكمة فيه؟ نقول: أما السابق فله حالتان إحداهما في الأولى، والأخرى في الآخرة، فذكره في المرة الأولى بماله في الحالة الأولى، وفي الثانية بماله في الحالة الآخرة، وليس له حالة هي واسطة بين الوقوف للعرض وبين الحساب، بل هو ينقل من الدنيا إلى أعلى عليين، ثم ذكر أصحاب اليمين بلفظين متقاربين، لأن حالهم قريبة من حال السابقين، وذكر الكفار بألفاظ ثلاثة كأنهم في الدنيا ضحكوا عليهم بأنهم أصحاب موضع شؤم، فوصفوهم بموضع الشؤم، فإن المشأمة مفعلة وهي الموضع، ثم قال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ فإنهم في الآخرة يؤتون كتابهم بشمالهم، ويقفون في موضع هو شمال، لأجل كونهم من أهل النار، ثم إنه تعالى لما ذكر حالهم في أول الحشر بكونهم من أصحاب الشمال ذكر ما يكون لهم من السموم والحميم، ثم لم يقتصر عليه، ثم ذكر السبب فيه، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾[الواقعة: ٤٥، ٤٦] فذكر سبب العقاب لما بينا مرارًا أن العادل يذكر للعقاب سببًا، والمتفضل لا يذكر للإنعام والتفضل سببًا، فذكرهم في الآخرة ما عملوه في الدنيا، فقال: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ليكون ترتيب العقاب على تكذيب الكتاب فظهر العدل، وغير ذلك ظاهر.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ماذا؟ نقول: فيه وجوه: أحدها: القرآن، ثانيها: ما ذكره في السورة، ثالثها: جزاء الأزواج الثلاثة.

المسألة الثانية: كيف أضاف الحق إلى اليقين مع أنهما بمعنى واحد؟ نقول: فيه وجوه أحدها: هذه الإضافة، كما أضاف الجانب إلى الغربي في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾[القصص: ٤٤] وأضاف الدار إلى الآخرة في قوله: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾[الأنعام: ٣٢] غير أن المقدر هنا غير ظاهر، فإن شرط ذلك أن يكون بحيث يوصف باليقين، ويضاف إليه الحق، وما يوصف باليقين بعد إضافة الحق إليه، وثانيها: أنه من الإضافة التي بمعنى (من)، كما يقال: باب من ساج، وباب ساج، وخاتم من فضة، وخاتم فضة، فكأنه قال: لهو الحق من اليقين، ثالثها: وهو أقرب منها ما ذكره ابن عطية أن ذلك نوع تأكيد يقال: هذا من حق الحق، وصواب الصواب، أي غايته ونهايته التي لا وصول فوقه، والذي وقع في تقرير هذا أن الإنسان أظهر ما عنده الأنوار المدركة بالحس، وتلك الأنوار أكثرها مشوبة بغيرها، فإذا وصل الطالب إلى أوله

يقول: وجدت أمر كذا، ثم إنه مع صحة إطلاق اللفظ عليه لا يتميز عن غيره، فيتوسط الطالب ويأخذ مطلوبه من وسطه، مثاله من يطلب الماء، ثم يصل إلى بركة عظيمة، فإذا أخذ من طرفه شيئًا يقول: هو ماء، وربما يقول قائل آخر: هذا ليس بماء، وإنما هو طين، وأما الماء ما أخذته من وسط البركة، فالذي في طرف البركة ماء بالنسبة إلى أجسام أخرى، ثم إذا نسب إلى الماء الصافي ربما يقال له شيء آخر، فإذا قال: هذا هو الماء حقًّا يكون قد أكد، وله أن يقول: حق الماء، أي الماء حقًّا هذا بحيث لا يقول أحد فيه شيء، فكذلك هاهنا كأنه قال: هذا هو اليقين حقًّا لا اليقين الذي يقول بعض إنه ليس بيقين، ويحتمل وجهًا آخر، وهو أن يقال: الإضافة على حقيقتها، ومعناه أن هذا القول لك يا محمد وللمؤمنين، وحق اليقين أن تقول كذا، ويقرب من هذا ما يقال: حق الكمال أن يصلي المؤمن، وهذا كما قيل في قوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا**»[(١)] أن الضمير راجع إلى الكلمة أي إلا بحق الكلمة، ومن حق الكلمة أداء الزكاة والصلاة، فكذلك حق اليقين أن يعرف ما قاله الله تعالى في الواقعة في حق الأزواج الثلاثة، وعلى هذا معناه: أن اليقين لا يحق ولا يكون إلا إذا صدق فيما قاله بحق، فالتصديق حق اليقين الذي يستحقه، وأما قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فقد تقدم تفسيره، وقلنا إنه تعالى لما بيَّن الحق وامتنع الكفار، قال لنبيه ﷺ هذا هو حق، فإن امتنعوا فلا تتركهم ولا تعرض عنهم وسبح ربك في نفسك، وما عليك من قومك سواء صدقوك أو كذبوك، ويحتمل أن يكون المراد فسبح واذكر ربك باسمه الأعظم، وهذا متصل بما بعده لأنه قال في السورة التي تلي هذه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الحديد: ١] فكأنه قال: سبح الله ما في السموات، فعليك أن توافقهم ولا تلتفت إلى الشرذمة القليلة الضالة، فإن كل شيء معك يسبح الله عز وجل.

تم تفسير السورة، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) تقدم.

سورة الواقعة

مكِّيَّة، وهي سبع وتسعون آية

مكيَّة في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيةً منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾(١) [الآية: ٨٢]. وقال الكلبيُّ: مكيَّة إلا أربع آيات منها، آيتان: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [٨١-٨٢] نزلتا في سفره إلى مكَّة، وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [٣٩-٤٠] نزلتا في سفره إلى المدينة.

وقال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأوَّلين والآخرين، ونبأ أهل الجنَّة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة(٢).

وذكر أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد»(٣) و«التعليق»، والثعلبيُّ أيضاً: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبستَه عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقةَ من بعدي؟ إنِّي أمرتهنَّ أن يقرأنَ سورةَ «الواقعة» كلَّ ليلة، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلة لم تُصِبْه فاقة أبداً»(٤).

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٥ .

(٢) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٣١ .

(٣) ٥/ ٢٦٩ .

(٤) وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩٧) بتمامه، و(٢٤٩٨) و(٢٤٩٩) و(٢٥٠٠) مقتصرين على الحديث المرفوع، وأخرجه أيضاً ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٢٦)، وابن السني في عمل =

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة[١]. وسمِّيت واقعة؛ لأنَّها تقع عن قُرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد[٢]. وفيه إضمار، أي: اذكروا إذا وقعت الواقعة[٣]. وقال الجرجانيُّ: «إذا» صلة، أي: وقعت الواقعة، كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، و﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] وهو كما يقال: قد جاء الصوم، أي: دنا واقترب. وعلى الأوَّل «إِذَا» للوقت، والجواب قوله: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ».

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب[٤]، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضعَ المصدر، كقوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية:١١] أي: لغو، والمعنى: لا يسمع لها كذب، قاله الكسائيُّ. ومنه قول العامَّة: عائذاً بالله، أي: معاذ الله، وقم قائماً: أي: قم قياماً. ولبعض نساء العرب ترقِّصُ ابنها:

قُمْ قائماً قُمْ قَائما أصبت عبداً نائما

= اليوم والليلة (٦٨٠) بنحوه مختصراً. وفي إسناده: السري بن يحيى، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص١٦٣: وقد اختلف في شيخه، هل هو شجاع، أو: أبو شجاع، واختلفوا أيضاً في شيخ شجاع، هل هو أبو فاطمة، أو: أبو ظبية، ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية، فعند الدارقطني بالطاء المهملة، بعدها تحتانية، ثم موحدة، وإنه عيسى بن سليمان الجرجاني، وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة... وعند البيهقي أنه بالمعجمة، بعدها موحدة، ثم تحتانية، وأنه مجهول. وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع لا أعرفه. اهـ.

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٥ .

(٣) الكشاف ٤/ ٥١ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢١ .

وقيل: الكاذبة صفة، والموصوف محذوف، أي: ليس لوقعتها حال كاذبة، أو نفس كاذبة، أي: كلُّ من يخبر عن وقعتها صادق[١]. وقال الزجَّاج[٢]: «لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أي: لا يَردُّها شيء. ونحوه قول الحسن وقتادة[٣]. وقال الثوريُّ: ليس لوقعتها أحد يكذِّب بها. وقال الكسائيُّ أيضاً: ليس لها تكذيب، أي: ينبغي ألا يكذِّب بها أحد. وقيل: إنَّ قيامها جِدٌّ لا هزْلَ فيه.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال عِكرمة ومقاتل والسُّدِّيُّ: خفضت الصوت فأسمعتْ من دنا، ورفعتْ فأسمعت من نأى[٤]. يعني: أسمعت القريب والبعيد. وقال السُّدِّيُّ: خفضت المتكبِّرين، ورفعت المستضعفين. وقال قتادة: خفضت أقواماً في عذاب الله، ورفعت أقواماً إلى طاعة الله[٥]. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: خفضت أعداءَ الله في النار، ورفعت أولياءَ الله في الجنَّة. وقال محمد بن كعب: خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا مخفوضين[٦]. وقال ابن عطاء: خفضت أقواماً بالعدل، ورفعت آخرين بالفَضْل. والخَفْض والرَّفْع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعزِّ والإهانة. ونسب سبحانه الخفضَ والرفْع للقيامة؛ توسُّعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحلِّ والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل، يقولون: ليلٌ نائمٌ، ونهار صائم. وفي التنزيل: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ:٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنَّما هو الله وحده، فرفَع أولياءَه في أعلى الدرجات، وخفض أعداءَه في أسفل الدَّرَكات.

وقرأ الحسن وعيس الثقفيُّ: «خَافِضَةً رَّافِعَةً» بالنصب[٧]. الباقون بالرفع؛ على

(١) الكشاف ٤/ ٥١ .
(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١٠٧ .
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٢٨٠ عن قتادة.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦ عن عكرمة، وأخرجه عنه الطبري ٢/ ٢٨١ .
(٥) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٦٩ ، والطبري ٢٢/ ٢٨١ .
(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٤٦ ، وقول عمر أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٢٩ (١٧٨٦٦).
(٧) المحتسب ٢/ ٣٠٧ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٠ وعزاها إلى اليزيدي.

إضمار مبتدأ، ومن نصب، فعلى الحال. وهو عند الفرَّاء[١] على إضمار فعل، والمعنى: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» وقعت خَافِضَةً رَّافِعَةً. والقيامة لا شكَّ في وقوعها، وأنَّها ترفع أقواماً وتضع آخرين، على ما بيَّنَّاه.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: زُلزلت وحُركت، عن مجاهد وغيره[٢]. يقال: رَجَّه يَرُجُّه رجًّا، أي: حرَّكه وزلزله. وناقة رجَّاء، أي: عظيمة السَّنَام. وفي الحديث: «مَنْ ركب البحرَ حين يَرْتَجُّ فلا ذِمَّةَ له» يعني: إذا اضطربت أمواجه[٣]. قال الكلبيُّ: وذلك أنَّ الله تعالى إذا أَوحى إليها اضطربت فَرَقًا من الله تعالى. قال المفسرون: تَرْتجُّ كما يرتجُّ الصبيُّ في المهد حتى ينهدم كلُّ ما عليها، وينكسر كلُّ شيء عليها من الجبال وغيرها[٤]. وعن ابن عباس: الرَّجَّة: الحركة الشديدة يسمع لها صوت[٥].

وموضع «إِذَا» نصب على البدل من «إذا وَقَعَتِ»، ويجوز أن ينتصب بـ«خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ» أي: تخفض وترفَع وقت رجِّ الأرض وبسِّ الجبال؛ لأنَّ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض[٦]. وقيل: أي: وقعت الواقعة إذا رجَّت الأرض، قاله الزجَّاج[٧] والجرجانيُّ. وقيل: أي: اذكر «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» مصدر؛ وهو دليل على تكرير الزلزلة.

قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فُتِّتت، عن ابن عباس[٨]. مجاهد: كما

---

(١) في معاني القرآن له ٣/ ١٢١ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٥ ، وأخرجه عنه ـ وعن ابن عباس ـ الطبري ٢٢/ ٢٨٢ .

(٣) الصحاح (رجج)، والحديث أخرجه أحمد (٢٠٧٤٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٢٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مطولاً، وأورده أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٢٧٥ وقال: وأكثر ظني أنه التَجَّ ـ باللام. ا هـ. وهما بمعنًى.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩ .

(٥) زاد المسير ٨/ ١٣١ .

(٦) الكشاف ٤/ ٥٢ .

(٧) في معاني القرآن له ٥/ ١٠٨ .

(٨) زاد المسير ٨/ ١٣٢ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٨٣ .

يُبَسُّ الدقيق، أي: يُلَتُّ[١].

والبَسِيْسَة: السّوِيق أو الدقيق يُلَتُّ بالسَّمن أو بالزيت، ثم يؤكل ولا يطبخ، وقد يُتَّخذ زاداً. قال الراجز:

لا تَـخْـبِـزَا خُـبْـزاً وبُـسَّـا بَـسَّـا ... ولا تُـطِـيـلاَ بِـمُـنَـاخٍ حَـبْـسَـا[٢]

وذكر أبو عبيدة[٣]: أنَّه لصٌّ من غَطَفان أراد أن يخبِز فخاف أن يُعجَل عن ذلك فأكله عجيناً. والمعنى أنَّها خُلِطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء. أي: تصير الجبال تراباً فيختلط البعض بالبعض. وقال الحسن: وبُسَّت: قُلعت من أصلها فذهبت، نظيره: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[٤] [طه: ١٠٥]. وقال عطيَّة: بُسطت كالرمل والتراب. وقيل: البسُّ: السَّوق[٥]، أي: سيقت الجبال. قال أبو زيد: البسُّ: السَّوق، وقد بسستُ الإبل أبُسُّها ـ بالضمّ ـ بسًّا. وقال أبو عبيد[٦]: بَسَسْتُ الإبلَ وأَبسست لغتان: إذا زجرتها، وقلتُ لها: بِسْ بِسْ. وفي الحديث: «يخرج قوم من المدينة إلى اليمن أو الشام أو العراق يَبُسُّون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[٧] ومنه الحديث الآخر: «جاءكم أهل اليمن يَبُسُّون عِيالهم»[٨] والعرب تقول: جِيْء به من حَسِّك وبَسِّك[٩]. ورواهما أبو زيد بالكسر، فمعنى من حَسِّك، من حيث أحسسته، وبَسِّك، من حيث بلغه مسيرك، وقال مجاهد: سالت سيلاً. عكرمة: هُدَّت

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٥ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٨٣ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٤٧ ، والصحاح (بسس)، وما بعده منه أيضاً، والرجز لبعض لصوص العرب، كما ذكر ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان ٤/ ٤٩٠-٤٩١ ، وذكرها المرزباني في معجم الشعراء ص٤٧٥ بنحوه ونسبها إلى الهفوان العقيلي أحد بني المنتفق وأحد اللصوص.

(٣) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٩ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٨ .

(٦) في غريب الحديث ٣/ ٨٩-٩٠ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (بسس).

(٧) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)، وأحمد (٢١٩١٦) عن سفيان بن أبي زهير البهزي ﷺ.

(٨) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٩) الصحاح (بسس)، والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/ ٣٦ .

هدًّا. محمد بن كعب: سُيِّرت سيراً، ومنه قول الأغلب العجليّ[١]:

[نحن بسسنا بأثر أطاراً أضاء خمساً ثمَّت سارا]

وقال الحسن: قُطعت قطعاً. والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ قال عليٌّ ﷺ: الهباء المنبث: الرَّهَج الذي يسطع من حوافر الدوابِّ ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك، وقال مجاهد: الهباء: هو الشعاع الذي يكون في الكوَّة كهيئة الغبار[٢]. وروي نحوه عن ابن عباس[٣]. وعنه أيضاً: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً[٤]. وقاله عطيَّة. وقد مضى في «الفرقان»[٥] عند قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الآية: ٢٣].

وقراءة العامَّة: «مُنْبَثًّا» بالثاء المثلثة، أي: متفرِّقاً من قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [لقمان: ١٠] أي: فرَّق ونشر. وقرأ مسروق والنخَعيُّ وأبو حَيْوة: «مُنْبَتًّا» بالتاء المثناة[٦]، أي: منقطعاً من قولهم: بتَّه الله، أي: قطعه، ومنه البتات.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ أي: أصنافاً ثلاثة[٧]، كلُّ صنف يُشاكِل ما هو

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٤٦ وما بعده منه أيضاً، ولم يرد في النسخ قول الأغلب العجلي، واستدركناه منه.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٤٧، وقول علي أخرجه مجاهد في التفسير ٢/٦٤٥، وعبد الرزاق في التفسير ٢/٢٦٩، والطبري ٢٢/٢٨٥، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢/٢٨٥.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/٢٨٤.

(٤) النكت والعيون ٥/٤٤٧.

(٥) ١٥/٣٩٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٢٣٩ عن النخعي، والبحر المحيط ٨/٢٠٤.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٦.

منه، كما يُشاكِل الزوج الزوجة. ثم بيَّن من هم فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فأصحاب الميمنة: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنَّة. وأصحاب المشأمة: هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النَّار. قاله السُّدِّيُّ[(١)].

والمَشْأمة: الميسرة، وكذلك الشأمة. يقال: قعد فلانٌ شأمةً. ويقال: يا فلان شائِمْ بأصحابك، أي: خُذْ بهم شَأمةً، أي: ذات الشمال[(٢)]. والعرب تقول لليد الشمال: الشؤمى، وللجانب الشمال: الأشأم[(٣)]. وكذلك يقال لما جاء عن اليمين: اليُمْن، ولما جاء عن الشّمال: الشؤم[(٤)].

وقال ابن عباس والسُّدِّيُّ: أصحاب الميمنة: هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذُّرِّيَّة من صُلْبه فقال الله لهم: هؤلاء في الجنَّة ولا أبالي[(٥)]. وقال زيد بن أسلم[(٦)]: هم الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيمن يومئذ. وأصحاب المشأمة: الذين أُخِذوا من شقِّ آدم الأيسر. وقال عطاء ومحمد بن كعب: أصحاب الميمنة: من أُوتيَ كتابه بيمينه. وأصحاب المشأمة: من أُوتيَ كتابه بشماله. وقال ابن جريج: أصحاب الميمنة: هم أهل الحسنات. وأصحاب المشأمة: هم أهل السيئات. وقال الحسن والربيع: أصحاب الميمنة: الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة. وأصحاب المشأمة: المشائيم على أنفسهم بالأعمال السيئة القبيحة[(٧)].

وفي «صحيح مسلم»[(٨)] من حديث الإسراء عن أبي ذرٍّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «فلما

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٤٨ .

(٢) الصحاح (شأم).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤٨ .

(٤) زاد المسير ٨/ ١٣٢ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) بعدها في (م): أصحاب الميمنة. ولم ترد في النسخ الخطية.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٤٨ دون ذكر عطاء والربيع، وذكره عن الربيع ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٣٢ مقتصرين على الشّق الأول من قوله.

(٨) برقم (١٦٣)، هو عند البخاري أيضاً (٣٤٩).

عَلَونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسْوِدة، وعن يساره أسْوِدة ـ قال: ـ فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبل شماله بكى ـ قال: ـ فقال: مرحباً بالنبيِّ الصالح والابنِ الصالح ـ قال: ـ قلت: يا جبريل مَن هذا؟ قال: هذا آدم عليه السلام، وهذه الأسودِة التي عن يمينه وعن شماله نَسَم بَنِيْه، فأهل اليمين أهل الجنَّة، والأسوِدة التي عن شماله أهل النار» وذكر الحديث.

وقال المبرِّد: وأصحاب الميمنة: أصحاب التقدُّم. وأصحاب المشأمة: أصحاب التأخُّر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدِّمين ولا تجعلنا من المتأخِّرين. والتكرير في «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» و«مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» للتفخيم والتعجُّب، كقوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ . مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة:١-٢] و﴿ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[١] [القارعة:١-٢] كما يقال: زيد ما زيد[٢]! وفي حديث أمِّ زَرْع رضي الله عنها: مالِكٌ ومَا مَالِكٌ[٣]! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب، ولأصحاب المشأمة من العقاب.

وقيل: «أَصْحَابُ» رفع بالابتداء، والخبر: «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» كأنَّه قال: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» ما هم؟ المعنى: أيُّ شيء هم[٤]. وقيل: يجوز أن تكون «ما» تأكيداً، والمعنى: فالذين يعطون[٥] كتابَهم بأيمانهم هم أصحاب التقدُّم وعلوِّ المنزلة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «السابقون الذين إذا أُعطوا الحقَّ قبلوه، وإذا سُئِلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» ذكره المهدويُّ[٦]. وقال محمد بن كعب القُرَظيُّ: إنَّهم الأنبياء. الحسن وقتادة: السابقون

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/١٠٨-١٠٩ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٠١ .

(٣) سلف ١/ ٢٩٣ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٢٤ .

(٥) في (ظ): يؤتون.

(٦) وأخرجه أحمد (٢٤٣٧٩)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٦ و٢/ ١٨٦-١٨٧ عن عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

إلى الإيمان من كلِّ أمَّة[١]. ونحوه عن عكرمة. محمد بن سيرين: هم الذين صَلُّوا إلى القِبْلتَيْن؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[٢] [التوبة: ١٠٠]. وقال مجاهد وغيره: هم السابقون إلى الجهاد، وأوَّل الناس رواحاً إلى الصلاة. وقال عليٌّ ﷺ: هم السابقون إلى الصلوات الخمس. الضحَّاك: إلى الجهاد. سعيد بن جُبير: إلى التوبة وأعمال البرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٣] [المؤمنون: ٦١].

وقيل: إنَّهم أربعة، منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمَّة عيسى وهو حبيب النجَّار صاحب أنطاكيَّة، وسابقان في أمَّة محمد ﷺ وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قاله ابن عباس، حكاه الماورديُّ[٤].

وقال شُمَيْط بن العجلان: الناس ثلاثة، فرجل ابتكر للخير في حداثة سِنِّه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا هو السابق المقرَّب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طوَّل الغفلة، ثم رجع بتوبته حتى خُتم له بها، فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها، فهذا من أصحاب الشمال[٥]. وقيل: هم كلُّ من سَبق إلى شيء من أشياء الصلاح.

ثم قيل: «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني توكيد له، والخبر: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. وقال الزجَّاج[٦]: «السَّابِقُونَ» رفع بالابتداء، والثاني خبره، والمعنى: السابقون إلى

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٤٨ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٢٩٠ عن ابن سيرين.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٠ .

(٤) في النكت والعيون ٥/٤٤٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٢٩ (١٨٧٧٣) عن ابن عباس بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٢ دون عزو.

(٦) في معاني القرآن له ٥/١٠٩ وما قبله منه أيضاً.

طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، «أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» من صفتهم. وقيل: إذا خرج رجل من السابقين المقرَّبين من منزله في الجنَّة كان له ضوء يعرفه به مَن دونه.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة من الأمم الماضية. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: ممَّن آمن بمحمَّد ﷺ[١]. قال الحسن: ثُلَّة ممن قد مضى قبل هذه الأمَّة، وقليل من أصحاب محمَّد ﷺ[٢]. اللهم اجعلنا منهم بكرمك. وسُمُّوا قليلاً، بالإضافة إلى مَن كان قبلهم؛ لأنَّ الأنبياء المتقدِّمين كثروا، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سَبق إلى التصديق من أمَّتنا[٣]. وقيل: لما نزل هذا شَقَّ على أصحاب رسولِ الله ﷺ فنزلت: «ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ» فقال النبيُّ ﷺ: «إنِّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنَّة، بل ثلثَ أهل الجنَّة، بل نصفَ أهل الجنَّة، وتقاسمونهم في النصف الثاني» رواه أبو هريرة، ذكره الماورديُّ[٤] وغيره. ومعناه ثابت في «صحيح مسلم»[٥] من حديث عبد الله بن مسعود. وكأنَّه أراد أنَّها منسوخة، والأشبه أنَّها محكمة؛ لأنها خبر[٦]؛ ولأنَّ ذلك في جماعتين مختلفتين. قال الحسن: سابِقُو مَن مضى أكثرُ مِن سابقينا، فلذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ وقال في أصحاب اليمين وهم سوى السابقين: «ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ» ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «إنِّي لأرجو أن تكون أمَّتي شطر أهل الجنَّة، ثم تلا قوله تعالى: «ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩١ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١ بنحوه.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٠٩ بنحوه.

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٤٤٩-٤٥٠ ، والحديث سلف ١٢/ ٢ .

(٥) برقم (٢٢١)، وهو عند البخاري أيضاً (٦٥٢٨)، وأحمد (٣٦٦١).

(٦) الكشاف ٤/ ٥٣ ، وتفسير الرازي ٢٩/ ١٤٨ بنحوه.

مِّنَ الْآخِرِينَ» قال مجاهد: كلٌّ من هذه الأمَّة. وروى سفيان: عن أبان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ: «الثُّلّتان جميعاً من أمتي»(١) يعني: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ». وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق ﷺ. قال أبو بكر ﷺ: كِلَا الثُّلتين من أمَّة محمَّد ﷺ، فمنهم من هو في أوَّل أمَّته، ومنهم من هو في آخرها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقيل: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ» أي: من أوَّل هذه الأمَّة. «وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ» يسارع في الطاعات حتى يلحقَ درجة الأوَّلين. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم قرْني»(٢) ثم سَوَّى في أصحاب اليمين بين الأوَّلين والآخرين. والثُّلَّة: من ثَلَلْت الشيء، أي: قطعته، فمعنى ثُلَّة كمعنى فرقة، قاله الزجَّاج.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: السابقون في الجنَّة «عَلَى سُرُرٍ»، أي: مجالسهم على سرر، جمع سرير(٣). «مَوْضُونَةٍ» قال ابن عباس: منسوجة بالذهب.

وقال عكرمة: مشبكة بالدُّرِّ والياقوت. وعن ابن عباس أيضاً: «موْضُونَةٍ» مصفوفة(٤)، كما قال في موضع آخر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وعنه أيضاً وعن مجاهد: مَرْمولة بالذهب(٥). وفي التفاسير: «موْضُونَةٍ» أي: منسوجة بقضبان الذَّهب(٦)، مشبكة بالدُّرِّ والياقوت والزَّبرجد.

والوضْن: النسج المضاعف والنَّضد، يقال: وَضَن فلانٌ الحجرَ والآجُرَّ بعضه فوق بعض، فهو موضون، ودرع موضونة، أي: مُحكَمة النَّسْج، مثل مصفوفة(٧)، قال الأعشى:

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٣ بدون إسناد.
(٢) سلف ٤/ ٤٥٥ .
(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٠ .
(٤) زاد المسير ٨/ ١٣٥ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢ ، ٢٩٤ .
(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢ ، وهناد في الزهد (٧٧) و(٧٦). وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٦ .
(٦) الوسيط ٤/ ٢٣٣ .
(٧) تهذيب اللغة ١٢/ ٦٨-٦٩ .

وَمِـن نَـسْـجِ دَاوُدَ مَـوضُـونَـةً ... تُـسَـاقُ مع الـحـيِّ عِـيراً فَـعِـيرَا[(١)]

وقال أيضاً[(٢)]:

وبَـيْـضَـاءَ كـالـنَّـهْـيِ مَـوْضُـونَـةً ... لـهـا قَـوْنَـسٌ فـوقَ جَـيْـبِ الـبَـدَنْ

والسرير الموضون: الذي سطحه بمنزلة المنسوج، ومنه الوَضِين: بِطانٌ من سُيور ينسج فيدخل بعضه في بعض؛ ومنه قوله:

إلـيـك تَـعْـدُوا قَـلِـقًـا وَضِـيـنُـهـا[(٣)]

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على السرر. ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ أي: لا يرى بعضهم قفَا بعض، بل تدور بهم الأسرَّة، وهذا في المؤمن وزوجته وأهله، أي: يتَّكئون متقابلين. قاله مجاهد وغيره[(٤)]. وقال الكلبيُّ: طول كلِّ سرير ثلاث مئة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت.

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٞ ۝٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ۝٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ۝٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: غلمان لا يموتون، قاله مجاهد[(٥)]. الحسن والكلبيُّ: لا يَهْرَمون ولا يتغيرون، ومنه قول امرئ القيس:

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص١٤٩، قال شارحه: والدروع الكثيفة قد نسجت نسجاً مضاعفاً، تُحمل فوق الجمال عِيراً من ورائها عير.

(٢) أي: الأعشى الكبير، والبيت سلف ١١/ ٤٩.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤٨، والرجز ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٥٧٤ ونسبه لرجل من نجران، وقال: الوضين: الحزام، وذكره أيضاً ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ٥/ ٣٣٣، عن عمر بن الخطاب فيما يرتجز به من شعر.

(٤) سلف ١٢/ ٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٦، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٩٥.

وهَـل يَـنْـعَـمْـن إلّا سَـعِـيـدٌ مُـخَـلَّـدٌ   قَلِيلُ الـهُـمُـومِ ما يَـبِيتُ بِأوجَـالِ[١]

وقال سعيد بن جبير: مُخلَّدون: مُقرَّطون[٢]، يقال للقُرْط: الخَلَدة، ولجماعة الحُليِّ: الخِلدة[٣]. وقيل: مسوَّرون ونحوه، عن الفراء[٤]، قال الشاعر:

ومـخـلَّـداتٌ بِـالـلُّـجـيـنِ كَـأنَّـمَـا   أعْـجَـازُهُـنَّ أقـاوِزُ الـكُـثْـبَـانِ[٥]

وقيل: مقرَّطون، يعني: مُمَنْطَقون من المناطق. وقال عكرمة: «مُخَلَّدُونَ»: منعَّمون. وقيل: على سنٍّ واحدة[٦]، أنشأهم الله لأهل الجنَّة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة. وقال عليُّ بن أبي طالب ﷺ والحسن البصريُّ: الولدان هاهنا: ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة[٧]. وقال سلمان الفارسيُّ: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنَّة[٨]. قال الحسن: لم يكن لهم حسنات يُجزَون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع[٩]. والمقصود: أنَّ أهل الجنَّة على أتمِّ السرور والنعمة، والنعمة إنَّما تتمُّ باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ أكواب: جمع كوب، وقد مضى في «الزخرف»[١٠]. وهي الآنية

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٥٠ دون ذكر الكلبي، والبيت في ديوان امرئ القيس ص٢٧، وفيه: يَعِمَنْ، بدل: ينعمن. ومعناه: يقيم. وقال شارح الديوان: الأوجال: جمع وَجَل، وهو الفزع.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ .

(٣) تهذيب اللغة ٧/ ٢٧٩ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣ ، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٠ ، وما بعده منه أيضاً.

(٥) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٤٧ ولم ينسبه، وابن دريد في الاشتقاق ص١٦٣ وعزاه إلى أبي عبيدة، والأقاوز: جمع قوز، والقوز من الرمل: صغير مستدير، تشبَّه به أرداف النساء. اللسان (قوز).

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٢ .

(٧) الكشاف ٤/ ٥٣ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٧٩).

(٩) زاد المسير ٨/ ١٣٥ .

(١٠) ١٩/ ٧٩ .

التي لا عُرى لها ولا خراطيم. والأباريق: التي لها عُرى وخراطيم، واحدها: إبريق، سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يبرق لونه من صفائه[١]. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ مضى في «والصافات»[٢] القول فيه. والمعين: الجاري من ماء أو خمر، غير أنَّ المراد في هذا الموضع الخمرُ الجاريةُ من العيون[٣]. وقيل: الظاهرة للعيون، فيكون «معين» مفعولاً من المعاينة. وقيل: هو فعيل من المَعْن، وهو الكثرة[٤]. وبيَّن أنَّها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلُّف ومعالجة.

قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا تنصدع رؤوسهم من شربها[٥]، أي: إنَّها لذَّة بلا أذًى، بخلاف شراب الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ تقدَّم في «والصافات»[٦] أي: لا يسكرون فتذهب عقولهم.

وقرأ مجاهد: «لَا يُصَدَّعُونَ» بمعنى: لا يتصدَّعون: أي: لا يتفرَّقون، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٧] [الروم:٤٣]. وقرأ أهل الكوفة: «يُنزِفُونَ» بكسر الزاي، أي: لا ينفد شرابهم[٨]، ولا تفنى خمرهم، ومنه قول الشاعر:

لَعَمْرِي لَئِنْ أنْزَفْتُم أو صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنتمُ آلَ أَبْجَرَا[٩]

وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السُّكْر والصُّداع

(١) الوسيط ٤/ ٢٣٣.

(٢) ١٨/ ٢٩ - ٣٠.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١.

(٦) عند الآية (٤٧).

(٧) الكشاف ٤/ ٥٤، والقراءة في البحر المحيط ٨/ ٢٠٥.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١، والقراءة في السبعة ص٥٤٧، والتيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٣٨٣ عن ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٥١، وما بعده منه أيضاً، والبيت للحطيئة وسلف ١٨/ ٣٢.

والقيء والبول، وقد ذكر الله تعالى خمرَ الجنَّة فنزَّهها عن هذه الخصال[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يتخيَّرون ما شاؤوا؛ لكثرتها. وقيل: وفاكهة متخيرة مرضيَّة، والتخير: الاختيار. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ روى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاكَ نهر أعطانِيْه الله تعالى ـ يعني في الجنَّة ـ أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزُر» قال عمر: إنَّ هذه لناعِمةٌ. قال رسول الله ﷺ: «أَكَلَتُها أنعم منها» قال: هذا حديث حسن[(٢)].

وخرَّجه الثعلبيُّ من حديث أبي الدرداء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة طيراً مثل أعناق البُخْت تصطفُّ على يدي وليِّ الله، فيقول أحدها: يا وليَّ الله رَعيتُ في مُرُوج تحت العرش، وشربت من عيون التَّسنيم، فكُلْ منِّي، فلا يزلن يفتخرنَ بين يديه حتى يخطر على قلبه أَكْلُ أحدها، فتخرُّ بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد، فإذا شبع تُجمع عظام الطائر، فطار يرعى في الجنَّة حيث شاء». فقال عمر: يا نبيَّ الله إنَّها لناعِمة. فقال: «آكلُها أنْعمُ منها»[(٣)].

وروي عن أبي سعيد الخدريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنة لطيراً، في الطائر منها سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنَّة، ثم ينتفض فيخرج من كلِّ ريشة لون، طعام أبيض من الثلج، وأبرد وألين من الزبد، وأعذب من الشَّهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه، فيأكل منه ما أراد، ثم يذهب فيطير»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٢١١ (١٨١٧٧).

(٢) الترمذي (٢٥٤٢) وفيه: حديث حسن غريب. وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرى (١١٦٣٩)، وأحمد (١٣٣٠٦)، ووقع عند الترمذي: أحسن، بدل: أنعم. وهذه وردت هكذا في التذكرة ص٤٨٥ ، والنقل منه. والجُزُر: جمع جزور، وهي الإبل. وقوله: لناعمة: أي: سِمان مترفَة. النهاية (نعم).

(٣) التذكرة ص٤٨٥ .

(٤) أخرجه هناد في الزهد (١١٩)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٤٠)، وفي إسناده: عبيد الله بن الوليد الوَصّافي وعطية بن سعد العوفي، وهما ضعيفان. تقريب التهذيب.

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرئ بالرفع والنصب والجرِّ؛ فمن جرَّ ـ وهو حمزة والكسائي وغيرهما[١] ـ جاز أن يكون معطوفاً على «بِأَكْوَابٍ» وهو محمول على المعنى؛ لأنَّ المعنى: يتنعَّمون بأكواب وفاكهة ولحم وحُور، قاله الزجَّاج[٢]. وجاز أن يكون معطوفاً على «جنَّات» أي: هم في «جَنَّاتِ النَّعِيمِ» وفي حور، على تقدير حذف المضاف، كأنَّه قال: وفي معاشرة حور[٣]. الفرَّاء[٤]: الجرُّ على الإتباع في اللفظ، وإن اختلفا في المعنى؛ لأنَّ الحور لا يطاف بهنَّ، قال الشاعر:

إذا ما الغانِياتُ بَرَزْنَ يوماً ... وزَجَّجْنَ الحَواجِبَ والعُيونا[٥]

والعين لا تُزجَّج وإنَّما تكحل. وقال آخر:

ورأيتُ زَوْجَكِ في الوَغَى ... مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحَا[٦]

وقال قُطْرب: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى. قال: ولا ينكر أن يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذَّة[٧].

ومن نصب ـ وهو الأشهب العقيلي والنّخعي وعيسى بن عمر الثّقفي، وكذلك هو في مصحف أُبَيٍّ[٨] ـ فهو على تقدير إضمار فعل؛ كأنَّه قال: ويزوَّجون حُوراً عِيناً[٩]. والحمل في النصب على المعنى أيضاً حسن؛ لأنَّ معنى يطاف عليهم به: يُعطَونه[١٠].

(١) السبعة ص٦٢٢، والتيسير ص٢٠٧ عن حمزة والكسائي، وزاد ابن الجزري في النشر ٢/ ٣٨٣ أبا جعفر.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١١١.

(٣) الحجة للفارسي ٦/ ٢٥٧، والكشف لمكي ٢/ ٣٠٤.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣.

(٥) البيت للراعي النميري، وهو في شعره ص١٥٦.

(٦) البيت لعبد الله بن الزبعرى، وسلف ١/ ٢٩١.

(٧) الكشف لمكي ٢/ ٣٠٤.

(٨) القراءات الشاذة ص١٥١، والمحتسب ٢/ ٣٠٩، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

(٩) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٤.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١١.

ومن رفع ـ وهم الجمهور، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم ـ فعلى معنى: وعندهم حور عين؛ لأنَّه لا يُطاف عليهم بالحور. وقال الكسائيُّ: ومن قال: «وَحُورٌ عِينٌ» بالرفع، وعلَّل بأنَّه لا يطاف بهنَّ، يلزمه ذلك في فاكهة ولحم؛ لأنَّ ذلك لا يطاف به، وليس يطاف إلا بالخمر وحدها[1]. وقال الأخفش: يجوز أن يكون محمولاً على المعنى؛ لأنَّ المعنى: لهم أكواب، ولهم حور عين[2]. وجاز أن يكون معطوفاً على «ثُلَّة»، و«ثُلَّةٌ» ابتداء، وخبره: «عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» وكذلك «وَحُورٌ عِينٌ» وابتدأ بالنكرة؛ لتخصيصها بالصفة.

﴿كَأَمْثَٰلِ﴾ أي: مثل أمثال ﴿ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ أي: الذي لم تمسّه الأيدي، ولم يقع عليه الغبار، فهو أشدُّ ما يكون صفاءً وتلألؤاً، أي: هنَّ في تشاكل أجسادهنَّ في الحسن من جميع جوانبهنَّ، كما قال الشاعر:

كأنَّما خُلِقَتْ في قِشْرِ لُؤْلُؤةٍ فَكُلُّ أكْنافِها وَجْهٌ لِمِرْصادِ[3]

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: ثواباً، ونصْبهُ على المفعول له. ويجوز أن يكون على المصدر[4]؛ لأنَّ معنى «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ»: يجازون. وقد مضى الكلام في الحور العين في «والطُّور» وغيرها[5].

وقال أنس: قال النبيُّ ﷺ: «خلَق الله الحورَ العين من الزعفران»[6]. وقال خالد

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٤ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨١ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ ، والبيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٢/ ٤٣ ، والكنَف: الجانب والناحية: اللسان (كنف).

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧١٢ .

(٥) ١٩/ ٥٢٣ و١٩/ ١٣٧ .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨١٢)، وفي الأوسط (٢٩٠)، ومن طريقه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٣) و(٣٨٥) عن أبي أمامة ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٩ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفي إسنادهما ضعفاء. اهـ. ولم نقف عليه من حديث أنس ﷺ.

ابن الوليد: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ الرجل من أهل الجنَّة ليمسك التفَّاحة من تفاح الجنَّة، فتنفلق في يده، فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلت الشمسَ من حُسْنها، من غير أن ينقص من التفاحة» فقال له رجل: يا أبا سليمان إنَّ هذا لعجبٌ ولا يُنقَص من التفَّاحة؟ قال: نعم، كالسِّراج الذي يوقد منه سِراج آخر وسُرُجٌ ولا ينقص، والله على ما يشاء قدير.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: خلَق اللهُ الحورَ العينَ من أصابع رجليها إلى ركبتَيْها من الزعفران، ومن ركبتَيْها إلى ثديَيْها من المسك الأذفر، ومن ثدييْها إلى عنقها من العَنْبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حُلَّة مثل شقائق النعمان، إذا أقبلَتْ يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقَّة ثيابها وجِلْدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، لكلِّ ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي: هذا ثواب الأولياء «جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ قال ابن عباس: باطلاً ولا كذباً[٢]. واللغو: ما يُلغى من الكلام، والتأثيم مصدر أثَّمته، أي: قلت له: أثمت[٣]. محمد ابن كعب: «وَلا تَأثِيماً» أي: لا يؤثِّم بعضُهم بعضاً. مجاهد: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا»: شتماً ولا مأثماً[٤].

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ «قِيلاً» منصوب بـ«يَسْمَعُونَ»، أو استثناء منقطع، أي: لكن يقولون قِيلاً أو يسمعون. و«سَلَاماً سلاماً» منصوبان بالقول، أي: إلا أنَّهم يقولون الخير. أو على المصدر، أي: إلا أن يقول بعضهم لبعض: سلاماً. أو يكون وصفاً

---

(١) التذكرة ص٤٨١ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢ .

لـ«قيلاً»، والسلام الثاني بدل من الأوَّل، والمعنى: إلا قيلاً يسلم فيه من اللغو. ويجوز الرفع على تقدير: سلام عليكم[١]. قال ابن عباس: أي: يُحيِّي بعضهم بعضاً. وقيل: تحيِّيهم الملائكة، أو يُحيِّيهم ربُّهم عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ رجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدَّم، والتكرير؛ لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه. ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ أي: في نَبْق قد خُضِدَ شوكه، أي: قطع، قاله ابن عباس وغيره[٢].

وذكر ابن المبارك: حدثنا صفوان، عن سليم بن عامر، قال: كان أصحابُ النبيِّ ﷺ يقولون: إنَّه لينفعنا الأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابيٌّ يوماً، فقال: يا رسول الله! لقد ذكَر الله في القرآن شجرةً مؤذيةً، وما كنت أرى في الجنَّة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال رسول الله ﷺ: «وما هي»؟ قال: السِّدر؛ فإنَّ له شوكاً مؤذياً. فقال ﷺ: «أوَليس يقول: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ» خَضد اللهُ شوكَه، فجعل مكان كلِّ شوكة ثمرةً، فإنَّها تنبت ثمراً تَفتَّق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر»[٣].

وقال أبو العالية والضحَّاك: نظر المسلمون إلى وَجّ ـ وهو وادٍ بالطائف مُخْصِب ـ

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ عن ابن عباس وعكرمة، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٠٧.

(٣) الزهد لابن المبارك (٢٦٣ زوائد نعيم). قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٤٣٤: رواه ابن أبي الدنيا بسند حسن.

فأعجبهم سِدْره، فقالوا: يا ليتَ لنا مثلَ هذا، فنزلت[١]. قال أميَّة بن أبي الصَّلْت[٢] يصف الجنَّة:

إن الحدائقَ في الجِنانِ ظليلةٌ فيها الكَواعِبُ سِدرُها مَخْضودُ

وقال الضحَّاك ومجاهد ومقاتل بن حيان: «فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ»: وهو الموقَر حَمْلاً[٣]. وهو قريب مما ذكرنا في الخبر. سعيد بن جبير: ثمرها أعظم من القِلال[٤]. وقد مضى هذا في سورة «النجم»[٥] عند قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [الآية: ١٤] وأنَّ ثمرها مثل قلال هَجَر، من حديث أنس عن النبيِّ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ الطَّلْح: شجر الموز، واحده: طلحة. قاله أكثر المفسرين[٦] عليٌّ[٧] وابن عباس[٨] وغيرهم[٩]. وقال الحسن: ليس هو موز، ولكنَّه شجر له ظِلٌّ بارد رطب[١٠]. وقال الفرَّاء وأبو عبيدة: شجر عظام له شوك[١١]. قال بعض الحداة وهو الجعديُّ:

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢.

(٢) ديوانه ص٥٩.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٢، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢ عن مجاهد والضحاك، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٠٩.

(٥) ص٢٥ من هذا الجزء.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٠، وهناد في الزهد (١١٢)، والطبري ٢٢/ ٣١١.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٠، وهناد في الزهد (١١١)، والطبري ٢٢/ ٣١١.

(٩) منهم أبو سعيد الخدري وأبو هريرة والحسن وعكرمة. النكت والعيون ٥/ ٤٥٤، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣١١ - ٣١٢ عن مجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٧.

(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.

(١١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٥٠، وما بعده منه، والبيت ذكره أيضاً الطبري ٢٢/ ٣١٠، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٤٠ ولم ينسبوه، ولم نقف عليه عند النابغة الجعدي.

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وقَالَا غداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ والأَحْبَالَا

فالطَّلْح: كلُّ شجر عظيم كثير الشوك[١]. الزجَّاج[٢]: يجوز أن يكون في الجنَّة وقد أُزيل شوكه. وقال الزجَّاج أيضاً: كشجر أمِّ غيلان [له] نَوْر طيّب جدًّا، فخوطبوا ووعدوا بما يُحبُّون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنَّة على ما في الدنيا. وقال السُّدِّيُّ: طلح الجنة يشبه طلح الدنيا، لكن له ثمر أحلى من العسل[٣].

وقرأ عليُّ بن أبي طالب ﷺ: «وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ» بالعين[٤]، وتلا هذه الآية: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:١٤٨] وهو خلاف المصحف. وفي رواية أنه قُرئ بين يديه: «وطلح منضود» فقال: ما شأن الطلح؟ إنَّما هو «وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ» ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:١٠] فقيل له: أفلا نحوِّلها؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحوَّل[٥]. فقد اختار هذه القراءةَ ولم يَرَ إثباتها في المصحف؛ لمخالفة ما رَسْمُه مجمَع عليه. قاله القشيريُّ. وأسنده أبو بكر الأنباريُّ قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الحسن بن سعد، عن قيس بن عُبَاد، قال: قرأتُ عند عليٍّ، أو قُرِئت عند عليٍّ ـ شَكَّ مجالد ـ : «وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ»، فقال عليٌّ ﷺ: ما بال الطلح؟ أما تقرأ: «وَطَلْع» ثم قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:١٠] فقال له: يا أمير المؤمنين أنحكُّها من المصحف؟ فقال: لا يهاج القرآن اليوم[٦]. قال أبو بكر: ومعنى هذا أنَّه رجع إلى ما في المصحف، وعَلِمَ أنَّه هو الصواب، وأبطل الذي كان فَرَطَ من قوله.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣١ .

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ١١٢ ، وما بعده منه أيضاً، وما بين حاصرتين منه ومن (م).

(٣) الكشاف ٤/ ٥٤ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٥٠ .

(٥) الكشاف ٤/ ٥٤ ، وهاج الشيء: ثار لمشقَّة أو ضرر. اللسان (هيج).

(٦) وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٠٩-٣١٠ من طريق مجالد، به، وبنحوه، وأورده البغوي في التفسير ٤/ ٢٨٢ عن مجاهد، عن الحسن بن سعيد، عن علي ﷺ.

والمنضود: المتراكب الذي قد نُضدَ أوَّله وآخره بالحمل، ليست له سُوقٌ بارزة[١]، بل هو مرصوص، والنَّضْد: هو الرصُّ، والمنضَّد: المرصوص، قال النابغة:

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كانَ يَحْبِسُهُ ورَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ[٢]

وقال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها نضيدة، ثمر كلُّه[٣]. كلَّما أكل ثمرة، عاد مكانها أحسن منها.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائم باقٍ لا يزول ولا تنسخه الشمس[٤]، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] وذلك بالغداة وهي ما بين الإسفار إلى طلوع الشمس، حسب ما تقدَّم بيانه هناك[٥]. والجنَّة كلُّها ظِلٌّ لا شمسَ معه. قال الربيع بن أنس: يعني ظلَّ العرش. وقال عمرو بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة. وقال أبو عبيدة[٦]: تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع: ممدود، وقال لبيد[٧]:

غلبَ العَزَاءُ وكنتُ غيرَ مُغَلَّبِ دَهرٌ طويلٌ دائمٌ مَمْدودُ

وفي «صحيح الترمذيِّ» وغيره من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ: «وفي الجنَّة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[٨].

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ لا ينقطع[٩]، وأصل السّكب: الصبُّ، يقال: سكبه

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٨، وتهذيب اللغة ١٢/ ٤.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص٣١، والأتيُّ: سَيْلٌ لا يدرى من أين أتى. والسجفان: الستران المقرونان بينهما فرجة. اللسان (أتي) و(سجف).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٢.

(٤) الوسيط ٤/ ٢٣٤.

(٥) ١٥/ ٤١٩.

(٦) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٥٠.

(٧) شرح ديوان لبيد ص٣٦.

(٨) الترمذي (٣٢٩٢) مطولاً، وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. وهو عند البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦)، وأحمد (١٠٢٥٩).

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٨.

سَكْباً، والسُّكُوب: انصبابه؛ يقال: سَكَب سُكُوباً، وانْسكَب انسكاباً[١]. أي: وماء مصبوب يجري الليلَ والنهار في غير أُخدود لا ينقطع عنهم[٢]. وكانت العرب أصحابَ بادية وبلادٍ حارَّة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزةً لا يصلون إلى الماء إلا بالدَّلو والرِّشاء، فوعدوا في الجنَّة خلافَ ذلك، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار وظلالها، والمياه والأنهار واطِّرادها.

قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ أي: ليست بالقليلة العزيزة، كما كانت في بلادهم ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ أي: في وقت من الأوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ أي: لا يُحظَر عليها كثمار الدنيا[٣].

وقيل: «وَلَا مَمْنُوعَةٍ» أي: لا يُمنع من أرادها بشوك ولا بُعْدٍ ولا حائط[٤]، بل إذا اشتهاها العبد دَنَتْ منه حتى يأخذَها، قال الله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾[٥] [الإنسان: ١٤].

وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان[٦]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ روى الترمذيُّ عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ» قال: «ارتفاعها لَكَمَا بين السماء والأرض مسيرةَ خمسِ مئةِ سنةٍ» قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رِشدِين بن سعد. وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: الفُرُش في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض[٧].

وقيل: إنَّ الفُرُش هنا كناية عن النِّساء اللواتي في الجنَّة، ولم يتقدَّم لهنَّ ذِكر،

---

(١) الصحاح (سكب).

(٢) الوسيط ٤/ ٢٣٤ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٩ .

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣١٨ .

(٥) سيأتي ٢١/ ٤٧٣ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٣ .

(٧) الترمذي (٢٥٤٠) و(٣٢٩٤)، وهو عند أحمد (١١٧١٩).

ولكن قوله عزَّ وجلَّ: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ» دالٌّ؛ لأنَّها محلُّ النِّساء، فالمعنى: ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهنَّ وكمالهنَّ، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: خلقناهنَّ خَلْقاً وأبدعناهنَّ إبداعاً. والعرب تُسمِّي المرأة فِراشاً ولِباساً وإزاراً، وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ﴾[1] [البقرة:١٨٧] ثم قيل على هذا: هنَّ الحور العين، أي: خلقناهنَّ من غير ولادة[2]. وقيل: المراد نساء بني آدم، أي: خلقناهنَّ خَلْقاً جديداً[3]، وهو الإعادة، أي: أعدناهنَّ إلى حال الشباب وكمال الجمال. والمعنى: أنشأنا العجوز والصَّبية إنشاءً واحداً. وأُضمرن ولم يتقدَّم ذكرهنَّ؛ لأنهنَّ قد دخلن في أصحاب اليمين؛ ولأنَّ الفُرُش كناية عن النساء كما تقدَّم.

وروي عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» قال: «منهنَّ البِكْر والثَّيِّب»[4]. وقالت أمُّ سلمة رضي الله تعالى عنها: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا أَتْرَابًا» فقال: «يا أمَّ سلمة هنَّ اللواتي قُبِضن في الدنيا عجائزَ شُمْطاً عُمْشاً رُمْصاً، جعلهنَّ اللهُ بعد الكِبَر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء»[5]. أسنده النحَّاس عن أنس قال: حدَّثنا أحمد بن عمرو، قال: حدَّثنا عمرو بن عليٍّ، قال: حدَّثنا أبو عاصم، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد الرقاشيِّ، عن أنس بن مالك رفعه: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء» قال: «هنَّ العجائز العُمْش الرُّمْص، كُنَّ في الدنيا عُمْشًا رُمْصاً»[6]. وقال المسيِّب بن شريك: قال النبيُّ ﷺ في

(١) التذكرة ص٤٦٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٣ .

(٤) أخرجه الطيالسي (١٣٠٧)، والطبراني ٢٢/ ٣٢٠ والطبراني في الكبير (٦٣٢٢)، عن سلمة بن يزيد مرفوعاً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٩ : رواه الطبراني، وفيه: جابر الجعفي، وهو ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٢ ، والطبراني في الكبير ٢٣/ (٨٧٠)، وفي الأوسط (٣١٦٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٩ : رواه الطبراني، وفيه: سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٢٩٦)، والطبري ٢٢/ ٣٢٠ من طريق موسى بن عبيدة، به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان يضعَّفان في الحديث.

قوله: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء» الآية، قال: «هنَّ عجائز الدنيا أنشأهنَّ الله خَلْقاً جديداً، كلَّما أتاهنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ أبكاراً» فلما سمعت عائشة ذلك قال: واوجعاه! فقال لها النبيُّ ﷺ: «ليس هناك وجع»(١).

﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوب(٢). قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العُرُب: العواشق لأزواجهنَّ(٣). وعن ابن عباس أيضاً: إنَّها العَرُوب المَلَقة. عكرمة: الغَنجة(٤). ابن زيد: بلغة أهل المدينة(٥). ومنه قول لبيد:

وفي الخِبَاءِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشةٍ رَيَّا الروادِفِ يَغْشَى دُونَها البصرُ(٦)

وهي الشَّكِلة، بلغة أهل مكَّة(٧). وعن زيد بن أسلم أيضاً: الحسنة الكلام(٨). وعن عكرمة أيضاً وقتادة: العُرُب: المتحبِّبات إلى أزواجهنَّ(٩). واشتقاقه من أعرب إذا بيَّن، فالعروب تُبيِّن محبتها لزوجها بشَكَل وغُنْج وحُسن كلام. وقيل: إنَّها الحسنة التَّبَعُّل؛ لتكون ألذَّ استمتاعاً(١٠). وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرُباً» قال: «كلامهنَّ عربيٌّ»(١١).

---

(١) التذكرة ص٥٠٤-٥٠٥، وأخرجه الثعلبي كما في الكافي الشاف ص١٦٣، وأورده البغوي في التفسير ٤/ ٢٨٣ عن المسيب بن شريك موقوفاً.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٥١.

(٣) زاد المسير ٨/ ١٤٢ عن ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل والمبرد ومجاهد، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٣-٣٢٥ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٤، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٢٣-٣٢٤، والمَلَق: الوُدُّ واللطف الشديد. اللسان (ملق).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٥ وما بعده منه أيضاً.

(٦) شرح ديوان لبيد ص٦١، وفيه: الحُدُوج، بدل: الخباء. وهما بمعنى.

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٥ عن ابن بريدة، والشكلة: ذات الدَّلِّ والحُسن والتغنُّج. اللسان (شكل).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٤، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٢٥.

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٥٥ عن عكرمة، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٢٧ عن قتادة.

(١٠) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦.

(١١) أورده ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٣٢ (١٨٧٩٣) بلفظ: وذكر عن سهل بن عثمان العسكري، =

وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: «عُرْباً»، بإسكان الراء[١]. وضمَّ الباقون، وهما جائزان في جمع فَعُول.

«أَتْراباً» على ميلاد واحد في الاستواء وسنٍّ واحدة، ثلاثٍ وثلاثين سنة. يقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران[٢]. وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حدَّ الصِّبَا من النساء وانحطت عن الكبر. وقيل: «أتْراباً» أمثالاً وأشكالاً، قاله مجاهد[٣]. السُّدِّيُّ: أتراب في الأخلاق لا تباغضَ بينهنَّ ولا تحاسد.

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ قيل: الحور العين للسابقين، والأتراب العُرُب لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ رجع الكلام إلى قوله تعالى: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» أي: هم «ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ» وقد مضى الكلام في معناه.

وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحَّاك: «ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ» يعني من سابقي هذه الأمَّة، و«ثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ» من هذه الأمَّة من آخرها؛ يدلُّ عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الآية «ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ» فقال النبيُّ ﷺ: «هم جميعاً من أمَّتي»[٤].

= عن أبي علي، عن جعفر بن محمد، به. وبرقم (١٨٧٩٣) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، ... الخبر، ولم يذكر فيه: عن جدِّه.

(١) السبعة ص٦٢٢، والتيسير ص٢٠٧، والحجة للفارسي ٦/ ٢٥٨.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ وما بعده منه أيضاً، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٨، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٢٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٥، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٧٨، والواحدي في الوسيط ٤/ ٢٣٥، والبغوي في التفسير ٤/ ٢٨٥، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي عياش قال عنه ابن عدي: وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، وهو بيِّن الأمر في الضعف. اهـ. وأورده الطبري في التفسير ٢٢/ ٣٣٣ وضعَّفه. =

وقال الواحديُّ[(١)]: أصحاب الجنَّة نصفان، نصف من الأمم الماضية، ونصف من هذه الأمَّة. وهذا يردُّه ما رواه ابن ماجه في «سننه» والترمذيُّ في «جامعه» عن بُريدة ابن حصيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنَّة عشرون ومئة صفٍّ، ثمانون منها من هذه الأمَّة، وأربعون من سائر الأمم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[(٢)].

و«ثُلَّةٌ» رفع على الابتداء، أو على حذف خبر حرف الصفة، ومجازه: لأصحاب اليمين ثلتان: ثلَّة من هؤلاء، وثلَّة من هؤلاء[(٣)]. والأوَّلون: الأمم الماضية، والآخرون: هذه الأمَّة، على القول الثاني[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ذكر منازل أهل النار وسمَّاهم أصحاب الشمال؛ لأنَّهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم عظَّم ذِكْرهم في البلاء والعذاب فقال: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ . فِى سَمُومٍ﴾ والسموم: الريح الحارَّة التي تدخل في

= وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٨-١١٩ عن أبي بكرة مرفوعاً، وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ. ا هـ. ولم نقف عليه في معاجم الطبراني الثلاثة.

(١) في الوسيط ٤/ ٢٣٥ بنحوه.

(٢) ابن ماجه (٤٢٨٩)، والترمذي (٢٥٤٦).

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٦ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥ .

مسامِّ البدن[١]. والمراد هنا حرُّ النار ولفحها[٢]. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ أي: ماء حارٌّ قد انتهى حرُّه[٣]، إذا أحرقت النارُ أكبادَهم وأجسادهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحرَّ، فيجده حميماً حاراً في نهاية الحرارة والغليان. وقد مضى في «القتال»[٤]: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [الآية: ١٥].

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ أي: يفزعون من السَّموم إلى الظِّلِّ كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلاً من يَحْموم، أي: من دخان جهنَّم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما[٥]. وكذلك اليَحْموم في اللغة: الشديد السواد، وهو يَفْعول من الحَمِّ، وهو الشحم المسودُّ باحتراق النار. وقيل: هو مأخوذ من الحُمَم وهو الفحم[٦]. وقال الضحَّاك: النار سوداء، وأهلها سود، وكلُّ شيء فيها أسود[٧]. وعن ابن عباس أيضاً: النار سوداء[٨]. وقال ابن زيد: اليَحْموم: جبل في جهنَّم يستغيث إلى ظلِّه أهل النار[٩].

﴿لَّا بَارِدٍ﴾ بل حارٌّ؛ لأنَّه من دخان شفير جهنم. ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ عذب، عن الضحَّاك[١٠]، وقال سعيد بن المسيِّب: ولا حسن منظره[١١]. وكلُّ ما لا خير فيه فليس بكريم. وقيل: «وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ» أي: من النار يُعذَّبون بها، كقوله: ﴿لَهُم مِّن

(١) الكشاف ٤/ ٥٥ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٩ .

(٣) الكشاف ٤/ ٥٥ .

(٤) ١٩/ ٢٦١ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٣٥ .

(٦) الصحاح (حمم)، وتهذيب اللغة ٤/ ١٨-١٩ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ .

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٥٦ .

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦ .

(١٠) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣٧ .

(١١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ .

﴿فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ﴾[١] [الزمر: ١٦].

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ﴾ أي: إنَّما استحقُّوا هذه العقوبة؛ لأنَّهم كانوا في الدنيا متنعِّمين بالحرام. والمترَف: المنعَّم، عن ابن عباس وغيره. وقال السديُّ: «مُتْرَفِينَ» أي: مشركين[٢].

﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: يقيمون على الشِّرك، عن الحسن والضحَّاك وابن زيد[٣]. وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه[٤]. الشعبيُّ: هو اليمين الغَمُوس[٥]. وهي من الكبائر. يقال: حَنِث في يمينه، أي: لم يَبرَّها ورجع فيها[٦]. وكانوا يقسمون أنْ لا بعثَ، وأنَّ الأصنام أنداد الله، فذلك حنثهم، قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾[٧] [النحل: ٣٨]. وفي الخبر: كان يَتحنَّث في حِرَاء، أي: يفعل ما يُسقِط عن نفسه الحِنث، وهو الذَّنْب[٨].

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا﴾ هذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له، فقال الله تعالى: ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمَّد: ﴿إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ من آبائكم ﴿وَٱلۡأٓخِرِينَ﴾ منكم ﴿لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ يريد يوم القيامة. ومعنى الكلام القَسَم، ودخول اللام في قوله تعالى: «لَمَجْمُوعُونَ» هو دليل القَسَم في المعنى، أي: إنَّكم لمجموعون قَسَماً حقّاً،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣٩ عن الضحاك وابن زيد، وابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٣٣ (١٨٧٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٣٩-٣٤٠ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ .

(٦) الصحاح (حنث).

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ .

(٨) الصحاح (حنث)، وتهذيب اللغة ٤/ ٤٨٠ .

خلاف قَسَمكم الباطل.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث[١]. ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ وهو شجر كَريه المنظر، كريه الطَّعم، وهي التي ذكرت في سورة «والصافات»[٢]. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي: من الشجرة[٣]؛ لأنَّ المقصود من الشجرة شجرة. ويجوز أن تكون «من» الأولى زائدة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً كأنَّه قال: «لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ» طعاماً. وقوله «مِنْ زَقُّومٍ» صفة لشجر، والصفة إذا قدَّرت الجارَّ زائداً، نصبت على المعنى، أو جررتَ على اللفظ، فإن قدَّرت المفعول محذوفاً، لم تكن الصفة إلا في موضع جرٍّ.

قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الزقوم، أو على الأكل، أو على الشجر[٤]؛ لأنَّه يذكَّر ويؤنَّث. ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ وهو الماء المغليُّ الذي قد اشتدَّ غليانه، وهو صديد أهل النار[٥]. أي: يورثهم حَرّ ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشاً، فيشربون ماء يظنُّون أنَّه يزيل العطش، فيجدونه حميماً مُغْلًى.

قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قراءة نافع وعاصم وحمزة: «شُرْبَ» بضمِّ الشين، الباقون بفتحها[٦]، لغتان جيِّدتان، تقول العرب: شَرِبت شُرْباً وشَرْباً وشِرْباً وشُرُباً بضمَّتين[٧]. قال أبو زيد: سمعت العربَ تقول بضمِّ الشين وفتحها وكسرها، والفتح هو المصدر الصحيح؛ لأنَّ كلَّ مصدر من ذوات الثلاث فأصله فَعْل، ألا ترى أنَّك تردّه إلى المرَّة الواحدة، فتقول: فَعْلة، نحو شَرْبة، وبالضمِّ الاسم. وقيل: إنَّ

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٥.

(٢) بقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ وسلف ١٨/ ٤١.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٠٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٢.

(٦) السبعة ص٦٢٣، والتيسير ص٢٠٧.

(٧) الصحاح (شرب) دون ذكر: وشُرُباً بضمتين.

الفتح والاسم مصدران، فالشَّرْب كالأكل، والشُّرب كالذُّكْر، والشِّرب ـ بالكسر ـ المشروب، كالطِّحن المطحون[(١)].

والهِيم: الإبل العِطاش التي لا تَرْوى لدَاءٍ يصيبها، عن ابن عباس وعِكرمة وقتَادة والسُّديّ وغيرهم[(٢)]، وقال عكرمة أيضاً: هي الإبل المِراض[(٣)]. الضحَّاك: الهيم: الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشاً شديداً، واحدها: أهْيَم، والأنثى: هَيْماء[(٤)]. ويقال لذلك: الداء الهُيَام، قال قيس بن الملوّح:

يـقـال بِـه داء الـهُـيَـامِ أصـابـه ... وقد علِمت نفسي مكانَ شِفائِها[(٥)]

وقوم هِيم أيضاً، أي: عِطاش، وقد هاموا هُيَاماً. ومن العرب من يقول في الإبل: هائم وهائمة، والجمع هيم[(٦)]، قال لَبِيد:

أَجَـزْتُ إلـى مـعـارِفِـهـا بِـشُـعْـثٍ ... وأطـلَاحٍ مِـن الـعِـيـدِيِّ هِـيـمِ[(٧)]

وقال الضحَّاك والأخفش وابن عيينة وابن كيسان: الهيم: الأرض السهلة ذات الرمل[(٨)]. وروي أيضاً عن ابن عباس: فيشربون شرب الرمال التي لا تَرْوى بالماء[(٩)]. المهدويُّ: ويقال لكلِّ ما لا يروى من الإبل والرمل: أهيم وهيماء.

---

(١) الحجة للفارسي ٦/ ٢٦٠ ، والبيان ٢/ ٤١٧-٤١٨ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٤٣ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٤٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٤٣ .

(٤) زاد المسير ٨/ ١٤٥ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧ ، ولم نقف عليه في ديوان قيس.

(٦) تهذيب اللغة ٦/ ٤٦٨ .

(٧) شرح ديوان لبيد ص١٠٣ ، قال شارحه: شعث: رجال سيئة حالهم من الجهد والسفر. وأطلاح: إبل رزايا مهازيل. والعيدي: إبل منسوبة إلى فحل أو إلى قوم.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٦ عن الضحاك وابن عيينة، والصحاح (هيم) عن الأخفش.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ .

وفي «الصحاح»[(١)]: والهُيَام بالضمِّ: أشدُّ العطش. والهُيَام كالجنون من العشق. والهُيَام: داء يأخذ الإبل فتَهيم في الأرض لا ترعى. يقال: ناقة هَيْماء. والهيماء أيضاً: المفازة لا ماءَ بها. والهَيَام بالفتح: الرمل الذي لا يتماسك أن يسيل من اليد للِينِهِ، والجمع هُيُم مثل قَذَال وقُذُلٍ. والهِيَام بالكسر: الإبل العطاش، الواحد هَيْمان، وناقة هَيْمَى مثل عطشان وعطشى.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: رزقهم الذي يُعَدُّ لهم، كالنُّزُل الذي يعدُّ للأضياف؛ تكرمةً لهم، وفيه تهكُّم، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وكقول أبي الشعر[(٢)] الضَّبيِّ:

وكنَّا إذا الجَبَّارُ بالجيشِ ضَافَنَا جعلنا القَنَا والمرهفاتِ له نُزْلَا

وقرأ يونس بن حبيب وعباس عن أبي عمرو: «هَذَا نُزْلُهُمْ» بإسكان الزاي[(٣)]، وقد مضى في آخر «آل عمران»[(٤)] القول فيه. «يَوْمَ الدِّينِ» يوم الجزاء، يعني في جهنَّم.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلّا تصدِّقون بالبعث[(٥)]؟ لأنَّ

---

(١) مادة: (هيم).

(٢) في (م) و(د): السعد، والمثبت من (ظ) والكشاف ٤/ ٥٦ ، وأورده أيضاً الزمخشري في الكشاف ١/ ٤٩١ وسمَّاه: أبو الشعراء الضبي.

(٣) قراءة أبي عمرو في السبعة ص٦٢٣ ، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥١ وقال: هذا نزلهم، بالإسكان، هارون عن أبي عمرو وعياش.

(٤) ٥/ ٤٨٣ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

الإعادة كالابتداء. وقيل: المعنى: نحن خلقنا رزقكم، فهلَّا تصدِّقون أنَّ هذا طعامكم[١] إن لم تؤمنوا؟.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تصبُّونه من المَنِيِّ في أرحام النساء[٢]. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: ما تصوِّرون منه الإنسان ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ المقدِّرون المصوِّرون[٣]. وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، أي: إذا أقررتم بأنَّا خالقوه لا غيرنا، فاعترفوا بالبعث. وقرأ أبو السَّمَّال ومحمد بن السميفع وأشهب العقيليُّ: «تَمْنُونَ» بفتح التاء[٤]، وهما لغتان أمْنى ومَنى، وأمذَى ومَذَى، يُمني ويَمنِي، يُمذِي ويَمذِي[٥].

الماورديُّ[٦]: ويحتمل أن يختلف معناهما عندي، فيكون أمنى: إذا أنزل عن جماع. ومَنَى: إذا أنزل عن الاحتلام. وفي تسمية المنيِّ مَنِيًّا وجهان: أحدهما: لإمنائه وهو إراقته. الثاني: لتقديره، ومنه المَنَا الذي يُوزَن به[٧]؛ لأنَّه مقدار لذلك، كذلك المنيُّ مقدار صحيح لتصوير الخلقة.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ احتجاج أيضاً، أي: الذي يَقدِر على الإماتة يَقدِر على الخَلْق، وإذا قدر على الخَلْق قدر على البعث.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٥٨ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٠ .

(٣) الكشاف ٤/ ٥٦ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٥١ ، والكشاف ٤/ ٥٦ عن أبي السَّمَّال، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨ عن ابن عباس وأبي السَّمَّال.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٨ .

(٦) في النكت والعيون ٥/ ٤٥٨ .

(٧) المَنَا، والمنُّ بلغة تميم، والمنا أفصح: كيل يكال به السمن، أو ميزان يوزن به، ويقدَّر بنصف كيلو غرام تقريباً في زماننا، أو يزيد أو ينقص قليلاً حسب نوعه، فمنه المنا المصري وهو ٣٤٧/ ٤١٢ غرام، والرومي وهو ٦٤٣/ ٥٤١ غرام، والطبي وهو ٥٦٣/ ٦١٨ غرام. معجم متن اللغة ١/ ٨٦ ، ومادة (منن) و(مني).

وقرأ مجاهد وحُميد وابن مُحَيْصن وابن كَثير: «قَدَرْنا» بتخفيف الدال، الباقون بالتشديد[(١)].

قال الضحَّاك: أي: سوَّينا بين أهل السماء وأهل الأرض[(٢)]. وقيل: قضينا. وقيل: كتبنا[(٣)]. والمعنى متقارب، فلا أحد يبقى غيره عزَّ وجلَّ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: إن أردنا أن نبدِّل أمثالكم لم يسبقنا أحد[(٤)]، أي: لم يغلبنا. «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» معناه: بمغلوبين[(٥)]. وقال الطبريُّ[(٦)]: المعنى: نحن قدَّرنا بينكم الموت على أن نبدِّل أمثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم، وما نحن بمسبوقين في آجالكم، أي: لا يتقدَّم متأخِّر، ولا يتأخَّر متقدِّم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور والهيئات[(٧)]. قال الحسن: أي: نجعلكم قردةً وخنازيرَ كما فعلنا بأقوام قبلكم[(٨)]. وقيل: المعنى: ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فيجمَّل المؤمنُ ببياض وجهه، ويُقبَّح الكافرُ بسواد وجهه[(٩)]. سعيد ابن المسيب[(١٠)]: قوله تعالى: «فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ» يعني في حواصل طير سود تكون ببَرهُوت، كأنَّها الخطاطيف، وبَرَهُوت: وادٍ في اليمن. وقال مجاهد: «فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ»

---

(١) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦٢٣ ، والتيسير ص٢٠٧ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٤ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٠ .

(٦) في التفسير ٢٢/ ٣٤٧-٣٤٨ .

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣١٨ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ .

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٩ بنحوه.

(١٠) في النسخ عدا (ظ): جبير، والمثبت (ظ) وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ والكلام منه.

في أيِّ خَلْق شئنا[١]. وقيل: المعنى: ننشئكم في عالم لا تعلمون، وفي مكان لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: إذ خُلِقتم من نُطفة، ثم من عَلَقة، ثم من مُضْغة[٢]، ولم تكونوا شيئاً، عن مجاهد[٣] وغيره. قتادة والضحَّاك: يعني خَلْق آدم عليه السلام[٤]. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلَّا تذكَّرون. وفي الخبر: عجباً كلُّ العجب للمكذِّب بالنشأة الأُخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجباً للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار[٥].

وقراءة العامة: «النَّشْأَة» بالقَصْر. وقرأ مجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو: «النَّشَاءَة» بالمدِّ، وقد مضى في «العنكبوت»[٦] بيانه.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ هذه حجَّة أُخرى، أي: أخبروني عمَّا تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البَذر، أنتم تنبتونه وتحصِّلونه زرعاً فيكون فيه السُّنبل والحَبُّ، أم نحن نفعل ذلك[٧]؟ وإنَّما منكم البَذْر وشَقُّ الأرض، فإذا أقررتم بأنَّ إخراج السُّنبل من الحبِّ ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى؛ لأنَّ الحرث فِعْلهم ويجري

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٠، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٤٦.

(٢) الوسيط ٤/ ٢٣٧.

(٣) في تفسيره ٢/ ٦٥٠.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢، والطبري ٢٢/ ٣٤٧ عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٣٢٨ عن علي بن الحسين بنحوه.

(٦) ١٦/ ٣٥٢.

(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٨.

على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم[(١)].

وكذلك ما روى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يقولنَّ أحدكم: زرعتُ، وليقلْ: حرثتُ، فإنَّ الزارع هو الله» قال أبو هريرة: ألَم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[(٢)].

والمستحبُّ لكلِّ من يُلقي البذر في الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ» الآية، ثم يقول: بل الله الزارع والمنبِت والمبلغ، اللهمَّ صلِّ على محمد، وارزقنا ثمره، وجنِّبنا ضرره، واجعلنا لأنْعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا ربَّ العالمين. ويقال: إنَّ هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات؛ الدود والجراد وغير ذلك، سمعناه من ثقة، وجُرِّب فوُجِد كذلك.

ومعنى «أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ» أي: تجعلونه[(٣)]. وقد يقال: فلان زرَّاع كما يقال: حرَّاث، أي: يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعاً يعجب الزرَّاع. وقد يطلق لفظ الزرع على بَذر الأرض وتكريبها[(٤)] تجوُّزاً.

قلت: فهو نهي إرشاد وأدب، لا نهي حظر وإيجاب، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقولنَّ أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: غلامي وجاريتي، وفَتاي وفَتاتي»[(٥)] وقد مضى في «يوسف»[(٦)] القول فيه. وقد بالغ بعض العلماء فقال:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ ، وما بعده منه أيضاً.

(٢) أخرجه البزار (١٢٨٩ كشف الأستار)، والطبري ٢٢/ ٣٤٨ ، وابن حبان في صحيحه (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨٠٢٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٢٠ : رواه الطبراني في الأوسط والبزار، وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. اهـ. قلنا: مسلم ابن أبي مسلم الجرمي ذكره ابن حبان في الثقات ٩/ ١٥٨ ، ووثقه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠ .

(٣) بعدها في (م): زرعاً.

(٤) كَرَب الأرضَ يكربها كَرْباً وكِراباً: قَلَبها للحرث، وأثارها للزرع. اللسان (كرب).

(٥) سلف ٦/ ٢١٣ .

(٦) ١١/ ٣٥٤ .

لا يقل: حرثت فأصبت، بل يقل: أعانني الله فحرثت، وأعطاني بفَضْله ما أصبت.
قال الماورديّ[١]: وتتضمَّن هذه الآية أمرين: أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني: البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العَفَن والتتريب حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً مشتداً أضعافَ ما كان عليه، فهو بإعادة من أمات أخفُّ عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفِطَر السليمة.

ثم قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾ أي: متكسِّراً: يعني الزرع. والحُطام: الهشيم الهالك الذي لا يُنتفع به في مطعم ولا غذاء، فنبَّه بذلك أيضاً على أمرين: أحدهما: ما أولاهم به من النِّعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكره. الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنَّه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء، وكذلك يُهلِكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا[٢].

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تعجَّبون بذهابها، وتندَّمون مما حلَّ بكم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما[٣]. وفي «الصحاح»[٤]: وتفكَّه، أي: تعجَّب، ويقال: تندَّم، قال الله تعالى: «فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» أي: تندَّمون. وتفكَّهت بالشيء: تمتَّعت به.

وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]. وقال عكرمة: تلاومون[٥] وتندَّمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم. ابن كَيْسان: تحزنون[٦]. والمعنى متقارب.

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٥٠ .

(٤) مادة: (فكه).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٧ ، وتتمة قول عكرمة ذكره عن الحسن لا عن عكرمة، وكذلك ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٥٧ عن الحسن.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٠ .

وفيه لغتان: تفَكَّهون وتَفَكَّنُون[١]، قال الفرَّاء: والنون لغة عُكْل[٢]. وفي «الصحاح»[٣]: التفكُّن: التندُّم على ما فات. وقيل: التفكُّه: التكلُّم فيما لا يعنيك، ومنه قيل للمزاح: فُكاهة، بالضمِّ، فأما الفَكاهة ـ بالفتح ـ فمصدر فَكِهَ الرجلُ ـ بالكسر ـ فهو فَكِهٌ: إذا كان طيِّب النفس مَزَّاحاً[٤].

وقراءة العامة: «فَظَلْتُمْ» بفتح الظاء. وقرأ عبد الله: «فَظِلْتُمْ» بكسر الظاء[٥]، ورواها هارون عن حسين عن أبي بكر. فمن فتح فعلى الأصل، والأصل: ظَلَلتُمْ، فحذف اللام الأولى تخفيفاً، ومن كسر نقل كسرة اللام الأولى إلى الظاء ثم حذفها.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ وقرأ أبو بكر والمفضَّل: «أَئِنَّا» بهمزتين على الاستفهام[٦]، ورواه عاصم عن زِرِّ بن حُبَيش. الباقون بهمزة واحدة على الخبر، أي: يقولون: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» أي: معذَّبون، عن ابن عباس وقَتَادة قالا: والغرام: العذاب[٧]، ومنه قول ابن المحلِّم:

وثقت بأنَّ الحِفظ منِّي سجيَّةٌ ... وأنَّ فؤادي مُتْبَلٌ بك مغرم[٨]

وقال مجاهد وعِكرمة: لمولع بنا[٩]، ومنه قول النَّمِر بن تَوْلَب:

سَلاَ عن تَذكُّره تُكْتَما ... وكان رَهيناً بها مُغرَمَا[١٠]

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨٠ ونسبها إلى تميم.

(٢) الأضداد لأبي بكر الأنباري ص٦٥ دون عزوه للفرَّاء.

(٣) مادة: (فكن).

(٤) الصحاح (فكه).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠-٣٤١ .

(٦) السبعة ص٦٢٣ ، والتيسير ص٢٠٧ .

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ ، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٢ عن قتادة.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ .

(٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(١٠) مختارات ابن الشجري ص١٦ ، ومنتهى الطلب لابن ميمون ١/ ٢٨٦ .

يقال: أُغرم فلانٌ بفلانة، أي: أُولع بها، ومنه الغرام، وهو الشَّرُّ اللازم[١]. وقال مجاهد أيضاً: لملقون شرًّا[٢]. وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. النحَّاس[٣]: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» مأخوذ من الغَرام وهو الهلاك، كما قال:

يـومُ الـنِّـسَـارِ ويـومُ الـجِـفَـا رِ كَـانَـا عَـذَابـاً وكـانَـا غَـرَامَـا[٤]

الضحَّاك وابن كيسان: هو من الغُرْم، والمُغْرَم: الذي ذهب ماله بغير عوض[٥]، أي: غرِمنا الحَبَّ الذي بذرناه. وقال مُرَّة الهَمداني: محاسبون.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حرمنا ما طلبنا من الريع[٦]. والمحروم: الممنوع من الرزق. والمحروم ضدُّ المرزوق، وهو المحارِف في قول قتادة[٧]. وعن أنس: أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بأرض الأنصار فقال: «ما يمنعكم من الحرث»؟ قالوا: الجدوبة. فقال: «لا تفعلوا، فإنَّ الله تعالى يقول: أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء، وإن شئت زرعت بالريح، وإن شئت زرعت بالبَذْر» ثم تلا: «أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»[٨].

قلت: وفي هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يصحِّح قولَ من أدخل الزارع في أسماء الله سبحانه، وأباه الجمهور من العلماء، وقد ذكرنا ذلك في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»[٩].

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ١٣١ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٠ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٢ .

(٣) في إعراب القرآن له ٤/ ٣٤١ .

(٤) القائل بشر بن أبي خازم الأسدي، وهو في ديوانه ص١٩٨ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٦) الوسيط ٤/ ٢٣٨ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٢ ، والطبري ٢٢/ ٣٥٣ .

(٨) لم نقف عليه.

(٩) ص٩٤ و١٠٣ .

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ لتحيوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم؛ لأنَّ الشراب إنَّما يكون تبعاً للمطعوم، ولهذا جاء الطعام مقدَّماً في الآية قبلُ، ألا ترى أنَّك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه. الزمخشريُّ: ولو عكستَ قعدتَ تحت قول أبي العلاء:

إذا سُقِيَتْ ضُيوفُ الناسِ مَحْضاً سَقَوا أضيافَهم شَبِماً زُلالا[(١)]

وسُقي بعضُ العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثَمِيلة[(٢)].

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي: السَّحاب، الواحدة: مُزْنة[(٣)]، فقال الشاعر:

فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصَابِنَا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخيلُ[(٤)]

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنَّ المُزْن السَّحاب[(٥)]. وعن ابن عباس أيضاً والثوري: المُزْن: السَّماء والسَّحاب[(٦)]. وفي «الصِّحاح»[(٧)]: أبو زيد: المُزْنة: السَّحابة البيضاء، والجمع: مُزْن، والمُزنة: المَطْرَة، قال:

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٧، وما بعده منه أيضاً، والمحض: اللبن الخالص الذي لم يخالطه ماء. والشَّبِم: الماء البارد. اللسان (محض) و(شبم).

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٢/ ٣٦٥ وقال: أي: على شيء في بطنه. ويقال: ثمل الرجل: إذا سَكِرَ.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٥٢.

(٤) القائل: السموأل بن عاديا اليهودي، والبيت في ديوانه ص٦٩، والنصاب: الأصل. ورجل كَهام وكهيم: ثقيل مسنٌّ دثور لا غناء عنده. اللسان (نصب) و(كهم).

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٤ عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥١.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) مادة: (مزن).

ألم تَرَ أنَّ اللـه أنـزَل مُـزْنـةً وعُفْرُ الظِّباءِ في الكِناسِ تقمَّعُ[١]

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ أي: فإذا عرفتم بأنِّي أنزلته، فَلِمَ لا تشكروني بإخلاص العبادة لي؟ ولِمَ تنكرون قدرتي على الإعادة؟ .﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي: ملحاً شديد الملوحة، قاله ابن عباس. الحسن: مرًّا[٢] قُعَاعاً لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما[٣] .﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلَّا تشكرون الذي صنع ذلك بكم[٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي: أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقَدْح من الشجر الرَّطْب ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ يعني التي تكون منها الزناد، وهي المرخُ والعَفَار[٥]، ومنه قولهم: في كلّ شجرٍ نارٌ، واسْتَمْجدَ المَرخ والعَفَارُ، أي: استكثر منها[٦]، كأنَّهما أخذا من النار ما هو حسبهما، ويقال: لأنَّهما يسرعان الوَرْيَ، يقال: أَوريتُ النار: إذا قدحتها، ووَرَى الزَّنْدُ يَرِي: إذا انقدح منه النار. وفيه لغة أخرى: ووَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي بالكسر فيهما[٧]. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أي: المخترعون الخالقون، أي: فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني، ولا تنكروا قدرتي على البعث.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى، قاله قتادة. ومجاهد: تبصرة للناس من الظلام[٨]. وصحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ ناركم هذه التي يُوقِدُ بنو آدم جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنَّم» فقالوا: يا رسول الله، إن كانت

---

(١) القائل: أوس بن حجر، وهو في ديوانه ص٥٧، والكناس: مَوْلج الوحش من الظباء والبقر تستكنُّ فيه من الحَرِّ. اللسان (كنس)، قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٦٠٦: تقمَّع: تطرد عنها القمعة، وهو ذباب أزرق، يقول: خصَّه الله بهذه المزنة في غير وقت مطر في الحر، والذباب لم يخفّ ولم يذهب.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٢ والقُعَاع: الماء المُرُّ الغليظ. اللسان (قعع).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٥ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨ .

(٦) الكامل للمبرد ١/ ٢٧٥-٢٧٦ ، والمثل في المستقصى للزمخشري ٢/ ١٨٣ .

(٧) الصحاح (وري).

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤٦١ .

لكافيةً. قال: «فإنَّها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جُزءاً، كلُّهنَّ مثلُ حَرِّها»[١].

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال الضحَّاك: أي: منفعة للمسافرين، سمُّوا بذلك؛ لنزولهم القَوَى، وهو القَفْر[٢]. الفرَّاء[٣]: إنَّما يقال للمسافرين: مُقْوِين إذا نزلوا القيَّ، وهي الأرض القَفْر التي لا شيء فيها. وكذلك القَوى والقَوَاء بالمدِّ والقصر، ومنزلٌ قَواء: لا أنيسَ به، يقال: أقْوَتِ الدار وقَوِيَت أيضاً، أي: خَلَتْ من سكَّانها[٤]، قال النابغة:

يـا دارَ مَـيَّـةَ بـالـعَـلْـيَـاءِ فَـالـسَّـنَـدِ أقْـوَتْ وطال عَـلـيـها سَـالفُ الأَمَـدِ[٥]

وقال عنترة:

حُـيِّـيـتَ مِـنْ طَـلَـلٍ تَـقَـادَمَ عَـهـدُهُ أقـوى وأقْـفَـر بَـعْـد أُمِّ الـهَـيْـثَـمِ[٦]

ويقال: أقْوَى، أي: قَوِيَ وقَوِي أصحابه[٧]، وأقوى: إذا سافر، أي: نزل القَوَاء والقِيَّ. وقال مجاهد: «لِلْمُقْوِينَ» المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخَبْز والاصطلاء والاستضاءة[٨]، ويتذكَّر بها نار جهنَّم فيستجار بالله منها. وقال ابن زيد: للجائعين في إصلاح طعامهم[٩]. يقال: أقويت منذ كذا وكذا، أي: ما أكلت شيئاً[١٠]، وبات فلان القَوَاء، وبات القفرَ: إذا بات جائعاً على غير طُعْم[١١]، قال

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، وأحمد (٨١٢٦) عن أبي هريرة ﵁.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦١، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٧.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٩.

(٤) الصحاح (قوا).

(٥) سلف ١٠/ ٤٧٤.

(٦) سلف ٢/ ١٠٧.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٣.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨، والصحاح (قوا).

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٦١، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٥٨.

(١٠) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٨.

(١١) الصحاح (قوا)، وما بعده منه أيضاً.

الشاعر:

وإنّي لأختارُ القَوَى طَاوِي الحَشَى مـحَـافَـظَـةً مـن أنْ يُـقـالَ لَـئِـيـم[١]

وقال الربيع والسديُّ: «الْمُقْوِينَ» المنزلين الذين لا زناد معهم؛ يعني ناراً يوقدون فيختبزون بها؟ ورواه العوفي عن ابن عباس. وقال قُطْرب: المُقْوِي من الأضداد يكون بمعنى الفقير، ويكون بمعنى الغني، يقال: أقوى الرجل: إذا لم يكن معه زاد. وأقوى: إذا قويت دوابه وكثر ماله[٢]. المهدويُّ: والآية تصلح للجميع؛ لأنَّ النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير. وحكى الثعلبيُّ أنَّ أكثر المفسرين على القول الأوَّل. القشيريُّ: وخصَّ المسافر بالانتفاع بها؛ لأنَّ انتفاعه بها أكثر من منفعة المقيم؛ لأنَّ أهل البادية لابدَّ لهم من النار يوقدونها ليلاً؛ لتهرب منهم السِّباع، وفي كثير من حوائجهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: فنزِّه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد، والعَجْز عن البعث.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ «لا» صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى: فأقسم[٣]؛ بدليل قوله: «وإنَّهُ لَقَسَمٌ». وقال الفرَّاء: هي نَفْي، والمعنى:

---

(١) أورده المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٤/ ١٧١٥ ولم ينسبه، وجاءت رواية صدره عنده:

لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا

ثم قال: وبعضهم رواه: «لقد كنت أختار القوَى»، وزعم أنه مقصور من القوَاء، وليس بشيء. ا هـ.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٨.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩.

ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف «أُقْسِمُ»[١]. وقد يقول الرجل: لا واللهِ ما كان كذا. فلا يريد به نفي اليمين، بل يريد به نفي كلام تقدَّم. أي: ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: «لا» بمعنى «ألَّا» للتنبيه كما قال:

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّللُ البَالي[٢]

ونبَّه بهذا على فضيلة القرآن؛ ليتدبَّروه، وأنَّه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا[٣].

وقرأ الحسن وحميد وعيسى بن عمر: «فَلَا أُقْسِمُ»[٤] بغير ألف بعد اللام على التحقيق: وهو فعل حال، ويقدر مبتدأ محذوف، التقدير: فلأنا أُقسم بذلك. ولو أريد به الاستقبال للزمت النون، وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال، وهو شاذٌّ.

الثانية: قوله تعالى: ﴿بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ مواقع النجوم: مساقطها ومغاربها، في قول قتادة وغيره[٥]. عطاء بن أبي رَبَاح: منازلها. الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة[٦]. الضحَّاك: هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية يقولون إذا مُطِروا قالوا: مُطِرنا بنَوْء كذا. الماورديُّ[٧]: ويكون قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ مستعملاً على حقيقته من نفي القسم. القشيريُّ: هو قَسَم، ولله تعالى أن يُقسِم بما يريد، وليس لنا أن نُقسِم بغير الله تعالى وصفاته القديمة.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٩ ولم ينسبه.

(٢) القائل امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص٢٧، وتمامه:

وهل يَعِمَنْ من كان في العُصر خاليا

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٥١ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٩ ، وما بعده منه، ومن الكشاف ٤/ ٥٨ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٠-٣٦١ عن قتادة ومجاهد، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٢ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ ، وأخرجه الطبريُّ ٢٢/ ٣٦١ عن الحسن.

(٧) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٣ ، وما قبله منه أيضاً.

قلت: يدلُّ على هذا قراءة الحسن: «فَلأُقْسِمُ» وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه. وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم: نزول القرآن نجوماً، أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السَّفَرة الكاتبين، فنجَّمه السفرةُ على جبريل عشرين ليلة، ونجمَّه جبريل على محمَّد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنةً، فهو ينزله على الأحداث من أمَّته، حكاه الماورديُّ(١) عن ابن عباس والسُّدِّيِّ.

وقال أبو بكر الأنباري: حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدَّثنا حجَّاج بن المنهال، حدَّثنا همَّام، عن الكلبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملةً واحدةً، ثم نزل إلى الأرض نجوماً، وفُرِّقَ بعد ذلك خمسَ آيات خمسَ آيات، وأقلَّ وأكثر، فذلك قول الله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»(٢).

وحكى الفرَّاء(٣) عن ابنِ مسعود أنَّ مواقع النجوم هو مُحكَم القرآن.

وقرأ حمزة والكسائي: «بِمَوْقِعِ»(٤) على التوحيد، وهي قراءة عبد الله بن مسعود والنَّخَعيِّ والأعمش وابنِ مُحيصن ورُوَيس عن يعقوب. الباقون على الجمع؛ فمن أفرد؛ فلأنَّه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع، ومن جمع؛ فلاختلاف أنواعه(٥).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ قيل: إنَّ الهاء تعود على القرآن، أي: إنَّ القرآن لقَسَم عظيم، قاله ابن عباس وغيره(٦). وقيل: ما أَقسم الله به عظيم «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

(١) في النكت والعيون ٥/ ٤٦٣.

(٢) وأخرجه مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥١، والطبري ٢٢/ ٣٥٩ من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٩ بإسناده إلى ابن مسعود.

(٤) السبعة ص٦٢٤، والتيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٣٨٣.

(٥) الحجة للفارسي ٦/ ٢٦٣.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣.

كَرِيمٌ» ذكر المقسم عليه، أي: أُقسم بمواقع النجوم إنَّ هذا القرآن قرآن كريم[١]، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزةً لنبيِّه ﷺ، وهو كريم على المؤمنين؛ لأنَّه كلام ربِّهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء؛ لأنَّه تنزيل ربِّهم ووَحْيه.

وقيل: «كَرِيمٌ» أي: غير مخلوق. وقيل: «كرِيمٌ» لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور[٢]. وقيل: لأنَّه يُكرِّم حافظه، ويُعظِّم قارئه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون عند الله تعالى[٣]. وقيل: مكنون: محفوظ عن الباطل[٤]. والكتاب هنا كتاب في السماء، قاله ابن عباس[٥]. وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضاً: هو اللوح المحفوظ[٦]. عِكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذِكْر القرآن ومن ينزل عليه. السُّدِّيُّ: الزبور. مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا[٧].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ اختلف في معنى «لا يَمَسُّهُ» هل هو حقيقة في المسِّ بالجارحة أو معنًى؟ وكذلك اختلف في «الْمُطَهَّرُونَ» من هم؟ فقال أنس وسعيد بن جُبير: لا يمسُّ ذلك الكتاب إلا المطهَّرون من الذنوب، وهم الملائكة[٨]. وكذا قال أبو العالية وابن زيد: إنَّهم الذين طُهِّروا من الذنوب كالرُّسل

---

(١) الوسيط ٤/ ٢٣٩.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣، وما بعده منه أيضاً.

(٥) أخرجه عنه مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٢، والطبري ٢٢/ ٣٦٢.

(٦) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٦٣.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٦٣، وأخرج قول عكرمة الطبري ٢٢/ ٣٦٥.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٤-٣٦٦ عن سعيد بن جبير وأبي العالية وابن زيد، وذكره ابن المنذر في الأوسط ٢/ ١٠٣ عن أنس.

من الملائكة والرُّسل من بني آدم، فجبريل النازل به مُطهَّر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مُطهَّرون. الكلبيُّ: هم السَّفَرة الكرام البرَرَة[١]. وهذا كلُّه قول واحد، وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال: أَحسنُ ما سمعتُ في قوله: «لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ»: أَنَّها بمنزلة الآية التي في «عَبَسَ وتَوَلَّى»: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ . فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ . بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٢-١٦] ويريد أنَّ المطهَّرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة «عبس»[٢].

وقيل: معنى «لا يَمَسُّهُ» لا ينزل به «إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» أي: الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء[٣]. وقيل: لا يمسُّ اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهَّرون[٤]. وقيل: إنَّ إسرافيل هو الموكَّل بذلك، حكاه القشيريُّ. ابن العربي[٥]: وهذا باطل؛ لأنَّ الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنَّه الذي بأيدي الملائكة من الصحف، فهو قول محتمل، وهو اختيار مالك.

وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا[٦]، وهو الأظهر. وقد روى مالك وغيره أنَّ في كتاب عمرو بنِ حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ ونسخته: «من محمَّد النبيِّ إلى شُرَحْبيل بن عبد كُلَال والحارث بن عبد كُلَال ونُعَيْم بن عبد كُلَال قَيْل ذي رُعَين ومَعَافر وهَمْدان: أما بعد، وكان في كتابه: ألا يمسَّ القرآن إلا طاهر[٧].

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦ ، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ وعزاه إلى ابن زيد.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٦ .

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٥-١٧٢٦ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦ ، والحديث عند مالك في الموطأ ١/ ١٩٩ ـ ومن طريقه أبو داود في المراسيل (٩٣) ـ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم مرسلاً. وأخرجه أيضاً أبو داود في المراسيل =

وقال ابن عمر: قال النبيُّ ﷺ: «لا تمسَّ القرآن إلا وأنت طاهر»(١). وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» فقام واغتسل وأسلم(٢). وقد مضى في أوَّل سورة «طه»(٣). وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره: «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» من الأحداث والأنجاس. الكلبي: من الشِّرْك. الربيع ابن أنس: من الذنوب والخطايا(٤).

وقيل: «لا يَمَسُّه»: لا يقرؤه «إلا المطهَّرون» إلا الموحِّدون، قاله محمد بن فضيل وعَبْدة. قال عكرمة: كان ابن عباس ينهى أن يُمكَّن أحدٌ من اليهود والنصارى من قراءة القرآن(٥).

وقال الفرَّاء(٦): لا يجد طعمَه ونفعَه وبركته إلا المطهَّرون، أي: المؤمنون بالقرآن. ابن العربي(٧): وهو اختيار البخاريِّ، قال النبيُّ ﷺ: «ذاق طَعْم الإيمان من رضيَ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّد ﷺ نبياً». وقال الحسين بن الفضل:

= (٩٢) و(٩٤)، والدارقطني ١/ ١٢١ من طرق أخرى مرسلاً، قال أبو داود: روي هذا الحديث مسنداً، ولا يصحُّ. اهـ. وقال الدارقطني عن إحدى طرقه: مرسل، ورواته ثقات. اهـ

وأخرجه موصولاً ابن حبان في صحيحه (٦٥٥٩)، والدارقطني ١/ ١٢٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٩٧، والبيهقي ٤/ ٨٩ مطولاً، وفي إسناده: سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث، وقد أخطأ بعض الرواة فسمَّاه سليمان بن داود، ينظر التفصيل في ذلك في الجوهر النقي ٤/ ٨٩.

قال ابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ١٠، وفي التمهيد ١٧/ ٣٩٧: وكتاب عمرو بن حزم هذا تلقَّاه العلماء بالقبول والعمل، وهو عندهم أشهر وأظهر من الإسناد الواحد المتصل.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧)، وفي الصغير (١١٦٢)، والدارقطني ١/ ١٢١، والبيهقي ١/ ٨٨. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والصغير، ورجاله موثقون.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٦.

(٣) ١٤/ ٥-٦، وسلف تخريج الخبر هناك.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩.

(٦) في معاني القرآن له ٣/ ١٣٠، والمصنف نقله عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٦٤.

(٧) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٦، والحديث الآتي سلف ٨/ ٢٠٧.

لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهَّره اللهُ من الشِّرْك والنفاق. وقال أبو بكر الورَّاق: لا يُوفَّق للعمل به إلا السُّعداء. وقيل: المعنى لا يمسّ ثوابه إلا المؤمنون. ورواه معاذ عن النبيِّ ﷺ[١]. ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع، أي: لا يمسُّه إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ شرعاً، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع، وهذا اختيار القاضي أبي بكر بن العربي[٢]. وأَبطل أن يكون لفظُه لفظَ الخبر، ومعناه الأمر. وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة»[٣]. المهدويُّ: يجوز أن يكون أمراً، وتكون ضمَّة السين ضمَّة إعراب. ويجوز أن يكون نهياً وتكون ضمَّة السين ضمَّة بناء، والفعل مجزوم.

السادسة: واختلف العلماء في مسِّ المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع من مسِّه؛ لحديث عمرو بن حزم. وهو مذهب عليٍّ وابنِ مسعود وسعد بنِ أبي وقاص وسعيد بنِ زيد وعطاء والزُّهريِّ والنَّخعيِّ والحكم وحمَّاد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي[٤]. واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنَّه يمسُّه المحدِث[٥]، وقد روي هذا عن جماعة من السَّلف منهم ابن عباس والشعبيُّ وغيرهما[٦]. وروي عنه أنَّه يمسُّ ظاهرَه وحواشيَه وما لا مكتوبَ فيه، وأما الكتاب فلا يمسُّه إلا طاهر. ابن العربيِّ[٧]: وهذا إن سُلِّمه مما يُقوِّي الحجَّة عليه؛ لأنَّ حريم

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ ، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٠٩ ، وفي إسناده: إسماعيل بن أبي زياد، وهو منكر الحديث.

(٢) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٦ .

(٣) ٣/ ٤٩٠ .

(٤) التمهيد ١٧/ ٣٩٧-٣٩٩ ، والاستذكار ٨/ ١٠ ، وكلام الشافعي في الأم ١/ ٢٢١ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٧ ، ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من مصادر، بل الذي ورد أنه يحرم مسُّ المصحف للمحدِث ـ كما ذهب إليه الجمهور ـ ورواية أخرى عن بعض مشايخ الحنفية أنه يكره له مسُّ الموضع المكتوب دون الحواشي؛ لأنه لم يمسَّ القرآن حقيقة، والصحيح أنه إنَّما يكره مسُّ كلِّه، لأن الحواشي تابعة للمكتوب، فكان مسُّها مسًّا للمكتوب. بدائع الصنائع ١/ ٢٦٤-٢٦٦ ، وحاشية ابن عابدين ١/ ١٧٣-١٧٤ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢ .

(٧) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٢٧ ، وما قبله منه أيضاً.

الممنوع ممنوع. وفيما كتبه النبيُّ ﷺ لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه. وقال مالك: لا يحمله غيرُ طاهر بعِلاَقة ولا على وِسادة[١]. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حَمْله بعِلاَقة أو مسّه بحائل[٢]. وقد روي عن الحكم وحمَّاد وداود بن عليٍّ أنَّه لا بأس بحمله ومسِّه للمسلم والكافر، طاهراً أو محدِثاً[٣]، إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حَمْله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبيِّ ﷺ إلى قيصر، وهو موضع ضرورة، فلا حجَّةَ فيه. وفي مسِّ الصبيان إيَّاه على وجهين: أحدهما: المنع؛ اعتباراً، بالبالغ. والثاني: الجواز؛ لأنَّه لو منع لم يحفظ القرآن؛ لأنَّ تعلُّمه حال الصغر؛ ولأنَّ الصبيَّ وإن كانت له طهارة إلَّا أنَّها ليست بكاملة؛ لأنَّ النِّيَّة لا تصحُّ منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة، جاز أن يَحْمله محدِثاً.

السابعة: قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: منزل[٤]، كقولهم: ضَرْبُ الأميرِ ونَسْجُ اليَمَنِ[٥]. وقيل: «تَنْزِيلٌ» صفة لقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ»[٦]. وقيل: أي: هو تنزيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: مكذِّبون، قاله ابن عباس وعطاء وغيرهما[٧]. والمُدْهِن: الذي ظاهره خلاف باطنه[٨]، كأنَّه شبَّه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، وما بعده منه أيضاً، ومن تفسير البغوي ٤/ ٢٨٩، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩، وفي المدونة ١/ ١١٢.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للطحاوي ١/ ١٥٦.

(٣) التمهيد ١٧/ ٣٩٨-٣٩٨، والاستذكار ٨/ ١٢.

(٤) الوسيط ٤/ ٢٤٠.

(٥) الحلل للبطليوسي ص١٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٦٤ عن ابن عباس، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٦٨.

(٨) الوسيط ٤/ ٢٤٠.

بالدُّهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة: مُدْهِنون: كافرون[(١)]، نظيره: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩]. وقال المؤرِّج: المدهِن: المنافق أو الكافر الذي يُلين جانبه ليُخْفِي كفره، والإدهان والمداهنة: التكذيب والكفر والنفاق، وأصله اللِّين، وأن يُسِرَّ خلافَ ما يظهر[(٢)]، وقال أبو قيس بنُ الأسْلَت:

الحَزْمُ والقُوَّةُ خيرٌ مِنَ الـ إدهانِ والفَهَّةِ والهَاعِ[(٣)]

وأدهن وداهن واحد. وقال قوم: داهنت بمعنى واريت، وأدهنتُ بمعنى غَشَشْت[(٤)]. وقال الضحَّاك: «مُدْهِنونَ»: معرضون. مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به[(٥)]. ابن كيسان: المدهن: الذي لا يَعقِلُ ما حقُّ الله عليه، ويدفعه بالعلل. وقال بعض اللغويين: مدهنون: تاركون للجَزْم في قَبول القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس: تجعلون شكركم التكذيب[(٦)]. وذكر الهيثم بنُ عديٍّ: أنَّ من لغة أزد شنوءة: ما رزقَ فلانٌ؟ أي: ما شكَره[(٧)]. وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره؛ لأنَّ شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه، فيكون الشكر رزقاً على هذا المعنى. فقيل: «وَتَجعَلُونَ رِزْقَكُمْ» أي: شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقاً لكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بالرزق، أي: تضعون الكذب مكان الشكر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥] أي: لم يكونوا يُصلُّون، ولكنَّهم كانوا يصفِّرون ويُصفِّقون

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٠ عن قتادة.

(٢) الوسيط ٤/ ٢٤٠.

(٣) أمالي القالي ص٢١٥، والمفضليات ص٢٨٥، وورد عندهما: والفكَّة، بدل: والفهَّة. اهـ يقال: في فلان فكَّة: أي استرخاء في رأيه. والفهَّة: مثل السَّقْطة والجهلة ونحوها. ورجل هاعٌ لاعٌ: جبان ضعيف جزوع. اللسان (فكك) و(فهه) و(هوع).

(٤) الصحاح (دهن).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤٦٥.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٨.

مكان الصلاة. ففيه بيان أنَّ ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يَرَوْه من قِبَلِ الوسائط التي جرت العادة بأن تكن أسباباً، بل ينبغي أن يَرَوْه من قِبَلِ الله تعالى، ثم يقابلونه بشكرٍ إن كان نعمةً، أو صبرٍ إن كان مكروهاً؛ تعبُّداً له وتذلُّلاً.

وروي عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» حقيقة[1]. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ المراد به الاستسقاء بالأنواء، وهو قول العرب: مُطِرنا بنَوء كذا، رواه عليُّ بنُ أبي طالب عن النبيِّ ﷺ[2]. وفي «صحيح مسلم»[3] عن ابن عباس قال: مُطِر الناسُ على عهد النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمةُ الله. وقال بعضهم: لقد صَدَق نَوْءُ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» حتى بلغَ: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ»».

وعنه أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ خرج في سفر فعطشوا، فقال النبيُّ ﷺ: «أرأيتم إن دعوتُ اللهَ لكم، فسُقِيتم، لعلكم تقولون: هذا المطر بِنَوء كذا». فقالوا: يا رسول الله، ما هذا بحين الأنواء. قال: فصلَّى ركعتين ودعا ربَّه، فهاجت ريح، ثم هاجت سحابة، فمُطِروا؛ فمرَّ النبيُّ ﷺ ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدح له، وهو يقول: سُقينا بِنَوء كذا، ولم يقل: هذا من رزق الله، فنزلت: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» أي: شكركم لله على رزقه إيّاكم «أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» بالنعمة وتقولون: سُقِينا بنوء كذا، كقولك: جعلتَ إحساني إليك إساءةً منكَ إليَّ، وجعلتَ إنعامي لديك أن اتَّخذتني عدوًّا[4]. وفي «الموطأ»[5] عن زيد بن خالد الجُهنيِّ أنَّه قال: صلَّى بنا

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٥١، والمحتسب ٢/ ٣١٠.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٦٥، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٠، وأما خبر علي المرفوع فأخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ٢/ ٩٧ (٦٧٧)، والطبري ٢٢/ ٣٦٩.

(٣) برقم (٧٣)، وأخرجه أيضاً الواحدي في أسباب النزول ص٤٢٩، والكلام ـ وما بعده ـ منه أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٥) ١/ ١٩٢، والحديث سلف ٨/ ٤٠٣، وقوله: على إثر سماء كانت من الليل. فإنه أراد سحاباً حيث نزل من الليل، والعرب تسمي السحاب والماء النازل منه سماء. التمهيد ١٦/ ٢٨٥.

رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحُديبِية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقْبَلَ على الناس وقال: «أتدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بالكوكب، فأما من قال: مُطِرنا بفَضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنَوء كذا وكذا، فذلك مؤمن بالكوكب كافر بي».

قال الشافعيُّ[1] رحمه الله: لا أحبُّ أحداً أن يقول: مُطِرنا بنَوء كذا وكذا، وإن كان النَّوء عندنا الوقت المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئاً من المطر، والذي أحبُّ أن يقول: مُطِرنا وقت كذا، كما تقول: مُطِرنا شهر كذا، ومن قال: مُطِرنا بنَوء كذا، وهو يريد أنَّ النَّوء أنزل الماء، كما عنى بعضُ أهل الشرك من الجاهلية بقوله، فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب.

وقال أبو عمر بنُ عبد البر[2]: وأما قوله عليه الصلاة والسلام حاكياً عن الله سبحانه: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» فمعناه عندي على وجهين: أمَّا أحدهما: فإنَّ المعتقِد بأنَّ النوء هو الموجب لنزول الماء، وهو المنشئ للسحاب دون الله عزَّ وجلَّ، فذلك كافر كفراً صريحاً يجب استتابته عليه وقَتْله؛ لنَبذِه الإسلام، وردِّه القرآن. والوجه الآخر: أن يعتقد أنَّ النَّوء يُنزِل اللهُ به الماءَ، وأنَّه سببُ الماء على ما قدَّره الله وسَبَق في علمه، وهذا وإن كان وجهاً مباحاً، فإن فيه أيضاً كفراً بنعمة الله عزَّ وجلَّ، وجهلاً بلطيف حكمته في أنَّه يُنزِل الماء متى شاء، مرَّة بنَوء كذا، ومرَّة دون النوء[3]، وكثيراً ما يخوي[4] النَّوء فلا ينزل معه شيء من الماء، وذلك من الله تعالى لا من النَّوء. وكذلك كان أبو هريرة يقول إذا أصبح وقد مُطِر: مطِرنا بنَوء

(١) في الأم ١/ ٢٢٣، والمصنف نقله عنه بواسطة ابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ٢٨٥.

(٢) في التمهيد ١٦/ ٢٨٦.

(٣) في النسخ عدا (ظ): بنوء كذا، والمثبت من (ظ) والتمهيد ١٦/ ٢٨٦.

(٤) في النسخ عدا (ظ): ينوء. والمثبت من (ظ) والتمهيد ١٦/ ٢٨٦، وخَوَت النجوم تخوي خيًّا: أمْحَلَتْ، وقيل: خَوَت وأخوَت: إذا سقطت ولم تمطر في نوئها. اللسان (خوا).

الفتح، ثم يتلو: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] قال أبو عمر[١]: وهذا عندي نحو قول رسول الله ﷺ: «مُطِرنا بفَضْل الله ورحمته»[٢]. ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به: يا عمَّ رسولِ الله، كم بقيَ من نَوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنَّها تعترض في الأُفُق سبعاً بعد سقوطها. فما مضت سابعة حتى مطروا، فقال عمر: الحمد لله، هذا بفَضل الله ورحمته. وكأنَّ عمر ﷺ قد عَلِمَ أنَّ نَوء الثُّريا وقت يُرجى فيه المطر ويؤمَّل، فسأله عنه: أخَرج، أم بقيت منه بقيَّة[٣]؟.

وروى سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أميَّة أنَّ النبي ﷺ سمع رجلاً في بعض أسفاره يقول: مُطرنا ببعض عثَانين الأسد. فقال رسول الله ﷺ: «كذبتَ، بل هو سُقْيا الله عزَّ وجلَّ» قال سفيان: عَثَانين الأسد: الذراع والجبهة[٤].

وقراءة العامة: «تُكَذِّبون» من التكذيب. وقرأ المفضَّل عن عاصم ويحيى بن وَثَّاب: «تَكْذِبُونَ» بفتح التاء مخفَّفاً[٥]. ومعناه ما قدَّمناه من قول من قال: مِطرنا بنَوْء كذا.

وثبت من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ لن يزلن في أمَّتي: التفاخر في الأحساب، والنِّياحة، والأنْواء»[٦] ولفظ مسلم[٧] في هذا: «أربع في أمَّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفَخر في الأحساب، والطَّعن في الأنساب،

---

(١) في التمهيد ١٦/ ٢٨٦ .

(٢) سلف قريباً.

(٣) التمهيد ١٦/ ٢٨٦ ، وخبر عمر أخرجه الحميدي في مسنده (١٠٠٩) ، والطبري ٢٢/ ٣٧٠-٣٧١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٥٩ مطوَّلاً.

(٤) التمهيد ١٦/ ٢٨٤ ، والحديث أخرجه الطبري ٢١/ ٥٢١ و٢٢/ ٣٧٠ عن يونس، عن سفيان، به.

(٥) قراءة عاصم في السبعة ص٦٢٤ .

(٦) أخرجه أبو يعلى (٣٩١١)، وابن عبد البر في التمهيد ١٢/ ٢٤٢ و١٦/ ٢٩٢ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٢ : رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

(٧) في صحيحه (٩٣٤)، وهو عند أحمد (٢٢٩١٢).

والاستسقاء بالنجوم، والنِّياحة».

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: فهلَّا إذا بلغت النفس أو الروح الحُلْقوم[١]. ولم يتقدَّم لها ذِكر؛ لأنَّ المعنى معروف، قال حاتم:

أَمَاوِيُّ ما يُغْني الثَّرَاءُ عنِ الفتى إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضاقَ بِها الصَّدرُ[٢]

وفي حديث: «إنَّ مَلَكَ الموتِ له أعوان يقطعون العروق، ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً، حتى ينتهي بها إلى الحُلْقوم، فيتوفاها مَلَك الموت»[٣].

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أَمْري وسلطاني[٤]. وقيل: تنظرون إلى الميِّت لا تقدرون له على شيء. وقال ابن عباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تَخرُج نفسه. ثم قيل: هو ردٌّ عليهم في قولهم لإخوانهم: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦] أي: فهلَّا ردُّوا رُوح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم. وقيل: المعنى: فهلَّا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقومَ عند النزع وأنتم حضور، أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امتداد عُمُره، وحبِّكم لبقائه. وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقيل: هو خطاب لمن هو في النزع، أي: إن لم يَكُ ما بِكَ من الله، فهلَّا حفظت على نفسك الروح.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بالقدرة والعِلم والرؤية[٥]. قال عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقربَ إليَّ منه. وقيل: أراد: ورسلنا الذين يتولَّون قَبْضه «أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ» ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تَرَوْنَهم[٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: فهلَّا إن كنتم غيرَ محاسبين ولا

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٢.

(٢) ديوانه ص٣٩، والحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردُّد النَّفَس. الصحاح (حشرج).

(٣) لم نقف عليه.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٠.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١. والصحيح إثبات صفة القرب لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، وتفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٣.

مجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجزيُّون محاسبون. وقد تقدم[١]. وقيل: غير مملوكين ولا مقهورين. قال الفرَّاء وغيره: دَيَّنْتُه: ملَّكته، وأنشد للحطيئة:

لقد دُيِّنتِ أمرَ بنيكِ حتَّى   تركتِهمُ أدقَّ من الطَّحينِ[٢]

يعني: مُلِّكْتِ. ودانه، أي: أذلَّه واستعبده، يقال: دِنْته فَدَان. وقد مضى في «الفاتحة»[٣] القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الآية: ٤].

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعون الروح إلى الجسد. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: ولن تُرجعوها، فبطل زعمكم أنَّكم غير مملوكين ولا محاسبين. و«ترجعونها» جواب لقوله تعالى: «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ»، ولقوله: «فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أجيبا بجواب واحد، قاله الفرَّاء[٤]. وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨] أجيبا بجواب واحد؛ وهما شرطان. وقيل: حذف أحدهما؛ لدلالة الآخر عليه. وقيل: فيها تقديم وتأخير، مجازها: فلولا وهلّا إن كنتم غير مَدِينين تَرجِعونها، تردُّون نَفْس هذا الميِّت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ذكر طبقات الخَلْق عند الموت، وعند

---

(١) ١٩/١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الصحاح (دين) وما بعده منه أيضاً، والبيت في ديوان الحطيئة ص٦٥، إلا أنه ورد فيه: فقد سوِّست، بدل: لقد دُيِّنْت.

(٣) ١/ ٢٢١.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٣٠، وما بعده منه أيضاً.

البعث، وبيَّن درجاتهم فقال: «فَأَمَّا إِن كَانَ» هذا المتوفَّى «مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» وهم السَّابقون[(١)] . ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ وقراءة العامة: «فَرَوْحٌ» بفتح الراء[(٢)]، ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا[(٣)]. وقال الحسن: الرَّوح: الرحمة[(٤)]. الضَّحَّاك: الرَّوح: الاستراحة. القُتَبيُّ[(٥)]: المعنى: له في القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الرَّوح بالنظر إلى وَجْهِ الله، والريحان: الاستماع لكلامه ووحيه. «وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» هو ألا يُحجَب فيها عن الله عزَّ وجلَّ. وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدريُّ ورُوَيس وزيد عن يعقوب: «فَرُوحٌ» بضمِّ الراء، ورويت عن ابن عباس[(٦)]. قال الحسن: الرَّوح: الرحمة؛ لأنَّها كالحياة للمرحوم. وقالت عائشة رضي الله عنها: قرأ النبيُّ ﷺ: «فَرُوحٌ» بضمِّ الراء[(٧)] ومعناه: فبقاء له وحياة في الجنَّة، وهذا هو الرحمة.

«وَرَيْحَانٌ» قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي: رزق[(٨)]. قال مقاتل: هو الرزق، بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحانَ الله، أي: رزقه؛ قال النَّمِر بن تَوْلَب:

سَلَامُ الإِلهِ وَرَيْحَانُه ... ورحمتُه وسَمَاءٌ دِرَرْ[(٩)]

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١ .

(٢) النشر ٢/ ٣٨٣ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٦٦ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٦-٣٧٧ ، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٣٥ (١٨٨٠٩).

(٤) الكشاف ٤/ ٦٠ .

(٥) في غريب القرآن له ص٤٥٢ .

(٦) القراءات الشاذة ص١٥٢ ، والمحتسب ٢/ ٣١٠ ، والنشر ٢/ ٣٨٣ .

(٧) الكشاف ٤/ ٦٠ ، وأخرجه أحمد (٢٤٣٥٢) ، وأبو داود (٣٩٩١) ، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٣ ، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٧٧ ، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٥٣ .

(٩) سلف ص١٢٢ من هذا الجزء.

وقال قتادة: إنَّه الجنَّة. الضحَّاك: الرحمة. وقيل: هو الريحان المعروف الذي يُشَمُّ. قاله الحسن وقتادة أيضاً[١]. الربيع بن خَيْثم: هذا عند الموت، والجنَّة مخبوءة له إلى أن يُبعَث. أبو الجوزاء: هذا عند قَبْضِ روحه يتلقَّى بضَبَائر الرَّيحان[٢]. أبو العالية: لا يُفارِق أحد رُوحه من المقرَّبين في الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان، فيشمها ثم يقبض روحه فيها[٣]، وأصل ريحان واشتقاقه تقدَّم في أوَّل سورة «الرحمن» فتأمَّله. وقد سرد الثعلبيُّ في الرَّوْحِ والرَّيحان أقوالاً كثيرةً سوى ما ذكرنا من أرادها وجدها هناك.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: «إنْ كَانَ» هذا المتوفَّى «مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: لست ترى منهم إلا ما تحبُّ من السلامة فلا تهتمّ لهم، فإنَّهم يَسْلَمون من عذاب الله. وقيل: المعنى: سلام لك منهم، أي: أنت سالم من الاغتمام لهم. والمعنى واحد. وقيل: أي: إنَّ أصحابَ اليمين يَدْعُون لك يا محمَّد بأن يصلِّي اللهُ عليك ويُسلِّم. وقيل: المعنى إنَّهم يُسلِّمون عليك يا محمَّد[٤]. وقيل: معناه: سَلِمتَ أيُّها العبد مما تكره، فإنَّك من أصحاب اليمين، فحذف: إنَّكَ[٥]. وقيل: إنه يُحيَّا بالسلام؛ إكراماً.

فعلى هذا في محلِّ السلام ثلاثة أقاويل: أحدها: عند قَبْضِ روحه في الدنيا يُسلِّم عليه مَلَك الموت، قاله الضحَّاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء مَلَك الموت ليقبض روح

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٦، والنكت والعيون ٥/ ٤٦٧، وزاد المسير ٨/ ١٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٨.

(٢) تفسير السمعاني ٥/ ٣٦٢، والضبائر: الجماعات. اللسان (ضبر).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٧، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٩١، وزاد المسير ٨/ ١٥٨.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٧، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٣١.

المؤمن قال: ربُّك يقرئك السلام. وقد مضى هذا في سورة «النحل»[١] عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [الآية: ٣٢].

الثاني: عند مساءلته في القبر يُسلِّم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تُسلِّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها[٢].

قلت: وقد يحتمل أن تُسَلِّم عليه في المواطن الثلاثة، ويكون ذلك؛ إكراماً بعد إكرام. والله أعلم. وجواب «إنْ» عند المبرِّد محذوف، التقدير: مهما يكن من شيء «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» إن كان من أصحاب اليمين «فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» فحذف جواب الشرط؛ لدلالة ما تقدَّم عليه، كما حذف الجواب في نحو قولك: أنت ظالم إن فعلتَ؛ لدلالة ما تقدَّم عليه. ومذهب الأخفش أنَّ الفاء جواب «أمَّا» و «إنْ»، ومعنى ذلك أنَّ الفاء جواب «أمَّا» وقد سدَّت مسدَّ جواب «إنْ» على التقدير المتقدِّم، والفاء جواب لهما على هذا الحدِّ. ومعنى «أمَّا» عند الزجَّاج: الخروج من شيء إلى شيء، أي: دَعْ ما كنَّا فيه، وخذ في غيره[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى وطريق الحقِّ[٤] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فلهم رزق من حميم، كما قال: «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لَآكِلُونَ» وكما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧]. ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ إدخال في النار. وقيل: إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها، يقال: أصلاه النارَ وصَلَّاه، أي: جعله يَصْلَاها، والمصدر ههنا أُضيف إلى المفعول، كما يقال: لفلان إعطاء مالٍ، أي: يُعطَى المال. وقرئ: «وَتَصْلِيَةِ» بكسر التاء، أي: ونزلٌ من تصلية جحيم. ثم أدغم أبو عمرو التاء في

---

(١) ١٢/ ٣٢٠.

(٢) الأقوال الثلاثة في النكت والعيون ٥/ ٤٦٧.

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧١٤-٧١٥، وقول المبرِّد في المقتضب ٢/ ٢٧.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩١.

الجيم، وهو بعيد[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: هذا الذي قصصناه مَحْضُ اليقين وخالصه. وجاز إضافة الحقِّ إلى اليقين، وهما واحد؛ لاختلاف لفظهما. قال المبرِّد: هو كقولك: عين اليقين، ومحض اليقين، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين: حقُّ الأمر اليقين، أو الخبر اليقين. وقيل: هو توكيد. وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتاً للحقِّ، فأُضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز، كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[٢] [يوسف:١٠٩].

وقال قتادة في هذه الآية: إنَّ الله ليس بتارِك أحداً من الناس حتى يَقِفه على اليقين من هذا القرآن، فأمَّا المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: نَزِّه الله تعالى عن السُّوء. والباء زائدة، أي: سبِّح اسم ربِّك، والاسمُ المسمَّى[٣]. وقيل: «فَسَبِّحْ» أي: فَصَلِّ بذِكر ربِّك وأَمْره[٤]. وقيل: فاذكر اسمَ ربِّك العظيم وسبِّحه. وعن عقبة بن عامر قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» خرَّجه أبو داود[٥]، والله أعلم.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥٢ ، والكشاف ٤/ ٦٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٢١٦ .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٢/ ٤٣٦-٤٣٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٨ .

(٣) الوسيط ٤/ ٢٤٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٩٢ .

(٥) برقم (٨٦٩)، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد (١٧٤١٤)، والحاكم ٢/ ٤٧٧ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

مَكيَّةٌ، وآيُها سبعٌ وتسعونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ إذا حَدثت القِيامةُ، سمَّاها واقعةً لتَحقُّقِ وُقوعِها[1]، وانتصابُ (إذا) بمحذوفٍ مثل: اذكُرْ، أو كانَ كيتَ وكيتَ.

(٢) ـ ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: لا يكونُ حين تقَعُ نفسٌ تكذبُ على اللهِ أو تكذبُ في نفيِها كما تكذبُ الآن، واللَّامُ مثلُها في قوله: ﴿قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

أو: ليس لأجلِ وقعَتِها كاذبةٌ، فإنَّ مَن أخبرَ عنها صدقَ.

أو: ليس لها حينئذٍ نفسٌ تحدِّثُ صاحبَها بإطاقةِ شِدَّتِها واحتمالِها وتُغريه[2] عليها، من قولهم: كَذبَتْ فلانًا نفسُه في الخطْبِ العظيمِ: إذا شجَّعَتْه عليه وسوَّلَت له أنَّه يُطيقُه.

(٣) ـ ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾ تخفِضُ قومًا وترفعُ آخرينَ، وهو تقريرٌ لعظمَتِها، فإنَّ

---

(١) في نسخة الخيالي زيادة: «كأنه قيل إذا وقعت التي لا من وقوعها».

(٢) في نسخة الفاروقي: «وتعزيه»، قال الخفاجي في «حاشيته»: قوله: «وتغريه» بالغين المعجمة والراء المهملة؛ أي تحثه عليها، وقيل إنه بالعين المهملة والزاي المعجمة أي تصبِّره، وليس ببعيد أيضًا.

الوقائعَ العظامَ كذلك، أو بيانٌ لما يكونُ حينئذٍ مِن خفضِ أعداءِ الله ورفعِ أوليائِه، أو إزالةِ الأجرامِ عن محازِّها بنثرِ الكواكبِ وتَسييرِ الجبالِ في الجوِّ.

وقُرِئَتا بالنَّصبِ على الحالِ[1].

(٤) ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ حُرِّكَت تحريكًا شديدًا بحيثُ ينهدِمُ ما فوقَها مِن بناءٍ وجبلٍ.

والظَّرفُ مُتعلِّقٌ بـ﴿خَافِضَةٌ﴾ أو بدلٌ مِن ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾.

(٥) ـ ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فُتَّت حتَّى صارت كالسَّويقِ المَلْتوتِ، مِن بَسَّ السَّويقَ: إذا لَتَّه، أو سِيقَتْ وسُيِّرت، مِن بَسَّ الغنمَ: إذا ساقَها.

(٦) ـ ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ منتشرًا.

(٧) ـ ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾ وكلُّ صنفٍ يكونُ أو يُذكَرُ مع صنفٍ آخرَ فهو زوجٌ.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ فأصحابُ المنزلةِ السَّنِيَّةِ وأصحابُ المنزلةِ الدَّنِيَّةِ، مِنْ تيَمُّنِهم بالمَيامنِ وتَشاؤُمِهم بالشَّمائلِ.

أو: أصحابُ الميمنةِ وأصحابُ المشأَمَةِ الذين يُؤتَونَ صحائِفَهُم بأيمانِهم والذين يُؤتَوْنَها بشَمائِلِهم[2].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥١)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٥)، عن اليزيدي والحسن والثقفي وأبي حيوة.

(٢) جاء الكلام في نسخة الفاروقي: «أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم، والذين يؤتونها بشمائلهم، أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل».

أو: أصحابُ اليُمنِ والشُّؤمِ؛ فإنَّ السُّعداءَ ميامينُ على أنفُسِهم بطاعَتِهم، والأشقياءُ مَشائيمُ عليها بمَعصيَتِهم.

والجُملتانِ الاستفهاميَّتانِ خبرانِ لِمَا قبلَهما بإقامةِ الظَّاهرِ مقامَ الضَّميرِ، ومعناهُما التَّعجيبُ مِن حالِ الفَريقين.

(١٠) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ والذين سَبقوا إلى الإيمانِ والطَّاعةِ بعد ظهورِ الحقِّ مِن غيرِ تَلعثُمٍ وتوانٍ[١].

أو: سَبقوا في حيازةِ الفَضائلِ والكمالاتِ، أو الأنبياءُ فإنَّهُم مُقدَّمو أهلِ الأديانِ هم الَّذين عرفْتَ حالَهم وعرفْتَ مآلَهُم، كقولِ أبي النَّجمِ:

وَشِعْرِي شِعْرِي[٢]

أو الذينَ سبقُوا إلى الجنَّةِ.

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الذين قُرِّبَت درجاتُهُم في الجنَّةِ وأُعْلِيَت مراتِبُهم.

(١٣) ـ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: هم كثيرٌ من الأوَّلين؛ يعني: الأممَ السَّالفةَ مِن لَدُن آدمَ عليه السَّلامُ إلى محمَّدٍ عليه السَّلامُ.

(١٤) ـ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني: أمَّةَ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، ولا يخالِفُ ذلك

---

(١) في نسخة التفتازاني زيادة: «وشرود قلب».

(٢) تمامه:

أَنَـا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي ... للهِ دَرِّي مَـا أَجَـنَّ صَدْرِي
تَنَـامُ عَيْنِـي وَفُـؤَادِي يَسْرِي ... مَـعَ العَفَارِيـتِ بِـأَرْضٍ قَفْـرِ

انظر: «ديوان أبي النجم» (ص: ١٩٨ ـ ١٩٩).

قولَه عليه السَّلامُ: «إنَّ أمَّتي يَكثُرونَ سائرَ الأُمَمِ»[(١)]؛ لجوازِ أن يكونَ سابقو سائرِ الأمـمِ أكثرَ مِن سابقي هذه الأمَّةِ، وتابعو هذه أكثرَ مِن تابعيهِم، ولا يردُّه قولُه في أصحابِ اليمينِ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡآخِرِينَ﴾ لأنَّ كثرةَ الفريقينِ لا تُنافي أكثريَّةَ أحدِهما، ورُوِيَ مرفوعًا أنَّهما مِن هذه الأمَّةِ[(٢)].

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): «لم أقف عليه».

قلت: قد ورد في كثرة المسلمين بين الأمم أحاديث، منها ما رواه مسلم (١٩٦) من حديث أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً».

وما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٥٥) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، وفيه: «فتقول الملائكة: لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء». وحسن إسناده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٨٧).

وما رواه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «كنا مع النبي ﷺ في قبة، فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر».

(٢) روي عن النبي ـ ﷺ ـ بلفظ: «الثلتان جميعاً من أمتي»، من حديث أبي بكرة ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهم:

أما حَدِيث أبي بكرة فروي مرفوعاً وموقوفاً:

أما المرفوع فرواه مُسَدَّد في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٧٤٥) عن خاقان بن عبد الله بن الأهتم، عن علي بن زيد، عن عقبة بن صَهْبان، عن أبي بكرة عن النَّبي ـ ﷺ ـ.

ورواه الطبراني كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٠٣) من طريق حجاج بن المنهال عن حَمَّاد بن سَلمَة عن علي بن زيد به.

قال الدارقطني في «العلل» (٧/ ١٦٤): وخاقانُ ليس بالقوي، وكان يحيى القَطَّانُ حَدَّث به عن =

واشتقاقُها مِن الثَّلِّ، وهو القَطْعُ.

(١٥) ـ ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ خبرٌ آخرُ للضَّميرِ المحذوفِ، والمَوْضُونةُ: المنسوجةُ بالذَّهبِ مشبَّكةً بالدُّرِّ والياقوتِ، أو المتواصلةُ، مِن الوَضْنِ؛ وهو نسجُ الدِّرعِ.

(١٦) ـ ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ حالانِ مِن الضَّميرِ في (على).

(١٧) ـ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ للخدمةِ ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ مُبقَونَ أبدًا على هيئةِ الوِلدانِ وطَراوتِهم.

(١٨) ـ ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ حالَ الشُّربِ وغَيرِه.

والكوبُ: إناءٌ لا عُروةَ له ولا خُرطومَ، والإبريقُ: إناءٌ له ذلكَ.

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ مِن خمرٍ.

(١٩) ـ ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ لخُمارٍ ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ ولا تَنزِفُ عقولَهُم، أو لا يَنفدُ شرابُهم.

وقُرِئَ: (لا يَصَّدَّعونَ)(١) بمعنى: لا يتصدَّعونَ؛ أي: لا يتفرَّقونَ.

= حَمَّادِ بن سلمةَ عن عليِّ بن زيد عن عقبةَ بن صهبانَ عن أبي بكرةَ عن النبي ـ ﷺ ـ ثم تركه.

وأما الموقوف فرواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٩٢٧): ثنا حَمَّاد بن زيد عن علي بن زيد عن عقبة بن صهْبَان عن أبي بكرة في قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ قال: كلتاهما جميعًا من هذه الأمة. قال الطَّيالسي: وقد رواه الحجَّاج عن حمَّاد بن سلمة فرفعه إلى النبي ـ ﷺ ـ. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٢): والموقوف أولى بالصواب، وعلي ضعيف.

أما حديث ابن عباس فرواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٨٦)، من طريق أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «هما جميعاً من أمتي»، وأبان متروك.

(١) وهي قراءة مجاهد، انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٨٠)، و«البحر»: (٢٠/ ١٧٢).

(٢٠) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يختارونَ.

(٢١) ـ ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ يتمنَّوْنَ.

(٢٢) ـ ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾ عطفٌ على ﴿وِلۡدَٰنٞ﴾، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ؛ أي: وفيها، أو ولهم حورٌ.

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ بالجرِّ عطفًا على ﴿جَنَّٰتِ﴾[١] بتقديرِ مُضافٍ؛ أي: هم في جنَّاتٍ ومُصاحبةِ حورٍ، أو على ﴿أكواب﴾ لأنَّ معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ﴾ يُنعَّمونَ بأكوابٍ.

وقُرِئَتا بالنَّصبِ[٢] على: ويُؤتَوْنَ حورًا.

(٢٣) ـ ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ المَصونِ عمَّا يُضِرُّ به في الصَّفاءِ والنَّقاءِ[٣].

(٢٤) ـ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: يفعلُ ذلك كلَّه بهم جزاءً لأعمالِهم.

(٢٥) ـ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا﴾ باطلًا ﴿وَلَا تَأۡثِيمًا﴾ ولا نسبةً إلى الإثمِ؛ أي: لا يقالُ لهم: أَثِمْتم.

(٢٦) ـ ﴿إِلَّا قِيلٗا﴾ إلا قولًا ﴿سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ بدلٌ مِن ﴿قِيلٗا﴾ كقوله: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗا﴾، أو صفتُه، أو مفعولُه بمعنى: إلَّا أن يقولوا: سلامًا، أو مصدرٌ، والتَّكريرُ للدَّلالةِ على فشوِّ السَّلامِ بينهم.

وقُرِئَ: (سلامٌ سلامٌ) على الحكايةِ[٤].

---

(١) وقراءة الباقين بالرفع، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥١)، و«المحتسب» (٢: ٣٠٩)، عن أبي وابن مسعود.

(٣) في نسخة التفتازاني نسخة: «والبقاء».

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٨٢)، وأجازها الفراء ولم يصرح بكونها قراءة، انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١٢٤).

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ لا شوكَ له، مِن خَضَدَ الشَّوكَ: إذا قطعَه، أو مَثنيٍّ أغصانُه مِن كثرةِ حَمْلِه، مِن خَضَد الغُصنَ: إذا ثناهُ وهو رطبٌ.

(٢٩) ـ ﴿وَطَلْحٍ﴾ وشجرِ موزٍ، أو أمِّ غَيلانَ[1]، وله أنوارٌ كثيرةٌ طيِّبةُ الرائحةِ.

وقُرِئَ بالعينِ[2].

﴿مَّنضُودٍ﴾ نُضِد حِملُه مِن أسفلِه إلى أعلاه.

(٣٠) ـ ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ مُنبسطٍ لا يتقلَّصُ ولا يتفاوتُ.

(٣١) ـ ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يُسكَبُ لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب، أو مَصبوبٍ سائلٍ.

كأنَّه لما شبَّه حالَ السَّابقين في التنعُّم بأعلى[3] ما يُتصوَّر لأهلِ المدنِ شبَّه حالَ أصحابِ اليمينِ بأكملِ ما يتمنَّاه أهلُ البوادي إشعارًا بالتَّفاوتِ بينَ الحالَين.

(٣٢) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ كثيرةِ الأجناسِ.

(٣٣) ـ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطعُ في وقتٍ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تُمنعُ عن مُتناوِلِها بوجهٍ.

(٣٤) ـ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ رفيعةِ القَدرِ، أو مُنضدةٍ مُرتفعةٍ، وقيل: الفُرُشُ النِّساءُ، وارتفاعُها أنَّها على الأرائكِ، ويدلُّ عليه قولُه:

(٣٥) ـ ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي: ابتدأناهُنَّ ابتداءً جديدًا مِن غيرِ ولادةٍ، ابتداءً أو إعادةً، وفي الحديثِ: «هنَّ اللواتي قُبِضنَ في دارِ الدُّنيا عجائزَ شُمْطًا رُمْصًا،

---

(١) أم غيلان: شجر السَّمُر.

(٢) ذكره الزمخشري عن علي بن أبي طالب، انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٨٣).

(٣) في نسخة التفتازاني والخيالي: «بأكمل».

جعلهـنَّ اللهُ بعـدَ الكِبَـرِ أترابًا علـى ميلادٍ واحـدٍ، كلَّمَا أتاهـنَّ أزواجُهُـنَّ وَجدوهُنَّ أبكارًا»(١).

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا ﴾ مُتحبِّباتٍ إلى أزواجهنَّ، جمعُ عَروبٍ.

وسكَّنَ راءَهُ حمزَةُ، ورُوِيَ عن نافِعٍ وعاصمٍ مثلُه(٢).

﴿ أَتْرَابًا ﴾ فإنَّ كُلَّهُنَّ بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ، وكذا أزواجهنَّ.

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(أنشأنا) أو (جعلنـا)، أو صِفـةٌ لـ﴿ أَبْكَارًا ﴾ أو خبرٌ لِمَحـذوفٍ مثلُ: هـنَّ، أو لقولِـه: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾، وهـي علـى الوُجـوهِ الأُوَلِ خبرُ مَحـذوفٍ.

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ ﴾ فـي حـرِّ نـارٍ يَنفُـذُ في المسامِّ.

﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ وماءٍ مُتناهٍ في الحَرارةِ.

(٤٣) ـ ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ مِن دُخانٍ أسودَ، يَفْعُول مِن الحُمَمَةِ.

---

(١) هذا مجموع من خبرين رواهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥)، الأول من طريق إسماعيل بن أبي زياد، عن الحسن، عن أم سلمة به إلى قوله: «على مِيلادٍ واحد في الاستواء». وإسماعيل بن أبي زياد قال في «التقريب»: متروك كذبوه. لكن رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٦٥) من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة، بنحوه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

وباقي الحديث رواه الثعلبي عن المسيب بن شريك مرسلاً، والمسيب قال عنه يحيى: ليس بشيء. وقال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال مسلم وجماعة: متروك.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧)، و«النشر» (٢/ ٢١٦).

(٤٤) ـ ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائـرِ الظـلِّ ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ ولا نافـعٍ، نفـى بذلك مـا أوهمَهُ الظِّـلُّ من الاسـترواحِ.

(٤٥) ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ مُنهمكينَ في الشَّهواتِ.

(٤٦) ـ ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذَّنبِ العظيمِ؛ يعني: الشِّركَ، ومنه: بلغَ الغُلامُ الحنثَ؛ أي: الحُلمَ ووقتَ المؤاخذةِ بالذَّنبِ، وحَنِثَ في يمينِه: خلافُ بَرَّ فيها، وتحنَّثَ: إذا تأثَّم.

(٤٧) ـ ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ كُـرِّرَت الهمزةُ للدَّلالـةِ علـى إنـكارِ البعثِ مُطلقًـا وخصوصًا في هـذا الوقتِ كما دخلَـتِ العاطفةُ فـي قولِه:

(٤٨) ـ ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ ذلك أشدُّ إنكارًا في حقِّهم لتقادُمِ زمانِهم، وللفصلِ بها حَسُنَ العطفُ على المستكنِّ في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿أوْ﴾ بالسُّكونِ[1]، وقد سبقَ مِثلُه.

والعامِلُ في الظَّرفِ ما دلَّ عليه (مبعوثونَ) لا هو؛ للفصلِ بـ(أن) والهمزةِ.

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ﴾ وقُرِئَ: (لَمُجَمَّعُونَ)[2].

﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما وقِّتَ به الدُّنيا وحُدَّ مِن يومٍ مُعيَّنٍ عندَ اللهِ مَعلومٍ له.

(٥١) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ أي: بالبعـثِ، والخِطـابُ لأهـلِ مكَّـةَ وأضرابِهـم.

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) حكاها أبو معاذ عن بعض المصاحف، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢) وضبطت: (لمُجْمَعون)، والمثبت موافق لما ضبط في «الكشاف» (٥/ ٥٨٨).

(٥٢) ـ ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ (مِن) الأُولى للابتداءِ، والثَّانيةُ للبَيانِ.

(٥٣) ـ ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ مِن شدَّةِ الجوعِ.

(٥٤) ـ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ لغلبةِ العَطشِ.

وتأنيثُ الضَّميرِ في (منها) وتذكيرُه في (عليه) حملًا على معنى الشَّجرِ ولَفظِه.

وقُرِئَ: (مِن شجرةٍ)[1] فيكونُ التَّذكيرُ للزَّقُّومِ؛ فإنَّه تَفسيرُها.

(٥٥) ـ ﴿فشاربونَ شَرْبَ الهيمِ﴾ الإبلِ التي بها الهُيامُ، وهو داءٌ يُشبهُ الاستسقاءَ، جمعُ أَهْيَمَ وهَيْمَاءَ، قال ذو الرُّمة:

فَأَصْبَحْتُ كَالهَيْمَاءِ لَا المَاءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا وَلَا يَقْضِي عَلَيْهَا هُيَامُهَا[2]

وقيل: الرِّمالُ على أنه جمعُ هَيَامٍ بالفتحِ، وهو الرَّملُ الذي لا يتماسَكُ، جُمِعَ على هُيُمٍ كسُحُبٍ، ثم خُفِّفَ وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجمعِ أَبيضَ، وكلٌّ مِن المعطوفِ والمَعطوفِ عليه أخصُّ مِن الآخرِ مِن وَجهٍ فلا اتِّحادَ.

وقرأَ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ ﴿شُرْبَ﴾ بضمِّ الشِّينِ[3].

(٥٦) ـ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يومَ الجزاءِ، فما ظَنُّكَ بما يكونُ لهم بعدَما استقرُّوا في الجَحيمِ؟! وفيه تهكُّمٌ كمَا في قولِه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] لأنَّ النُّزُلَ ما يُعَدُّ للنَّازلِ تَكرِمَةً له.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١٠٠٠)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٥٥٩)، يعني الإبل، والهيماء: التي بها داء الهيام، فهي تشرب فلا تروى، وقوله: «لا يقضي عليها هيامها»؛ أي: ولا تموت. قاله شارح الديوان.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

وقُرِئَ (نُزْلُهُم) بالتَّخفيفِ[١].

(٥٧) ـ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالخلقِ مُتيقِّنينَ مُحققينَ للتَّصديقِ بالأعمالِ الدَّالَّةِ عليه، أو بالبعثِ، فإنَّ مَن قدَرَ على الإبداءِ قَدَرَ على الإعادةِ.

(٥٨) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تقذفونَه في الأرحامِ مِن النُّطفِ.

وقُرِئَ بفتحِ التَّاءِ[٢] مِن مَنَى النُّطفةَ بمَعنى أمناهَا.

(٥٩) ـ ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥ﴾ تجعلونَه بشرًا سويًّا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

(٦٠) ـ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ قسمناهُ عليكم وأَقَّتْنا موتَ كُلٍّ بوقتٍ مُعيَّنٍ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ بتَخفيفِ الدَّالِ[٣].

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ لا يسبِقُنا أحدٌ فيهربَ من الموتِ أو يُغيرَ وقتَه، أو لا يَغلِبُنا أحدٌ، مِن سَبَقْتُه على كذا: إذا غَلَبْتَه عليه.

(٦١) ـ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ على الأوَّلِ حالٌ، أو عِلَّةٌ لـ﴿قَدَّرْنَا﴾، و(على) بمعنى اللامِ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ اعتراضٌ، وعلى الثَّاني صِلَةٌ، والمعنى: على أَنْ نُبدِّلَ منكم أشباهَكُم فنخلقَ بدلَكُم، أو نبدلَ صِفاتِكُم على أنَّ ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمعُ مِثْلٍ.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في خلقٍ أو صفاتٍ لا تعلمونَها.

(٦٢) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ مَن قدرَ عليها قدرَ على النَّشأةِ الأخرى فإنَّها أقلُّ صنعًا لحصولِ الموادِّ وتخصيصِ الأَجزاءِ وسبقِ المثالِ، وفيه دليلٌ على صِحَّةِ القياسِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢) من رواية هارون عن أبي عمرو.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥).

(٣) وقراءة الباقين بالتشديد، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تبذُرونَ حَبَّه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ﴾ تُنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ المنبِتونَ.

(٦٥) ـ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيمًا ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبونَ أو تندمونَ على اجتهادِكُم فيه، أو على ما أُصِبْتُم لأجلِه مِن المعاصي فتتحدثونَ فيه، والتَّفكُّهُ التَّنقُّلُ بصنوفِ الفاكهةِ، وقد استُعيرَ للتَّنقُّلِ بالحديثِ.

وقُرِئَ (فَظِلْتُم) بالكسرِ[١]، و(ظَلِلْتُم) على الأصلِ[٢].

(٦٦) ـ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ لَمُلزَمُونَ غرامةَ ما أَنفقْنا، أو مُهلَكونَ لهلاكِ رزقِنا، من الغَرامِ؛ وهو الهلاكُ.

وقرأ أبو بكر: ﴿أإنا﴾ على الاستفهامِ[٣].

(٦٧) ـ ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قومٌ ﴿مَحْرُومُونَ﴾ حُرِمنا رِزقَنا، أو محدودونَ لا مَجدودونَ.

(٦٨) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ أي: العذبَ الصَّالحَ للشُّربِ.

(٦٩) ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ من السَّحابِ، واحدُه مُزْنَةٌ.

وقيل: المزنُ: السَّحابُ الأبيضُ وماؤُه أعذَبُ.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقُدرَتِنا، والرُّؤيةُ إن كانت بمَعنى العلمِ فمعلَّقةٌ بالاستفهامِ.

(٧٠) ـ ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مِلحًا، أو مِن الأَجيجِ فإنَّه يحرقُ الفمَ، وحُذِفَت اللامُ الفاصلةُ بين جوابِ ما يتمحَّضُ[٤] للشَّرطِ وما يتضمَّنُ معناه لعلمِ السَّامعِ بمَكانِه،

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٢٧) عن ابن مسعود، و«الكامل» للهذلي (ص: ٥٩٩) عن ابن أبي عبلة وأبي حيوة وقتادة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢) عن الجحدري.

(٣) والباقون بهمزة واحدة، انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٤) في نسخة التفتازاني: «يتحقق».

أو الاكتفاءِ بسبقِ ذكرِها، أو يختصُّ ما يُقصدُ لذاتِه ويكونُ أهمَّ وفقدُه أصعبَ بمزيدِ[١] التَّأكيدِ.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أمثالَ هذه النِّعَمِ الضَّروريَّةِ.

(٧١) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ تقدحونَ.

(٧٢) ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ يعني: الشَّجرةَ التي منها الزِّنادُ.

(٧٣) ـ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا﴾ جعلنا نارَ الزِّنادِ ﴿تَذْكِرَةً﴾ تبصِرةً في أمرِ البَعثِ كما مرَّ في سورةِ (يس)، أو في الظَّلامِ، أو تذكيرًا وأُنموذجًا لنارِ جهنَّم.

﴿وَمَتَـٰعًا﴾ ومنفعةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للذين يَنزلونَ القَواء، وهي القَفْرُ، أو للذين خلَتْ بُطونُهم أو مَزاودُهم مِن الطَّعامِ، مِن أَقْوَتِ الدَّارُ: إذا خلَتْ مِن سَاكنيهَا.

(٧٤) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فأَحْدِث التَّسبيحَ بذكرِ اسمِه أو بذكرِه، فإنَّ إطلاقَ اسمِ الشَّيءِ ذكرُه.

و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفةٌ للاسمِ أو الرَّبِّ، وتعقيبُ الأمرِ بالتَّسبيحِ لما عدَّدَ مِن بدائعِ صُنعِه وإنعامِه إمَّا لتَنزيهِه تعالى عمَّا يقولُ الجاحدونَ لوحدانيَّتِه الكافرونَ لنِعمَتِه، أو للتَّعجُّبِ مِن أَمرِهم في غَمْطِ نعمِه، أو للشُّكرِ على ما عدَّها مِن النِّعَمِ.

(٧٥) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ إذ الأمرُ أوضحُ مِن أن يحتاجَ إلى قَسَمٍ، أو فأُقْسِمُ، و(لا) مزيدةٌ للتَّأكيدِ كما في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩]، أو فلأَنا أقسمُ، فحذفَ المبتدأَ، وأَشبعَ فتحةَ لامِ الابتداءِ، ويدلُّ عليه أنَّه قرئ: (فَلَأُقْسِمُ)[٢]، أو فلا ردٌّ لكلامٍ يُخالِفُ المُقسَمَ عليه.

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «المزيد».

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٠٩).

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمَساقطِها، وتخصيصُ المغاربِ لِمَا في غُروبِها مِن زوالِ أثرِها والدَّلالةِ على وجودِ مُؤثِّرٍ لا يزولُ تأثيرُه، أو بمَنازِلها ومَجاريها، وقيل: النُّجومُ نُجومُ القُرآنِ، ومَواقِعُها: أوقاتُ نُزولِها.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿بمَوقِعِ﴾[1].

(٧٦) - ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لِمَا في المُقسَمِ به مِن الدَّلالةِ على عظيمِ القُدرةِ وكمالِ الحكمةِ وفرطِ الرَّحمةِ، ومِن مُقتضياتِ رَحمَتِه أن لا يتركَ عبادَهُ سُدى، وهو اعتراضٌ في اعتراضٍ، فإنَّه اعتراضٌ بينَ القَسَمِ[2] والمُقسَمِ عليه.

و﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراضٌ بينَ الموصوفِ والصِّفةِ.

(٧٧) - ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ كثيرُ النَّفعِ لاشتمالِه على أُصولِ العُلومِ المُهمَّةِ في إصلاحِ المعاشِ والمعادِ، أو حسنٌ مَرضيٌّ في جنسِه.

(٧٨) - ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مَصونٍ، وهو اللَّوحُ.

(٧٩) - ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يطَّلعُ على اللَّوحِ إلَّا المطهَّرونَ مِن الكُدوراتِ الجِسمانيَّةِ، وهم الملائكةُ، أو لا يمسُّ القرآنَ إلَّا المُطهَّرُونَ مِن الأحداثِ، فيكونُ نَفيًا بمعنى نَهيٍ، أو لا يطلبُه إلَّا المطهَّرُونَ مِن الكُفرِ.

وقُـرِئَ: (المُتَطَهِّرُونَ)[3]، و: (المُطَّهِـرُونَ)[4]، و: (المُطْهَـرُونَ)[5]، مِن أطهَره

---

(١) «وقرأ حمزة والكسائي: بموقع» من نسخة التفتازاني والطبلاوي. انظر: «التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٢) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «المقسم».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٦).

(٤) نسبت لسلمان الفارسي رضي الله عنه وعبد الله بن عون والحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٥).

(٥) بسكون الطاء وفتح الهاء خفيفة، نسبت لنافع وأبي عمرو بخلاف عنهما، وهي قراءة عيسى الثقفي، =

بمَعنـى طهَّرَه، و: (المطهِّرُونَ)[١] أي: أنفسَـهُم أو غيرَهُم بالاسـتغفارِ لهم والإلهامِ.

(٨٠) ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ صِفةٌ ثالثةٌ أو رابعةٌ للقرآنِ، وهو مَصدَرٌ نُعِتَ به.

وقُرِئَ بالنَّصبِ[٢]؛ أي: نُزِّلَ تنزيلًا.

(٨١) ـ ﴿أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ مُتهاوِنونَ به، كمَنْ يُدهِنُ في الأمرِ أي: يَلينُ جانبُه ولا يتصلَّبُ فيه تهاونًا به.

(٨٢) ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شُكرَ رزقِكُم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: بمانِحِه حيثُ تَنسُبونَه إلى الأَنْواءِ.

وقُرِئَ (شُكرَكُم)[٣] أي: وتجعلونَ شُكرَكُم لنعمةِ القرآنِ أنَّكم تُكذِّبونَ بهِ.

و﴿تُكَذِّبُونَ﴾ أي: بقولِكُم في القرآنِ: إنَّه سحرٌ وشعرٌ، أو في المطرِ: إنَّه من الأنواءِ.

(٨٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: النَّفسُ.

(٨٤) ـ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ حالَكُم، والخطابُ لِمَن حولَ المُحتضَرِ، والواوُ للحالِ.

(٨٥) ـ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ ونحن أعلَمُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى المحتضَرِ ﴿مِنكُمْ﴾ عبَّرَ عن العلمِ بالقربِ الذي هو أقوى سببِ الاطلاعِ ﴿وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ لا تدركونَ كُنْهَ ما يجري عليه.

= انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٥).

(١) بفتح الطاء خفيفة وكسر الهاء وتشديدها، ونسبت لسلمان الفارسي رضي الله عنه أيضاً، انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٥).

(٢) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٩٩)، و«البحر» (٢٠/ ١٩٦).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٠).

(٨٦) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: مَجْزيِّينَ يومَ القيامةِ، أو مملوكينَ مَقهورينَ، مِن دانَهُ: إذا أذلَّهُ واستعبدَهُ، وأصلُ التَّركيبِ للذُّلِّ والانقيادِ.

(٨٧) ـ ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعونَ النَّفسَ إلى مقرِّها، وهو عاملُ الظَّرفِ والمُحضَّضُ عليه بـ(لولا) الأولى، والثَّانيةُ تكريرٌ للتَّوكيدِ، وهي بما في حَيِّزها دليلُ جوابِ الشَّرطِ، والمعنى: إن كُنتُمْ غيرَ مملوكينَ مَجزيِّينَ كما دلَّ عليه جَحْدُكُم أفعالَ اللهِ وتَكذيبُكُم بآياتِه.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في تعطيلِكُم، فلولا ترجعونَ الأرواحَ إلى الأبدانِ بعدَ بُلوغِها الحلقومَ.

(٨٨) ـ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: إن كانَ المُتوفَّى مِن السَّابقينَ.

(٨٩) ـ ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحةٌ.

وقُرِئَ: ﴿فرُوحٌ﴾ بالضم[1]، وفُسِّرَ بالرَّحمةِ؛ لأنَّها كالسَّببِ لحياةِ المرحومِ وبالحياةِ الدَّائمَةِ.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزقٌ طيبٌ ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ ذاتُ تَنعُّمٍ.

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحبَ اليمينِ ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: مِن إخوانِكَ يُسلِّمونَ عليك.

---

(١) وهي قراءة رويس عن يعقوب، انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٣)، وقرأ بها ابن عباس، والحسن وقتادة والضحاك والأشهب ونوح القارئ وبديل وشعيب بن الحارث وسليمان التيمي والربيع بن خثيم، وأبي عمران الجوني، وأبي جعفر محمد بن علي والضحاك وفياض.

ورويت عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ، كما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٣٥٢)، والطيالسي في «مسنده» (١٥٥٧) ـ ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٣) ـ وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨) وحسنه، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٠٢).

(٩٢) ـ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني: أصحابَ الشمالِ، وإنَّما وصفَهُم بأفعالِهم زَجْرًا عنها وإشعارًا بما أوجبَ لهم ما أوعدَهُم به.

(٩٣ ـ ٩٤) ـ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ وذلك ما يَجِدُ في القبرِ مِن سَمُومِ النَّارِ ودُخانها.

(٩٥) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الذي ذُكرَ في السُّورةِ، أو في شأنِ الفِرَقِ ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: حقُّ الخبرِ اليقينِ.

(٩٦) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فنزِّهْهُ بذكرِ اسمِه عمَّا لا يليقُ بعظمةِ شأنِه.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلَةٍ لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبدًا»[1].

* * *

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٧)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤): قد تبين ضعف هذا الحديث من وجوه:
أحدها: الانقطاع، كما ذكره الدارقطني وابن أبي حاتم في «علله» نقلًا عن أبيه.
والثاني: نكارة متنه، كما قال أحمد.
والثالث: ضعف رواته، كما ذكره ابن الجوزي.
والرابع: الاضطراب، فذكر الاضطراب في اسم بعض رواته ثم قال: وقد اجتمع على ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا.

سورة الواقعة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا
ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا
مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١
وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦ ﴾ .

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ما آل إليه الثّقلان من عذاب ونعيم، ذكر ذلك هنا مفصّلاً للسابقين المقرّبين وأصحاب اليمين والمكذبين الضالّين.

والواقعة والآزفة والصاخّة والطامّة من أسماء الساعة. فقوله «وقعت الواقعة» أي: وقعت التي لا بدّ من وقوعها كما تقول: حدثت الحادثة وكانت

(١) مكية وهي ست وتسعون آية.

الكائنة. ووقوع الأمر: نزوله، يقال[١]: وقع ما كنت أتوقّعه، أي: نزل ما كنت أترقب نزوله. والعامل في «إذا» الفعل بعدها على ما قررناه في كتب النحو، فهي في موضع نصب بـ«وقعت» كسائر أسماء الشرط.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: بم[٣] انتصب «إذا»؟ قلت: بـ«ليس» كقولك: يومَ الجمعة ليس لي شغل، أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت[٤]، أو بإضمار: اذكر انتهى.

أما نصبها بـ«ليس» فلا يذهب نحوي أو من شدا[٥] شيئاً من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأنّ ليس في النفي كما و«ما» لا تعمل فكذلك ليس؛ وذلك أنّ ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزّمان. والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز؛ لأنّ حَدّ الفعل لا ينطبق عليها. والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث. فإذا قلت: يوم الجمعة أقوم، فالقيام في يوم الجمعة واقع، و«ليس» لا حدث لها فكيف يكون لها عمل في الظرف؟. والمثال الذي شبّه [به] وهو يوم: الجمعة ليس لي شغل، لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس، بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس وهو الجار والمجرور، فهو من تقديم معمول الخبر على ليس. وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر الذي لليس عليها. وهو مختلف فيه، ولم يُسمع من العرب: قائماً ليس زيد.

---

(١) ق: فقال.

(٢) الكشاف ٤: ٥١.

(٣) ق: بما.

(٤) ق: كنت وكنت.

(٥) ق: شد.

وليس إنما تدلّ على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط، فهي كما، لكنه لما اتّصلت بها ضمائر الرفع جعلها ناسٌ فعلاً، وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية. ويظهر من تمثيل الزمخشري إذا بقوله: يوم الجمعة، أنه سلبها الدلالة على الشرط الذي [٥٣٢/أ] هو غالب فيها.

ولو كانت شرطاً وكان الجواب الجملة المصدّرة بليس لزمت الفاء إلا إن حذفت في شعر إذ[١] ورد ذلك فتقول إذا أحسن إليك زيد فلست تترك مكافأته، ولا يجوز: لست بغير فاء إلاّ إن اضطر إلى ذلك.

وأما تقديره: إذا وقعت كان كيت وكيت، فيدلّ على أنّ إذا عنده شرطية، ولذلك قدّر لها جواباً عاملاً فيها. وأما قوله: أو بإضمار اذكر، فإنه سلبها الظرفية وجعلها مفعولاً بها منصوبة باذكر.

و﴿كَاذِبَةٌ﴾ ظاهره أنه اسم فاعل من كذب، وهو صفة لمحذوف، فقدّره الزمخشري[٢]: نفس كاذبة. والذي يظهر أنها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه.

وقرىء: خافضة رافعة، برفعهما على تقدير هي. ونصبهما على الحال.

﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ قال ابن عباس[٣]: [زلزلت] وحُرّكت بعنف.

﴿وَبُسَّتِ﴾ فُتِّتَتْ. [و«إذا رجت» بدل من «إذا وقعت». وجواب الشرط عندي ملفوظ به وهو قوله «فأصحاب الميمنة»] والمعنى: إذا كان كذا وكذا

(١) ق: إن.

(٢) انظر الكشاف ٤: ٥١.

(٣) ق: ابن عبد السلام.

فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يُجازَوْن به، أي: أن سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تعالى يظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم.

وقال الزمخشري[1]: ويجوز أن ينتصب بـ«خافضة رافعة» أي: تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال، لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى. ولا يجوز أن ينتصب بهما معاً بل بأحدهما، لأنه لا يجتمع مؤثران على أثر واحد.

وقال ابن جني وأبو الفضل الرازي[2]: «إذا رجّت» في موضع رفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو «إذا وقعت» وليست واحدة منهما شرطية بل جعلت بمعنى وقت، وما بعد إذا أحوال ثلاثة. والمعنى: وقتُ وقوع الواقعة صادقةَ الوقوع خافضةَ قومٍ رافعةً آخرين وقتُ رجِّ الأرض.

وهكذا ادّعى ابن مالك أنّ إذا تكون مبتدأ واستدلّ بهذا. وقد ذكرنا في شرح التسهيل ما تبقى به إذا على مدلولها من الشرط.

﴿وَكُنتُمْ﴾ خطاب للعالم. ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ثلاثة. وهذه رتب الناس يوم القيامة.

﴿فَأَصْحَـٰبُ﴾ مبتدأ. و«ما» مبتدأ ثانٍ، استفهام في معنى التعظيم. و﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ خبر عن «ما»، و[«ما»] وما بعدها خبر عن «أصحاب». وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه، وأكثر ما يكون ذلك في

---

(١) الكشاف ٤: ٥٢.

(٢) انظر تفسير الرازي ٢٩: ١٤٣.

موضع التهويل والتعظيم. وإعراب ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ كذلك.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ في أعمال الخيرات ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الجنّة. والجملة مبتدأ وخبر. ويجوز أن يكون «السابقون» توكيداً للأول، ويكون خبر المبتدأ الجملة التي هي اسم الإشارة وما بعدها وهو قوله «أولئك المقرّبون».

والثّلة: الجماعة قلّت أو كثرت، والمراد بها في الآية الجماعة الكثيرة لمقابلتها في [٥٣٢/ب] قوله «وقليل من الآخرين». وارتفع «ثلة» على إضمار: هم. وفي الحديث[١] «الفرقتان في أمّتي فسابق في أول الأمة ثلّة، وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل».

﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ الموضونة: المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحلق الدّرع. وقال عكرمة: مشبكة بالدّر والياقوت.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾ أي: على السّرر. و«متكئين» حال من الضمير المستكن في «على سرر». «متقابلين» ينظر بعضهم إلى بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء بواطنهم.

﴿وِلْدَٰنٌ﴾ صغار الخدم. ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ وُصفوا بالخُلْد وهو البقاء على حالهم من الصّغر لا يكبرون. وقيل: مقرّطون بالخلدات وهي ضروب من الأقراط.

﴿مَّعِينٍ﴾ قال ابن عباس: من خمر سائلة جارية مَعينة.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يفرغ خمرهم، مِن نَزَف البئر: استفرغ ماءها.

(١) أخرجه ابن جرير ٢٧: ١١٠ من حديث ابن عباس بألفاظ أخر، وانظر الفتح الرباني ١٨: ٢٩٤.

وقرىء: وحور، بالرفع على تقدير: ولهم حور. وبالجرّ عطفاً على المجرورات قبله، والمعنى أن الولدان يطوفون عليهم بالحور العين.

ووصف اللؤلؤ بالمكنون، لأنه أصفى وأبعد من التغيّر. وفي الحديث[١] «صفاؤهنّ كصفاء الدّر الذي لا تمسّه الأيدي».

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ روي أن المنازل تقسم[٢] في الجنة على قدر الأعمال. ونفس دخول الجنة [هو بفضل الله ورحمته لا بعمل عامل؛ وفي النص الصحيح الصريح[٣]: لا يدخل أحد الجنّة] بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني منه بفضل ورحمة.

اللغو: سقط القول وفحشه. والتأثيم: ما يؤثم به، أي: لا يؤثم فيها أحد.

والظاهر أنّ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ استثناء منقطع لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾
وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾
وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

(١) رواه ابن جرير ٢٧: ١٠٢ من حديث أم سلمة.

(٢) ق: والقسم.

(٣) أخرجه البخاري ٥: ٢١٤٧ من حديث أبي هريرة.

﴿فِي سِدْرٍ﴾ في الجنّة شجر على خلقة [السّدر] له ثمر كقِلال هجر[1]، طيب الطعم والرّيح. ﴿مَّخْضُودٍ﴾ عارٍ من الشوك.

﴿وَطَلْحٍ﴾ قال مجاهد: هو الموز. والمنضود: الذي نضد[2] من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق تظهر.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: منبسط لا يتقلّص ولا ينسخه شيء.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ جارٍ في غير أخاديد.

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفاكهة الدنيا. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يُمنع من تناولها بوجه ولا يُحظر عليها كالتي في الدنيا.

﴿وَفُرُشٍ﴾ جمع فراش. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نُضّدت[3] حتى ارتفعت، أو رُفعت على الأسرّة. والظاهر أن الفراش هو ما يُفترش للجلوس عليه والنوم.

والضمير في ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ عائد على الفرش في قول أبي عبيدة؛ إذ هنّ النساء عنده. وعلى ما دلّ عليه الفرش، إذا كان المراد بالفرش ظاهر ما يدلّ عليه من الملابس التي تفترش، ويضطجع عليها. أي: ابتدأنا خلقهنّ ابتداءً جديداً [٥٣٣/أ] من غير ولادة. والظاهر أن الإنشاء هو الاختراع الذي [لم] يُسبق بخَلْق [مثله]، ويكون ذلك مخصوصاً بالحور اللاتي لسن من نسل آدم عليه السلام.

---

(١) القُلّة: إناء للعرب، وقلال هجر شبيهة بالحِباب (الخوابي).

(٢) ق: تعبد.

(٣) ق: نضت.

﴿أَبْكَارًا﴾ قيل: دائمات البكارة كلما وُطئن وُجدن أبكاراً.

والعَروب: قال ابن عباس: المتحبّبة إلى زوجها. ﴿أَتْرَابًا﴾ في الشكل والقدّ والسنّ.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: من الأمم الماضية. ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: من أمّة محمد صلى الله ﷺ. ولا تنافي بين قوله «وثلة من الآخرين» وقوله قبلُ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة]؛ لأن قوله «[وقليل] من الآخرين» هو في السابقين، وقوله «وثلّة من الآخرين» هو في أصحاب اليمين.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ في هذا الاستفهام تعظيم مصابهم.

﴿فِى سَمُومٍ﴾ في أشدِّ حرّ. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد السخونة. ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ اليحمومُ: الأسودُ البهيم. ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ صفتان للظلّ نُفيتا[1] سُمّي ظلاًّ وإن كان ليس كالظّلال، ونُفيَ عنه بردُ الظلّ ونفعه لمن يأوي إليه. «ولا كريم» تتميم لنفي[2] صفة المدح فيه، وتمحيق لما يُتوهّم في الظّل من الاسترواح إليه عند شدة الحرّ، أو نفي لكرامة من يستروح إليه.

---

(١) ق: يفيتا.

(٢) ق: تتميم لصفة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ خطاب لكفار قريش. ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ للبعث.

﴿لَآكِلُونَ﴾ «من» الأولى لابتداء الغاية أو للتبعيض. والثانية إن كان «من زقوم» بدلاً فـ«مِن» تحتمل الوجهين. وإن لم تكن بدلاً فهي لبيان الجنس؛ أي: من شجر الذي هو زقوم.

﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ الضمير في «منها» عائد على «شجر» إذ هو اسم جنس يؤنث ويذكّر.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ ذُكّر على لفظ الشجر، كما أُنّث على المعنى في «منها».

﴿ٱلْهِيمِ﴾ جمع أهيم وهيماء. والهيام داء معطش يصيب الإبل، تشرب حتى تموت، أو تسقم سقماً شديداً. ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا
تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ
تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ
أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ
جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ حضٌّ على التصديق؛ أشار إلى النشأة الأولى وهي خَلْقهم ثم قال: فلولا تصدّقون بالإعادة وتقرّون بها كما أقررتم بالنشأة الأولى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ هو من المنّي الذي يخرج من الإنسان؛ إذ ليس له في

خلقه عمل ولا إرادة ولا قدرة. ومفعول «أرأيتم» هو ما يليه، والثاني جملة الاستفهام بعده. و«أم» معادلة للهمزة، وكأنّ ما جاء من الخبر بعد «نحن» جيء به على سبيل التوكيد؛ إذ لو قال «أم نحن» لوقع الاكتفاء به دون ذكر الخبر. ونظير ذلك جواب من قال: من في الدار؟ زيد في الدار أو زيد فيها. ولو اقتصر في الجواب على: زيد، لاكتُفي به.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ أي: قضينا وأثبتنا أو رتّبنا في التقدّم والتأخر، فليس موت العالم دفعة واحدة بل بترتيب[1] لا يُتعدى. ﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾ يقال [٥٣٣/ب] سبقتُه على الشيء: أعجزتُه عنه وغلبته عليه.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصفات، اي: نحن قادرون على أن نعدمكم وننشىء أمثالكم، وعلى تغيير أوصافكم ممّا لا يحيط به فكركم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ أنه هو الذي أنشأكم اوّلاً إنساناً إنساناً، وأنه خلق آدم عليه السلام من طين، ولا ينكرها أحد من ولده. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حضٌّ على التذكّر المؤدي إلى الإيمان والإقرار بالنشأة[2] الآخرة.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ما تُذْرونه وتبذرونه[3] في الأرض.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ أي: زرعاً يتمّ وينبت حتى ينتفع به.

والحطام: اليابس المفتّت الذي لم يكن له حبّ ينتفع به. ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله فظللتم، حذفت عين الكلمة. و﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه تعجبون.

---

(١) ق: بترتب.

(٢) ق: النشأة.

(٣) تثيرونه وتذبرونه. وأذرى الحبّ: ألقاه في الأرض للزّرع.

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: معذّبون، من الغرام الذي هو أشدّ العذاب.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: محدودون لا حظّ لنا في الخير.

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ هذا الوصف يغني عن وصفه بالعذب، ألا ترى مقابله وهو الأجاج؟. ودخلت اللام في ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ وسقطت في قوله ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا[1]﴾ وكلاهما فصيح.

والظاهر أنّ قوله ﴿شَجَرَتَهَآ﴾ المراد منه الشجر الذي يُقدح منه النار[2]، كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس].

﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم. ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: النازلين الأرض القواء وهي القفر. وقدّم من فوائد النار ما هو أهمّ وآكد من تذكيرها بنار جهنم، ثم أتبعه بفائدتها في الدنيا. وهذه الأربعة التي ذكرها تعالى ووقفهم[3] عليها - من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار - من أعظم الدلائل على البعث؛ إذ فيها انتقال من شيء إلى شيء وإحداث شيء من شيء. ولذلك أمر في آخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون. ووصف تعالى نفسه بـ«العظيم» إذ مَن هذه أفعاله تدلّ على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ

---

(١) ق: أجاج.

(٢) ق: يقع منه النهار.

(٣) ق: وقفهم.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن
لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن
كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾
فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿ﮋ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ الآية، قرأ الجمهور: فلا أقسم. فقيل: «لا» زائدة مؤكدة مثلها في قوله ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد] والمعنى: فأقسم. وقيل: المنفي محذوف أي: فلا صحة لما يقول الكفار، ثم ابتدأ: أقسم بمواقع النجوم. قال ابن عباس: هي نجوم القرآن التي أنزلت على الرسول عليه السلام. ويؤيد هذا القول قوله «إنه لقرآن» فعاد الضمير على ما يُفهم من قوله «بمواقع النجوم» أي نجوم القرآن.

وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سرٌّ في تعظيم ذلك لا نعلمه نحن. وقد أعظم ذلك تعالى فقال ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. والجملة المقسم [٥٣٤/ أ] عليها قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. وفصل بين القسم وجوابه، فالظاهر أنه اعتراض بينهما وفيه اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله «لو تعلمون». و«كريم» وصف مدرج ينفي عنه ما لا يليق.

والظاهر أن قوله ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة لـ«قرآن كريم». فالمطهّرون هم الملائكة. [وقيل ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ صفة لـ«كتاب مكنون». فإن كان الكتاب الذي هو في السماء فالمطهّرون هم الملائكة] أيضاً، أي: لا يطّلع عليه من سواهم.

والإشارة في ﴿أَفَبِهَٰذَا﴾ للقرآن. و﴿أَنتُم﴾ خطاب للكفّار. ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ قال ابن عباس: مهاودون فيما لا يحلّ.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكر ما رزقكم الله تعالى من إنزال القرآن عليكم تكذيبكم به، أي: تضعون مكان الشكر التكذيب.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ ترتيب الآية: فلولا ترجعونها[1] إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين. و﴿فَلَوْلَآ﴾ الثانية مكررة للتوكيد. والضمير في ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ للنفس.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المتوفّى. ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون.

﴿فَرَوْحٌ﴾ وهو الراحة والرحمة. والريحان: الرزق.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلّمون عليك.

﴿فَنُزُلٌ﴾ النُّزلُ: ما يُعدّ للضيف. والفاء في المواضع الثلاثة جواب لأمّا. وأغنى عن جواب الشرط الذي هو «إنْ». وإذا[2] اجتمع شرطان فالجواب للأول ويغني عن جواب الثاني.

ولمّا انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آل إليه كل قسم منهم، أكّد ذلك بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إنّ هذا الخبر المذكور في هذه السورة. ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ فقيل هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول: هذا يقين اليقين وصواب الصواب، بمعنى أنه نهاية في ذلك، فهما بمعنى واحد

(١) ق: ترجعوا بها.

(٢) ق: إذا.

أضيف على سبيل المبالغة.

ولمّا تقدّم ذكر الأقسام الثلاثة مسهباً الكلام فيهم، أمره تعالى بتنزيهه عمّا لا يليق به من الصفات. ولمّا أعاد التقسيم موجزاً[(١)] الكلام فيه، أمره أيضاً بتنزيهه وتسبيحه والإقبال على عبادة ربّه، والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء. ويظهر أن «سبّح» يتعدى بنفسه تارة كقوله «فسبح باسم ربك» ﴿وَتُسَبِّحُوهُ ﴿٩﴾﴾ [الفتح] وتارة بحرف الجر كقوله «فسبح باسم ربك». و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ يجوز أن يكون صفة لـ«اسم» ويجوز أن يكون صفة لـ«ربك».

(١) ق: مؤخراً.

مفردات سورة الواقعة

«رُجَّتِ الأرض»: زُلْزِلَتْ وحُرِّكَتْ تحريكاً شديداً بحيث تنهدم الأبنية وتخِرُّ الجبال[1].

«بُسَّتِ الجبالُ»: فُتِّتَتْ[2]. وقيل: سُيِّرَتْ، من قولهم: بَسَّ الغنمَ: ساقها[3].

ويقال: رَجَّتِ الأرضُ وَبَسَّتِ الجبال، لازِمَين[4].

«المَشْأمة» من الشُّؤم، أو من اليد الشُّؤمى وهي الشمال[5].

«الثُّلَّة»: الجماعة كثُرَتْ أو قَلَّتْ. وقال الزمخشري[6]: الأُمَّة من الناس الكثيرة. وقال الشاعر:

وجاءَتْ إليهم ثُلَّةٌ خِنْدِفيَّةٌ بجيشٍ كتيَّارٍ من السَّيلِ مُزْبِدِ[7]

«المَوْضونة»: المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحِلَقِ الدِّرْع. قال الأعشى[8]:

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة. وأخرجه عنهم وعن السدي وأبي صالح الطبريُّ ٢٢/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٢.

(٤) وهي قراءة زيد بن علي كما سيأتي.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.

(٦) في الكشاف ٤/ ٥٢-٥٣.

(٧) لم أقف على قائله. و«خِنْدِفية» نسبة إلى خِنْدِف: وهي امرأة إلياس بن مضر، غلبَتْ على نسَب أولادها منه، واسمُها ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة. تهذيب اللغة ٧/ ٦٨١-٦٨٢.

(٨) في ديوانه ص ١٤٩. والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١.

ومِــنْ نَــسْــجِ داودَ مــوضــونــةً تــسيــرُ مع الـحـيِّ عِـيـراً فـعِـيـرا

ومنه وَضِينُ الناقة: وهو حِزامها؛ لأنَّه مَوْضون، أي: مفتول. قال الراجز:

إلــيــك تَــعْــدو قَــلِـقـاً وَضِــيــنُــهــا
مــعــتــرِضــاً فــي بــطــنِــهــا جــنــيــنُــهــا
مــخــالِــفــاً ديــنَ الــنَّــصــارى دِيــنُــهــا[1]

الإبريق: إفْعيل، من البَريق: وهو إناء للشرب له خرطوم، قيل: وأُذن، وهو من أواني الخمر عند العرب. قال الشاعر:

كـأنَّ إبـريـقَـهـم ظَـبـيٌ عـلـى شـرَفٍ مُـفَـدَّمٌ بِـسَـبَـا الـكَـتَّـانِ مـلـثـومُ[2]

وقال عدي بن زيد:

وتـداعـوا إلـى الـصَّـبـوح فـقـامَـتْ قَـيـنـةٌ فـي يـمـيـنـهـا إبـريـقُ[3]

---

(١) اختلف في قائل هذا الرجز، فنُسِبَ في طبقات ابن سعد ١/ ١٦٥ و٣٥٧ لكُرْز بن علقمة، ونُسِبَ في دلائل النبوة ٥/ ٣٩٠ لبشر بن معاوية، ونُسب في سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٤ لرجل من نجران.
وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥٨٨٩) و(٢٦٥٦٤) من كلام عمر بن الخطاب ﷺ. وهو كذلك في العقد الفريد ٥/ ٣٣٣.
وأخرج الطبراني في الكبير (١٣٢٠١)، والأوسط (٩٢٥) من طريق أبي ربيع السمان، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ أفاض من عرفات وهو يقول: ... فذكر الرجز. قلت: أبو الربيع هذا متروك. قال الطبراني عقبه في الكبير: وَهِمَ عندي أبو الربيع السمان في رفع هذا الحديث؛ لأن المشهور في الرواية عن ابن عمر.

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل كما في المفضليات ص ٤٠٢، والكامل ٢/ ٩٣٦، والخصائص ١/ ٨٠ و٢/ ٤٣٧، وتاج العروس (سأب) و(برق). وفي المفضليات: مرثوم، بدل: ملثوم. والمرثوم: الذي كُسِرَ أنفه. والملثوم: الذي ردَّ عمامته على أنفه. والمُفدَّم: الذي وُضِعَ على فمه خرقة. اللسان (رثم) و(لثم) و(فدم). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢ و٤/ ١١٣. قال صاحب رغبة الآمل ٦/ ١٦٢: وقوله: بسبا الكتَّان، أراد بسبائب الكتَّان، فحذف جزء الكلمة، والسبائب جمع سبيبة: وهي شقة بيضاء.

(٣) البيت في تاريخ دمشق ١٥/ ١٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، وخزانة الأدب ٩/ ٤٤٨.

صُدِعَ القومُ بالخمر: لَحِقَهم الصداعُ في رؤوسهم منها. وقيل: صُدِّعوا: فُرِّقوا[١].

«السِّدْر» تقدَّم الكلام عليه في سورة سبأ[٢].

«المَخْضود»: المقطوعُ شوكُه. قال أمية بن أبي الصَّلْت:

إنَّ الحدائقَ في الجنانِ ظَليلةٌ فيها الكواعبُ سِدْرُها مخضودُ[٣]

«الطَّلْحُ»: شجر الموز[٤]. وقيل: شجرٌ من العِضاه كثير الشَّوك[٥].

«المَسْكوب»: المَصْبوب[٦].

«العَروب»: المُتحبِّبة إلى زوجها[٧].

«التِّرْب»: اللِّدَة، وهو مَنْ يولد هو وآخرُ في وقتٍ واحد؛ سُمِّيا بذلك لمسِّهما التراب في وقت واحد[٨].

* * *

سورة الواقعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.
(٢) عند تفسير الآية (١٦) منها.
(٣) ديوان أمية ص ٥٩. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.
(٤) الكشاف ٤/ ٥٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢. وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٥٤ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة والحسن وعكرمة. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣١١-٣١٢ عن علي وابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.
(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٢٣٤، والكشاف ٤/ ٥٤.
(٧) الصحاح (عرب). ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥ لابن عباس والحسن.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥ بنحوه.

مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكية[١]. ومناسبتُها لِما قبلها أنَّ ما قبلها تضمَّن العذابَ للمجرمين والنعيمَ للمؤمنين، وفاضلَ بين جنَّتي بعض المؤمنين وجنَّتي بعضٍ بقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] فانقسمَ العالمُ بذلك إلى كافرٍ، ومؤمنٍ مفضولٍ، ومؤمنٍ فاضل، وهكذا جاء ابتداءُ هذه السورة من كونهم أصحابَ ميمنة، وأصحابَ مشأمة، وسُبَّاقَ وهم المُقرَّبون وأصحابُ اليمين، والمكذِّبون المُختَتمُ بهم آخر هذه السورة.

وقال ابن عباس: الواقعة: من أسماء القيامة، كـ ﴿الصَّآخَّةُ﴾ و﴿الطَّآمَّةُ﴾ و﴿الْآزِفَةُ﴾، وهذه الأسماء تقتضي عِظَمَ شأنها[٢]. ومعنى «وقعت الواقعة» أي: وقعَتِ التي لا بُدَّ من وقوعها، كما تقول: حدَثَتِ الحادثة، وكانتِ الكائنة. ووقوعُ الأمرِ: نزولُه، يقال: وقعَ ما كنتُ أتوقَّعُه، أي: نزل ما كنتُ أترقَّبُ نزولَه[٣].

وقال الضحَّاك: الواقعة: الصَّيْحَة، وهي النَّفْخَة في الصُّور. وقيل: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة[٤].

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٢، والكشاف ٤/ ٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.
(٣) الكشاف ٤/ ٥١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.

والعامل في «إذا» الفعلُ بعدَها على ما قرَّرناه في كتب النحو، فهو في موضع نصبٍ بـ «وقعَتْ» كسائر أسماء الشرط، ومن ذهب إلى أنَّ الجملة بعدها في موضع خفضٍ بإضافة «إذا» إليها، احتاج إلى تقدير عامل؛ إذ الظاهرُ أنَّه ليس ثَمَّ جوابٌ ملفوظٌ به يعمل بها. فقال الزمخشريُّ[1]: فإن قلت: بِمَ انتصب «إذا»؟ قلت: بـ «ليس» كقولك: يومَ الجمعة ليس لي شغلٌ، أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كَيْتَ وكَيْت، أو بإضمار «اذكُرْ» انتهى.

أمَّا نصبُها بـ «ليس» فلا يذهب نَحْويٌّ ولا مَنْ شدا شيئاً من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأنَّ «ليس» في النفي كـ «ما»، و«ما» لا تعمل، فكذلك «ليس»، وذلك أنَّ «ليس» مسلوبةُ الدّلالة على الحدث والزمان، والقولُ بأنَّها فعلٌ هو على سبيل المجاز؛ لأنَّ حَدَّ الفعل لا ينطبق عليها، والعامل في الظرف إنَّما هو ما يقع فيه من الحدث، فإذا قلت: يومَ الجمعة أقومُ، فالقيامُ واقعٌ في يوم الجمعة، و«ليس» لا حدَثَ لها، فكيف يكون لها عملٌ في الظرف؟ والمثال الذي شَبَّه به وهو: يوم الجمعة[2] ليس لي شغلٌ، لا يدلُّ على أنَّ يومَ الجمعة منصوبٌ بـ «ليس»، بل هو منصوبٌ بالعامل في خبر «ليس» وهو الجار والمجرور، فهو من تقديمِ معمولِ الخبر على «ليس»، وتقديمُ ذلك مَبنيٌّ على جواز تقديم الخبر الذي لـ «ليس» عليها، وهو مختلَفٌ فيه، ولم يُسمَعْ من لسان العرب: قائماً ليس زيدٌ، و«ليس» إنَّما تدلُّ على نفي الحكم الخبريِّ عن المحكوم عليه فقط، فهي كـ «ما»، ولكنَّه لمَّا اتَّصلَتْ بها ضمائرُ الرفع جعلها ناسٌ فِعْلاً، وهي في الحقيقة حرفُ نفيٍ كـ «ما» النافية، ويظهر من تمثيل الزمخشري «إذا» بقوله: يومَ الجمعة، أنَّه سلبَها الدِّلالةَ على الشرط الذي هو غالبٌ فيها، ولو كانت شرطاً وكان الجوابُ الجملة المصدَّرة بـ «ليس» لزمَتِ الفاءُ، إلَّا إنْ حُذِفَتْ في شعر إنْ وردَ ذلك، فتقول: إذا أحسنَ إليك زيدٌ فلستَ تتركُ مكافأَتَه. ولا يجوز «لستَ» بغير فاء، إلَّا إن اضْطرَّ إلى ذلك.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٥١.

(٢) في النسخ والمطبوع: القيامة، والصواب هو المثبت، بدليل ما سلف وسيرد.

وأمَّا تقديره: إذا وقعت كان كَيْتَ وكَيْت، فيدلُّ على أنَّ «إذا» عنده شرطية؛ ولذلك قدَّر لها جواباً عاملاً فيها.

وأمَّا قوله: بإضمار «اذكُرْ» فإنَّه سلبَها الظرفية، وجعلها مفعولاً بها منصوبة بـ «اذكُرْ».

و«كاذبة» ظاهرُه أنَّه اسمُ فاعل من «كذب» وهو صفة لمحذوف، فقدَّره الزمخشري: نفسٌ كاذبة، أي: لا يكون حين تقعُ نفسٌ تكذِبُ على الله، وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأنَّ كلَّ نفسٍ حينئذٍ مؤمنةٌ صادقةٌ، وأكثرُ النفوس اليومَ كواذبُ مُكذِّباتٌ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠١]، ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الحج: ٥٥].

واللَّام مثلُها في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤] إذ ليس لها نفسٌ تُكذِّبها وتقول لها: لم تكوني، كما لها اليومَ نفوسٌ كثيرةٌ يُكذِّبْنَها يقُلْنَ لها: لم تكوني[١]، أو هي من قولهم: كذبَتْ فلاناً نفسُه في الخطب العظيم إذا شجَّعَتْه على مباشرته وقالت له: إنَّك تُطيقُه وما فوقَه، فتَعَرَّضْ له ولا تُبالِ، على معنى: أنَّها وقعةٌ لا تُطاقُ شدَّةً وفظاعةً، وأنْ لا نفس حينئذٍ تُحدِّثُ صاحبَها بما تُحدِّثه به عند عظائم الأمور، وتُزيِّنُ له احتمالها وإطاقتها، لأنَّهم يومئذٍ أضعَفُ من ذلك وأذلُّ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] والفراش مَثَلٌ في الضَّعف. انتهى. وهو تكثيرٌ وإسهابٌ.

وقدرَّه ابنُ عطية[٢]: حالٌ كاذبة. قال: ويحتمل الكلام على هذا معنيين؛ أحدهما: كاذبة، أي: مكذوبٌ فيما أخبرَ به عنها، فسمَّاها كاذبة لهذا، كما تقول: هذه قصةٌ كاذبة، أي: مكذوبٌ فيها. والثاني: حالٌ كاذبة، أي: لا يمضي

---

(١) المثبت من (يه)، وفي «الكشاف» (والكلام منه): لن تكوني، وفي النسخ الأخرى: لم تكذبي، وكذا في الموضع السالف قبله في جميع النسخ، وهو خطأ.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.

وقوعُها، كما تقول: فلانٌ إذا حَمَلَ لم يكذِبْ. وقال قتادة والحسن: المعنى: ليس لها تكذيبٌ ولا ردٌّ ولا مثنوية، فـ «كاذبة» على هذا مصدر كالعاقبة والعافية وخائنة الأعين.

والجملة من قوله: «ليس لوقعتها كاذبة» على ما قدَّره الزمخشري من أنَّ «إذا» معمولةٌ لـ «ليس» تكون ابتداء السورة إلَّا إن اعتُقِدَ أنَّها جوابٌ لـ «إذا»، أو منصوبةٌ بـ «اذكُرْ» فلا يكون ابتداء كلام. وقال ابن عطية: في موضع الحال. والذي يظهر لي أنَّها جملةُ اعتراضٍ بين الشرط وجوابه.

وقرأ الجمهور: «خافضةٌ رافعةٌ» برفعهما على تقدير: هي. وزيد بن علي، والحسن، وعيسى، وأبو حَيْوة، وابن أبي عبلة، وابن مِقْسَم، والزَّعفراني، واليزيدي في اختياره بنصبهما[(١)]. قال ابن خالويه[(٢)]: قال الكسائي: لولا أنَّ اليزيدي سبقني إليه لقرأتُ به. ونصبهما على الحال.

قال ابن عطية[(٣)] بعد الحال التي هي «ليس لوقعتها كاذبة»: ولك أن تتابع الأحوال، كما لك أن تتابع أخبار المبتدأ، والقراءة الأولى أشهَرُ وأبدَعُ معنًى، وذلك أنَّ موقعَ الحال من الكلام موقع ما لو لم يذكر لاستغنيَ عنه، وموقعَ الجُمل التي يُجزَمُ الخبر بها موقع ما يتهمَّم به. انتهى.

وهذا الذي قاله سبقه إليه أبو الفضل الرازي؛ قال في كتاب «اللوامح»: وذو الحال «الواقعةُ»، والعاملُ «وقعت»، ويجوز أن يكون «ليس لوقعتِها كاذبة» حالاً أخرى من «الواقعة»، بتقدير: إذا وقعت صادقةً الواقعة، فهذه ثلاثة أحوال من ذي حال، وجازت أحوالٌ مختلفة عن واحد، كما جازت عنه نعوتٌ متضادَّةٌ وأخبارٌ كثيرةٌ عن مبتدأ واحد، وإذا جعلت هذه كلّها أحوالاً كان العامل في «إذا وقعت»

---

(١) المحتسب ٢/٣٠٧ عن الحسن وعيسى وأبي حيوة واليزيدي، وكذلك في المحرر الوجيز ٥/٢٣٩ إلا أنه لم يذكر اليزيدي، وزاد المسير ٨/١٣١ إلا أنه لم يذكر عيسى، لكنه ذكر ابن أبي عبلة.

(٢) في القراءات الشاذة ص ١٥٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/٢٣٩.

محذوفاً يدلُّ عليه الفحوى، بتقدير: يحاسبون ونحوه. انتهى. وتَعدادُ الأحوال والأخبار فيه خلافٌ وتفصيلٌ ذُكِرَ في النَّحو، فليس ذلك ممَّا أجمعَ عليه النُّحاة.

قال الجمهور: القيامة[١]؛ بتفطُّر السماء والأرض والجبال انهدامُ هذه البنية، تُرفَعُ طائفةٌ من الأجرام وتُخفَضُ أخرى، فكأنَّها عبارةٌ عن شِدَّة الهول والاضطراب.

وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك: الصيحة؛ تخفض قوَّتَها لِتُسمِعَ الأدنى، وتَرْفَعُها لِتُسمِعَ الأقصى.

وقال قتادة وعثمان بن عبد الله بن سراقة: القيامة؛ تخفض أقواماً إلى النار، وترفع أقواماً إلى الجنة.

وأخذ الزمخشري هذه الأقوال على عادته وكساها بعضَ ألفاظٍ رائعةٍ فقال[٢]: ترفَعُ أقواماً وتضَعُ آخرين، إمَّا وصفاً لها بالشدة؛ لأنَّ الواقعاتِ العِظامَ كذلك، يرتفع فيها ناسٌ إلى مراتب ويتَّضِعُ ناسٌ، وإمَّا أنَّ الأشقياءَ يحطُّون إلى الدركات، والسُّعداءَ يحطُّون إلى الدرجات، وإمَّا أنَّها تُزلزلُ الأشياءَ وتزيلُها عن مَقارِّها لتخفضَ بعضاً وترفعَ بعضاً، حيث تسقط السماء كِسَفاً، وتنتثر الكواكبُ وتنكدرُ، وتسير الجبالُ فتمرُّ في الجوِّ مَرَّ السَّحاب. انتهى.

﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ قال ابن عباس: زُلْزِلَتْ وحُرِّكَتْ بعنف[٣]. وقال أيضاً هو وعكرمة ومجاهد: «بُسَّت»: فُتِّتَتْ. وقيل: سُيِّرَتْ.

وقرأ زيد بن علي: «رَجَّت» و«بَسَّت» مبنيًّا للفاعل.

و«إذا رُجَّت» بدل من «إذا وقعت»، وجواب الشرط عندي ملفوظٌ به وهو قوله: «فأصحاب الميمنة» والمعنى: إذا كان كذا وكذا فأصحاب الميمنة ما أسعَدَهم

---

(١) الأقوال التي سيذكرها المصنِّف الآن في معنى الخفض والرفع، انظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩.
(٢) في الكشاف ٤/ ٥١-٥٢.
(٣) في (أ) والمطبوع: بجذب، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ والكلام منه.

وما أعظَمَ ما يُجازَون به! أي: إنَّ سعادتَهم وعِظَمَ رتبَتِهم عند الله تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم.

وقال الزمخشري[(١)]: ويجوز أن ينتصب بـ «خافضة رافعة» أي: تخفض وترفع وقتَ رَجِّ الأرض وبَسِّ الجبال؛ لأنَّه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض. انتهى. ولا يجوز أن ينتصب بهما معاً، بل بأحدهما؛ لأنَّه لا يجوز أن يجتمع مؤثِّران على أثَرٍ واحد.

وقال ابن جنِّي[(٢)] وأبو الفضل الرازي: «إذا رُجَّت» في موضع رفع على أنَّه خبرٌ للمبتدأ الذي هو «إذا وقعت»، وليست واحدةٌ منهما شرطيةً، بل جُعلت بمعنى وقت، وما بعد «إذا» أحوالٌ ثلاثة، والمعنى: وقت وقوع الواقعة صادقةُ الوقوع، خافضةُ قوم رافعةُ آخرين وقتُ رَجِّ الأرض. وهكذا ادَّعى ابنُ مالك أنَّ «إذا» تكون مبتدأً، واستدلَّ بهذا، وقد ذكرنا في «شرح التسهيل»[(٣)] ما تبقى به «إذا» على مدلولها من الشرط.

وتقدَّم شرح «الهباء» في سورة الفرقان[(٤)].

﴿مُّنۢبَثًّا﴾: منتشراً.

وقرأ النَّخعي: «مُنْبَتًّا» بالتاء بنقطتين بدل الثاء المثلَّثة قراءة الجمهور، أي: منقطعاً[(٥)].

﴿وَكُنتُمْ﴾ خطاب للعالم[(٦)] ﴿أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾: أصنافاً ثلاثة[(٧)]. وهذه رُتَبُ الناس

(١) في الكشاف ٤/ ٥٢.
(٢) في المحتسب ٢/ ٣٠٧-٣٠٨ بنحوه.
(٣) انظر تسهيل الفوائد لابن مالك ص٩٤.
(٤) عند تفسير الآية (٢٣) منها.
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٠.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.
(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٦.

يوم القيامة؛ فأصحاب الميمنة قال الحسن والربيع: هم الميامين على أنفسهم[١]. وقيل: الذين يؤتَون صحائفهم بأيمانهم. وقيل: أصحاب المنزلة السنيَّة، كما تقول: هو منِّي باليمين[٢]. وقيل: المأخوذ بهم ذات اليمين[٣]. أو ميمنة آدم المذكورة في حديث الإسراء في الأسْوِدة[٤]. وأصحاب المشأمة: هم مَنْ قابلَ أصحابَ الميمنة في هذه الأقوال.

فـ «أصحابُ» مبتدأ، و«ما» مبتدأٌ ثانٍ استفهام في معنى التعظيم، و«أصحاب الميمنة» خبرٌ عن «ما»، وما بعدها خبرٌ عن «أصحاب»[٥]. وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه، وأكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم، و«ما» تعجُّبٌ من حال الفريقين في السعادة والشقاوة، والمعنى: أيُّ شيءٍ هم[٦].

و«السابقون السابقون» جَوَّزوا أن يكون مبتدأً وخبراً، نحو قولهم: أنتَ أنت، وقوله:

أنـا أبـو الـنَّـجـم وشـعـري شـعـري[٧]

أي: الذين انتهوا في السَّبْق إلى الطاعات، وبرعوا فيها، وعُرِفَتْ حالُهم، وأن يكون «السابقون» تأكيداً لفظياً والخبر فيما بعد ذلك، وأن يكون «السابقون» مبتدأً والخبر فيما بعده، وتقف على قوله: «والسابقون»، وأن يكون متعلَّق السَّبق الأول مخالفاً للسَّبق الثاني، أي: والسابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة، فعلى هذا

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.
(٢) الكشاف ٤/ ٥٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٤.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠. وحديث الأسودة أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر ﷺ.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.
(٦) ينظر الكشاف ٤/ ٥٢.
(٧) ديوان أبي النجم العجلي ص ٩٩. وسلف عند تفسير الآية (٦٧) من سورة المائدة. وينظر تفسير الرازي ٢٩/ ١٤٥.

جوَّزوا أن يكون «السابقون» خبراً لقوله: «والسابقون»، وأن يكون صفةً والخبر فيما بعده، والوجه القول الأول.

قال ابن عطية: ومذهب سيبويه أنَّه ـ يعني «السابقون» ـ خبر الابتداء، يعني خبر «والسابقون»، وهذا كما تقول [العرب]: الناسُ الناس، وأنتَ أنت، وهذا على تفخيم الأمر وتعظيمه(١). انتهى. ويرجِّح هذا القول أنَّه ذكر أصحابَ الميمنة متعجِّباً منهم في سعادتهم، وأصحابَ المشأمة متعجِّباً منهم في شقاوتهم، فناسب أن يُذكَرَ السابقون مُثبَّتاً حالُهم مُعظَّماً، وذلك بالإخبار أنَّهم نهايةٌ في العظمة والسعادة.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ عمومٌ في السَّبق إلى أعمال الطاعات وإلى ترك المعاصي، وقال عثمان بن أبي سَوْدة: هم السابقون إلى المساجد. وقال ابن سيرين: هم الذين صَلَّوا القبلتين. وقال كعب: هم أهل القرآن. وفي الحديث: سُئِلَ عن السابقين، فقال: «هم الذين إذا أُعطُوا الحقَّ قَبِلوه، وإذا سُئِلوه بذلوه، وحكموا للناس بحكمهم لأنفسهم»(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى السابقين المقرَّبين الذين علَتْ منازلُهم، وقرُبَتْ درجاتُهم في الجنة من العَرْش(٣).

وقرأ الجمهور: «في جَنَّات» جمعاً. وطلحة: «في جَنَّة» مفرداً(٤).

وقسَّم السابقين المقرَّبين إلى ثُلَّةٍ من الأولين وقليلٍ من الآخرين. وقال الحسن: «السابقون» من الأمم و«السابقون» من هذه الأمة. وقالت عائشة: الفرقتان في كلِّ أمة نبيٍّ، في صدرها ثُلَّة، وفي آخرها قليل. وقيل: هما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كانوا في صدر الدنيا أكثر، وفي آخرها أقلّ. وفي الحديث: «الفرقتان في

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠، وما بين حاصرتين منه. وينظر الكتاب ٢/ ١٥٧-١٥٨.
(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٧٩) من حديث عائشة ﵂. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.
(٣) الكشاف ٤/ ٥٢.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.

أمتي، فسابقٌ في أول الأمة ثُلَّة، وسابقٌ سائرها إلى يوم القيامة قليل»[١]. وارتفع «ثُلَّةٌ» على إضمار «هم».

وقرأ الجمهور: «على سُرُرٍ» بضمِّ الراء. وزيد بن علي وأبو السمَّال بفتحها[٢]، وهي لغةٌ لبعض تميم وكلب، يفتحون عين فُعُل جمع فَعيل المُضعَّف نحو سرير. وتقدَّم ذلك في ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾[٣].

﴿مَّوۡضُونَةٖ﴾ قال ابن عباس: مرمولة بالذهب. وقال عكرمة: مُشبَّكة بالدرِّ والياقوت[٤]. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾: أي: على السُّرر، و«مُتَّكئين» حال من الضمير المُستكِنّ في «على سُرُرٍ متقابلين» ينظر بعضُهم إلى بعض، وُصِفوا بحُسْن العشرة، وتهذيب الأخلاق، وصفاء بواطنهم ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ وُصِفوا بالخُلد ـ وإن كان مَنْ في الجنة مُخلَّداً ـ ليدلَّ على أنَّهم يبقَون دائماً في سنِّ الولدان لا يكبرون ولا يتحوَّلون عن شكل الوصافة[٥]. وقال مجاهد: لا يموتون. قال الفرَّاء: مُقرَّطون بالخَلَدات: وهي ضربٌ من الأقراط[٦].

﴿وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾ قال ابن عباس: من خمر سائلة جارية مَعينة[٧].

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا﴾ قال الأكثرون: لا يلحقُ رؤوسَهم الصُّداعُ الذي يلحق من خمر الدنيا.

(١) لم أجد من أخرجه، وقد ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١، والكلام بتمامه منه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠ عن أبي السمال وحده.
(٣) الآية (٤٤) منها.
(٤) أخرجهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢ و٢٩٤. وهما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١، وزاد المسير ٨/ ١٣٥.
(٥) الكشاف ٤/ ٥٣ بنحوه، وما قبله منه أيضاً.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١. وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٩٥، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، وما بعده منه.

وقرأتُ على أستاذنا العلَّامة أبي جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى قولَ علقمة في صفة الخمر:

تشفي الصُّداعَ ولا يُؤذيكَ صالِبُها ولا يخالِطُها في الرأس تَدْويمُ[1]

فقال: هذه صفة خمر[2] الجنة. وقيل: لا يُفرَّقون عنها، بمعنى: لا تُقطَعُ عنهم لذَّتُهم بسببٍ من الأسباب كما تَفرَّقَ أهلُ خمرِ الدنيا بأنواعٍ من التفريق، كما جاء: فتَصدَّع السحابُ عن المدينة[3]، أي: فتفرَّق.

وقرأ مجاهد: «لا يَصَّدَّعون» بفتح الياء وشدِّ الصاد، أصله: يتصدَّعون، أدغم التاء في الصاد، أي: لا يتفرَّقون، كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[4] [الروم: ٤٣]. والجمهور بضم الياء وخِفَّة الصاد.

والجمهور بجرِّ «وفاكهةٍ ولحمٍ»، وزيد بن علي برفعهما، أي: ولهم.

والجمهور: «ولا يُنْزَفون» مبنيًّا للمفعول[5]. قال مجاهد وقتادة و[ابن] جُبير والضحاك: لا تذهب عقولُهم سُكْراً. وابنُ أبي إسحاق بفتح الياء وكسر الزاي، نَزَفَ البئرَ: استقى[6] ماءَها، فالمعنى: لا تفرَغُ خمرُهم. وابن أبي إسحاق أيضاً، وعبد الله، والسُّلمي، والجَحْدري، والأعمش، وطلحة، وعيسى بضمِّ الياء وكسر الزاي، أي: لا يفنى لهم شرابٌ.

﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يأخذون خيرَه وأفضلَه ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: يتَمَنَّون[7].

---

(١) سلف عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.
(٢) في (أ) والمطبوع: أهل.
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وأخرجه مسلم (٨٩٧) بنحوه مطولاً. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.
(٤) الكشاف ٤/ ٥٤.
(٥) هي قراءة غير الكوفيين من السبعة. ينظر السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ٢٠٧.
(٦) في (د٣) و(ع) والمطبوع: استفرغ، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، والكلام وما بين حاصرتين السالف منه.
(٧) الكشاف ٤/ ٥٤.

وقرأ الجمهور: «وحُورٌ عِينٌ» برفعهما، وخُرِّجَ على أن يكون معطوفاً على «ولدانٌ»، أو على الضمير المستكِنِّ في «مُتَّكئين»، أو على مبتدإٍ محذوف هو وخبره تقديره: لهم هذا كلُّه وحورٌ عِينٌ، أو على حذف خبرٍ فقط، أي: ولهم حورٌ، أو فيهما حورٌ.

وقرأ السُّلميُّ، والحسن، وعمرو بن عُبيد، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش، وطلحة، والمُفضَّل وأبان وعِصْمة عن عاصم، وحمزة، والكسائي بجرِّهما[1]. والنَّخَعيُّ: «وحِيرٍ عينٍ» بقلب الواو ياءً وجَرِّهما[2]. والجرُّ عَطْفٌ على المجرور، أي: يطوف عليهم وِلدانٌ بكذا وكذا وحورٍ عين. وقيل: هو على معنى: ويُنعَّمون بهذا كلِّه وبحورٍ عين. وقال الزمخشريُّ[3]: عطفاً على «جنَّاتِ النعيم»، كأنَّه قال: هم في جناتٍ وفاكهةٍ ولحمٍ وحورٍ. انتهى. وهذا فيه بُعْدٌ وتفكيكُ كلامٍ مرتبطٍ بعضُه ببعضٍ، وهو فهم أعجميّ.

وقرأ أُبيٌّ وعبد الله: «وحُوراً عِيناً» بنصبهما[4]؛ قالوا: على معنى: ويُعطَون هذا كُلَّه وحُوراً عِيناً.

وقرأ قتادة: «وحُورُ عِينٍ» بالرفع مضافاً إلى «عِينٍ»، وابن مِقْسَم بالنصب مضافاً إلى «عِينٍ»[5]. وعكرمة: «وحَوْراءَ عَيناءَ» على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما، فاحتمل أن يكون مجروراً عطفاً على المجرور السابق، واحتمل أن يكون منصوباً كقراءة أُبيٍّ وعبد الله: «وحُوراً عِيناً».

ووُصِفَ اللؤلؤُ بالمكنون؛ لأنَّه أصفى وأبعَدُ من التغيُّر، وفي الحديث: «صفاؤهنَّ كصفاء الدُّرِّ الذي لا تمسُّه الأيدي»[6]. وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ

---

(١) السبعة ص ٦٢٢، والتيسير ص ٢٠٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.

(٣) في الكشاف ٤/ ٥٤.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٢/ ٣٠٩.

(٥) أي: «وحُورَ عِينٍ».

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢/ ٣٠٤، والطبراني في المعجم الأوسط (٣١٤١) من حديث أم

مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:٤٩]. وقال الشاعر يصف امرأةً بالصَّونِ وعدمِ الابتذال، فشبَّهها بالدرَّة المكنونة في صَدَفتها، فقال:

قامَتْ تراءى بين سَجْفَي كِلَّةٍ كالشَّمسِ يومَ طُلوعِها بالأسْعُدِ
أو دُرَّةٍ صَدَفيَّةٍ غوَّاصُها بَهِجٌ متى يَرَها يُهِلَّ ويَسجُدِ[1]

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ رُوِيَ أنَّ المنازِلَ والقسمَ في الجنة على قَدرِ الأعمال، ونفسُ دخول الجنة هو برحمة الله تعالى وفضله لا بعمل عامل، وفيه النصُّ الصحيح الصريح: «لا يدخل أحدٌ الجنةَ بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدني بفضلٍ منه ورحمة»[2].

﴿لَغْوًا﴾ سقَطُ القولِ وفُحْشُه ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: ما يُؤثِمُ أحداً.

والظاهر أنَّ «إلَّا قيلاً سلاماً سلاماً» استثناء منقطع؛ لأنَّه لم يندرج في اللَّغو ولا التأثيم، ويبعُدُ قولُ من قال: استثناء متصل. و«سلاماً» قال الزجَّاج: هو مصدر نصبَه «قيلاً» أي: يقول بعضهم لبعض: سلاماً سلاماً. وقيل: نُصِبَ بفعل محذوف، وهو معمول «قيلاً» أي: قيلاً: اسلموا سلاماً. وقيل: «سلاماً» بدل من «قيلاً». وقيل: نعت لـ«قِيلاً» بالمصدر، كأنَّه قيل: إلَّا قيلاً سالماً من هذه العيوب[3].

﴿فِي سِدْرٍ﴾ في الجنة شجرٌ على خلقته، له ثمرٌ كقِلال هَجَر، طيِّب الطعم والرِّيح[4].

= سلمة ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٧: في إسناده سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف. قلت: والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.

(١) البيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص ٤٠، وسلف الثاني في تفسير مفردات الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، وأحمد (٩٨٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ. والكلام وما بعده من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣ دون قوله: وقيل: «سلاماً» بدل من «قيلاً» فهو في الكشاف ٤/ ٥٤. وقول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ١١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.

﴿مَّخْضُودٍ﴾: عارٍ من الشوك. وقال مجاهد: المخضود: المُوْقَر الذي تُثني أغصانَه كثرةُ حَمْلِه، من خَضَد الغُصْنَ: إذا ثناه[١].

وقرأ الجمهور: «وطلحٍ» بالحاء. وعليٌّ، وجعفر بن محمد، وعبد الله بالعين، قرأها عليٌّ على المنبر[٢].

وقال عليٌّ وابن عباس وعطاء ومجاهد: الطلح: الموز. وقال الحسن: ليس بالموز، ولكنَّه شجرٌ ظِلُّه باردٌ رطب[٣]. وقيل: شجر أم غَيْلان؛ وله نوَّارٌ كثيرٌ طيِّب الرائحة. وقال السُّدِّي: شجرٌ يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمرٌ أحلى من العسل. والمنضود: الذي نُضِدَ من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساقٌ تظهر[٤].

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ لا يتقلَّص، بل منبسط لا ينسخه شيء.

قال مجاهد: هذا الظِّلُّ من سِدْرِها وطلحِها[٥].

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ قال سفيان وغيره: جارٍ في غير أخاديد. وقيل: مُنساب لا يُتعب فيه بسانية[٦] ولا رشاء.

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفاكهة الدنيا، ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يُمنَعُ من تناولها بوجهٍ ولا يُحظر عليها كالتي في الدنيا[٧].

وقُرِئَ: «وفاكهةٌ كثيرةٌ» برفعهما، أي: وهناك فاكهةٌ.

وفُرُشٌ جمع فِراش. وقرأ الجمهور بضمِّ الراء. وأبو حَيْوة بسكونها[٨].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٤.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٣) أخرجها عنهم الطبري ٢٢/ ٣١١-٣١٢. وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٤) الكشاف ٤/ ٥٤، وما بعده منه.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤، وما بعده منه.
(٦) في (د٣) والمطبوع: بساقية.
(٧) الكشاف ٤/ ٥٤، وما بعده منه.
(٨) القراءات الشاذة ص ١٥١.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نضِدَتْ حتى ارتفعت، أو رُفِعتْ على الأسِرَّة[١].

والظاهر أنَّ الفراش هو ما يُفترَشُ للجلوس عليه والنوم. وقال أبو عبيدة[٢] وغيره[٣]: المراد بالفُرش النساء؛ لأنَّ المرأةَ يُكنى عنها بالفراش. ورفعُهُنَّ في الأقدار والمنازل[٤].

والضمير في «أنشأناهُنَّ» عائدٌ على الفُرش في قول أبي عبيدة؛ إذ هُنَّ النساء عنده، وعلى ما دلَّ عليه الفُرش إذا كان المراد بالفرش ظاهرُ ما يدلُّ عليه من الملابس التي تُفرَشُ ويُضطجَعُ عليها، أي: ابتدأنا خلقَهُنَّ ابتداءً جديداً من غير ولادة[٥]. والظاهر أنَّ الإنشاءَ هو الاختراع الذي لم يُسبَقُ بخلقٍ، ويكون ذلك مخصوصاً بالحور اللَّاتي لَسْنَ من نسل آدم. ويحتمل أن يُريد إنشاءَ الإعادة، فيكون ذلك لبنات آدم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ قيل: دائمي البَكارة كلَّما وُطِئْنَ وُجِدْنَ أبكاراً. والعَروب؛ قال ابن عباس: المتحبِّبة إلى زوجها. وقاله الحسن، وعبَّر ابنُ عباس أيضاً عنهنَّ بالعواشق، ومنه قول لبيد:

وفي الخدورِ عَروبٌ غيرُ فاحشةٍ رَيَّا الرَّوادفِ يَعْشى دونَها البَصرُ[٦]

وقال ابن زيد: العَروب: المُحسِّنة للكلام[٧].

وقرأ حمزة وناسٌ منهم: شجاع وعباس والأصمعي عن أبي عمرو، وناسٌ منهم: خارجة وكَرْدَم وأبو خُلَيد عن نافع، وناسٌ منهم: أبو بكر وحمَّاد وأبان عن

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٤.
(٢) فيما نقل عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٣) الزمخشري في الكشاف ٤/ ٥٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٥) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢، والكشاف ٤/ ٥٤.
(٦) شرح ديوان لبيد ص ٦١، وفيه: الحُدوج، بدل: الخدور. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.
(٧) في المحرر الوجيز: الحسنة الكلام.

عاصم: «عُرْباً» بسكون الراء، وهي لغة تميم. وباقي السبعة بضمِّها[(١)].

﴿أَتْرَابًا﴾ في الشكل والقدِّ.

وأبعَدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الضميرَ في «أنشأناهُنَّ» عائدٌ على الحور العين المذكورة قبل؛ لأنَّ تلك قصةٌ قد انقطعت وهي قصة السابقين، وهذه قصة أصحاب اليمين[(٢)].

واللَّام في «أصحاب» مُتعلِّقة بـ «أنشأناهُنَّ»[(٣)].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: من الأمم الماضية ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: من أمَّة محمد ﷺ[(٤)].

ولا تنافي بين قوله: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وقوله قبل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾؛ لأنَّ قولَه: ﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ هو في السابقين، وقولَه: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ هو في أصحاب اليمين[(٥)].

* * *

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟
يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ
وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن
شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَم

(١) ينظر السبعة ص ٦٢٢، والتيسير ص ٢٠٧، والحجة لأبي علي ٦/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.
(٣) الكشاف ٤/ ٥٥.
(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٤.
(٥) الكشاف ٤/ ٥٥.

نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا
لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾
ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ
عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ
مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾
فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾».

المفردات «اليَحْموم»: الأسود البهيم[1].

«الحِنْث» قال الخطّابي: هو في كلام العرب: العِدْل الثقيل، شبَّه الإثمَ به[2].

«الهِيم» جمع أَهْيَم وهَيْماء. والهُيام: داءٌ مُعطِشٌ يصيب الإبل فتشربُ حتى تموت أو تَسْقَمَ سقماً شديداً. قال:

فأصبَحْتُ كالهَيْماءِ لا الماءُ مُبْرِدٌ   صَداها ولا يقضي عليها هُيَامُها[3]

والهِيم جمع هَيام: وهو الرمل، بفتح الهاء، وهو المشهور. وقال ثعلب:

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ بنحوه.
(٢) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.
(٣) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/ ١٠٠٠، وفيه: مبرىء، بدل: مبرد. والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧، والكشاف ٥/ ٥٦.

بضمِّها. قال: هو الرمل الذي لا يتماسك. فبالفتح كسحاب وسُحُب، ثمَّ خُفِّفَ وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجمع «أبيض»[1] من قلب ضمَّته كسرة، لتصحَّ الياءُ. وبالضمِّ يكون قد جُمِعَ على فُعُل كقُراد وقُرُد، ثمَّ سُكِّنَتْ ضَمَّةُ الراء فصار فُعْلاً، ثمَّ فُعِلَ به ما فُعِلَ بـ «بِيض».

أمنى الرجل النُّطفةَ ومناها: قذفَها من إحليله.

المُزْن: السحاب؛ قال الشاعر:

ونحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نصابِنا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ[2]

واحدته مُزْنة، فهو اسم جنس، قال الشاعر:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها[3]

أوريتُ النَّارَ من الزِّناد: قدَحْتُها. ووَرى الزَّندُ نفسَه. والزِّنادُ من حجرين أو من حجر وحديدة ومن شجر، لا سيَّما في الشجر الرَّخو كالمَرْخ والعَفَار والكَلْح[4]. والعرب تقدحُ بعودين تحكُّ أحدَهما بالآخر ويُسَمُّون الأعلى الزَّند والأسفلَ الزَّنْدة، شبَّهوهما بالفحل والطَّروقة[5].

أقوى الرجل: دخلَ في الأرض القَواء: وهي القَفْر، كـ «أصحَرَ»: دخلَ في الصحراء. وأقوى: مَنْ أقامَ أياماً لم يأكل شيئاً. وأقْوَتِ الدارُ: صارَتْ قَفْراء. قال الشاعر:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ[6]

---

(١) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: أهيم، والتصويب من الكشاف، وروح المعاني ٢٦/٣٤٩.

(٢) البيت للسموأل بن عاديا اليهودي، وهو في ديوانه ص ٦٩. النِّصاب: الأصل. ورجلٌ كَهام وكهيم: ثقيلٌ مُسِنٌّ دثورٌ لا غناء عنده. اللسان (نصب) و(كهم).

(٣) البيت لعامر بن جوين الطائي. وسلف عند تفسير الآية (٤٣) من سورة النور.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٢٤٩.

(٥) الكشاف ٥/٥٧-٥٨.

(٦) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣٠، والخزانة ١١/٣٢. قال صاحبها: العلياء: =

أذْهَن: لايَنَ وهاوَدَ فيما لا يجمل عند المُدْهَن. وقال الشاعر:

الحَزْمُ والقُوَّةُ خيرٌ من الـ إدْهانِ والفَهَّةِ والهاعِ[1]

«الحُلْقوم»: مَجْرى الطعام[2].

«الرَّوح»: الاستراحة[3].

«الرَّيحان» تقدَّم في سورة الرحمن[4].

* * *

﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟
يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ
وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن
شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾
هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ
نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا
لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ

= كلُّ مكان مشرف. والسَّند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح. وأقْوَتْ: خلَتْ من السكان وأقفرت.

(١) البيت لأبي قيس بن الأسلت، وهو في أمالي القالي ص ٢١٥، والمفضليات ص ٢٨٥. وفيهما: والفَكَّة، بدل: والفَهَّة. يقال: في فلان فَكَّة، أي: استرخاء في رأيه. والفَهَّة: مثل السَّقْطة والجهلة ونحوها. ورجلٌ هاعٌ لاعٌ: جبان ضعيف جزوع. اللسان (فكك) و(فهه) و(هوع).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٢.

(٤) عند تفسير الآية (١٢) منها.

نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾
ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

التفسير

لمَّا ذكر حالَ السابقين وأتبعَهم بأصحاب الميمنة ذكر حالَ أصحاب المشأمة، فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ وتقدَّم إعرابُ نظير هذه الجملة، وفي هذا الاستفهام تعظيمُ مصابهم[١].

﴿فِى سَمُومٍ﴾ في أشدِّ حرٍّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماءٍ شديدِ السخونة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وابن زيد والجمهور: دخان[٢]. وقال ابن عباس أيضاً: هو سرادق النار المحيط بأهلها يرتفع من كلِّ ناحية حتى يُظِلَّهم. وقال ابن كيسان: اليَحموم: من أسماء جهنم[٣]. وقال ابن زيد أيضاً وابنُ بريدة: هو جبلٌ في النار أسوَدُ يفزَعُ أهلُ النار إلى ذُراه فيجدونه أشدَّ شيء وأمرَّ.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ صفتان للظلِّ نُفِيَتا؛ سُمِّي ظِلًّا وإن كان ليس كالظِّلال، ونُفيَ عنه بَرْدُ الظلِّ ونفعُه لمن يأوي إليه. «ولا كريم» تتميمٌ لنفي صفة المدح فيه، وتمحيقٌ لما يتوهَّم في الظلِّ من الاسترواح إليه عند شدَّة الحرِّ، أو نفيٌ لكرامة مَنْ يَستروِحُ إليه، ونسب إليه مجازاً، والمراد هم، أي: يستظِلُّون إليه وهم مهانون. وقد يحتمل المجلس الرديء لنيل الكرامة[٤].

وبُدِئ أولاً بالوصف الأصلي الذي هو الظلُّ وهو كونُه من يَحموم، فهو بعض اليَحموم، ثم نُفيَ عنه الوصفُ الذي يُبغى له الظلُّ وهو كونُه لا بارداً ولا كريماً. وقد يجوز أن يكون «لا باردٍ ولا كريمٍ» صفةً لـ«يَحموم»، ويلزم منه أن يكون الظِلُّ موصوفاً بذلك.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ٢٢/ ٣٣٤-٣٣٧. وأخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما الحاكم ٢/ ٤٧٦. وعن مجاهد عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧٢، وهنَّاد في الزهد (٢٣٨).

(٣) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.

(٤) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٥٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.

وقرأ الجمهور: «لا باردٍ ولا كريمٍ» بجرِّهما. وابنُ أبي عبلة برفعهما، أي: لا هو باردٌ ولا كريمٌ على حدِّ قوله:

فـأبِـيـتُ لا حَـرِجٌ ولا مـحـرومُ(١)

أي: لا أنا حَرِجٌ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾(٢) فيه ذَمُّ التَّرف والتَّنعُّم في الدنيا، والتَّرف طريقٌ إلى البطالة، وترك التفكُّر في العاقبة ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ أي: يُداوِمون ويواظِبون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٣) قال قتادة والضحاك وابن زيد: الشرك، وهو الظاهر(٤). وقيل: ما تضمَّنه قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ الآية [النحل:٣٨] من التكذيب بالبعث(٥). ويُبعِدُه ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ﴾ فإنَّه معطوفٌ على ما قبله، والعطف يقتضي التغاير، فالحنث العظيم: الشرك.

وقولهم: ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ إنكارٌ للبعث. وأبعد الشَّعبيُّ في أنَّ هذا الحنث هو اليمين الغَموس(٦).

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تقدَّم الكلام عليه في ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾(٧).

وكرَّر الزمخشريُّ هنا وهمَه، فقال: فإن قلتَ: كيف حَسُنَ العطفُ على المُضمَر في «لمبعوثون» من غير تأكيد بـ «نَحْنُ»؟ قلت: حَسُنَ للفاصل الذي هو الهمزة كما حَسُنَ في قوله: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] لفصل «لا» المؤكِّدة للنفي(٨). انتهى.

---

(١) عجز بيت صدره: ولقد أكونُ من الفتاةِ بمنزلٍ، والبيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ٨٤، وسلف.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٨٦.
(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ١٧٠-١٧١ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦. وأخرجه عنهم الطبري ٢٢/ ٣٣٩-٣٤٠.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣.
(٦) قول الشعبي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.
(٧) عند تفسير الآيتين (١٦) و(١٧) منها.
(٨) الكشاف ٤/ ٥٥.

وردَدْنا عليه ذلك[١]، وقد رجع هناك إلى مذهب الجماعة في أنَّهم لا يُقَدِّرون بين همزة الاستفهام وحرف العطف فِعْلاً في نحو: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [غافر: ٨٢، ومحمد: ١٠] ولا اسماً في نحو: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ [الصافات: ١٧، والواقعة: ٤٨] بلِ الواوُ والفاءُ لعطف ما بعدَهما على ما قبلهما، والهمزة في التقدير متأخرةٌ عن حرف العطف، لكنَّه لمَّا كان الاستفهام له صدر الكلام قُدِّمَتْ.

ولمَّا ذكر تعالى استفهامهم عن البعث على طريق الاستبعاد والإنكار أمرَ نبيَّه ﷺ أن يُخبرَهم ببعثِ العالم أوَّلِهم وآخِرِهم للحساب، وبما يصل إليه المكذِّبون للبعث من العذاب.

والميقات: ما وُقِّتَ به الشيءُ، أي: حُدَّ، أي: إلى ما وُقِّتَتْ به الدنيا من يومٍ معلوم، والإضافة بمعنى «من»، كخاتمِ حديد[٢].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ خطابٌ لكفار قريش ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى، المكذِّبون للبعث، وخطابٌ أيضاً لمن جرى مجراهم في ذلك.

﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ «من» الأولى لابتداء الغاية أو للتبعيض، والثانية إن كان «من زقوم» بدلاً فـ «من» تحتمل الوجهين، وإن لم تكن بدلاً فهي لبيان الجنس، أي: من شجرٍ الذي هو زقُّوم[٣].

وقرأ الجمهور: «من شجر». وعبد الله: «من شجرةٍ»[٤].

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ الضمير في «منها» عائدٌ على «شجر»[٥] إذ هو اسم جنس يؤنَّث ويذكَّر، وعلى قراءة عبد الله فهو واضح.

---

(١) المثبت من (د٣)، وتحرفت في باقي النسخ إلى: هناك.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٥، وما بعده منه.

(٣) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٥٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ قال الزمخشري[١]: ذُكِّرَ على لفظ الشجر، كما أُنِّثَ على المعنى في «منها» قال: ومن قرأ: «من شجرة من زقوم» فقد جعلَ الضميرين للشجرة، وإنَّما ذَكَّرَ الثاني على تأويل الزقُّوم؛ لأنَّهُ يُفسِّرها وهي في معناه.

وقال ابن عطية[٢]: والضمير في «عليه» عائدٌ على المأكول أو على الأكل. انتهى. فلم يجعله عائداً على شجر.

وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة: «شُرْبَ» بضمِّ الشين[٣]، وهو مصدر. وقيل: اسمٌ لما يُشْرَب. ومجاهد وأبو عثمان النَّهدي بكسرها[٤]، وهو بمعنى المشروب اسمٌ لا مصدر، كالطِّحْن والرِّعْي. والأعرج، وابن المسيّب، وشعيب بن الحَبْحاب، ومالك بن دينار، وابن جُرَيج، وباقي السبعة بفتحها، وهو مصدره المَقِيس[٥].

و«الهِيم» قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك: جمع أهْيَم؛ وهو الجَمَل الذي أصابه الهُيام، وقد فسَّرناه في المفردات. وقيل: جمع هَيْماء. وقيل: جمع هائم وهائمة ـ وجَمْعُ فاعل على فُعْل شاذٌّ، كباذل وبُذْل، وعائذ وعُوْذ ـ والهائم أيضاً من الهُيام، ألا ترى أنَّ الجملَ إذا أصابه ذلك هامَ على وجهه وذهب. وقال ابن عباس وسفيان: الهِيم: الرِّمال التي لا تَرْوى من الماء[٦].

وتقدَّم الخلاف في مُفرده أهو الهَيام بفتح الهاء أم بالضم. والمعنى: أنَّه يُسلَّطُ عليهم من الجوع ما يضطرُّهم إلى أكل الزقُّوم الذي كالمُهل، فإذا ملؤوا منه البطون سُلِّط عليهم من العطش ما يضطرُّهم إلى شُرب الحميم الذي يُقطِّع أمعاءهم، فيشربونه شُرْبَ الهِيم. قاله الزمخشري[٧]. وقال أيضاً: فإن قلتَ: كيف صَحَّ عطفُ

---

(١) في الكشاف ٤/ ٥٥-٥٦.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٣) السبعة ص ٦٢٣، والتيسير ص ٢٠٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ عن مجاهد.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧. وينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٠.

(٦) الكلام ـ دون ما بين معترضتين ـ من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٧) في الكشاف ٤/ ٥٦.

الشاربين على الشاربين وهُما لِذوات متَّفِقة وصفتان متَّفِقتان فكان عطفاً للشيء على نفسه؟ قلت: ليستا بمتَّفِقتين من حيث إنَّ كونَهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمرٌ عجيبٌ، وشُرْبُهم له على ذلك كما تشربُ الهِيمُ الماءَ أمرٌ عجيبٌ أيضاً، فكانتا صفتين مختلفتين. انتهى.

والفاءُ تقتضي التعقيبَ في الشُّربَين، وأنهم أولاً لمَّا عطشوا شربوا من الحميم؛ ظنًّا أنَّه يُسَكِّنُ عطشَهم، فازدادَ العطشُ بحرارة الحميم، فشربوا بعده شُرْباً لا يقع به رِيٌّ أبداً، وهو مِثْلُ شُرْبِ الهِيم، فهما شُرْبان من الحميم لا شُرْبٌ واحد، اختلفَتْ صِفتاه فعُطِفَ والمقصودُ الصِّفةُ، والمشروبُ منه في «فشاربون شُرْبَ الهيم» محذوفٌ لفهم المعنى، تقديره: فشارِبون منه شُرْب الهِيم.

وقرأ الجمهور: «نُزُلهم» بضمِّ الزاي. وقرأ ابن مُحَيْصِن، وخارجة عن نافع، ونُعيم ومحبوب وأبو زيد وهارون وعصمة وعباس كلُّهم عن أبي عمرو بالسكون[1]؛ وهو أول ما يأكله الضيف[2].

وفيه تهكُّمٌ بالكفار، وقال الشاعر:

وكُنَّا إذا الجبارُ بالجيشِ ضافَنا جعَلْنا القَنا والمُرْهَفاتِ له نُزْلا[3]

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ حضٌّ على التصديق، أشار إلى النشأة الأولى وهي خلقهم. ثم قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالإعادة، وتُقِرُّون بها كما أقررتُم بالنشأة الأولى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، و﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالخلق، وذلك

(١) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١ من رواية هارون وعباس عن أبي عمرو. وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٢٣ من رواية عباس عن أبي عمرو، وذكر أن رواية الباقين عنه «نُزُلهم» بضمِّ الزاي. قلت: والمشهور ـ أيضاً ـ عن نافع ـ بالضم ـ كقراءة الجمهور.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٣) البيت لأبي الشعر الضبِّي كما في الكشاف ٤/ ٥٦ والكلام منه.

أنَّهم لمَّا اتَّخذوا من دون الله آلهة جعلوا كأنَّهم كانوا غير مُقِرِّين بالخلق، فحضُّوا على التصديق به[(١)].

ثمَّ حضَّ على التصديق على وجه تقريعهم بسياق الحُجَجِ الموجبة للتصديق، وكأنَّ كافراً قال: ولم أُصَدِّق؟ فقيل له: أفرأيتَ كذا ممَّا الإنسانُ مفطورٌ على الإقرار به فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وهو المني الذي يخرج من الإنسان؛ إذ ليس له في خلقه عملٌ ولا إرادةٌ ولا قدرة[(٢)].

وقال الزمخشري[(٣)]: ﴿تَخْلُقُونَهُۥ﴾: تُقدِّرونه وتُصوِّرونه. انتهى. فحمل الخلقَ على التقدير والتصوير لا على الإنشاء.

ويجوز في «أأنتم» أن يكون مبتدأً، وخبرُه «تخلقونه»، والأَولى أن يكون فاعلاً بفعلٍ محذوف، كأنَّه قال: أتخلقونه؟ فلمَّا حُذِفَ الفعلُ انفصلَ الضميرُ.

وجاء «أفرأيتُم» هنا مُصرَّحاً بمفعولها الأول؛ ومجيء جملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرَّرُ فيها إذا كانت بمعنى: أخبِرْني.

وجاء بعد «أم» جملة، فقيل: «أم» منقطعة، وليست المعادِلة للهمزة، وذلك في أربعة مواضع هنا؛ ليكون ذلك على استفهامين، فجواب الأول «لا»، وجواب الثاني «نعم»، فتُقدَّر «أم» على هذا: بل أنحن الخالقون؟ فجوابه «نعم».

وقال قوم من النُّحاة: «أم» هنا معادلة للهمزة، وكأنَّ ما جاء من الخبر بعد «نحن» جيء به على سبيل التوكيد؛ إذ لو قال: أم نحن، لوقع الاكتفاءُ به دون ذكر الخبر، ونظير ذلك جواب من قال: مَنْ في الدار؟ زيدٌ في الدار، أو زيدٌ فيها، ولو اقتُصِرَ في الجواب على «زيد» لاكتُفِيَ به.

وقرأ الجمهور: «ما تُمنون» بضمِّ التاء. وابن عباس، وأبو السَّمَّال بفتحها[(٤)].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٦ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.
(٣) في الكشاف ٤/ ٥٦.
(٤) أي: تَمنون، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨ عنهما، وفي القراءات الشاذة ص ١٥١، والكشاف ٤/ ٥٦ عن أبي السَّمَّال.

والجمهور: «قَدَّرْنا» بشَدِّ الدال. وابن كثير يُخفِّفُها[١]، أي: قضينا وأثبتنا، أو رتَّبنا في التقدُّم والتأخُّر، فليس موتُ العالَم دفعةً واحدةً، بل بترتيبٍ لا يتعدَّى.

ويقال: سبَقْتَه على الشيء: أعجَزْتَه عنه، وغلَبْتَه عليه، ولم تُمكِّنْه منه. والمعنى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نحن قادرون على ذلك، لا تغلبوننا عليه إنْ أرَدْنا ذلك[٢].

وقال الطبري[٣]: المعنى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نموِّتُ طائفةً، ونُبدلُها بطائفة، هكذا قرناً بعد قرن. انتهى. فـ «على أن نُبَدِّلُ» متعلِّقٌ بقوله: «نحن قَدَّرنا»، وعلى القول الأول مُتعلِّقٌ بـ «مسبوقين» أي: لا نُسْبَقُ على أن نُبَدِّل أمثالكم[٤]. و«أمثالكم» جمع مِثْل[٥].

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصفات، أي: نحن قادرون على أن نعدمكم وننشيء أمثالكم وعلى تغيير أوصافكم ممَّا لا يُحيط به فِكْرُكم. وقال الحسن: من كونِكم قردةً وخنازيرَ، قال ذلك لأنَّ الآيةَ تنحو إلى الوعيد[٦].

ويجوز أن يكون «أمثالكم» جمع مَثَل بمعنى الصفة، أي: نحن قادرون على أن نُغيِّرَ صفاتِكم التي أنتم عليها خَلْقاً وخُلُقاً، ونُنشِئكم في صفاتٍ لا تعلمونها[٧].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: علِمْتُم أنَّه هو الذي أنشأكم أولاً إنساناً إنساناً. وقيل: نشأة آدم، وأنَّه خُلِقَ من طين، ولا يُنكِرها أحدٌ من ولده.

(١) أي: «قَدَرْنا»، وهي في السبعة ص ٦٢٣، والتيسير ص ٢٠٧. والكلام من المحرر الوجيز ٥/٢٤٨.
(٢) الكشاف ٤/٥٦.
(٣) فيما نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٢٤٨.
(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/١١٤.
(٥) الكشاف ٤/٥٦.
(٦) المحرر الوجيز ٥/٢٤٨.
(٧) الكشاف ٤/٥٦ بنحوه.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حَضٌّ على التذكير المؤدِّي إلى الإيمان والإقرار بالنشأة الآخرة[(١)].

وقرأ الجمهور: «تذَّكَّرون» بشدِّ الذال[(٢)]. وطلحة يُخِفُّها وضم الكاف[(٣)]. قالوا: وهذه الآية دالَّةٌ على استعمال القياس والحضِّ عليه. انتهى. ولا تدلُّ إلَّا على قياس الأَوْلى[(٤)] لا على جميع أنواع القياس.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ما تُثيرون له الأرض وتَبْذُرونه فيه[(٥)] ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ﴾ أي: زرعاً يتمُّ وينبت حتى يُنتفَعَ به.

والحُطَام: اليابس المتفتِّت الذي لم يكن له حبٌّ يُنتفع به[(٦)].

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: تعَجَّبون. وقال عكرمة: تَلاومون. وقال الحسن: تنَدَّمون. وقال ابن زيد: تتفجَّعون. وهذا كلُّه تفسيرٌ باللازم، ومعنى «تفكَّهون»: تطرحون الفُكاهة عن أنفسكم وهي المَسَرَّة، ورَجُلٌ فَكِهٌ: مُنْبَسِطُ النَّفس غيرُ مكترثٍ بشيء، وتفكَّه من أخوات تحَرَّج وتحَوَّبَ[(٧)].

وقرأ الجمهور: «فظَلْتُم» بفتح الظاء ولام واحدة. وأبو حَيْوة وأبو بكر في رواية العَتَكي عنه بكسرها، كما قالوا: مَِسْتُ بفتح الميم وكسْرِها. وحكاها الثوري عن ابن مسعود وجاءت عن الأعمش[(٨)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨ بنحوه، وما بعده منه أيضاً.
(٢) وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وخلف: «تذَكَّرون» بتخفيف الذال. ينظر التيسير ص١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٦.
(٣) أي: «تَذْكُرون»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨.
(٤) وهو ما يكون ثبوت الحكم فيه في الفرع أولى منه في الأصل. شرح جمع الجوامع ١/ ٩٦.
(٥) المثبت من (د٣) و(به)، وفي (أ) والمطبوع: ما تُذرونه في الأرض وتبذرونه. وفي (ع): تزرعونه، بدل: تثيرون له. والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٥٦-٥٧.
(٦) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٤، والنكت والعيون ٥/ ٤٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩. والأقوال أخرجها الطبري ٢٢/ ٣٤٩-٣٥٠.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩ دون نسبة القراءة للعتكي عن أبي بكر فهي في تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٢. وهي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠ عن ابن مسعود. قلت: والقراءتان الآتيتان من المحرر الوجيز أيضاً. وقوله: مَِسْتُ، بالفتح والكسر، هو من: مَسِسْتُ. انظر: تفسير الطبري ١٦/ ١٥٤.

وقرأ عبد الله والجَحْدري: «فظَلِلْتُم» على الأصل بكسر اللام. وقرأ الجحدري أيضاً بفتحها[١]، والمشهور «ظَلِلْت» بالكسر.

وقرأ الجمهور: «تفَكَّهون». وأبو حزام بالنون بدل الهاء[٢]. قال ابن خالويه[٣]: تفكَّه: تعجَّبَ. وتفَكَّنَ: تندَّمَ.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قبله محذوف، أي: يقولون[٤].

وقرأ الجمهور: «إنَّا». والأعمش، والجَحْدري، وأبو بكر: «أئنَّا» بهمزتين.

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: مُعذَّبون، من الغَرام: وهو أشَدُّ العذاب. قال:

إنْ يُعَذِّبْ يكُنْ غراماً وإن يُعْـ ـطِ جزيلاً فإنَّهُ لا يُبالي[٥]

أو: لَمُحمَّلون الغُرْمَ في النفقة إذ ذهب زَرْعُنا[٦]، غَرِمَ الرجلُ وأغرمتُه.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: مَجْدودون، لاحَظَّ لنا في الخير[٧].

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ هذا الوصف يغني عن وصفه بالعذاب، ألا ترى مقابِلَه وهو الأُجاج؟

ودخلَتِ اللام في «لَجعلناه حطاماً»، وسقطَتْ في قوله: «جعلناه أُجاجاً»، وكلاهما فصيح، وطوَّلَ الزمخشريُّ في مُسَوِّغ ذلك، ومُلخَّصُه أنَّ الحرف إذا كان في مكان وعُرِفَ واشتُهِرَ في ذلك المكان، جاز حذفُه؛ لشُهرة أمره، فإنَّ اللَّام عَلَمٌ لارتباط الجملة الثانية بالأولى، فجاز حذفُه استغناءً بمعرفة السامع،

(١) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١.
(٢) أي: «تَفَكَّنون».
(٣) في القراءات الشاذة ص ١٥١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩، وما بعده منه.
(٥) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ٥٩. وسلف عند تفسير الآية (٦٥) من سورة الفرقان.
(٦) في (أ) والمطبوع: عنا. وفي (د٣) غير واضحة. والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز.
(٧) الكشاف ٤/ ٥٧.

وذكر في كلامه أنَّ الثاني امتنع لامتناع الأول[١]، وليس كما ذكر، إنَّما هذا قول ضعفاء المُعْرِبين، والذي ذكره سيبويه أنَّها حرفٌ لِما كان سيقع لوقوع الأول، ويُفسِدُ قولَ أولئك الضعفاء قولُهم: لو كان إنساناً لكان حيواناً، فالحيوانية لا تمتنع لامتناع الإنسانية. ثمَّ قال: ويجوز أن يُقال: إنَّ هذه اللَّامَ مفيدةٌ معنى التوكيد لا محالة، وأُدخِلَتْ في آية المطعوم دون آية المشروب للدِّلالة على أنَّ أمرَ المطعوم مُقَدَّمٌ على أمر المشروب، وأنَّ الوعيدَ بفقدِه أشدُّ وأصعبُ من قِبَلِ أنَّ المشروبَ إنَّما يُحتاج إليه تبعاً للمطعوم؛ ولهذا قُدِّمَتْ آيةُ المطعوم على آية المشروب.

والظاهر أنَّ شجرَتَها المرادُ منه الشجرُ الذي يُقدَحُ منه النار. وقيل: المرادُ بالشجرة نفسُ النار، كأنَّه يقول: نوعُها أو جنسُها، فاستعار الشجرة لذلك. وهذا قولٌ مُتكلَّف[٢].

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: لنار جهنم ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ أي: النازلين الأرضَ القَواء وهي القَفْر[٣]. وقيل: للمسافرين. وهو قريبٌ مما قبله، وقول ابن زيد: الجائعين، ضعيفٌ جدًّا[٤].

وقدَّم من فوائد النار ما هو أهَمُّ وآكَدُ من تذكيرها بنار جهنم، ثمَّ أتبعه بفائدتها في الدنيا، وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقَّفَهم عليها من أمر خلقِهم وما به قَوامُ عيشِهم من المطعوم والمشروب، والنار من أعظم الدَّلائل على البعث، وفيها انتقالٌ من شيءٍ إلى شيء، وإحداثُ شيءٍ من شيء؛ ولذلك أَمَرَ في آخرها بتنزيهه تعالى عمَّا يقول الكافرون، ووصف تعالى نفسَه بالعظيم؛ إذ مَنْ هذه أفعالُه تدلُّ على عظمته وكبريائه وانفرادِه بالخلق والإنشاء[٥].

(١) في الكتاب ٤/ ٢٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٨.

(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٩/ ١٨٤-١٨٥.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ
﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا
ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ
حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ
﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

قرأ الجمهور: «فلا أقسم»، فقيل: «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ، مثلُها في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد:٢٩] والمعنى: فأُقسِمُ. وقيل: المنفيُّ محذوفٌ، أي: فلا صِحَّة لما يقول الكفار، ثمَّ ابتدأ: أُقسِمُ. قاله سعيد بن جُبير وبعضُ النُّحاة.

ولا يجوز؛ لأنَّ في ذلك حذفُ اسمِ «لا» وخَبرِها، وليس جواباً لسائلٍ سأل فيحتمل ذلك نحو قوله: لا، لمن قال: هل من رجلٍ في الدار؟ وقيل: توكيدُ مبالغةٍ ما، وهي كاستفتاح كلامٍ شبهه في القَسَم «ألا» في شائع الكلامِ، القَسَمِ وغيرِه، ومنه:

فلا وأبي أعدائِها لا أخونُها(١)

والأولى عندي أنَّها لامٌ أُشبِعَتْ فتحتُها فتولَّدَتْ منها ألفٌ، كقوله:

أعوذُ باللهِ من العَقْرابِ(٢)

وهذا وإن كان قليلاً فقد جاء نظيرُه في قوله: «فاجعل أفئيدةً من الناس» [إبراهيم:٣٧] بياء بعد الهمزة، وذلك في قراءة هشام(٣)، فالمعنى: فلأقسم، كقراءة

(١) لم أقف على قائله، وصدره كما في أمالي القالي ١/ ٧١، والروض الأنف ٤/ ٥٧: فإنْ تَكُ ليلى استَودَعَتْني أمانةً. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠.

(٢) لم أقف على قائل هذا الرجز، وبعده: الشائلاتِ عُقَدَ الأذنابِ، وسلف عند تفسير الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٣) وهي إحدى الروايتين عنه كما في التيسير ص ١٣٥، والنشر ٢/ ٢٩٩.

الحسن وعيسى[١]. وخرَّجَ قراءةَ الحسن أبو الفتح على تقدير مبتدأ محذوف، أي: فلأنا أُقسم، وتبعه على ذلك الزمخشري[٢]، وإنَّما ذهبا إلى ذلك؛ لأنَّه فعلُ حالٍ، وفي القَسَم عليه خلافٌ، فالذي اختاره ابنُ عصفور وغيرُه أنَّ فعلَ الحالِ لا يجوز أن يُقسَمَ عليه، فاحتاجوا إلى أن يُصوِّروا المضارع خبراً لمبتدأٍ محذوف، فتصير الجملةُ اسميةً فيُقْسَم عليها. وذهبَ بعضُ النَّحْويين إلى جواز القسَم على فعل الحال، وهذا الذي أختاره، فتقول: واللهِ ليخرجُ زيدٌ، وعليه قولُ الشاعر:

لئِنْ تَكُ قد ضاقَتْ عليكم بيوتُكُم ... لَيعلَمُ ربِّي أنَّ بيتيَ واسِعُ[٣]

وقال الزمخشري[٤] في قراءة الحسن: ولا يصِحُّ أن تكون اللامُ لامَ قسَم لأمرين؛ أحدهما: أنَّ حقَّها أن تُقرَنَ بها النون المؤكِّدة، والإخلال بها ضعيفٌ قبيح. والثاني: أنَّ «لأفعلنَّ» في جواب القسم للاستقبال، وفِعْلُ القسم يجب أن يكون للحال. انتهى.

أمَّا الأمر الأول ففيه خلاف، فالذي قاله قولُ البصريين، وأمَّا الكوفيون فيختارون ذلك، ولكن يجيزون تعاقُبَهما، فيُجيزون: لأضرِبَنَّ زيداً، وأضرِبَنَّ عَمْراً. وأمَّا الثاني فصحيح، لكنَّه هو الذي رجح عندنا أن تكون اللَّامُ في «لأُقسِمُ» لامَ القسَم، و«أُقْسِمُ» فِعْلُ حالٍ، والقسم قد يكون جواباً للقسم كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة:١٠٧] فاللَّام في «وليحلِفُنَّ» جواب قسَم، وهو قسَمٌ، لكنَّه لمَّا لم يكن حَلِفُهم حالاً بل مستقبلاً لزمَتِ النونُ، وهي مُخَلِّصةُ المضارع للاستقبال.

وقرأ الجمهور: «بمَواقِع» جمعاً. وعمر، وعبد الله، وابن عباس، وأهل

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٢/ ٣٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠.

(٢) في الكشاف ٤/ ٥٨.

(٣) صدره من (يه) وحدها، وهو للكُميت بن معروف الأسدي كما في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣١، وخزانة الأدب ١٠/ ٦٨.

(٤) في الكشاف ٤/ ٥٨.

المدينة، وحمزة، والكسائي: «بموقع» مفرداً مُراداً به الجمع[(١)].

قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم: هي نجوم القرآن التي أنزلت على رسول الله ﷺ[(٢)]. ويؤيِّد هذا القول قولُه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ﴾ فعاد الضمير على ما يُفْهَم من قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي: نجوم القرآن. وقيل: النجوم: الكواكب. ومواقعها؛ قال مجاهد وأبو عبيدة: عند طلوعها وغروبها[(٣)]. وقال قتادة: مواقعها: مواضعها من السماء. وقال الحسن: مواقعها عند الانكدار يوم القيامة[(٤)]. وقيل: عند الانقضاض إثر العفاري. ومَنْ تأوَّلَ النجوم على أنَّها الكواكب جعل الضميرَ في «إنَّه» يفسِّره سياقُ الكلام كقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سِرٌّ في تعظيم ذلك لا نعلمه نحن، وقد أعظمَ ذلك تعالى فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، والجملة المقسَمُ عليها قولُه: «إنه لقرآن كريم»، وفصَلَ بين القَسَم وجوابِه، فالظاهر أنَّه اعتراضٌ بينهما، وفيه اعتراضٌ بين الصفة والموصوف بقوله: «لو تعلمون»[(٥)].

وقال ابن عطية[(٦)]: «وإنَّه لقسم» تأكيدٌ للأمر وتنبيهٌ من المُقْسَم به، وليس هذا باعتراض بين الكلامين، بل هذا معنى قصد التهمُّم به، وإنَّما الاعتراض قولُه: «لو تعلمون». انتهى.

و«كريم» وصْفُ مدحٍ ينفي عنه ما لا يليق به[(٧)].

---

(١) ينظر السبعة ص ٦٢٤، والتيسير ص ٢٠٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠-٢٥١. والكلام الآتي منه.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ٢٢/ ٣٥٩-٣٦٠.

(٣) قول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٥٢.

(٤) أخرجهما عنهما الطبري ٢٢/ ٣٦١ بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٨-٥٩ بنحوه.

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥١.

(٧) تفسير الرازي ٢٩/ ١٩١ بنحوه.

وقال الزمخشري[1]: «كريم» حَسَنٌ مَرْضِيٌّ في جنسه من الكتب، أو نَفَّاعٌ جَمُّ المنافع، أو كريمٌ على الله تعالى.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: مَصُون. قال ابن عباس ومجاهد: الكتاب الذي في السماء. وقال عكرمة: التوراة والإنجيل، كأنَّه قال: ذُكِرَ في كتابٍ مكنونٍ كَرمُه وشرَفُه، فالمعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة. وقيل: ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: في مصاحفَ للمسلمين مصونةٍ من التبديل والتغيير. ولم تكن إذ ذاك مصاحف، فهو إخبار بغيب[2].

والظاهر أنَّ قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ وصفٌ لـ«قرآن كريم»، فالمُطَهَّرون: هم الملائكة، وقيل: «لا يمَسُّه» صفةٌ لـ «كتاب مكنون»، فإن كان الكتاب هو الذي في السماء فالمُطَهَّرون هم الملائكة أيضاً، أي: لا يطَّلع عليه مَنْ سواهم، وكذا على قول عكرمة: هم الملائكة. وإن أُريد بـ «كتاب مكنون» الصُّحُف، فالمعنى أنَّه لا ينبغي أن يمسَّه إلَّا مَنْ هو على طهارة من الناس، وإذا كان المُطَهَّرون هم الملائكة فـ «لا يَمسُّه» نفيٌ، ويُؤيِّد النَّفي «ما يمَسُّه» على قراءة عبد الله[3]، وإذا عنى بهم: المُطَهَّرون من الكفر والجنابة، فاحتمل أن يكون نفياً محضاً، ويكونُ حكمُه أنَّه لا يمَسُّه إلَّا المُطَهَّرون، وإن كان يمَسُّه غيرُ المُطَهَّر كما جاء: «لا يُعضَدُ شجَرُها»[4] أي: الحكم هذا، وإن كان قد يقع العَضْدُ. واحتمل أن يكون نفياً أُريدَ به النهيُ، فالضمَّةُ في السين إعرابٌ. واحتمل أن يكون نهياً، فلو فكَّ ظهر الجزم، ولكنَّه لمَّا أُدغِمَ كان مجزوماً في التقدير، والضمَّة فيه

(١) في الكشاف ٤/ ٥٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥١. وقول ابن عباس ﵄ أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٢.

(٣) قراءة ابن مسعود في تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٦، وأحكام القرآن ٤/ ١٧٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦٨٨٠)، ومسلم (١٣٥٥) (٤٤٨)، وأحمد (٧٢٤٢) من حديث أبي هريرة ﵁. والبخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣) (٤٤٥)، وأحمد (٢٢٤٩) من حديث ابن عباس ﵄. والبخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤)، وأحمد (١٦٣٧٣) من حديث أبي شريح العدوي ﵁.

لأجل ضمة الهاء، كما جاء في الحديث: «إنَّا لم نَرُدُّه عليكَ إلَّا أنَّا حُرُم»[١]، وهو مجزوم، ولم يَحْفَظ سيبويه[٢] في نحو هذا من المجزوم المُدْغَم المتَّصل بالهاءِ ضميرِ المُذَكَّر إلَّا الضَّمَّ.

قال ابن عطية[٣]: والقولُ بأنَّ «لا يمَسُّه» نهيٌ، قولٌ فيه ضَعْفٌ، وذلك أنَّه إذا كان خبراً فهو في موضع الصفة، وقولُه بعد ذلك: «تنزيلٌ» صفةٌ، فإذا جعلناه نهياً جاء معناه أجنبياً مُعترِضاً بين الصفات، وذلك لا يَحْسُنُ في وصف الكلام فتدبَّرْه، وفي حرف ابن مسعود: «ما يمَسُّه»، وهذا يُقَوِّي ما رجَّحْتُه من الخبر الذي معناه: حَقُّه وقَدْرُه أن لا يَمَسَّه إلَّا طاهر. انتهى.

ولا يتعيَّنُ أن يكون «تنزيلٌ» صفةً، بل يجوز أن يكون خبرَ مبتدإٍ محذوف، فيَحْسُن إذ ذاك أن يكون «لا يمَسُّه» نهياً. وذكروا هنا حكم مَسِّ المصحف، وذلك مذكورٌ في الفقه، وليس في الآية دليلٌ على منع ذلك.

وقرأ الجمهور: «المُطَهَّرون» اسم مفعول من طَهَّر مشدَّداً. وعيسى كذلك مخفَّفاً[٤]، من أطْهَر، ورُوِيَتْ عن نافع وأبي عمرو[٥].

وقرأ سلمان الفارسي: «المُطَهِّرون» بخفِّ الطاء وشدِّ الهاء وكسرِها، اسم فاعل من طَهَّرَ، أي: المُطَهِّرين أنفسَهم. وعنه أيضاً: «المُطَّهِّرون» بشدِّهما[٦]، أصله: المُتَطَهِّرون، فأدغم التاء في الطاء، ورُويت عن الحسن وعبد الله بن عونٍ[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧٣)، ومسلم (١١٩٣)، وأحمد (١٦٤٣) من حديث الصعب بن جثَّامة ﷺ. وقوله: نردُّه، بضمّ الدال، وهو الشاهدُ فيه، ورُوِيَ بفتح الدال. وينظر «فتح الباري» ٤/ ٣٣.
(٢) ينظر الكتاب ٢/ ٢٦٥.
(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.
(٤) أي: «المُطْهَرون».
(٥) ذكرها عنهما ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١. والمشهور عنهما كقراءة الجمهور. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.
(٦) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١.
(٧) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

وقُرئ: «المُتَطهِّرون»[١].

وقرئ: «تنزيلاً» بالنصب، أي: نزل تنزيلاً[٢].

والإشارة في ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ للقرآن، و«أنتم» خطابٌ للكفار ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ قال ابن عباس: مُهاوِدون فيما لا يحِلُّ. وقال أيضاً: مُكذِّبون[٣].

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شُكْرَ ما رزقكم الله من إنزال القرآن عليكم تكذيبَكم به، أي: تضعون مكان الشكر التكذيب[٤]. ومن هذا المعنى قول الراجز:

وكانَ شُكْرُ القوم عندَ المِنَنِ
كَيَّ الصحيحاتِ وفَقْءَ الأعْيُنِ[٥]

وقرأ عليٌّ وابن عباس: «وتجعلونَ شُكْرَكُم»[٦] وذلك على سبيل التفسير؛ لمخالفته السواد.

وحكى الهيثم بن عدي أنَّ مِنْ لغة أَزْد شَنوءة: ما رزقَ فلانٌ فلاناً، بمعنى: ما شكَره[٧].

قيل: نزلت في الأنواءِ ونسبةِ السُّقيا إليها، والرزق: المطر، فالمعنى: ما يرزقكم الله من الغيث[٨].

---

(١) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١ عن أبان بن تغلب.
(٢) الكشاف ٤/ ٥٩.
(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٨. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٥٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٩٧. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٤.
(٥) الرجز في جمهرة الأمثال ١/ ٣١٤، والبيان والتبيين ٣/ ٩٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، وخزانة الأدب ٢/ ٤٦٢ من دون نسبة.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٢/ ٣١٠.
(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.
(٨) الكشاف ٤/ ٥٩ وينظر تمام العبارة عنده.

وقال ابن عطية[١]: أجمع المفسِّرون على أنَّ الآية توبيخٌ للقائلين في المطر: هذا بِنَوْءِ كذا وكذا، وهذا بنَوْء الأسد، وهذا بنَوْء الجوزاء، وغير ذلك.

وقرأ الجمهور: «تُكَذِّبون» من التكذيب. وعليٌّ، والمُفَضَّل عن عاصم [بالتخفيف] من الكذب[٢]، فالمعنى من التكذيب: أنه ليس من عند الله، أي: القرآن أو المطر حيث ينسبون ذلك إلى النجوم، ومن الكذب قولُهم في القرآن: سحرٌ وافتراءٌ، وفي المطر من الأنواء[٣].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ قال الزمخشريُّ: ترتيب الآية: فلولا ترجِعُونَها إذا بلغتِ الحلقومَ إن كنتم غيرَ مَدِينين، فـ «لولا» الثانية مكرَّرة للتوكيد، والضمير في «ترجعونها» للنفس.

وقال ابن عطية[٤]: توقيفٌ على موضع عجزٍ يقتضي النظر فيه أنَّ اللهَ مالكُ كلِّ شيء، و﴿وَأَنتُمْ﴾ إشارة إلى جميع البشر ﴿حِينَئِذٍ﴾ حين إذ بلَغَتِ الحلقوم ﴿تَنظُرُونَ﴾ أي: إلى المُنازع في الموت.

وقرأ عيسى: «حينِئِذٍ» بكسر النون[٥] إتباعاً لحركة الهمزة في «إذ».

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم والقدرة ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من البصيرة بالقلب. أو ﴿أَقْرَبُ﴾ أي: ملائكتُنا ورسلُنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من البصر بالعين[٦].

ثمَّ عاد التوقيف والتقدير ثانيةً بلفظ التحضيض.

والمَدِين: المملوك، قال الأخطل:

رَبَتْ ورَبا في حجْرِها ابنُ مَدينةٍ

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣ وما بين حاصرتين منه. والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.
(٣) الكشاف ٤/ ٥٩.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، وما بعده منه.

قيل: ابنُ مملوكة يصِف عبداً ابنَ أمةٍ، وآخِرُ البيت:

تـراهُ عـلـى مِـسْـحـاتِـهِ يَـتَـرَكَّـلُ[١]

والمعنى: فلولا ترجِعون النَّفسَ البالغةَ إلى الحلقوم إن كنتم غيرَ مملوكين وغيرَ مقهورين[٢].

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في تعطيلكم وكفركم بالمُحيي المُميت المُبدئ المُعيد؛ إذ كانوا فيما ذهبوا إليه من أنَّ القرآن سحرٌ وافتراءٌ، وأنَّ ما نزل من المطر هو بِنَوء كذا، تعطيلٌ للصانع وتعجيزٌ له[٣].

وقال ابن عطية[٤]: وقوله: «ترجعونها» سَدَّ مَسَدَّ الأجوبة والبياناتِ التي تقتضيها التَّحضيضات، و«إذا» من قوله: «فلولا إذا» و«إن» المتكرِّرة، وحمَلَ بعضُ القول بعضاً إيجازاً واقتضاباً[٥]. انتهى.

ونقول: «إذا» ليست شرطية فتسدُّ «ترجعونها» مَسَدَّ جوابها، بل هي ظرفٌ غيرُ شرطٍ معمولٍ لـ «تَرْجِعونها» المحذوف بعد «فلولا» لدلالة «تَرْجِعونها» في التحضيض الثاني عليه، فجاء التحضيص الأول مُقيَّداً بوقت بلوغ الحلقوم، وجاء التحضيض الثاني مُعلَّقاً على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجوعها؛ إذ مربوبيتُهم موجودةٌ، فهم مقهورون لا قُدرةَ لهم[٦].

---

(١) ديوان الأخطل ص ٥، وفيه: تظلُّ، بدل: تراه. تركَّلَ مِسْحاتَه: إذا ضربَها برجله لتدخل في الأرض. والمِسْحاة: ما يُسحى به الطين، أي: يُقشر ويُجرف. القاموس المحيط (ركل) و(سحى).

(٢) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٩ بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: واقتصاراً.

(٦) قال صاحب الدر المصون ١٠/ ٢٣٠: وهو أحد الأقوال التي نقلها أبو البقاء. قلت: قال في الإملاء ٢/ ٢٥٤: «ترجعونها» جواب «لولا» وأغنى ذلك عن جواب الثانية. وقيل عكس ذلك. وقيل: «لولا» الثانية تكرير.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المتوفَّى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون[١].

وقرأ الجمهور: «فَرَوْحٌ» بفتح الراء. وعائشة عن النبيِّ ﷺ، وابنُ عباس، والحسن، وقتادة، ونوح القارئ، والضحَّاك، والأشهب، وشعيب بن الحَبْحاب، وسليمان التَّيمي، والربيع بن خُثَيم، ومحمد بن علي، وأبو عمران الجَوْني، والكلبي، وفيَّاض، وعُبيد، وعبد الوارث عن أبي عمرو، ويعقوب بن حسان، وزيد ورُوَيس عنه بضمِّها[٢].

قال الحسن: الرَّوح: الرحمة؛ لأنَّها كالحياة للمرحوم[٣]. وقال أيضاً: رُوحُه تخرج في رَيحان[٤]، وقيل: الرّوح: البقاء، أي: فهذان له معاً،وهو الخلود مع الرزق[٥].

وقال مجاهد: الرَّيحان: الرزق[٦]. وقال الضحَّاك: الاستراحة[٧]. وقال أبو العالية وقتادة والحسن أيضاً: الرَّيحان: هذا الشجر المعروف في الدنيا، يلقى المُقَرَّبُ ريحاناً من الجنة. وقال الخليل: هو طرف كلِّ بقلة طيبة فيها أوائل النَّور. وقال ﷺ في الحسن والحسين ﭭ: «هما رَيْحانتاي من الدنيا»[٨]. وقال

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠، والكشاف ٤/ ٥٩.
(٢) تنظر القراءة في القراءات الشاذة ص ١٥٢، والمحتسب ٢/ ٣١٠، والكشاف ٤/ ٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وزاد المسير ٨/ ١٥٦-١٥٧، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٣١. وقراءة عائشة ﭭ عن النبي ﷺ أخرجها أحمد (٢٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢). وقراءة رويس عن يعقوب في النشر ٢/ ٣٨٣. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠، والكشاف ٤/ ٦٠.
(٤) أخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٨. وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٦٧.
(٥) الكشاف ٤/ ٦٠.
(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٧. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٣.
(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٨-٣٧٩. وهو في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠.
(٨) أخرجه البخاري (٣٧٥٣)، وأحمد (٥٥٦٨) من حديث ابن عمر ﭭ.

ابن عطية[١]: الرَّيحان ممَّا تنبسط إليه النفوس.

«فرَوْحٌ، فسلامٌ، فنُزُلٌ» الفاء جواب «أمَّا»، تقدَّم «أمَّا» وهي في تقدير الشرط، و«إنْ كان من المُقَرَّبين» و«إنْ كان من أصحاب اليمين» و«إنْ كان من المُكَذِّبين الضالِّين» شرطٌ، وإذا اجتمع شرطان كان الجوابُ للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، ولذلك كان فِعْلُ الشرط ماضي اللَّفظِ، أو مصحوباً بـ «لم»، وأغنى عنه جواب «أمَّا». هذا مذهب سيبويه[٢]، وذهب أبو عليٍّ الفارسيُّ إلى أنَّ الفاءَ جوابُ «إنْ»، وجوابُ «أمَّا» محذوف، وله قولٌ موافقٌ لمذهب سيبويه، وذهب الأخفش إلى أنَّ الفاءَ جوابٌ لـ«أمَّا» والشرطِ معاً، وقد أبطَلْنا هذين المذهبين في كتابنا المسمَّى بـ «التذييل والتكميل في شرح التسهيل».

والخطاب في «لكَ» للرسول ﷺ، أي: لا ترى فيهم يا محمد إلَّا السلامةَ من العذاب، ثمَّ لكلِّ معتبرٍ من أمَّته ﷺ. قيل: لمن يخاطبه من أصحاب اليمين. فقال الطبري: المعنى: فسلامٌ لك أنت من أصحاب اليمين. وقال قومٌ: المعنى: فيُقال له: مُسَلَّم لكَ أنَّك من أصحاب اليمين[٣]. وقيل: فسلامٌ لكَ يا صاحب اليمين من إخوانك أصحابِ اليمين، أي: يُسلِّمون عليك، كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾[٤] [الواقعة: ٢٦].

والمكذِّبون الضالُّون: هم أصحاب المشأمة أصحاب الشمال[٥].

وقرأ الجمهور: «وتصليةُ» رفعاً عطفاً على «فنزُلٌ». وأحمد بن موسى والمِنْقَري واللؤلؤي عن أبي عمرو بجرِّ التاء[٦]، عطفاً على «من حميم».

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وما قبله منه.
(٢) في الكتاب ٤/ ٢٣٥.
(٣) هذا قول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٣١، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤. وقول الطبري في تفسيره ٢٢/ ٣٨١.
(٤) الكشاف ٤/ ٦٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤.
(٦) أي: «وتَصْليةِ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٢ من رواية أحمد بن موسى عن أبي عمرو. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

ولمَّا انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آلَ إليه كلُّ قسمٍ منهم أكَّد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إنَّ هذا الخبرَ المذكورَ في هذه السورة هو ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ فقيل: هو من إضافة المترادفَين على سبيل المبالغة، كما تقول: هذا يقين اليقين، وصواب الصواب، بمعنى أنَّها نهايةٌ في ذلك، فهما بمعنًى واحد أُضيفَ على سبيل المبالغة. وقيل: هو من إضافة الموصوف إلى صفته، جعل الحقَّ مبايناً لليقين، أي الثابت المُتيقَّن[(١)].

ولمَّا تقدَّم ذِكْرُ الأقسام الثلاثة مُسْهَباً الكلامُ فيهم أمرَه تعالى بتنزيهه عمَّا لا يليق به من الصفات، ولمَّا أعاد التقسيم موجِزاً الكلامَ فيه أمره أيضاً بتنزيهه وتسبيحه والإقبال على عبادة ربِّه، والإعراض عن أقوال الكفَرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء.

ويظهر أنَّ «سَبِّحْ» يتعدَّى تارةً بنفسه، كقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، وتارةً بحرف الجر، كقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

و«العظيم»: يجوز أن يكون صفةً لاسْمٍ، ويجوز أن يكون صفةً لـ «ربِّك»[(٢)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤ بنحوه، وما بعده كذلك منه بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٥.

(٥٦) سورة الواقعة مكية وآياتها ست وتسعون

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن مسعود بسنده عن أبي ظبية قال: مرض عبدالله مرضه الذي توفي فيه، فعاده (عثمان بن عفّان) فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»[1] . وروى أحمد عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم، التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور[2] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾

الواقعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى: ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ وقوله تعالى ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها، كما قال: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾، وقال: ﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع﴾، ومعنى ﴿كاذبة﴾ أي لا بد أن تكون، قال قتادة: ليس فيها ارتداد ولا رجعة، قال ابن جرير:

---

(١) رواه ابن عساكر وأبو يعلى، وقال بعده: فكان أبو ظبية لا يدعها.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند.

والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية، وقوله تعالى: ﴿خافضة رافعة﴾ أي تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، وعن ابن عباس: ﴿خافضة رافعة﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين، وقال عثمان بن سراقة: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة، وقال محمد بن كعب: تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين، وقال السدي: خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين، وقوله تعالى: ﴿إذا رجت الأرض رجًّا﴾ أي حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها، ولهذا قال ابن عباس ومجاهد ﴿إذا رجت الأرض رجًّا﴾ أي زلزلت زلزالاً، وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه، كقوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾، وقال تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾، وقوله تعالى: ﴿وبست الجبال بسًّا﴾ أي فتتت فتاً، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال الله تعالى ﴿كثيباً مهيلاً﴾، وقوله تعالى: ﴿فكانت هباء منبثاً﴾ عن علي رضي الله عنه: هباء منبثاً كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء، وقال ابن عباس: الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً، وقال عكرمة: المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته، وقال قتادة: ﴿هباء منبثاً﴾ كيابس الشجر الذي تذروه الرياح، وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها ونسفها أي قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله تعالى: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ أي ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار، وطائفة سابقون بين يديه عزّ وجلّ وهم أحظى وأقرب من أصحاب اليمين، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين، لهذا قال تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ۞ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ۞ والسابقون السابقون﴾. وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم. وهكذا ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه، قال ابن عباس ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ قال: هي التي في سورة الملائكة ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الآية. وقال يزيد الرقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ قال: أصنافاً ثلاثة، وقال مجاهد: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ يعني فرقاً ثلاثة، وقال ميمون بن مهران: أفواجاً ثلاثة، اثنان في الجنة وواحد في النار، قال مجاهد: ﴿والسابقون السابقون﴾ هم الأنبياء عليهم السلام، وقال السدي: هم أهل عليين، وقال ابن سيرين ﴿والسابقون السابقون﴾ الذين صلوا إلى القبلتين، وقال الحسن وقتادة: ﴿والسابقون السابقون﴾ أي من كل أمة، وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة، أنه قرأ هذه الآية ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ ثم قال: أولهم رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله، وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات، كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض﴾، وقال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء

والأرض﴾، فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تُدان، ولهذا قال تعالى: ﴿أولئك المقربون في جنات النعيم﴾، وقال ابن أبي حاتم، قالت الملائكة: يا رب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة، فقال: لا أفعل، فراجعوا ثلاثاً، فقال: لا أجعل من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فكان؛ ثم قرأ عبدالله: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾[1] .

* ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾
وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ﴿ثلة﴾ أي جماعة من الأولين، وقليل من الآخرين: وقد اختلفوا في المراد بقوله الأولين والآخرين فقيل: المراد بالأولين الأمم الماضية، وبالآخرين هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير، واستأنس بقوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»، ولم يحك غيره، ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني»[2].

وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل هو قول ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل بمجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم، فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين﴾ أي من صدر هذه الأمة، ﴿وقليل من الآخرين﴾ أي من هذه الأمة، قال ابن أبي حاتم، عن عبدالله ابن بكر المزني: سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿والسابقون السابقون، أولئك المقربون﴾ فقال: أما السابقون فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين. ثم قرأ الحسن: ﴿والسابقون السابقون * أولئك المقربون في جنات النعيم * ثلة من الأولين﴾ قال: ثلة ممن مضى من هذه الأمة. وعن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية ﴿ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين﴾ قال: كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة، فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها، ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو موقوفاً.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم والإمام أحمد.

قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »[١] الحديث بتمامه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله ﷺ « مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره »[٢] فهذا الحديث محمول على أن الدين كما هو محتاج ألى أول الأمة في إبلاغه كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، والفضل للمتقدم، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها، ولهذا قال عليه السلام: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة »[٣] .

وفي لفظ : « حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك » ، والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وفي لفظ: « مع كل ألف سبعون ألفاً – وفي آخر – مع كل واحد سبعون ألفاً » ؛ وقد روى الحافظ الطبراني، عن أبي مالك قال، قال رسول الله ﷺ: « أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة لمّا جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام »[٤] . وقوله تعالى: ﴿ على سرر موضونة ﴾ قال ابن عباس: أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به[٥] . وقال السدي: مرمولة بالذهب واللؤلؤ ، وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت، وقال ابن جرير : ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ .

وقوله تعالى : ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد ، ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ أي مخلدون على صفة واحدة لا يشيبون ولا يتغيرون ، ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ أما الأكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين ، والكؤوس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة، وقوله تعالى: ﴿ لا يصدّعون عنها ولا ينزفون ﴾ أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: « السكْر ، والصداع ، والقيء ، والبول » فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال ، وقال مجاهد وعكرمة ﴿ لا يصدّعون عنها ﴾ يقول: ليس لهم فيها صداع رأس، وقالوا في قوله ﴿ ولا ينزفون ﴾ أي لا تذهب بعقولهم، وقوله تعالى: ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ء ولحم طير مما يشتهون ﴾ أي ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار ، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ، روى الطبراني عن ثوبان قال، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها

---

(١) أخرجه الشيخان .

(٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) أخرجاه في الصحيحين .

(٤) أخرجه الحافظ الطبراني .

(٥) وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحّاك .

أُخرى »[1] ، وقوله تعالى: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: « إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة » ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن هذه لطير ناعمة، فقال: « آكلها أنعم منها - قالها ثلاثاً - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها »[2]. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ وذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله ! إني لأرى طيرها ناعماً كأهلها ناعمون، قال: « ومن يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر » . وروى أبو بكر بن أبي الدنيا، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: « نهر أعطانيه ربي عزّ وجلّ في الجنة أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر » فقال عمر : إنها لناعمة ؟ قال رسول الله ﷺ: « آكلها أنعم منها »[3]. وعن عبدالله بن مسعود قال، قال لي رسول الله ﷺ : « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً »[4] . وقوله تعالى: ﴿وحورٌ عينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ بالرفع وتقديره : ولهم فيها حور عين ، وقوله تعالى : ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم، ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ ، ولهذا قال : ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي هـذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل .

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار ، كما قال ميمون ابن مهران: أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين ، فقال ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ أي ما حالهم وكيف مآلهم ؟ ثم فسر ذلك فقال تعالى: ﴿في سدر مخضود﴾ قال ابن عباس وعكرمة : هو الذي لا شوك فيه ، وعن ابن عباس : هو الموقر بالثمر ، وقال قتادة : كنا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك فيه، والظاهر أن المراد هذا وهذا ، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذي قـد أثقل أصله، كما روى الحافظ أبو بكر النجار، عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ، فقال رسول الله ﷺ: « وما هي ؟ » قال: السدر ، فإن له شوكاً مؤذياً ، فقال رسول الله ﷺ: « أليس الله تعالى يقول : ﴿في سدر مخضود﴾ خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمراً

---

(١) أخرجه الحافظ الطبراني .

(٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا ، ورواه الترمذي .

(٤) رواه ابن أبي حاتم .

تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ما فيها لون يشبه الآخر »، وقوله: ﴿ وطلح منضود ﴾ الطلح: شجر عظام يكون بأرض الحجاز، من شجر العضاه واحـدته طلحة، وهو شجر كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة:

بشَّرها دليلهـا وقـالا غداً ترين الطلح والجبـالا

قال مجاهد ﴿ منضود ﴾: أي متراكم الثمر، يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلح وسدر، قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، قال الجوهري: والطلح لغة في الطلـع، (قلت) وقـد روي أن علياً يقول هذا الحرف في ﴿ طلح منضود ﴾ قال: طلع منضود، فعلى هذا يكون من صفة السدر، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك له، وأن طلعه منضود، وهو كثرة ثمره والله أعلم. وعن أبي سعيد ﴿ وطلح منضود ﴾ قال: الموز[1]، وأهل اليمن يسمون الموز: الطلح، ولم يحك ابن جرير غير هذا القول، وقوله تعالى: ﴿ وظل ممدود ﴾ روى البخاري، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾[2]. وقال الإمام أحمد، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، إقرأوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾[3]. وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها »[4]. فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقـة رجاله. وقال الترمذي، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب »[5]. وقال الضحّاك والسدي في قوله تعالى: ﴿ وظل ممدود ﴾ لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر، وقال ابن مسعود: الجنة سَجْسَج[6] كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقـد تقدمت الآيات كقوله تعالى: : ﴿ وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ وقوله: ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾، وقوله ﴿ في ظلال وعيون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى: ﴿ وماء مسكوب ﴾ قال الثوري: يجري في غير أخدود، وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ الآية، بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله تعالى: ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى: ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقـاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ﴾ أي يشبه الشكل الشكل، ولكن الطعم غير الطعم، وفي الصحيحين

---

(١) وهو قول ابن عباس وأبي هريرة والحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه أحمد ورواه الشيخان.

(٤) أخرجه الشيخان.

(٥) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

(٦) سَجْسَج: أي لا حر ولا برد.

في ذكر سدرة المنتهى : فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر ؛ وروى الحافظ أبو يعلى، عن جابر قال: بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة، قال له أبي بن كعب: يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه، قال: «إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم بـه فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم بـه لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه»[1] . وقوله تعالى: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ أي لا تنقطع شتاء ولا صيفاً، بل أكلها دائم مستمر أبـداً، مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء، وقال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد، وقد تقدم في الحديث «إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى».

وقوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ أي عالية وطيئة ناعمة، روى النسائي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام»[2] . وعن الحسن: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة[3]، وقوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء ۞ فجعلناهن أبكاراً ۞ عرباً أتراباً ۞ لأصحاب اليمين﴾ جرى الضمير على غير مذكور، لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهنّ وعـاد الضمير عليهن، قال الأخفش في قوله تعالى ﴿أنا أنشأهن﴾ أضمرهن ولم يذكرن قبـل ذلك؛ وقال أبو عبيدة ذكرن في قوله تعالى: ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾، فقوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن﴾ أي أعدناهن في النشأة الأخرى بعد ما كن عجائز رمصاً، صرن ﴿أبكاراً عرباً﴾ أي بعد الثيوبة عدن أبكاراً عرباً، متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة، وقال بعضهم ﴿عرباً﴾ أي غنجات، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «إنا أنشأناهن إنشاء قال: نساء عجائز كنَّ في الدنيا عمشاً رمصاً»[4] . وعن سلمة بن يزيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا، وقال عبد بن حميد قال: أتت عجوز. فقالت: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز» قال: فولت تبكي، قال: أخبروها إنها لا تدخلها، وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنشأهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً﴾[5] .

وعن أم سلمة قالت، قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿حور عين﴾ قال: «حور» بيض «عين» ضخام العيون، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر، قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ قال: «صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي» قلت: أخبرني عن قوله: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه»، قلت: أخبرني عن قوله: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال:

---

(١) أخرجه الحافظ أبو يعلى وأخرجه مسلم بنحوه .

(٢) أخرجه النسائي والترمذي وقال : حسن غريب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري موقوفاً .

(٤) أخرجه الترمذي وابن أبي حاتم وقال الترمذي : غريب .

(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد .

« رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقيء » قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿ عرباً أتراباً ﴾ قال: « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محببات أتراباً على ميلاد واحد »، قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال: « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » ، قلت: يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال: « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عزّ وجلّ، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا »، قلت: يا رسول الله ! المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال: « يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »[1]. وفي الحديث: « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً »[2]. وعن أبي هريرة قال، قيل: يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ قال: « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء »[3] .

وقوله تعالى: ﴿ عرباً ﴾، قال ابن عباس: يعني متحببات إلى أزواجهن، ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك، وقال الضحّاك عنه: العرب العواشق لأزواجهن، وأزواجهن لهن عاشقون، وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله ﴿ عرباً ﴾ قال: هي المَلِقة لزوجها، وقال عكرمة: هي الغنجة، وعنه: هي الشكلة، وقال عبدالله بن بريدة في قوله ﴿ عرباً ﴾ قال: الشكلة بلغة أهل مكة، والغنجة بلغة أهل المدينة، وقال تميم بن حذلم: هي حسن التبعل، وقوله ﴿ أتراباً ﴾ قال ابن عباس: يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة، وقال مجاهد: الأتراب: المستويات، وفي رواية عنه: الأمثال، وقال عطية: الأقران، وقال السدي ﴿ أتراباً ﴾ أي في الأخلاق المتواخيات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد، يعني لا كما كن ضرائر متعاديات، وقال ابن أبي حاتم، عن الحسن ومحمد ﴿ عرباً أتراباً ﴾ قالا: المستويات الأسنان يأتلفن جميعاً ويلعبن جميعاً، وقد روى الترمذي، عن علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق بمثلها - قال - يقلن: « نحن الخالدات فلا نبيد. ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له »[4]. وعن أنَس أن رسول الله ﷺ قال: « إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام »[5]. وقوله تعالى: ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ أي خلقنا لأصحاب اليمين أو زوجن لأصحاب اليمين والأظهر أنه متعلق بقوله: ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً ﴾ فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين، وهذا توجيه ابن جرير، قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ متعلقاً بما قبله، وهو قوله: ﴿ أتراباً

(١) رواه أبو القاسم الطبراني. (٢) أخرجه الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

(٣) رواه الطبراني وقال الحافظ المقدسي: هو على شرط الصحيح.

(٤) أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب.

(٥) أخرجه الحافظ أبو يعلى.

لأصحاب اليمين﴾ أي في أسنانهم، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب وريحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»[1]. وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع»[2]. وروى ابن وهب، عن أبي سعيد قال، قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار». وروى ابن أبي الدنيا، عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك! على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون»، وقال أبو بكر ابن أبي داود، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جرداً مرداً مكحلين. ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»، وقوله تعالى ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قال، قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي»[3].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ أي أيُّ شيء هم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿في سموم﴾ وهو الهواء الحار، ﴿وحميم﴾ وهو الماء الحار، ﴿وظل من يحموم﴾ قال ابن عباس: ظل الدخان[4]. وهذه كقوله تعالى: ﴿انطلقوا

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه الطبراني ورواه الترمذي بنحوه.

(٣) أخرجه ابن جرير.

(٤) وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم.

إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿وظل من يحموم﴾ وهو الدخان الأسود ﴿لا بارد ولا كريم﴾ أي ليس طيب الهبوب، ولا حسن المنظر ﴿ولا كريم﴾ أي ولا كريم المنظر، وقال الضحاك: كل شراب ليس بعذب فليس بكريم، قال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي، فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم، ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ أي كانوا في الدار الدنيا منعمين، مقبلين على لذات أنفسهم، ﴿وكانوا يصرون﴾ أي يقيمون ولا ينوون توبة ﴿على الحنث العظيم﴾، وهو الكفر بالله، قال ابن عباس: الحنث العظيم: الشرك[1]، وقال الشعبي: هو اليمين الغموس ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون﴾ يعني أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه، قال الله تعالى: ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ أي أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحد، كما قال تعالى: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ أي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص، ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون﴾، وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم، ﴿فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم﴾ وهي الإبل العطاش واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال: هائم وهائمة، قال ابن عباس ومجاهد: الهيم الإبل العطاش الظماء، وقال السدي: الهيم داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً، ثم قال تعالى: ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ أي هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ أي ضيافة وكرامة.

* نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى مقرراً للمعاد، وراداً على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد، ﴿نحن خلقناكم﴾ أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البداءة، بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى؟ ولهذا قال: ﴿فلولا تصدقون﴾؟ أي فهلا تصدقون بالبعث! ثم قال تعالى مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾؟ أي أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال تعالى ﴿نحن قدّرنا بينكم الموت﴾ أي صرفناه بينكم، وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض، ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي وما نحن بعاجزين ﴿على أن نبدّل أمثالكم﴾ أي نغيّر خلقكم يوم القيامة، ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ أي من الصفات والأحوال، ثم قال تعالى: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ أي قد علمتم

---

(١) وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة.

أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾، وقال تعالى: ﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾، وقال تعالى: ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾، وقال تعالى: ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ؟

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾
إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

يقول تعالى: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾ ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها، ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ ؟ أي تنبتونه في الأرض ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ ؟ أي بل نحن الذي نقره قراره وننبته في الأرض، روي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ وأمثالها، يقول: بل أنت يا رب، وقوله تعالى: ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاماً ﴾ أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا، وأبقيناه لكم رحمة بكم، ولو نشاء لجعلناه حطاماً، أي لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده، ﴿ فظلتم تفكهون ﴾. ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ إنا لمغرمون * بل نحن محرومون ﴾ أي لو جعلناه حطاماً لظلتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم، فتقولون تارة ﴿ إنا لمغرمون ﴾ أي لملقون، وقال مجاهد وعكرمة: إنا لمولع بنا، وقال قتادة: معذبون، وتارة تقولون: ﴿ بل نحن محرمون ﴾ أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح. وقال مجاهد ﴿ بل نحن محرومون ﴾ أي مجدودون يعني لا حظ لنا، وقال ابن عباس ومجاهد ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تعجبون، وقال مجاهد أيضاً ﴿ فظلتم تفكّهون ﴾ تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم، وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم، وهذا اختيار ابن جرير. وقال عكرمة ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تلاومون، وقال الحسن وقتادة ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تندمون، ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب، قال الكسائي: تفكه من الأضداد، تقول العرب: تفكهت بمعنى تنعمت، وتفكهت بمعنى حزنت.

ثم قال تعالى: ﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن ﴾، يعني السحاب، ﴿ أم نحن المنزلون ﴾، يقول بل نحن المنزلون، ﴿ لو نشاء جعلناه أجاجاً ﴾ أي زعافاً مراً لا يصلح لشرب ولا زرع، ﴿ فلولا تشكرون ﴾ أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً، ﴿ لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ روى ابن أبي حاتم، عن جابر، عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا»[2] ثم قال: ﴿ أفرأيتم النار التي تورون ﴾ أي

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ﴿ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها، وللعرب شجرتان: إحداهما (المرخ) والأخرى (العفار) إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار، وقوله تعالى: ﴿ نحن جعلناها تذكرة ﴾ قال مجاهد وقتادة: أي تذكر النار الكبرى، وعن النبي ﷺ قال: « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد »[1]، وقال الإمام مالك، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم »، فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال: « إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً »، وفي لفظ: « والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها »[2].

وقوله تعالى: ﴿ ومتاعاً للمقوين ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني بالمقوين المسافرين، واختاره ابن جرير، وقال ابن أسلم: المقوي ههنا الجائع، وقال ليث، عن مجاهد ﴿ ومتاعاً للمقوين ﴾: للحاضر والمسافر، لكل طعام لا يصلحه إلا النار، وعنه ﴿ للمقوين ﴾ يعني المستمتعين من الناس أجمعين، وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير، الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة، وغير ذلك من المنافع، ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى بها واشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات، فلهذا أفرد المسافرون، وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم، وفي الحديث: « المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكلأ والماء »[3]. وفي رواية: « ثلاثة لا يمنعن: الماء والكلأ والنار »[4]. وقوله تعالى: ﴿ فسبّح بسم ربك العظيم ﴾ أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة، الماء الزلال العذب البارد، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة، وخلق النار المحرقة، وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم، وزجراً لهم في المعاد.

* فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

قال الضحّاك: إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه، وهذا القول ضعيف، والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته، ثم قال بعض المفسرين:

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٢) أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم.
(٣) أخرجه أحمد وأبو داود. (٤) أخرجه ابن ماجة بإسناد حسن.

(لا) ههنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم، ويكون جوابه: ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾، وقال آخرون: ليست (لا) زائدة بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي ، تقدير الكلام: لا أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم، وقال بعضهم: معنى قوله ﴿ فلا أقسم ﴾: فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل اقسم[1] ، واختلفوا في معنى قوله: ﴿ بمواقع النجوم ﴾ فقال ابن عباس: يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية، وقال مجاهد: ﴿ مواقع النجوم ﴾ في السماء ويقال مطالعها ومشارقها، وهو اختيار ابن جرير ، وعن قتادة: مواقعها: منازلها، وعن الحسن: أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة، وقوله ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ أي وإن هذا القسم الذي أقسمت بـه لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به، ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ أي إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم ﴿ في كتاب مكنون ﴾ أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر ، عن ابن عباس قال: الكتاب الذي في السماء، ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ يعني الملائكة، وقال ابن جرير ، عن قتادة ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ قال: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس، وقال أبو العالية: ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ليس أنتم أصحاب الذنوب ، وقال ابن زيد: زعمت كفّار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون ، كما قال تعالى: ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾، وهذا القول قول جيد، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله، وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، وقال آخرون : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر ، ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف، كما روى مسلم عن ابن عمر : « أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو »[2] ، واحتجوا بمـا رواه الإمام مالك أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن « لا يمس القرآن إلا طاهر » وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبدالله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: « ولا يمس القرآن إلا طاهر »، وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره، ومثل هذا ينبغي الأخذ به .

وقوله تعالى : ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين، وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى: ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ قال ابن عباس: أي مكذبون غير مصدقين، وقال مجاهد: ﴿ مدهنون ﴾ أي تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ قال بعضهم: معنى ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ بمعنى شكركم أنكم تكذبون بدل الشكر ، عن علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « وتجعلون » رزقكم يقول: شكركم أنكم تكذبون، تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا »[3] . وقال مجاهد: ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾

---

(١) ذكره ابن جرير عن بعض أهل العربية .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

(٣) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم ، ورواه الترمذي وقال : حسن غريب .

قال: قولهم في الأنواء: مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه[١]، وقال قتادة: أما الحسن فكان يقول: بئس ما أخذ قوم لأنفسهم، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب، فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به، ولهذا قال قبله: ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ .

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾
فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى: ﴿ فلولا إذا بلغت ﴾ أي الروح ﴿ الحلقوم ﴾ أي الحلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى: ﴿ كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق ﴾، ولهذا قال ههنا ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ أي بملائكتنا ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾ أي ولكن لا ترونهم كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها ﴾ معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول، ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدينين، قال ابن عباس: يعني محاسبين[٢]، وقال سعيد بن جبير ﴿ غير مدينين ﴾ غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس، وعن مجاهد ﴿ غير مدينين ﴾ غير موقنين، وقال ميمون ابن مهران: غير معذبين مقهورين .

۞ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ
﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ
جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿ فأما إن كان ﴾ أي المحتضر ﴿ من المقربين ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء إن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان، قال ابن عباس ﴿ فروح ﴾ يقول: راحة ﴿ وريحان ﴾ يقول: مستراحة، وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة، وقال أبو حرزة: الراحة من الدنيا، وقال سعيد بن جبير: الروح الفرح، وعن

(١) وهكذا قال الضحّاك وغير واحد .
(٢) وهو قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحّاك وقتادة .

مجاهد: ﴿فروح وريحان﴾ جنة ورخاء، وقال قتادة: فروح فرحمة. وقال ابن عباس ومجاهد ﴿وريحان﴾: ورزق؛ وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن ﴿وجنة نعيم﴾، وقال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه، وقال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سوره إبراهيم ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾. وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية. روى الإمام أحمد، عن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»، هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن، ومعنى «يَعْلَق» يأكل. ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد، عن الإمام الشافعي، عن الإمام مالك، عن كعب بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»، وهذا إسناد عظيم ومتن قويم، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش»[1] الحديث. وروى الإمام أحمد. عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب لقـاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قال: فأكب القوم يبكون فقال: «ما يبكيكم؟» فقالوا: إنا نكره الموت، قال: «ليس ذاك، ولكنه إذا احتضر ﴿فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم﴾، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عزّ وجلّ، والله عزّ وجلّ للقائه أحب ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء الله، والله تعالى للقائه أكره»[2].

وقوله تعالى: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾ أي وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين، وقال قتادة: سَلِمَ من عذاب الله وسلّمت عليه ملائكة الله، كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهذا معنى حسن، ويكون ذلك كقول الله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾. وقوله تعالى: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزلٌ من حميم وتصلية جحيم﴾ أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى ﴿فنزل﴾ أي فضيافة، ﴿من حميم﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود، ﴿وتصلية جحيم﴾ أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته، ثم قال تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ أي إن هذا الخبر لهو حق اليقين، الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه، ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾. قال الإمام أحمد، عن عقبة بن عامر الجهني قال: لمـا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم»، ولمـا نزلت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[3].

---

(١) الحديث مخرج في الصحيحين. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة.

وفي الحديث: من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة »[1] . وروى البخاري في آخر صحيحه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » .

[آخر تفسير سورة الواقعة ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) رواه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن غريب .

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية.

قال أبو إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شبت؟ قال: «شيبتنى هود، والواقعة، والمرسلات، وعَمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت».

رواه الترمذى وقال: حسن غريب[(١)].

وقال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصرى: حدثنا السُّرِّى بن يحيى الشيبانى، عن أبى شجاع، عن أبى ظبية قال: مرض عبد الله مرضه الذى توفى فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: رحمة ربى. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضنى. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لى فيه. قال: يكون لبناتك من بعدك؟ قال: أتخشى على بناتى الفقر؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة، لم تصبه فاقة أبدا»[(٢)].

ثم قال ابن عساكر: كذا قال، والصواب: عن «شجاع»، كما رواه عبد الله بن وهب، عن السرى. وقال عبد الله بن وهب: أخبرنى السّرىّ بن يحيى أن شجاعا حَدّثه، عن أبى ظَبْيَةَ، عن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا». فكان أبوظبية لا يدعها[(٣)].

وكذا رواه أبو يعلى، عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن مُنيب، عن السرى بن يحيى، عن شجاع، عن أبي ظَبْيَة، عن ابن مسعود، به. ثم رواه عن إسحاق بن أبى إسرائيل، عن محمد بن منيب العدنى، عن السرى بن يحيى، عن أبى ظبية، عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة، لم تصبه فاقة أبدا». لم يذكر فى سنده «شجاعا»[(٤)]. قال: وقد أمرت بناتى أن يقرأنها كل ليلة.

وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن اليمان، عن السرى بن يحيى، عن شجاع، عن أبى فاطمة، قال: مرض عبد الله، فأتاه عثمان بن عفان يعوده، فذكر الحديث

---

(١) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٧).

(٢) تاريخ دمشق (ق ٢٩٤) «مصورة معهد المخطوطات» ورواه ابن عبد البر فى التمهيد (٥/ ٢٦٩) من طريق حبشى بن عمرو بن الربيع، عن أبيه عمرو بن الربيع المصرى، به.

(٣) ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/ ١١٢) من طريق خالد بن خداش، عن عبد الله بن وهب، به.

(٤) ورواه عن أبى يعلى أبو بكر بن السنى فى عمل اليوم والليلة برقم (٦٧٤).

بطوله. قال عثمان بن اليمان: كان أبو فاطمة هذا مولى لعلى بن أبى طالب[(١)].

وقال [الإمام][(٢)] أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب؛ أنه سمع جابر بن سَمُرَة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلى الصلوات كنحو من صلاتكم التى تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف. كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ فى الفجر «الواقعة» ونحوها من السور[(٣)].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾.

الواقعة: من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥]

وقوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أى: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها، ولا دافع يدفعها، كما قال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧]، وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ومعنى ﴿كَاذِبَةٌ﴾ ـ كما قال محمد بن كعب ـ: لابد أن تكون. وقال قتادة: ليس فيها مثنوية ولا

---

(١) تاريخ دمشق (ق ٢٩٤) «مصورة معهد المخطوطات».

وكذا رواه حجاج بن المنهال عن السرى بن يحيى فقال:

عن أبى فاطمة: أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (٢٤٩٨) وقد أعمل الزيلعى، رحمه الله، هذا الحديث بأربع علل ترجح بعدها ضعفه:

الأولى: الانقطاع كما ذكره الدارقطنى وابن أبى حاتم فى علله نقلا عن أبيه.

الثانية: نكارة متنه. قاله الإمام أحمد.

الثالثة: ضعف رواته: السرى بن يحيى، وشجاع، كما ذكره ابن الجوزى.

الرابعة: الاضطراب، فمنهم من يقول: أبو طيبة بالطاء المهملة ومنهم من يقول: أبو ظبية بالظاء المعجمة.

ومنهم من يقول: أبو فاطمة، ومنهم من يقول: شجاع، ومنهم من يقول: أبو شجاع، وقد اجتمع على ضعفه: الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطنى والبيهقى وابن الجوزى تلويحا وتصريحا، والله أعلم.

(٢) زيادة من م.

(٣) المسند (٥/ ١٠٤).

ارتداد ولا رجعة.

قال ابن جرير: والكاذبة: مصدر كالعاقبة والعافية.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أى: تخفض[(١)] أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا فى الدنيا أعزّاء. وترفع آخرين إلى أعلى علّيّين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا فى الدنيا وضعاء. وهكذا قال الحسن، وقتادة وغيرهما.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى، عن أبيه، عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: تخفض أناسًا وترفع آخرين.

وقال عبيد الله[(٢)] العتكى، عن عثمان بن سراقة، ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [قال[(٣)]]: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة.

وقال محمد بن كعب: تخفض رجالا كانوا فى الدنيا مرتفعين، وترفع رجالا كانوا فى الدنيا مخفوضين.

وقال السُّدِّى: خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين.

وقال العَوْفىّ، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: أسمعت القريب والبعيد. وقال عكرمة: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى. وكذا قال الضحاك، وقتادة.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ أى: حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغير واحد فى قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ أى: زلزلت زلزالا [شديدا][(٤)].

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه.

وهذه كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أى: فُتِّتت فَتًّا[(٥)]. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم.

وقال ابن زيد: صارت الجبال كما قال [الله][(٦)] تعالى: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا﴾: قال أبو إسحاق، عن الحارث، عن على، رضى الله عنه: ﴿هَبَاءً

---

(١) فى م: «تخفض». (٢) فى أ: «عبد الله». (٣) زيادة من م.
(٤) زيادة من: م. (٥) فى م: «تفتيتا». (٦) زيادة من أ.

مُنْبَثًّا﴾ كرهَج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء.

وقال العَوْفى، عن ابن عباس فى قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾: الهباء الذى يطير من النار، إذا اضطرمت[(١)] يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئا.

وقال عكرمة: المنبث: الذى ذرته الريح وبثته. وقال قتادة: ﴿هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾: كيبيس الشجر الذى تذروه[(٢)] الرياح.

وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونسفها ـ أى قلعها ـ وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ أى: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السُّدِّى: وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار ـ عياذاً بالله من صنيعهم ـ وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددا من أصحاب اليمين؛ ولهذا قال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة فى آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، وذلك على أحد القولين فى الظالم لنفسه كما تقدم بيانه.

قال سفيان الثورى، عن جابر الجُعْفِي، عن مجاهد، عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ قال: هى التى في سورة الملائكة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

وقال ابن جُرَيْج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون فى آخر السورة وفى سورة الملائكة.

وقال يزيد الرقاشى: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ قال: أصنافا ثلاثة.

وقال[(٣)] مجاهد: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾ [قال][(٤)]: يعنى: فرقا ثلاثة. وقال ميمون بن مهْرَان: أفواجا ثلاثة. وقال عُبَيد الله[(٥)] العتكى، عن عثمان بن سراقة، ابن خالة عمر بن الخطاب: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً﴾: اثنان فى الجنة، وواحد فى النار.

---

(١) فى م: «اضطربت». (٢) فى م: «تذراه».
(٣) فى أ: «عن». (٤) زيادة من م. (٥) فى أ: «عبد الله».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال: الضرباء، كل رجل من قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: هم الضرباء[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله المثنى، حدثنا البراء الغنوى، حدثنا الحسن، عن معاذ بن جبل؛ أن رسول الله ﷺ تلا[٢] هذه الآية: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[٣]، ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾[٤] فقبض بيده قبضتين فقال: «هذه للجنة[٥] ولا أبالي، وهذه للنار[٦] ولا أبالي»[٧].

وقال أحمد أيضا: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق، قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»[٨].

وقال محمد بن كعب وأبو حَزْرَةَ يعقوب بن مجاهد: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: هم الأنبياء، عليهم السلام. وقال السُّدِّى: هم أهل عليين. وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل "يس"، سبق إلى عيسى، وعلى بن أبي طالب، سبق إلى محمد رسول الله ﷺ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائنى البزاز، عن شُعَيب بن الضحاك المدائنى، عن سفيان ابن عُيينة، عن ابن أبي نَجيح، به.

وقال ابن أبي حاتم: وذكر محمد[٩] بن أبي حماد، حدثنا مِهْران، عن خارجة، عن قُرَّة، عن ابن سيرين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: الذين صلوا للقبلتين.

ورواه ابن جرير[١٠] من حديث خارجة، به.

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أي: من كل أمة.

وقال الأوزاعى، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، ثم قال: أولهم رواحا إلى المسجد، وأولهم خروجا في سبيل الله.

---

(١) سيأتى تخريج الحديث عند الآية: ٧ من سورة التكوير.
(٢) فى أ: «قرأ».
(٣) فى م، أ: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين».
(٤) فى م، أ: «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال».
(٥) فى م، أ: «هذه فى الجنة».
(٦) فى م، أ: «وهذه فى النار».
(٧) المسند (٥/٢٣٩) والحسن لم يسمع من معاذ.
(٨) المسند (٦/٦٧).
(٩) فى أ: «وذكر عن محمد».
(١٠) فى أ: «ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير».

وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]، فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن زكريا القزاز[1] الرازي، حدثنا خارجة بن مُصعَب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو، قال: قالت الملائكة: يا رب، جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة. فقال: لا أفعل. فراجعوا ثلاثا، فقال: لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان[2] بن سعيد الدارمي في كتابه: «الرد على الجهمية»، ولفظه: فقال الله عز وجل: «لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي، كمن قلت له: كن، فكان»[3].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)﴾.

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ﴿ثُلَّةٌ﴾ أي: جماعة ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾. وقد اختلفوا في المراد بقوله: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾، و﴿الْآخِرِينَ﴾. فقيل: المراد بالأولين: الأمم الماضية، والآخرين: هذه الأمة. هذا رواية عن مجاهد، والحسن البصري، رواها عنهما ابن أبي حاتم. وهو اختيار ابن جرير، واستأنس بقوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»[4]. ولم يحك غيره، ولا عزاه إلى أحد.

---

(١) في أ: «الفزاري». (٢) في أ: «عمر».

(٣) وقد رواه عثمان بن سعيد الدارمي فرفعه كما في البداية والنهاية (١/ ٥٥) للمؤلف وقال: «وهو أصح» وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب، رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٤٨) وقال: «هذا حديث لا يصح».

(٤) لم أجد الحديث في تفسير الطبري، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٩٦) ومسلم في صحيحه برقم (٨٨٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

ومما يستأنس به لهذا القول، ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِين. وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾، شق ذلك على أصحاب النبى ﷺ، فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِين. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ فقال النبى ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة ـ أو: شطر أهل الجنة ـ وتقاسمونهم النصف الثانى».

ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد، بياع الملاء، عن أبيه، عن أبى هريرة فذكره[1]. وقد روى من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار: حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عروة بن رويم، عن جابر بن عبد الله، عن النبى ﷺ: لما نزلت: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، ذكر فيها ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، قال عمر: يا رسول الله، ثلة من الأولين وقليل منا؟ قال: فأمسك آخر السورة سنة، ثم نزل: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِين. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، تعال فاسمع ما قد أنزل الله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِين. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾، ألا وإن من آدم إلىَّ ثلة، وأمتى ثلة، ولن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل، ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

هكذا أورده فى ترجمة «عروة بن رويم»[2]، إسنادا ومتنا، ولكن فى إسناده نظر. وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» الحديث بتمامه[3]، وهو مفرد فى «صفة الجنة» ولله الحمد والمنة. وهذا الذى اختاره ابن جرير هاهنا، فيه نظر، بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هى خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون فى غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم. فالقول الثانى فى هذا المقام، هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِين﴾ أى: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ أى: من هذه الأمة.

قال ابن أبى حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا عبد الله بن بكر[4] المزنى، سمعت الحسن: أتى على هذه الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون﴾، فقال: أما السابقون، فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين.

ثم قال: حدثنا أبى، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السُّرِّى بن يحيى قال: قرأ الحسن: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِين﴾ ثلة ممن مضى من هذه الأمة.

---

(١) المسند (٢/ ٣٩١).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ق ٢٧٩) «مصورة معهد المخطوطات».

(٣) منها حديث عمران بن حصين، أخرجه الترمذى فى السنن برقم (٣١٦٨) وحديث عبد الله بن مسعود، أخرجه أحمد فى المسند (١/ ٤٢٠).

(٤) فى أ: «بكير»، وفى م: «أبى بكر».

وحدثنا أبى، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المِنْقَرى، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين، أنه قال فى هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ قال: كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر[١] جميع الأمم كل أمة بحسبها؛ ولهذا ثبت فى الصحاح وغيرها، من غير وجه، أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٢] الحديث بتمامه.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زياد أبو عمر، عن الحسن، عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل أمتى مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره»[٣]، فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة فى إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به فى أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذى يحتاج[٤] إلى المطر الأول وإلى المطر الثانى، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت فى الأرض، ولا تعلق أساسه فيها؛ ولهذا قال، عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة». وفى لفظ: «حتى يأتى أمر الله وهم كذلك». والغرض: أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ لشرف دينها، وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن فى هذه الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. وفى لفظ: «مع كل ألف سبعون ألفا». وفى آخر[٥]: «مع كل واحد سبعون ألفا».

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا هشام[٦] بن مرثد[٧] الطبرانى، حدثنا محمد ـ هو ابن إسماعيل بن عياش ـ حدثنى أبى، حدثنى ضَمْضَم ـ يعنى ابن زُرْعَة ـ عن شريح ـ هو ابن عبيد ـ عن أبى مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذى نفسى بيده، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء، عليهم السلام»[٨].

وحسن أن يذكر هاهنا [عند قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾][٩] الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى «دلائل النبوة» حيث قال: أخبرنا أبو نصر ابن قتادة، أخبرنا أبو عمرو ابن مطر، حدثنا جعفر ـ [هو][١٠] ابن محمد بن المستفاض الفريابى ـ حدثنى أبو وهب الوليد بن عبد

---

(١) فى م: «الأمة».
(٢) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٦٥١) من حديث عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه.
(٣) المسند (٤/٣١٩).
(٤) فى م: «هو محتاج». (٥) فى أ: «آخره». (٦) فى أ: «هاشم».
(٧) فى هـ وبقية النسخ: «يزيد» والتصويب من المعجم الكبير.
(٨) المعجم الكبير (٣/٢٩٧) وفى إسناده محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف لم يسمع من أبيه.
(٩) زيادة من أ. (١٠) زيادة من م.

الملك بن عبيد الله[(١)] بن مُسَرِّح الحرَّانى، حدثنا سليمان بن عطاء القرشى الحرانى، عن مسلمة[(٢)] ابن عبد الله الجهنى، عن عمه أبى مَشْجعة بن رِبْعِى، عن ابن زِمْل الجهنى، رضى الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح قال، وهو ثان رجله: «سبحان الله وبحمده. أستغفر الله، إن الله كان توابا» سبعين مرة، ثم يقول: «سبعين بسبعمائة، لا خير لمن كانت ذنوبه فى يوم واحد أكثر من سبعمائة». ثم يقول ذلك مرتين، ثم يستقبل الناس بوجهه، وكان يعجبه الرؤيا، ثم يقول: «هل رأى أحد منكم شيئا؟» قال ابن زمل: فقلت: أنا يا رسول الله. فقال: «خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين. اقصص رؤياك». فقلت: رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لا حب، والناس على الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك، إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم تر عينى مثله، يرف رفيفا، يقطر ماؤه، فيه من أنواع الكلأ، قال: وكأنى بالرعلة[(٣)] الأولى حين أشفوا على المرج كبروا، ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق، فلم يظلموه يمينا ولا شمالا. قال: فكأنى أنظر إليهم منطلقين. ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا، فلما أشفوا على المرج كبروا، ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث. ومضوا على ذلك. قال: ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا: (هذا خير المنزل). كأنى أنظر إليهم يميلون يمينا وشمالا، فلما رأيت ذلك، لزمت الطريق حتى آتى أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت فى أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل أقنى، إذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا، وإذا عن يسارك رجل ربعة باذ[(٤)] كثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره بالماء، إذا هو تكلم، أصغيتم إكراما له. وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها، كلكم تؤمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها. قال: فامتقع لون رسول الله ﷺ ساعة ثم سرى عنه، وقال رسول الله ﷺ: «أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللا حب، فذاك ما حملتم[(٥)] عليه من الهدى وأنتم عليه. وأما المرج الذى رأيت، فالدنيا[(٦)] مضيت أنا وأصحابى لم نتعلق منها بشىء، ولم تتعلق منا، ولم نردها ولم تردنا. ثم جاءت[(٧)] الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافا، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث، ونجوا[(٨)] على ذلك. ثم جاء عظم الناس، فمالوا فى المرج يمينا وشمالا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما أنت، فمضيت على طريقة صالحة، فلن تزال عليها حتى تلقانى. وأما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات وأنا فى أعلاها درجة، فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا فى آخرها ألفا. وأما الرجل الذى رأيت على يمينى الآدم الشثل، فذاك موسى، عليه السلام، إذا تكلم، يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه. والذى رأيت عن يسارى الباز الربعة الكثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعرة بالماء، فذاك عيسى ابن مريم، نكرمه لإكرام الله إياه. وأما الشيخ الذى رأيت أشبه الناس بى خلقا ووجها فذاك أبونا إبراهيم، كلنا نؤمه

---

(١) فى م، أ: «عبد الله». (٢) فى م، أ: «مسلم». (٣) فى أ: «وكانوا بالرعلة».
(٤) فى م: «بار». (٥) فى أ: «حملتكم». (٦) فى م، أ: «فالدنيا ونضارة عيشها».
(٧) فى م: «ثم كانت». (٨) فى م: «ثم نجوا».

ونقتدى به. وأما الناقة التى رأيت ورأيتنى أبعثها، فهى الساعة، علينا تقوم، لا نبى بعدى، ولا أمة بعد أمتى». قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجىء الرجل، فيحدثه بها متبرعا(١).

وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: قال ابن عباس: أى مرمولة بالذهب، يعنى: منسوجة به. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، وغيره.

وقال السدى: مرمولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مشبكة بالدر والياقوت. وقال ابن جرير: ومنه سمى وضين الناقة الذى تحت بطنها، وهو فعيل بمعنى مفعول؛ لأنه مضفور، وكذلك السرر فى الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ.

وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ أى: وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أى: مخلدون على صفة واحدة، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، أما الأكواب، فهى: الكيزان التى لا خراطيم لها ولا آذان. والأباريق: التى جمعت الوصفين. والكؤوس: الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة.

وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أى: لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة.

وروى الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: فى الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقىء والبول. فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال.

وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطية، وقتادة، والسدى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ يقول: ليس لهم فيها صداع رأس.

وقالوا فى قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أى: لا تذهب بعقولهم.

وقوله: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أى: ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار.

وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها، ويدل على ذلك حديث «عِكْرَاش ابن ذؤيب» الذى رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى، رحمه الله، فى مسنده: حدثنا العباس بن الوليد النَّرْسِى، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى سوية، حدثنا عبيد الله بن عِكْرَاش، عن أبيه عِكْرَاش بن ذؤيب، قال: بعثنى بنو مرة فى صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار، وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى، قال: «من الرجل؟»

---

(١) دلائل النبوة (٧/ ٣٦) وفى إسناده سليمان بن عطاء بن قيس، قال ابن حبان فى المجروحين (١/ ٣٢٩): «شيخ يروى عن مسلمة ابن عبد الله الجهنى، عن عمه أبى مشجعة بن ربعى بأشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات، فلست أدرى التخليط فيها منه أو من مسلمة بن عبد الله».

قلت: عِكْراش بن ذؤيب. قال: «ارفع فى النسب»، فانتسبت له إلى «مرة بن عبيد»، وهذه صدقة «مرة بن عبيد». فتبسم رسول الله ﷺ. قال: هذه إبل قومى، هذه صدقات قومى. ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم إليها. ثم أخذ بيدى فانطلقنا إلى منزل أم سلمة، فقال: «هل من طعام؟» فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر، فجعل يأكل منها، فأقبلت أخبط بيدى فى جوانبها، فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدى اليمنى، فقال: «يا عِكْراش، كل من موضع واحد، فإنه طعام واحد». ثم أتينا بطبق فيه تمر، أو رطب ـ شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا ـ فجعلت آكل من بين يدى، وجالت يد رسول الله ﷺ فى الطبق، وقال: «يا عكراش، كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد». ثم أتينا بماء، فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح بِبَلَلِ كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا، ثم قال: «يا عِكْراش، هذا الوضوء مما غيرت النار».

وهكذا رواه الترمذى مطولا وابن ماجه جميعا، عن محمد بن بشار، عن أبى الهذيل العلاء بن الفضل، به[(١)]. وقال الترمذى: غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز بن أسد وعفان ـ وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا شيبان ـ قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت، قال: قال أنس: كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثنى عليه معروف، كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله، رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة فسمعت وَجبَة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسَمَّتْ اثنى عشر رجلا، كان النبى ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك، فجىء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ ـ أو: البيذخ ـ قال: فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بسره ما شاؤوا، فما يقبلونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية، فقال: كان[(٢)] من أمرنا[(٣)] كذا وكذا، وأصيب[(٤)] فلان وفلان. حتى عد اثنى عشر رجلا، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال: «قصى رؤياك». فقصتها، وجعلت تقول: فجىء بفلان وفلان كما قال.

هذا لفظ أبى يعلى، قال الحافظ الضياء: وهذا على شرط مسلم[(٥)].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا على بن المدينى، حدثنا ريحان ابن سعيد، عن عباد بن منصور، عن أيوب، عن أبى قِلابة، عن أبى أسماء، عن ثوبان، قال: قال

(١) سنن الترمذى برقم (١٨٤٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣٢٧٤) وعبيد الله بن عكراش تكلم فيه، وتكلم فى حديثه هذا. قال البخارى: «لا يثبت حديثه» ونقل العقيلى عنه أنه قال: «فى إسناده نظر».

(٢) فى م، أ: «فقال: ما كان».

(٣) فى م، أ: «رؤيا».

(٤) فى م، أ: «فأصيب».

(٥) المسند للإمام أحمد (٣/ ١٣٥) ومسند أبى يعلى برقم (٣٢٨٩) (٦/ ٤٤) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٧٥): «رجاله رجال الصحيح».

رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة فى الجنة، عادت مكانها أخرى»[١].

وقوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، قال الإمام أحمد:

حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البخت، يرعى[٢] فى شجر الجنة». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: «أكلتها[٣] أنعم منها ـ قالها ثلاثا ـ وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها». تفرد به أحمد من هذا الوجه[٤].

وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسى فى كتابه «صفة الجنة» من حديث إسماعيل بن على الخُطَبىّ، عن أحمد بن على الخُيُوطى، عن عبد الجبار بن عاصم، عن عبد الله بن زياد، عن زُرْعَة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ذكرت عند النبى ﷺ طوبى، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، هل بلغك ما طوبى؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «طوبى شجرة فى الجنة، ما يعلم طولها إلا الله، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا، ورقها الحلل، يقع عليها الطير كأمثال البخت». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هناك لطيرا ناعما؟ قال: «أنعم منه من يأكله، وأنت منهم إن شاء الله»[٥].

وقال قتادة فى قوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: ذكر لنا أن أبا بكر قال: يا رسول الله، إنى أرى طيرها ناعمة كما أهلها ناعمون. قال: «من يأكلها ـ والله يا أبا بكر[٦]ـ أنعم منها، وإنها لأمثال البخت، وإنى لأحتسب على الله أن تأكل منها[٧] يا أبا بكر»[٨].

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا: حدثنى مجاهد بن موسى، حدثنا مَعْنُ بن عيسى، حدثنى ابن أخى ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال: «نهر أعطانيه ربى، عز وجل، فى الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعنى كأعناق الجزر». فقال عمر: إنها لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «آكلها أنعم منها».

وكذا رواه الترمذى عن عبد[٩] بن حميد، عن القَعْنَبِى، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس وقال: حسن[١٠].

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا على بن محمد الطَّنَافِسى، حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله[١١] بن الوليد الوَصَّافى، عن عطية العوفى، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) المعجم الكبير (٢/ ١٠٢) وفى إسناده عباد متكلم فيه.
(٢) فى م: «ترعى». (٣) فى م، أ: «أكلها».
(٤) المسند (٣/ ٢٢١).
(٥) ورواه ابن مردويه فى تفسيره كما فى الدر المنثور (٤/ ٦٤٩).
(٦) فى م: «يا أبا بكر والله». (٧) فى م: «أن آكل منها».
(٨) وهذا مرسل، وقد روى من طريق الحسن مرسلا أيضا، أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٢/ ١٣).
(٩) فى م: «عبيد» وهو خطأ.
(١٠) سنن الترمذى برقم (٢٥٤٢) وقال فيه: «حسن غريب».
(١١) فى أ: «عبد الله».

«إن فى الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض، فيخرج من كل ريشة ـ يعنى: لونا ـ أبيض من اللبن، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس منها لون يشبه صاحبه(١) ثم يطير»(٢).

هذا حديث غريب جدا، والوَصَّافى وشيخه ضعيفان. ثم قال ابن أبى حاتم:

حدثنا أبى، حدثنا عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث ـ حدثنى الليث، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن أبى حازم، عن عطاء، عن كعب، قال: إن طائر الجنة أمثال البخت، يأكل(٣) مما خلق من ثمرات الجنة، ويشرب(٤) من أنهار الجنة، فيصطففن له، فإذا اشتهى منها شيئا أتاه حتى يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شىء. صحيح إلى كعب.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا»(٥).

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾: قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حور عين. وقراءة الجر تحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله؛ لقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ﴾، كما قال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكما قال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. والاحتمال الثانى: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك فى القصور، لا بين بعضهم بعضا، بل فى الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم.

وقوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أى: كأنهن اللؤلؤ الرطب فى بياضه وصفائه، كما تقدم فى «سورة الصافات» ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] وقد تقدم فى سورة «الرحمن» وصفهن أيضا؛ ولهذا قال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أى: هذا الذى أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

ثم قال: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا. إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾ أى: لا يسمعون فى الجنة كلاما لاغيا، أى: غثا(٦) خاليا عن المعنى، أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف، كما قال: ﴿لا تَسْمَعُ

---

(١) فى أ: «الآخر».

(٢) ورواه هناد فى الزهد برقم (١١٩) حدثنا أبو معاوية به.

(٣) فى م: «يأكلن».

(٤) فى م: «يشربن».

(٥) جزء الحسن بن عرفة برقم (٢٢) وحميد الأعرج منكر الحديث.

(٦) فى م: «عبثا».

فيها لاغية ﴾ [الغاشية: ١١] أى : كلمة لاغية ﴿ ولا تأثيما ﴾ أى : ولا كلاماً فيه قبح [(١)] ، ﴿ إلا قيلاً سلاما سلاما ﴾ أى : إلا التسليم منهم بعضهم على بعض ، كما قال : ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والإثم .

﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩) وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١) وفاكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤) إنا أنشأناهن إنشاء (٣٥) فجعلناهن أبكارا (٣٦) عربا أترابا (٣٧) لأصحاب اليمين (٣٨) ثلة من الأولين (٣٩) وثلة من الآخرين (٤٠) ﴾ .

لما ذكر تعالى مآل السابقين ـ وهم المقربون ـ عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين ـ وهم الأبرار ـ كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين ، فقال : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ أى : أى شيء أصحاب اليمين ؟ وما حالهم ؟ وكيف مآلهم [(٢)] ؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿ في سدر مخضود ﴾ . قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وأبو الأحوص ، وقسامة بن زهير ، والسفر بن نسير ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن كثير ، والسدى ، وأبو حزرة ، وغيرهم: هو الذى لا شوك فيه . وعن ابن عباس : هو الموقر بالثمر . وهو رواية عن عكرمة ، ومجاهد . وكذا قال قتادة أيضا : كنا نحدث أنه الموقر الذى لا شوك فيه .

والظاهر أن المراد هذا وهذا ؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفى الآخرة على عكس من هذا ، لا شوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله ، كما قال الحافظ أبو بكر بن سلمان النجاد .

حدثنا محمد [(٣)] بن محمد هو البغوى ، حدثنى حمزة بن عباس [(٤)] ، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ قال : أقبل أعرابى يوماً فقال : يا رسول الله، ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ فقال رسول الله ﷺ: « وما هى ؟ » . قال :السدر ، فإن له شوكاً موذياً ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس الله يقول : ﴿ فى سدر مخضود ﴾ ، خضد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين [(٥)] وسبعين لوناً من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر » [(٦)] .

طريق أخرى : قال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا محمد بن المصفى ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى ثور بن يزيد ، حدثنى حبيب بن عبيد ، عن عتبة بن عبد السلمى

(١) فى م : « قبيحاً » . (٢) فى أ : « وكيف حالهم » . (٣) فى أ : « وحدثنا عبد الله » .
(٤) فى م ، أ : « بن العباس » . (٥) فى أ : « عن مائتى » .
(٦) ورواه الحاكم فى المستدرك (٢ / ٤٧٦) من طريق الربيع ، عن بشر بن بكر ، عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر ، عن أبى أمامة قال : كان أصحاب رسول الله ، فذكر مثله ،وقال الحاكم: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ ، فجاء أعرابى فقال : يا رسول الله ، أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها ؟ يعنى : الطلح ، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصْوَة التيس الملبود ، فيها سبعون لوناً من الطعام ،لا يشبه لون آخر» (١) .

وقوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ : الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العضَاه ، واحدته طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة (٢) :

بَشَّرَها دَليلها وقالا : غَداً تَرينَ الطَّلحَ والجبَالا

قال مجاهد : ﴿ مَنضُودٍ ﴾ أى : متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشاً ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ، وظلاله من طلح وسدر .

وقال السدى: ﴿مَنضُودٍ﴾ : مصفوف . قال ابن عباس : يشبه طلح الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من العسل .

قال الجوهرى : والطلح لغة فى الطلع .

قلت : وقد روى ابن أبى حاتم من حديث الحسن بن سعد ، عن شيخ من همدان قال : سمعت علياً يقول : هذا الحرف فى ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ قال : طلع منضود ، فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر ، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذى لا شوك له ، وأن طلعه منضود ، وهو كثرة ثمره ، والله أعلم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن إدريس ، عن جعفر بن إياس،عن أبى نضرة ،عن أبى سعيد :﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال :الموز .قال:وروى عن ابن عباس،وأبى هريرة،والحسن ، وعكرمة ، وقسامة بن زهير ،وقتادة ، وأبى حَزْرَة ، مثل ذلك ، وبه قال مجاهد، وابن زيد ـ وزاد فقال : أهل اليمن يسمون الموز الطلح .ولم يحك ابن جرير غير هذا القول (٣) .

وقوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ : قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ـ يبلُغُ به النبى ﷺ ـ قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » .

ورواه مسلم من حديث الأعرج ، به (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيج ، حدثنا فُلَيح ، عن هلال بن على ، عن عبد الرحمن بن أبى عَمْرة ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » .

---

(١) البعث لابن أبى داود برقم (٦٩) ورواه الطبرانى فى مسند الشاميين برقم (٤٩٢) وعنه أبو نعيم فى الحلية (٦ / ١٠٣) عن أبى زرعة ، عن أبى مسهر ، عن يحيى بن حمزة به ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٤١٤) : « رجاله رجال الصحيح ».

(٢ ، ٣) تفسير الطبرى (٢٧ / ١٠٤) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٨٨١) وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٦) .

وكذا رواه البخارى ، عن محمد بن سنان [١] ، عن فليح ، به [٢] ، وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة [٣] . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة [٤] ، والليث بن سعد ، عن سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة [٥] ، وعوف ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة [به] [٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين ، أو مائة سنة ، هى شجرة الخلد » [٧] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله قال : « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ » .

إسناد جيد،ولم يخرجوه [٨] . وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبى كريب ، عن عبدة وعبد الرحيم، عن محمد بن عمرو ، به. وقد رواه الترمذى، من حديث عبد الرحيم بن سليمان،به [٩] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد ـ مولى بنى مخزوم ـ عن أبى هريرة قال : إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ . فبلغ ذلك كعباً فقال : صدق ، والذى أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد ، لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ، ثم دار حول [١٠] تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً ، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة ، وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة [١١] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا محمد بن منهال الضرير ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ،عن أنس، عن النبى ﷺ فى قول الله عز وجل: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾، قال : « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » .

وكذا رواه البخارى ، عن روح بن عبد المؤمن ، عن يزيد بن زريع [١٢] ، وهكذا رواه أبو داود

(١) فى هـ : « محمد بن شيبان » والمثبت من م ، أ ، وصحيح البخارى .
(٢) المسند (٢/ ٤٨٢) وصحيح البخارى برقم (٣٢٥٢) .
(٣) المصنف لعبد الرزاق برقم (٢٠٨٧٧) .
(٤) رواه أحمد فى المسند (٢/ ٤٦٩) .
(٥) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٨٢٦) .
(٦) زيادة من م .
(٧) المسند (٢/ ٤٤٥) .
(٨) رواه ابن ماجة فى السنن برقم (٤٣٣٥) من طريق عبد الرحمن بن عثمان ، عن محمد بن عمرو ، به مثله .
(٩) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٥) وسنن الترمذى برقم (٣٢٩٢) .
(١٠) فى م : « باعلى » ، وفى أ : « باصل » .
(١١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٥) .
(١٢) صحيح البخارى برقم (٣٢٥١) .

الطيالسى ، عن عمران بن داوَر القطان ، عن قتادة ، به . وكذا رواه مَعْمَر ، وأبو هلال ، عن قتادة، به . وقد أخرج البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد وسهل بن سعد ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المُضمَّر السريع مائة عام ما يقطعها »[١] .

فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حُصَين قال : كنا على باب فى موضع ، ومعنا أبو صالح وشقيق ـ يعنى: الضبى ـ فحدث أبو صالح قال : حدثنى أبو هُرَيرة قال : إن فى الجنة شجرةً يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما . قال أبو صالح : أتكَذِّب أبا هريرة ؟ قال : ما أكذّب أبا هريرة ، ولكنى أكذِّبك أنت . فشق ذلك على القراء يومئذ[٢] .

قلت : فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعه إلى رسول الله ﷺ .

وقال الترمذى : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا زياد بن الحسن بن الفُرَات القَزَّاز ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبى حازم ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » . ثم قال : حسن غريب[٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن أبى الربيع ، حدثنا أبو عامر العَقَدى ، عن زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وَهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق ظلها ، قدر ما يسير الراكب فى نواحيها مائة عام . قال : فيخرج إليها أهل الجنة ؛ أهل الغرف وغيرهم ، فيتحدثون فى ظلها . قال : فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا .

هذا أثر غريب ، وإسناده جيد قَوىّ حسن .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن[٤] يمان ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون فى قوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ قال : سبعون ألف سنة . وكذا رواه ابن جرير عن بُنْدَار ، عن ابن مهدى ، عن سفيان ، مثله . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ قال : خمسمائة ألف سنة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ،حدثنا أبو الوليد الطيالسى ، حدثنا حُصَيْن بن نافع ، عن الحسن فى قول الله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ قال : فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٦٥٥٢ ، ٦٥٥٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٧ ، ٢٨٢٨).
(٢) تفسير الطبرى (٢٧/١٠٦) .
(٣) سنن الترمذى برقم (٢٥٢٥) .
(٤) فى أ : « حدثنا أبو » .

وقال عوف ، عن الحسن : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » . رواه ابن جرير [1] .

وقال شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : فى الجنة شَجَر لا يحمل ، يُستظَلُّ به . رواه ابن أبى حاتم .

وقال الضحاك ، والسدى ، وأبو حَزْرَةَ فى قوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ : لا ينقطع ، ليس فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الفجر .

وقال ابن مسعود : الجنة سَجْسَج ، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وقد تقدمت الآيات كقوله : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ [النساء:٥٧] ، وقوله : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد :٣٥] ،وقوله :﴿ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات:٤١] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ قال الثورى : [يعنى] [2] يجرى فى غير أخدود .

وقد تقدم الكلام عند [3] تفسير قوله تعالى : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ الآية [محمد:١٥] ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أى : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة فى الألوان ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة:٢٥] أى : يشبه الشكلُ الشكلَ ، ولكن الطعم غيرُ الطعم . وفى الصحيحين فى ذكر سدرة المنتهى قال : « فإذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلالَ هجر » [4].

وفيهما أيضاً ،من حديث مالك ، عن زيد ، عن عطاء بن يَسَار ، عن ابن عباس قال : خُسِفَت الشمس ،فصلى رسولُ الله ﷺ والناس معه ، فذكر الصلاة . وفيه : قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك هذا ، ثم رأيناك تكعكعت [5] . قال : « إنى رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا » [6] .

وقال الحافظ أبو يعلى :حدثنا أبو خَيْثَمة ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا ابن [7] عقيل ، عن جابر قال : بينا نحن فى صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبىّ بن كعب : يا رسول الله ، صنعتَ اليومَ

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠٥) .

(٢) زيادة من م،أ . (٣) فى م ،أ : « على » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٣٢٠٧) وصحيح مسلم برقم (١٦٢) من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٥) فى أ :« تكفكفت » .

(٦) صحيح البخارى برقم (١٠٥٢) وصحيح مسلم برقم (٩٠٧) .

(٧) فى م ، أ : «حدثنا أبو » .

فى الصلاة شيئاً ما كنت تصنعه ؟ قال : « إنه عُرِضَتْ علَيَّ الجنة ، وما فيها من الزَّهْرَة والنُّضْرَة ، فتناولت منها قِطفاً من عنب لآتيكم به ، فحِيلَ بينى وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه » (١) .

وروى مسلم ، من حديث أبى الزبير ، عن جابر ، نحوه (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا مَعْمَر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن عامر بن زيد البكَالى : أنه سمع عُتبةَ بن عَبْد السلمى يقول : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال (٣) الأعرابى : فيها فاكهة ؟ قال : «نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى » ، فذكر شيئاً لا أدرى ما هو ، قال : أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : « ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك » . فقال النبى ﷺ : « أتيتَ الشام ؟ » قال : لا . قال : « تشبه شجرة بالشام تدعى الجَوزة ، تنبت على ساق واحد ، وينفرش أعلاها » . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : «لو ارتحلت جَذَعَة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً » . قال : فيها عنب ؟ قال: « نعم » . قال : فما عظم العنقود ؟ قال : « مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتر » . قال : فما عظَم الحَبَّة ؟ قال : « هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً ؟ » قال : نعم . قال : « فسلخ إهابه فأعطاه أمك ، فقال : اتخذى لنا منه دلواً ؟ » . قال : نعم . قال الأعرابى : فإن تلك الحبة لتشبعنى وأهل بيتى ؟ قال : « نعم وعامَّة عشيرتك » (٤) .

وقوله : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أى : لا تنقطع شتاء ولا صيفاً ، بل أكلها دائم مستمر أبدا ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شىء .

قال قتادة : لا يمنعهم من تناولها عودٌ ولا شوكٌ ولا بُعدٌ . وقد تقدم فى الحديث : « إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى » .

وقوله : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أى: عالية وطيئة ناعمة .

قال النسائى وأبو عيسى الترمذى : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا رِشْدِين بن سعد ، عن عَمرو بن الحارث ، عن دَرَّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : « ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام » (٥) .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه ، إلا من حديث رشدين بن سعد . قال : وقال بعض أهل العلم : معنى هذا الحديث : ارتفاع الفرش فى الدرجات ، وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض .

---

(١) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية :٣٥ من سورة الرعد.

(٢) تقدم الحديث فى الموضع السابق .

(٣) فى م : « فقال » .

(٤) المسند (٤/ ١٨٤) .

(٥) سنن الترمذى برقم (٢٥٤٠) ووقع فيه :« هذا حديث غريب لا نعرفه »ليس فيه : « حسن » وكذا وقع فى تحفة الأشراف .

هكذا قال : إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد ، وهو المصرى ، وهو ضعيف . وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير ، عن أبى كُرَيْب ، عن رشدين (١) . ثم رواه هو وابن أبى حاتم ، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، فذكره . وكذا رواه ابن أبى حاتم أيضاً عن نُعَيم بن حماد ، عن ابن وهب . وأخرجه الضياء فى صفة الجنة من حديث حرملة، عن ابن وهب ، به مثله . ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى ، عن ابن لَهِيعة ، حدثنا دراج ، فذكره (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية، عن جُوَيبر ، عن أبى سهل ـ يعنى : كثير بن زياد ـ عن الحسن : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال : ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ : جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق ، وهو ذكر الفرش ، على النساء اللاتى يضاجعن فيها ، اكتفى بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن ، كما فى قوله : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص:٣١ ، ٣٢] يعنى : الشمس ، على المشهور من قول المفسرين .

قال الأخفش فى قوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ : أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك . وقال أبو عبيدة : ذكرن فى قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢٢ ، ٢٣] .

فقوله : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ أى : أعدناهن فى النشأة الآخرة بعدما كُنّ عجائز(٣) رُمْصاً ، صرن أبكاراً عرباً ، أى : بعد الثّيوبة عدن أبكاراً عُرُباً ، أى : متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة .

وقال بعضهم : ﴿ عُرُبًا﴾ أى : غَنِجات .

قال موسى بن عُبَيدة الرّبَذىّ ، عن يزيد الرّقاشى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ ، قال : « نساء عجائز كُنّ فى الدنيا عُمْشاً رُمْصاً » . رواه الترمذى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم . ثم قال الترمذى : غريب ، وموسى ويزيد ضعيفا (٤) (٥) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصى ، حدثنا آدم ـ يعنى : ابن أبى إياس ـ حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن يزيد بن مُرّة ، عن سلمة بن يزيد قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول فى قوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ يعنى : « الثيب والأبكار اللاتى كُنّ فى الدنيا » (٦) .

(١) تفسير الطبرى (٢٧/١٠٦) .
(٢) المسند (٣/٧٥) .
(٣) فى أ : « ماكن عجاف » . (٤) فى أ : « ضعيفان » .
(٥) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٦) وتفسير الطبرى (٢٧/١٠٧) .
(٦) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٧/ ٤٠) وأبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٣٨٩) من طريق شيبان به ، وجابر بن يزيد ضعيف .

وقال عبد بن حُمَيد : حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أتت عجوز فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلنى الجنة . فقال : « يا أم فلان ، إن الجنة لا تدخلها عجوز » . قال : فَوَلَّتْ تبكى ، قال : « أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ » .

وهكذا رواه الترمذى فى الشمائل ، عن عبد بن حميد [١] .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا بكر بن سهل الدمياطى ، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتى ، حدثنا سليمان بن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن قول الله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة:٢٢]، قال : «حور :بيض، عين : ضخام العيون ، شُفْر الحوراء بمنزلة جناح النسر » . قلت : أخبرنى عن قوله ﴿ كَأَمْثَالِ [٢] اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٣] ،قال:« صفاؤهن صفاءُ الدر الذى فى الأصداف ، الذى لم تَمَسّه الأيدى ». قلت : أخبرنى عن قوله : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠] . قال : « خَيّرات الأخلاق ، حسان الوجوه » . قلت : أخبرنى عن قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات:٤٩] ، قال : «رقتهن كرقة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلى القشر ، وهو : الغِرْقىءُ » . قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن قوله :﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال:«هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رُمْصاً شُمطاً ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى عُرُباً متعشقات متحببات ، أترابا على ميلاد واحد». قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظّهارة على البطانة » . قلت : يا رسول الله ، وبم ذاك ؟ قال : « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ، عز وجل ، ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان، خضر الثياب ، صفر الحلى ، مَجَامِرُهن الدُّرّ ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، طوبى لمن كُنَّا له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال : « يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقاً ، فتقول : يا رب ، إن هذا كان أحسن خلقاً معى فزوجنيه، يا أم سلمة[٣] ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » [٤] .

وفى حديث الصور الطويل المشهور [٥] : أن رسول الله ﷺ يشفع للمؤمنين كلهم فى دخول الجنة فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم فى دخلوها . فكان رسول الله ﷺ يقول : « والذى بعثنى بالحق ، ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ،

---

(١) الشمائل المحمدية للترمذى برقم (٢٣٠) .
(٢) فى أ : « كأنهن» وهو خطأ .
(٣) فى أ :« يا أم سليم» .
(٤) المعجم الكبير (٢٣/٣٦٨) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١١٩) : « فيه إسماعيل بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدى » .
(٥) حديث الصور مضى عند تفسير الآية :٧٣ من سورة الأنعام .

فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله ، وثنتين من ولد [١] آدم ، لهما فضل على من أنشأ الله ، بعبادتهما الله فى الدنيا ، يدخل على الأولى منهما فى غرفة من ياقوتة ، على سرير من ذهب مُكَلَّل باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجاً من سُنْدُس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة ــ يعنى : وكبدها له مرآة ــ فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذَكَره ولا تشتكى قُبُلها إلا أنه لا منى ولا مَنيَّة ، فبينما هو كذلك إذ نودى : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أن لك أزواجاً غيرها ، فيخرج ، فيأتيهن واحدة واحدة [٢] ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما فى الجنة شىء أحسن منك ، وما فى الجنة شىء أحب إلىّ منك » .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن ابن حُجَيرة [٣] ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال له : أنَطأ فى الجنة ؟ قال : « نعم والذى نفسى بيده ، دَحْماً، دحماً ، فإذا قام عنها رَجَعت مُطهَّرة بكراً » [٤] .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادى ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيق الواسطى ، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطى ، حدثنا شريك ، عن عاصم الأحول ، عن أبى المتوكل، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً» [٥] .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى النساء » . قلت : يا رسول الله ، ويُطيق ذلك ؟ قال : « يعطى قوة مائة » .

ورواه الترمذى من حديث أبى داود وقال : صحيح غريب [٦] .

وروى أبو القاسم الطبرانى من حديث حُسين بن على الجعفى ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل إلى نسائنا فى الجنة ؟ قال : « إن الرجل ليصل فى اليوم إلى مائة عذراء » [٧] .

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى : هذا الحديث عندى على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ عُرُبًا ﴾ : قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعنى متحببات إلى أزواجهن ، ألم تر إلى الناقة الضبعة ، هى كذلك .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : العُرُب : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لهن عاشقون . وكذا قال عبد الله بن سَرْجس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، ويحيى بن أبى كثير ، وعطية ،

---

(١) فى م : «من ابن» . (٢) فى م : « واحدة بعد واحدة » . (٣) فى أ : « عن ابن حجرة » .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه برقم (٢٦٣٣) « موارد » وأبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٣٩٣) من طريق ابن وهب به ، ودراج متكلم فيه .

(٥) المعجم الصغير (١/ ٩١) وفيه معلى بن عبد الرحمن وهو كذاب .

(٦) مسند الطيالسى برقم (٢٠١٢) وسنن الترمذى برقم (٢٥٣٦) .

(٧) المعجم الصغير (٢/ ١٢، ١٣) .

والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال ثور بن زيد ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ عُرُبًا ﴾ قال : هى الملِقَةُ لزوجها .

وقال شعبة ، عن سِمَاك ، عن عكرمة : هى الغَنِجة .

وقال الأجلح بن عبد الله ، عن عكرمة : هى الشَّكِلة .

وقال صالح [١] بن حيّان ، عن عبد الله بن بريدة فى قوله : ﴿ عُرُبًا ﴾ قال : الشكلة بلغة أهل مكة ، والغنجة [٢] بلغة أهل المدينة .

وقال تميم بن حذلم : هى حسن التَّبَعل .

وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : العُرُب : حسنات الكلام .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر عن سهل بن عثمان العسكري : حدثنا أبو على ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ عُرُبًا﴾ قال : « كلامهن عربى » .

وقوله : ﴿ أَتْرَابًا﴾ : قال الضحاك ، عن ابن عباس يعنى:فى سن واحدة ،ثلاث وثلاثين سنة .

وقال مجاهد : الأتراب : المستويات . وفى رواية عنه : الأمثال . وقال عطية : الأقران . وقال السدى : ﴿أَتْرَابًا﴾ أى : فى الأخلاق المتواخيات بينهن ، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد ، يعنى : لا كما كن ضرائر [فى الدنيا] [٣] ضرائر متعاديات .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن الكهف ، عن الحسن ومحمد : ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قالا : المستويات الأسنان ، يأتلفن جميعاً ، ويلعبن جميعاً .

وقد روى أبو عيسى الترمذى ، عن أحمد بن منيع ، عن أبى معاوية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن على ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين ، يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن [٤] : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكُنّا له » . ثم قال : هذا حديث غريب [٥] .

وقال الحافظ أبو[٦] يعلى : حدثنا أبو خَيْثَمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن فلان بن عبد الله بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الحور العين ليغنين [٧] فى الجنة ، يقلن : نحن خيِّرات حسان ، خبئنا لأزواج كرام » [٨] .

---

(١) فى أ : « أبو صالح » . (٢) فى م : « والمفتوجة » . (٣) زيادة من م . (٤) فى م ، أ : « قال : قلن » .
(٥) سنن الترمذى برقم (٢٥٦٤) .
(٦) فى هـ : « ابن » ، والصواب ما أثبتناه من م، أ . (٧) فى م : « ليتغنين » .
(٨) ذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية (٤/٤٠٢) وعزاه لأبى يعلى ، ونقل المحقق قول البصيرى : « رواره أبو يعلى وفيه راوٍ لم يسم » . ورواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة برقم (٢٥٤): حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن ابن عبد الله بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس بن مالك به .

قلت : إسماعيل بن عُمَر هذا هو أبو المنذر الواسطى أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحَيْم ، عن ابن أبى فُدَيْك ، عن ابن أبى ذئب ، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع ، عن ابن لأنس ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الحور العين يغنين فى الجنة : نحن الجوار الحسان ، خلقنا لأزواج كرام » (١) .

وقوله : ﴿ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى: خلقنا لأصحاب اليمين ، أو : ادخرن لأصحاب اليمين ، أو: زوجن لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ، فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير (٢) .

رُوى عن سليمان الدّارانى ـ رحمه الله ـ قال : صليتُ ليلة ، ثم جلست أدعو ، وكان البردُ شديداً ، فجعلت أدعو بيد واحدة ، فأخذتنى عينى فنمت ، فرأيت حوراء لم ير مثلها وهى تقول : يا أبا سليمان ، أتدعو بيد واحدة وأنا أغذّى لك فى النعيم من خمسمائة سنة !

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ متعلقاً بما قبله ، وهو قوله : ﴿ أَتْرَابًا . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أى : فى أسنانهم . كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم ، من حديث جرير ، عن عُمَارة بن القعقاع ، عن أبى زُرْعَةَ ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دُرّىّ فى السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألُوّة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خَلْقِ رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء »(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ـ وروى الطبرانى، واللفظ له ، من حديث حماد بن سلمة ـ عن على بن زيد بن جُدْعَان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرداً مُرداً بيضاً جِعَاداً مُكَحّلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع » (٤) .

وروى الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ، عن مُعَاذ بن جَبَل ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل أهل الجنةِ الجنةَ جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين ، أو ثلاث وثلاثين سنة » . ثم قال : حسن غريب (٥) .

---

(١) ورواه أبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٤٣٢) من طريق دحيم به ، ورواه البيهقى فى البعث برقم (٤٢٠) من طريق ابن عبد الحكم ، وابن أبى داود فى البعث برقم (٧٥) عن كثير بن عبيد كلاهما عن ابن أبى فديك به نحوه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط برقم (٤٨٨٧) « مجمع البحرين» من طريق الحسن بن داود عن ابن أبى فديك ، عن ابن أبى ذئب ، عن عون بن الخطاب ، عن أنس به نحوه. قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/٢٢٦) : « رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وإسناده مقارب ، ورواه البيهقى عن ابن لأنس لم يسمه عن أنس » وأشار البخارى إلى اختلاف فيه فى التاريخ الكبير (٧/١٦) .

(٢) تفسير الطبرى (٢٧/١٠٩) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٣٢٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٤) .

(٤) المسند (٢/٢٩٥) والمعجم الأوسط برقم (٤٨٩٤) « مجمع البحرين » .

(٥) سنن الترمذى برقم (٢٥٤٥) .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو بن الحارث أنّ درّاجاً أبا السمح حَدّثه عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يُردون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » .

ورواه الترمذى عن سُوَيد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، به (١) .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنى روّاد ابن الجراح العسقلانى ، حدثنا الأوزاعى ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: « يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ على طول آدم ، ستين ذراعاً بذراع الملك ! على حُسْن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَلون » (٢) .

وقال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا : حدثنا عمر ، عن الأوزاعى ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يبعث (٣) أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثَلاثٍ وثَلاثينَ ، جُرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » (٤) .

وقوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ أى: جماعة من الأولين،وجماعة من الآخرين .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بَشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حُصَين ، عن عبد الله بن مسعود ـ قال : وكان بعضهم يأخذ عن بعض ـ قال : أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه ، فقال : « عُرِضت علىّ الأنبياء وأتباعها بأممها ، فيمر علىّ النبى ، والنبى فى العصابة ، والنبى فى الثلاثة ، والنبى ليس معه أحد ـ وتلا قتادة هذه الآية : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود:٧٨] ـ قال : حتى مَرّ علىَّ موسى ابن عمران فى كَبْكَبَة من بنى إسرائيل ، قال : « قلتُ : ربى ، من هذا ؟ . قال : هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه (٥) من بنى إسرائيل » . قال : « قلت : رب ، فأين أمتى ؟ قال : انظر عن يمينك فى الظراب(٦) » . قال : « فإذا وجوه الرجال » . قال : « قال : أرضيت ؟ » . قال : قلت :« قد رضيت ، رب » . قال : انظر إلى الأفق عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أرضيت؟ قلت : « رضيت ، رب ». قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفا ،يدخلون الجنة بغير حساب ». قال : وأنشأ عُكَّاشة بن محْصَن من بنى أسد ـ قال سعيد : وكان بَدْرياً ـ قال : يا نبى الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : فقال : « اللهم اجعله منهم ».قال : أنشأ (٧) رجل آخر، قال : يا نبى الله، ادع الله

(١) سنن الترمذى برقم (٢٥٦٢) ورواه من طريق ابن وهب، وأبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٢٥٩) .
(٢) صفة الجنة لابن أبى الدنيا برقم (٢١٥) .
(٣) فى أ : « يدخل » .
(٤) البعث لابن أبى داود برقم (٦٤) وانظر كلام المحقق الفاضل فى سماع هارون بن رئاب عن أنس .
(٥) فى م : « ومن تبعه » . (٦) فى م ،أ : « الضراب» . (٧) فى م : « ثم أنشأ » .

أن يجعلنى منهم . فقال : « سبقك بها عكاشة » . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فإن استطعتم ـ فداكم أبى وأمى ـ أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا [١] من أصحاب الظراب[٢]، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق ، فإنى قد رأيت ناساً كثيراً قد تأشّبوا حوله » [٣] . ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » . فكبرنا ، ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » . قال : فكبرنا ، قال : « إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾. قال : فقلنا بيننا : من هؤلاء السبعون ألفاً ؟ فقلنا :هم الذين ولدوا فى الإسلام ، ولم يشركوا . قال : فبلغه ذلك ، فقال: « بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » .

وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين ، عن قتادة ، به نحوه [٤] . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه فى الصحاح وغيرها .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهْرَان ، حدثنا سفيان ، عن أبان بن أبى عياش ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ قال : قال رسول الله ﷺ « هُمَا جميعاً من أمتى » [٥] .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

لما [٦] ذكر تعالى حال أصحاب اليمين ، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ أى : أى شىء هم أصحاب الشمال ؟ ثم فسَّر ذلك فقال : ﴿فِى سَمُومٍ﴾ وهو : الهواء الحار ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ وهو : الماء الحار ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ : قال ابن عباس : ظل الدخان . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسُّدِّى ، وغيرهم . وهذه كقوله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ . انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلاثِ شُعَبٍ . لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ .

---

(١) فى م :« ولا تكونوا ». (٢) فى أ : « الضراب » . (٣) فى م : « حوالهم » .
(٤) تفسير الطبرى (٢٧/١٠٩) .
(٥) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١٠) ورواه ابن عدى فى الكامل (١/ ٣٨٧) من طريق محمد بن كثير ، عن سفيان الثورى ، عن أبان بن أبى عياش به ، وقال ابن عدى :« أبان بن أبى عياش له روايات غير ما ذكرت ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه » .
(٦) فى م : « ولما » .

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات:٢٩ـ٣٤] ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ وهو الدخان الأسود ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أي : ليس طيب الهبوب ولا حَسَن المنظر ، كما قال الحسن وقتادة : ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي : ولا كريم المنظر . وقال الضحاك : كل شراب ليس بعذب فليس بكريم .

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة في النفي ، فيقولون : « هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم ، وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة » .

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أي : كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم ، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل .

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ أي : يُصَمّمون ولا ينوون توبة ﴿ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله .

قال ابن عباس : ﴿ الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ : الشرك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وقال الشعبي : هو اليمين الغموس .

وكانوا يقولون : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ؟ يعني : أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي : أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عَرَصات القيامة ، لا نغادر منهم أحداً ، كما قال : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود:١٠٣ـ ١٠٥] . ولهذا قال هاهنا : ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي : هو موقت بوقت مُحَدد ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ : وذلك أنهم يقبضون ويُسجَرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم ، حتى يملؤوا منها بطونهم ، ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ وهي الإبل العطاش ، واحدها أهيم ، والأنثى هيماء ، ويقال : هائم وهائمة .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : الهيم : الإبل العطاش الظماء .

وعن عكرمة أنه قال : الهيم : الإبل المراض ، تمص الماء مصاً ولا تَرْوَى .

وقال السدي : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تَرْوى أبداً حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً .

وعن خالد بن معدان : أنه كان يكره أن يشرب شُرْبَ الهيم عبَّة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثاً .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أى : هذا الذى وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم، كما قال فى حق المؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٧] أى : ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ .

يقول تعالى مُقرراً للمعاد [(١)] ، ورداً على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد ، من الذين قالوا : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات:١٦] ، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أى: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذى قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى ؛ فلهذا قال : ﴿ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ﴾ أى : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ أى : أنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها ، أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ أى : صرفناه بينكم .

وقال الضحاك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أى : وما نحن بعاجزين ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ أى : نغير خلقكم يوم القيامة ، ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ أى : من الصفات والأحوال .

ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾ أى : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة ـ وهى البَداءة ـ قادر على النشأة الأخرى ، وهى الإعادة بطريق الأولى والأحرى ، وكما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] ،وقال: ﴿ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم:٦٧] ، وقال: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٧ـ ٧٩] ، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ . فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ .أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ [القيامة:٣٦ـ٤٠] .

(١) فى أ : « للعباد » .

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) ﴾ .

يقول : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ، ﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ ؟ أى : تنبتونه فى الأرض ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أى : بل نحن الذين نقره قراره وننبته فى الأرض .

قال ابن جرير : وقد حدثنى أحمد بن الوليد القرشى ، حدثنا مسلم بن أبى مسلم الجَرْمى ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقولن : زرعتُ ، ولكن قل : حرثتُ » ، قال أبو هريرة : ألم تسمع إلى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ .

ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم ، عن مسلم الجميع ، به (١) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن : لا تقولوا : زرعنا ، ولكن قولوا : حرثنا .

وروى عن حُجْر المدَرِىّ أنه كان إذا قرأ : ﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ وأمثالها ، يقول : بل أنت يا رب .

وقوله : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ أى : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطاماً ، أى : لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده ، ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾. ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى : لو جعلناه حطاماً لظَلْتُم تفكهون فى المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ أى : لَمُلْقَون .

وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لمولع بنا . وقال قتادة : معذبون . وتارة تقولون : بل نحن محرومون .

وقال مجاهد أيضاً : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ ملقون للشر ، أى : بل نحن مُحَارَفون ، قاله قتادة ، أى: لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١٤) ورواه ابن حبان فى صحيحه برقم (١١٣٥) والبيهقى فى السنن الكبرى (٦/ ١٣٨) من طريق مسلم بن أبى مسلم الجرمى ، عن مخلد بن الحسين به نحوه ، وضعفه السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٢٣) وأشار البيهقى إلى ضعفه فقال بعد أن ذكره من قول مجاهد : « وقد روى فيه حديث مرفوع غير قوى » .

وقال مجاهد : ﴿ بَلْ نحنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى : محدودون ، يعنى : لا حظ لنا .

قال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ فظَلْتمْ تفكَّهُونَ ﴾ : تعجبون . وقال مجاهد أيضاً : ﴿ فظَلْتمْ تفكَّهُونَ ﴾ : تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم .

وهذا يرجع إلى الأول ، وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى مالهم . وهذا اختيار ابن جرير (١) .

وقال عكرمة : ﴿ فظَلْتمْ تفكَّهُونَ ﴾ : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدى : ﴿ فظَلْتمْ تفكَّهُونَ ﴾ : تندمون . ومعناه إما على ما أنفقتم ، أو على ما أسلفتم من الذنوب .

قال الكسائى (٢) : تفكه من الأضداد ، تقول العرب : تفكهت بمعنى تنعمت ، وتفكهت بمعنى حزنت .

ثم قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ يعنى: السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد. ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُون ﴾ يقول : بل نحن المنزلون. ﴿ لَوْ نَشَاءُ جعلْناهُ أُجاجًا ﴾ أى : زُعاقاً مرًّا لا يصلح لشرب ولا زرع ، ﴿ فلوْلا تشكُرُونَ ﴾ أى : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً ! ﴿ لّكُم مّنْهُ شرابٌ ومنْهُ شجرٌ فيه تُسيمُونَ . يُنبتُ لكُم به الزّرْعَ والزّيْتُونَ والنّخيلَ والأعْناب ومن كُلِّ الثّمرات إنّ في ذلك لآيةً لّقوْمٍ يتفكّرُونَ ﴾ [النحل: ١٠، ١١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة ، حدثنا فُضَيل بن مرزوق ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، عن النبى ﷺ : أنه إذا شرب الماء قال : « الحمد لله الذى سقاناه عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا » (٣) .

ثم قال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ﴾ أى : تقدحون من الزناد ، وتستخرجونها (٤) من أصلها ، ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ أى : بل نحن الذين جعلناها مودعة فى موضعها ، وللعرب شجرتان ، إحداهما : المرخ ، والأخرى : العَفَار ، إذا أخذ منهما غصنان أخضران ، فحُك أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار .

وقوله : ﴿ نَحْنُ جعلْناها تذْكرةً ﴾ : قال مجاهد ، وقتادة : أى تُذكّر النارَ الكبرى .

قال قتادة : ذكر لنا رسول الله ﷺ قال : « يا قوم ، ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية ! قال : « قد ضُربت بالماء ضربتين ـ أو : مرتين ـ حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها » (٥) .

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١٥) .
(٢) فى أ : « قال السدى » .
(٣) وهذا مرسل ، وعزاه الهندى فى كنز العمال (٧/ ١١١) إلى أبى نعيم فى الحلية .
(٤) فى م: « وتستخرجون » .
(٥) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٧/ ١١٧) .

وهذا الذى أرسله قتادة رواه الإمام أحمد فى مسنده ، فقال :

حدثنا سفيان ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » (١) .

وقال الإمام مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ». فقالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية. فقال : « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » .

رواه البخارى من حديث مالك ، ومسلم من حديث أبى الزناد (٢) ، ورواه مسلم ، من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر عن همام ، عن أبى هريرة ، به (٣) . وفى لفظ : « والذى نفسى بيده ، لقد فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرها » .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا مَعْن بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عمه أبى السهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سواداً من [دخان] (٤) ناركم هذه بسبعين ضعفاً » (٥) .

قال الضياء المقدسى : وقد رواه ابن (٦) مصعب ، عن مالك ولم يرفعه ، وهو عندى على شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر بن عربى : معنى ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : المسافرين ، واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : « أقوت الدار إذا رحل أهلها » .

وقال غيره : القِىّ والقَوَاء : القفر الخالى البعيد من العمران .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوى هنا الجائع .

وقال ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد : ﴿ وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وكذا روى سفيان ، عن جابر الجعفى ، عن مجاهد .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ لِّلْمُقْوِينَ ﴾ : المستمتعين ، الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة .

(١) المسند (٢/ ٢٤٤) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .

(٤) زيادة من المعجم الأوسط للطبرانى .

(٥) المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٣) «مجمع البحرين » .

(٦) فى م ، أ : « وقد رواه أبو » .

وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادى من غنى وفقير الكل[١] محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف الله تعالى أن أودعها فى الأحجار ، وخالص الحديد ، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك فى متاعه وبين ثيابه ، فإذا احتاج إلى ذلك فى منزله أخرج زنده وأورى ، وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات . فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاماً فى حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبى خِداش حَبَّان بن زَيد الشَّرعَبى الشَّامى ، عن رجل من المهاجرين من قَرَن ، أن رسول الله ﷺ قال : « المسلمون شركاء فى ثلاثة : النار والكلأ والماء »[٢] .

وروى ابن ماجة بإسناد جيد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يُمنعن : الماء والكلأ والنار »[٣] .

وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة: «وثمنه حرام»[٤]، ولكن فى إسناده «عبد الله ابن خِراش بن حَوْشب » وهو ضعيف ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أى : الذى بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة . وخلق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم فى معاش دنياهم ، وزاجراً لهم فى المعاد .

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) ﴾ .

قال جُوَيبر ، عن الضحاك: إن الله لا يقسم بشىء من خلقه ،ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه .

وهذا القول ضعيف . والذى عليه الجمهور أنه قسم من الله عز وجل ، يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته. ثم قال بعض المفسرين: « لا » هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وقال آخرون : ليست « لا » زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها فى أول القسم إذا كان مقسماً به على منفى ، كقول عائشة ، رضى الله عنها : « لا ، والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط» وهكذا هاهنا تقدير الكلام : « لا ، أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم فى القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم » .

---

(١) فى م ،أ :« الجميع » .
(٢) المسند (٥/ ٣٦٤) وسنن أبى داود برقم (٣٤٧٧) .
(٣) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٧٣) .
(٤) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٧٢) .

وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ ﴾ : فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .

واختلفوا فى معنى قوله : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، فقال حكيم بن جُبَير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، يعنى : نجوم القرآن ؛ فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مُفَرقا [1] فى السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : نزل القرآنُ جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا ، فنجَّمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة ، فهو قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ : نجوم القرآن .

وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والسدى ، وأبو حَزْرَة .

وقال مجاهد أيضا : ﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ فى السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن ، وقتادة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها : منازلها . وعن الحسن أيضاً : أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة . وقال الضحاك : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ يعنى بذلك : الأنواء التى كان أهل الجاهلية إذا مُطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا وكذا .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ أى : وإن هذا القسم الذى أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون[2] عظمته لعظمتم المقسم به عليه ، ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ أى : إن هذا القرآن الذى نَزَل على محمد لكتاب عظيم . ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ أى : معظم فى كتاب معظم محفوظ موقر .

قال ابن جرير : حدثنى إسماعيل بن موسى [3] ، أخبرنا شريك ، عن حكيم ـ هو ابن جبير ـ عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال : الكتاب الذى فى السماء .

وقال العَوفى ، عن ابن عباس : ﴿ [لا يَمَسُّهُ] [4] إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ يعنى : الملائكة . وكذا قال أنس، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نَهِيك، والسدى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، حدثنا مَعْمَر ، عن قتادة : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما فى الدنيا فإنه يمسه المجوسى النجس، والمنافق الرجس . وقال : وهى فى قراءة ابن مسعود : ﴿ ما يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ .

وقال أبو العالية : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ : ليس أنتم أصحاب الذنوب .

وقال ابن زيد: زَعَمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين،فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال : ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ

---

(١) فى أ : « متفرقاً » .

(٢) فى أ : « لو علمتم » .

(٣) فى م ، أ : « موسى بن إسماعيل » .

(٤) زيادة من م .

لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] .

وهذا القول قول جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التى قبله .

وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

وقال آخرون : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أى : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب ، قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو(١) . واحتجوا فى ذلك بما رواه الإمام مالك فى موطئه ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم : أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم : ألا يمس القرآن إلا طاهر(٢) . وروى أبو داود فى المراسيل ، من حديث الزهرى قال : قرأت فى صحيفة عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن رسول الله ﷺ قال : « ولا يمس القرآن إلا طاهر » (٣) .

وهذه وِجَادةٌ جيدة . قد قرأها الزهرى وغيره ، ومثل هذا ينبغى(٤) الأخذ به . وقد أسنده الدارقطنى عن عمرو بن حزم ، وعبد الله بن عمر ، وعثمان بن أبى العاصى ، وفى إسناد كل منها نظر(٥) ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى : هذا القرآن منزل من [الله] (٦) رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذى لا مِرْية فيه ، وليس وراءه حق نافع .

وقوله : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ : قال العَوفى ، عن ابن عباس : أى مكذبون غير مصدقين . وكذا قال الضحاك ، وأبو حَزْرة ، والسُّدّى .

وقال مجاهد : ﴿ مُّدْهِنُونَ ﴾ أى : تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم .

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ : قال بعضهم : يعنى : وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون ، أى : تكذبون بدل الشكر .

وقد روى عن على وابن عباس أنهما قرآها : «وتجعلون شكركم (٧) أنكم تكذبون» كما سيأتى .

وقال ابن جرير : وقد ذكر عن الهيثم بن عدى : أن من لغة أزد شَنوءةَ : ما رزق فلان بمعنى : ما شكر فلان .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن أبى

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٦٩) وهو أيضاً فى صحيح البخارى برقم (٢٩٩٠) .
(٢) الموطأ (١/ ١٩٩) .
(٣) المراسيل برقم (٢٥٧) .
(٤) فى أ : « لا ينبغى » .
(٥) سنن الدارقطنى (١/ ١٢١، ١٢٢) .
(٦) زيادة من أ .
(٧) فى أ : « بشكركم » .

عبد الرحمن، عن علي ، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿وَتجعلون رِزْقَكُمْ﴾ ، يقول: « شكركم ﴿ أَنَكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، تقولون: مطرنا بنَوء كذا وكذا ،بنجم كذا وكذا» [١] .

وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبيه ، عن مُخَوَّل [٢] بن إبراهيم النهدى ـ وابن جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن عبيد الله بن موسى ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن أبى بُكَيْر ، ثلاثتهم عن إسرائيل ، به مرفوعاً [٣]. وكذا رواه الترمذى عن أحمد بن مَنِيع، عن حسين بن محمد ـ وهو المروزى ـ به ، وقال:« حسن غريب ». وقد رواه سفيان عن عبد الأعلى ، ولم يرفعه [٤] .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : ما مُطِر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً ، يقولون : مُطِرْنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس : « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون » .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

وقال مالك فى الموطأ ، عن صالح بن كَيْسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن زيد بن خالد الجُهَنّى أنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . « قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » .

أخرجاه فى الصحيحين ، وأبو داود ، والنسائى ، كلهم من حديث مالك ، به [٥] .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المرادى وعَمْرو بن سَوَّاد ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، أن أبا يونس حَدَّثه عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزلُ الغيث ، فيقولون : بكوكب كذا وكذا » .

تَفرّدَ به مسلم من هذا الوجه [٦] .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله لَيُصْبحُ القومَ بالنعمة أو يُمسيهم بها ، فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مُطِرنا بنوء كذا وكذا » .

---

(١) المسند (١/١٠٨) .

(٢) فى أ : « عن محمد ».

(٣) تفسير الطبرى (٢٧/١١٩) .

(٤) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٥) .

(٥) الموطأ (١/ ١٩٢) وصحيح البخارى برقم (٨٤٦) وصحيح مسلم برقم (٧١) وسنن أبى داود برقم (٣٩٠٦) وسنن النسائى (٣/ ١٦٤).

(٦) صحيح مسلم برقم (٧٢) .

قال محمد ـ هو ابن إبراهيم ـ : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبى هُرَيرة ، وقد أخبرنى من شهد عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وهو يستسقى ، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال : يا عباس ، يا عم رسول الله ، كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء يزعمون أنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعاً . قال : فما مضت سابعة حتى مُطِروا (١) .

وهذا مَحمول على السؤال عن الوقت الذى أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر ، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه فى نزول المطر ؛ فإن هذا هو المنهى عن اعتقاده . وقد تقدم شىء من هذه الأحاديث عند قوله : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس ، أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ـ أحسبه أو غيره ـ أن رسول الله ﷺ سمع رجلا ـ ومطروا ـ يقول : مطرنا ببعض عَثَانين الأسد . فقال : « كذبت ! بل هو رزق الله » (٢) .

ثم قال ابن جرير: حدثنى أبو صالح الصرارى ،حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدى (٣)، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، عن النبى ﷺ قال : « ما مُطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين » (٤) . ثم قال :« ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ، يقول قائل : مطرنا بنجم كذا وكذا » (٥) .

وفى حديث عن أبى سعيد مرفوعاً : « لو قُحِط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا : مطرنا بنوء المِجْدَح » (٦) .

وقال مجاهد : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ : قال : قولهم فى الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد .

وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم ، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب . فمعنى قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ؛ ولهذا قال قبله : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ ﴾ أى : الروح ﴿ الْحُلْقُومَ﴾ أى:الحلق ، وذلك حين الاحتضار،

(١،٢) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٠) .
(٣) فى أ : « الأودى » .
(٤) فى أ : « كافرون » وهو خطأ .
(٥) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٠) .
(٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ٧) وابن حبان فى صحيحه برقم (٦٠٦) « موارد » من طريق عمرو بن دينار ، عن عتاب بن حنين، عن أبى سعيد بلفظ :« لو أمسك الله القطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة بها كافرين يقولون : مطرنا بنوء المِجْدَحِ».

كما قال : ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٣٠] ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ أى : إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ أى : بملائكتنا ﴿ وَلَٰكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾ أى : ولكن لا ترونهم . كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ . ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢] .

وقوله : ﴿ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا ﴾ : معناه : فهلا تَرجعُون هذه النفس التى قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول [1] ، ومقرها فى الجسد إن كنتم غير مدينين .

قال ابن عباس : يعنى محاسبين . ورُوى عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والسدى ، وأبى حَزْرَة ، مثله .

وقال سعيد بن جُبَير ، والحسن البَصْرىّ : ﴿ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غير مصدقين أنكم تُدانون وتبعثون وتجزون ، فردوا هذه النفس .

وعن مجاهد : ﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ : غيرموقنين .

وقال ميمون بن مِهْرَان : غير معذبين مقهورين .

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦) ﴾ .

هذه الأحوال الثلاثة هى أحوال الناس عند احتضارهم : إما أن يكون من المقربين [2] ، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين . وإما يكون من المكذبين الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ ﴾ أى : المحتضر ﴿ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات و المكروهات وبعض المباحات ، ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ أى : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، كما تقدم فى حديث البراء : أن ملائكة الرحمة تقول : « أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجى إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان » .

قال على بن طلحة[3] ، عن ابن عباس : ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ يقول : راحة وريحان ، يقول : مستراحة.

---

(١) فى م : «الأولى» .
(٢) فى أ : « المقربين العلية » .
(٣) فى م ، أ : « على بن أبى طلحة » .

وكذا قال مجاهد : إن الروح : الاستراحة .

وقال أبو حَزْرَة : الراحة من الدنيا . وقال سعيد بن جبير ، والسدى : الروح : الفرح . وعن مجاهد : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ : جنة ورخاء . وقال قتادة : فروح ورحمة[1]. وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير : ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ : ورزق .

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقرباً حصل له جميعُ ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور والرزق الحسن ، ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ .

وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يُؤتَى بغصن من ريحان الجنة ، فيقبض روحه فيه .

وقال محمد بن كعب : لا يموت أحدٌ من الناس حتى يعلم : أمن أهل الجنة هو أم [من][2] أهل النار ؟

وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ][3] ﴾ [إبراهيم :٢٧] ،ولو كتبت هاهنا لكان حسناً ! ومن جملتها حديث تميم الدارى ، عن النبى ﷺ ، يقول : « يقول الله لملك الموت : انطلق إلى فلان[4] فائتنى به ، فإنه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، ائتنى به فلأريحنه . قال : فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحَنُوط من الجنة ، ومعهم ضَبَائر الريحان، أصل الريحانة واحد وفى رأسها عشرون لوناً ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك » .

وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم[5] ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية : قال[6] الإمام أحمد :

حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا هارون ، عن بُدَيل بن ميسرة[7] ، عن عبد الله بن شَقِيق ، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ برفع الراء .

وكـذا رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، من حـديث هـارون ـ وهو ابن موسى الأعور ـ به[8] ، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من حديثه .

وهذه القراءة هى قراءة يعقوب وحده ، وخالفه الباقون فقرؤوا[9] : ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ بفتح الراء .

---

(١) فى أ : « فروح وريحان » . (٢) زيادة من أ . (٣) زيادة من م .
(٤) فى م، أ : « إلى وليى » .
(٥) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .
(٦) فى م : « فقال » . (٧) فى أ : « بن قيس » .
(٨) المسند (٦/ ٦٤) وسنن أبى داود برقم (٣٩٩١) وسنن الترمذى برقم (٢٩٣٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٦٦) .
(٩) فى م : « فقرأ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل : أنه سمع درّة بنت معاذ تحدث ، عن أم هانئ : أنها سألت رسول الله ﷺ : أنتزاور إذا متنا، ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تكون النَسمُ [(١)] طيراً يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها » [(٢)] .

هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى « يعلق » : يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضا ما رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنما نَسَمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » [(٣)] . وهذا إسناد عظيم ، ومتن قويم .

وفى الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر ، تسرح فى الجنة [(٤)] حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » [(٥)] الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبى ليلى : رأيت شيخاً [(٦)] أبيض الرأس واللحية على حمار ، وهو يتبع جنازة ، فسمعته يقول : حدثنى فلان بن فلان ، سمع رسول الله ﷺ يقول : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » . قال : فأكب القوم يبكون ، فقال : « ما يُبكيكم ؟ » فقالوا : إنا نكره الموت . قال : « ليس ذاك ، ولكنه إذا حُضِر ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ ، فإذا بُشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل، والله ، عز وجل، للقائه أحب ﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ [وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ]** [(٧)] ﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء الله ، والله للقائه أكره .

هكذا رواه الإمام أحمد [(٨)] ، وفى الصحيح عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ شاهد لمعناه [(٩)] .

وقوله : ﴿ **وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ، ﴿ **فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ أى : تبشرهم الملائكة بذلك ، تقول لأحدهم : سلام لك ، أى : لا بأس عليك ، أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .

وقال قتادة ، وابن زيد : سَلِم من عذاب الله ، وسَلَّمت عليه ملائكة الله . كما قال عكرمة : تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

---

(١) فى م ، أ : « النسمة » .
(٢) المسند (٦/ ٤٢٤) .
(٣) المسند (٣/ ٤٥٥) .
(٤) فى م : « فى رياض الجنة » .
(٥) تقدم الحديث عند تفسير الآية : ١٦٩ من سورة آل عمران ، وانظر تخريجه هناك .
(٦) فى أ : « شخصاً » .
(٧) زيادة من م .
(٨) المسند (٤/ ٢٥٩) .
(٩) صحيح مسلم برقم (٢٦٨٤) .

وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

وقال البخارى : ﴿ فَسَلامٌ لَّكَ ﴾ أى : مُسلم لك ، إنك من أصحاب اليمين . وألغيت « إن» (١) وهو : معناها ، كما تقول : أنت مُصَدق مسافر عن قليل . إذا كان قد قال : إنى مسافر عن قليل . وقد يكون كالدعاء له ، كقولك : سقياً لك من الرجال ، إن رفعت « السلام » فهو من الدعاء (٢) .

وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ، ومال إليه ، والله أعلم (٣) .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أى : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ، ﴿ فَنُزُلٌ ﴾ أى : فضيافة ﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو المذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أى : وتقرير له فى النار التى تغمره من جميع جهاته .

ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أى : إن هذا الخبر لهو الحق اليقين الذى لا مرية فيه ، ولا محيد لأحد عنه .

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ : قال أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أيوب الغافقى ، حدثنى عمّى إياس بن عامر ، عن عقبة بن عامر الجهنى قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ قال : «اجعلوها فى ركوعكم » ، ولما نزلت : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١] ، قال رسول الله ﷺ: « اجعلوها فى سجودكم » .

وكذا رواه أبو داود وابن ماجة ،من حديث عبد الله بن المبارك ، عن موسى بن أيوب،به (٤) .

وقال روح بن عبادة : حدثنا حَجّاجُ الصَّوافُ ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غُرِسَت له نخلة فى الجنة » .

هكذا رواه الترمذى من حديث روح (٥) ، ورواه هو والنسائى أيضاً من حديث حماد بن سلمة ، من حديث أبى الزبير عن جابر ، عن النبى ﷺ (٦) ، وقال الترمذى : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير .

(١) فى م : « من » .

(٢) صحيح البخارى (٨/ ٦٢٥) « فتح » .

(٣) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٣) .

(٤) المسند (٤/ ١٥٥) وسنن أبى داود برقم (٢٨٦٩) وسنن ابن ماجه برقم (٨٨٧) .

(٥) سنن الترمذى برقم (٣٤٦٤) .

(٦) سنن الترمذى برقم (٣٤٦٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٦٦٣) لكن النسائى رواه من طريق حماد بن سلمة ، عن حجاج الصواف ، عن أبى الزبير خلافاً للترمذى ، فإنه لم يذكر فى هذه الرواية حجاج الصواف فليتنبه .

وقال البخارى فى آخر كتابه : حدثنا أحمد بن إشكاب ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عُمارة ابن القعقاع ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هُريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث محمد بن فضيل ، بإسناده ، مثله [1] .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٧٥٦٣) وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤) وسنن الترمذى برقم (٣٤٦٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٦٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٠٦) .

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية

قال أبو إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ، قد شبتَ ! قال : « **شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعَمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت** » . رواه الترمذي(١) وقال : حسن غريب .

وقال الحافظ ابن عساكر(٢) في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصري : حدثنا السري بن يحيىٰ الشيباني ، عن أبي شجاع ، عن أبي ظبية قال : مرض عبد الله مَرَضَه الذي توفي فيه ، فعاده عثمان بن عفان فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه . قال : يكون [لبناتك][١] من بعدك ؟ قال : أتخشىٰ علىٰ بناتي الفقر ؟ إني أمرت[٢] بناتي [يقرأن][٣] كل ليلة سورة الواقعة ، إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا** » .

ثم قال ابن عساكر : كذا قال ، والصواب عن « شجاع » ، كما رواه عبد الله بن وهب ، عن السري .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني السري بن يحيىٰ أن شجاعًا حدثه ، عن أبي ظبية ، عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **من قرأ**

---

(١) تقدم تخريجه في سورة هود .

(٢) - **ضعيف** ، تاريخ دمشق (ل ٢٩٤) ، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٥/٢٦٩) من طريق حبشي بن عمرو بن الربيع ، عن أبيه عمرو بن الربيع المصري ، به .

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/١١٣) من طريق خالد بن خداش ، عن عبد الله بن وهب ، به .

ورواه عن أبي يعلى أبو بكر بن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٧٤) . وذكره ابن حجر في المطالب العالية ، المرفوع منه (٣/٣٨٣) (٣٧٦٥) وعزاه للحارث .

وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/٣٠١) : حديث ابن مسعود أخرجه الحارث في مسنده . وأورده ابن الجوزي في الواهيات ، وقال : قال أحمد بن حنبل : هذا حديث منكر والله أعلم . اهـ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨٩) .

---

[١] - في ز : « لسانك » .
[٢] - في ز : « آمر » .
[٣] - في ز : « لله أن » .

سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا » . فكان أبو ظبية لا يدعها .

وكذا رواه أبو يعلىٰ ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن محمد بن منيب ، عن السري[١] بن يحيىٰ ، عن شجاع ، عن أبي ظبية ، عن ابن مسعود به . ثم رواه عن إسحاق بن أبي إسرائيل ، عن محمد بن [منيب العَدَني][٢] ، عن السري بن يحيىٰ ، عن أبي ظبية ، عن ابن مسعود : أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا** » لم يذكر في سنده « شجاعًا » ، قال : وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة(٣) .

وقد رواه ابن عساكر أيضًا من حديث حجاج بن نصير وعثمان [بن][٣] اليمان ، عن السري بن يحيىٰ ، [عن شجاع][٤] ، عن أبي فاطمة قال : مرض عبد اللَّه فأتاه عثمان بن عفان يعوده ، فذكر الحديث بطوله .

قال عثمان بن اليمان : كان أبو فاطمة هذا مولىٰ لعلي بن أبي طالب :

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا إسرائيل ويحيىٰ بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب : أنه سمع جابر بن سمُرة يقول : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر « **الواقعة** » ونحوها من السور(٤) .

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾

(٣) - ينظر تخريج الحديث السابق .

(٤) - أخرجه أحمد (١٠٤/٥) (٢١٠٧١) . وفي إسناده سماك بن حرب صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة - وليست هذه منها - وقد تغير بأخرة فكان ربما تلقن . وبقية إسناده ثقات .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : « المنيب العبدي » .

[٣] - في ز : « بن أبي » .

[٤] - سقط من ز .

الواقعة : اسم[١] من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها ، كما قال : ﴿ **فيومئذٍ وقعت الواقعة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليس لوقعتها كاذبة** ﴾ أي : [ليس][٢] لوقوعها إذا أراد الله كونَها صارفٌ يصرفها ولا دافع يدفعها ، كما قال : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله** ﴾ ، وقال : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير** ﴾ .

ومعنىٰ ﴿ **كاذبة** ﴾ - كما قال محمد بن كعب - : لابد أن تكون . وقال قتادة : ليس فيها [مثنوية][٣] ولا ارتداد ولا رجعة .

قال ابن جرير : والكاذبة : / مصدر كالعاقبة والعافية .

وقوله : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ ، أي : تخفض أقوامًا إلىٰ أسفل السافلين إلىٰ الجحيم ، وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلىٰ أعلىٰ علّيين إلىٰ النعيم المقيم[٤] ، وإن كانوا في الدنيا وُضَعَاء . وهكذا قال الحسن ، وقتادة وغيرهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن أبيه ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ : تخفض أناسًا وترفع آخرين (٥).

وقال عبيد الله العَتَكي ، عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ الساعة خفضت أعداء الله إلىٰ النار ، ورفعت أولياء الله إلىٰ الجنة .

وقال محمد بن كعب : تخفض رجالًا كانوا في الدنيا مرتفعين ، وترفع رجالًا كانوا في الدنيا مخفوضين .

وقال السدي : خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين .

وقال العَوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **خافضة رافعة** ﴾ : أسمعت القريب والبعيد .

وقال عكرمة : خفضت فأسمعت الأدنىٰ ، ورفعت فأسمعت الأقصىٰ . وكذا قال

---

(٥) - في إسناده سماك بن حرب وفي روايته عن عكرمة اضطراب .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : « تنويه » .
[٤] - سقط من ز ، خ .

الضحاك وقتادة .

وقوله : ﴿ إذا رجت الأرض رجًا ﴾ ، أي : حركت تحريكًا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ؛ ولهذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد في قوله : ﴿ إذا رجت الأرض رجًا ﴾ ، أي : زلزلت زلزالًا .

وقال الربيع بن أنس: ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه .

وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ ، وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ .

وقوله : ﴿ وبست الجبال بسًا ﴾ ، أي : فُتِّتت فتًا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وغيرهم . وقال[١] ابن زيد : صارت الجبال كما قال تعالىٰ : ﴿ كثيبًا مهيلًا ﴾ .

وقوله : ﴿ فكانت هباءً منبثًا ﴾ ، قال أبو إسحاق ، عن الحارث ، عن علي رضي الله عنه : ﴿ هباء منبثًا ﴾ كرهَج الغبار يسطع ثم يذهب ، فلا يبقىٰ منه شيء .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فكانت هباء منبثًا ﴾ : الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت[٢] يطير منه الشرر ، فإذا وقع لم يكن شيئًا .

وقال عكرمة : المنبث : الذي قد ذرته الريح وبثته .وقال / قتادة : ﴿ هباء منبثًا ﴾ كيبيس الشجر الذي تذروه[٣] الرياح .

وهذه الآية كأخواتها الدالة علىٰ زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة ، وذهابها وتسييرها ونسفها[٤] وصيرورتها كالعهن المنفوش .

وقوله : ﴿ وكنتم أزواجًا ثلاثة ﴾ ، أي : ينقسم الناس يوم القيامة إلىٰ ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش ، وهم [ ][٥] الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ، ويؤتَون كتبهم[٦] بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين . قال السدي : وهم جمهور أهل الجنة . وآخرون عن يسار العرش ، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمائلهم ، ويؤخذ بهم ذات الشمال ، وهم عامة أهل النار - عياذًا بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون[٧] بين يديه

---

[١] - في ز : « وقاله » .
[٢] - في خ : « اضطربت » .
[٣] - في ز : « تذراه » .
[٤] - بعده في ت : أي قلعها .
[٥] - في ز : من .
[٦] - في ت ، خ : كتابهم .
[٧] - في خ : منافقون .

وهم أخص وأحظىٰ وأقرب من أصحاب اليمين الذين[١] هم ساداتهم[٢] ، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين ؛ ولهذا قال : ﴿ **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون** ﴾ . وهكذا قسمهم إلىٰ هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم ، وهكذا ذكرهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ...﴾ الآية. وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه .

قال سفيان الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ ، قال : هي التي في سورة الملائكة : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾ .

وقال ابن جريج، عن ابن عباس: هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة و[٣]في سورة الملائكة .

وقال يزيد الرقاشي : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ ، قال : أصنافًا ثلاثة .

وقال مجاهد : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ ، يعني : فرقًا ثلاثة . وقال ميمون بن مهران : أفواجًا ثلاثة . وقال عُبيد الله العَتَكي[٤] ، عن عثمان بن سُراقة ابن خالة عمر بن الخطاب : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة** ﴾ : اثنان في الجنة ، وواحد في النار .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد / بن الصباح ، حدثنا الوليد بن أبي ثَور ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، قال : الضرَباء ، [ ][٥] كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله ، وذلك بأن الله يقول : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون** ﴾ ، قال : هم الضرَباء(٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنىٰ ، حدثنا البراء الغنوي[٦] ، حدثنا

---

(٦) - في إسناده الوليد بن أبي ثور : ضعيف .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : « سادتهم » .

[٣] - سقط من ت ، خ .

[٤] - في ز : « بن المعلى » .

[٥] - في ز : « قال » .

[٦] - في ز : « المعنوي » .

الحسن ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلا هذه الآية : ﴿ **وأصحاب اليمين** ﴾ ، ﴿ **وأصحاب الشمال** ﴾ ، فقبض بيديه[١] قبضتين فقال : « **هذه للجنة ولا أبالي ، وهذه للنار ولا أبالي** »(٧) .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **أتدرون من السابقون إلىٰ ظل الله يوم القيامة ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **الذين إذا أُعطوا الحق قَبِلُوه ، وإذا سئلوه[٢] بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم** »(٨) .

وقال محمد بن كعب وأبو حَزْرَة يعقوب بن مجاهد : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ : هم الأنبياء عليهم السلام . وقال السدي : هم أهل[٣] عليين . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، قال : يوشع بن نون سبق إلىٰ موسىٰ ، [ومؤمن][٤] آل « **يس** » سبق إلىٰ عيسىٰ ، وعلي بن أبي طالب سبق إلىٰ محمد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن هارون الفلاس ، عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزاز[٥] ، عن شعيب[٦] بن الضحاك المدائني ، عن سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح به .

وقال ابن أبي حاتم : وذَكَر محمد بن أبي حماد ، حدثنا مهران ، عن خارجة ، عن قرة[٧] ، عن ابن سيرين : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، الذين صلوا القبلتين[٨] .

ورواه ابن جرير من حديث خارجة[٩] به .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ **والسابقون السابقون** ﴾ ، أي : من كل أمة .

وقال الأوزاعي ، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ ، ثم قال : أولهم رَوَاحًا إلىٰ المسجد ، وأولهم خروجًا في سبيل الله /.

---

(٧) - أخرجه أحمد (٢٣٩/٥) (٢٢١٧٦) . وفي إسناده انقطاع بين الحسن ومعاذ ، والبراء ضعيف .
(٨) - أخرجه أحمد (٦٧/٦) (٢٤٤٩٠) . وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ .

---

[١] - في ت : « بيده » .
[٢] - في ز ، خ : « سئلوا » .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : « ومن » .
[٥] - في ز ، خ : « البزار » .
[٦] - في ز ، خ : « سفيان » .
[٧] - في خ : مرة .
[٨] - في ت : « للقبلتين » .
[٩] - في ز : « الخارجة » .

وهذه الأقوال كلها صحيحة ؛ فإن المرادَ بالسابقين هم المبادرون إلىٰ فعل الخيرات كما أمروا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وسارعوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ . فمن سابق في هذه الدنيا وسَبَقَ إلىٰ الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلىٰ الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك المقربون * في جنات النعيم** ﴾(٩) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيىٰ بن زكريا القزاز[١] الرازي ، حدثنا خارجة بن مُصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو قال : قالت الملائكة : يا رب ، جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ، فاجعل لنا الآخرة . فقال : لا أفعل . فراجعوا ثلاثًا ، فقال : لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له : كن ، فكان ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم** ﴾ .

وقد روىٰ هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه « **الرد علىٰ الجهمية** » ، ولفظه : فقال الله عز وجل : « **لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ، كمن قلت له : كن ، فكان** » .

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾

(٩) - في إسناده خارجة بن مصعب : متروك . وكان يدلس عن الكذابين . وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية » (٤٨/١) من طريق آخر عن ابن عمر - رضي الله عنه - مرفوعًا . وقال : هذا حديث لا يصح ، وكان الحميدي يتكلم في عبد المجيد . وقال ابن حبان : يقلب الأخبار ويروي المنكرات عن المشاهير ؛ فاستحق الترك . قال الدارقطني : وقد رواه سريج بن يونس عن عبد المجيد فوقفه ، والموقوف أصح .

[١] - في ز ، خ : الفزاري .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن هؤلاء السابقين المقربين : إنهم ﴿ثُلَّة﴾ ، أي : جماعة من الأولين وقليل من الآخرين . وقد اختلفوا في المراد بقوله ﴿ **الأولين** ﴾ و ﴿ **الآخرين** ﴾ . فقيل : المراد بالأولين الأمم الماضية ، وبالآخرين هذه الأمة . هذا رواية عن مجاهد ، والحسن البصري ، رواها[١] عنهما ابن أبي حاتم . وهو اختيار ابن جرير ، واستأنس بقوله صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة** »(١٠) . ولم يحك غيره ، ولا عزاه إلى أحد /.

ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسىٰ بن الطباع ، حدثنا شريك ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿ **ثلة من الأولين * [وقليل من الآخرين** ﴾ ، شق ذلك علىٰ أصحاب النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فنزلت : ﴿ **ثلة من الأولين**][٢] * **وثلة من الآخرين** ﴾ فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، ثلث أهل الجنة ، بل أنتم نصف أهل الجنة - أو : شَطر أهل الجنة - وتقاسمونهم النصف الثاني** »(١١) .

ورواه الإمام أحمد ، عن أسود بن عامر ، عن شريك ، عن محمد بياع الملاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ... فذكره(١٢) .

وقد روي من حديث جابر نحو هذا ، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار : حدثنا عبد ربه بن صالح ، عن عروة[٣] بن رُويم ، عن جابر بن عبد اللّه ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : [ ][٤] لما نزلت : ﴿ **إذا وقعت الواقعة** ﴾ ، ذكر [فيها][٥] ثلة من الأولين وقليل من الآخرين . قال عمر : يا رسول اللّه ، ثلة من الأولين وقليل منا ؟ [قال : فأمسك][٦] آخر السورة سنة ، ثم نزل : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ ، فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : [« **يا عمر**][٧] ، **تعال فاسمع ما قد**[٨] **أنزل اللّه** : ﴿ **ثلة من الأولين وثلة من الآخرين** ﴾ ، **ألا وإن من**[٩] **آدم إليَّ ثلة ، وأمتي ثلة** ، [**ولن**

(١٠) - تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة آية رقم (٢٢٤) .

(١١) - في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة ، وأبوه ، وكلاهما قال عنه الحافظ في التقريب : مقبول . وشريك وهو ابن عبد الله النخعي وهو ضعيف من قبل حفظه .

(١٢) - أخرجه أحمد (٣٩١/٢) وإسناده كسابقه .

[١] - في ز : « رواه » .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] - في ز : « هروة » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - في ز ، خ : منها .

[٦] - بياض في ز .

[٧] - سقط من ز .

[٨] - سقط من ز .

[٩] - في ز ، خ : « بني » .

نستكمل ثلثنا حتىٰ نستعين بالسودان][١] من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له »(١٣) .

هكذا أورده في ترجمة « عُرْوة بن رُوَيم » ، إسنادًا ومتنًا[٢] ، ولكن في إسناده نظر . وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ...**»(١٤) الحديث بتمامه ، وهو مفرد في « **صفة الجنة** » وللّٰه الحمد والمنة .

وهذا الذي اختاره ابن جرير هاهنا فيه نظر ، بل هو قول ضعيف ، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن ، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها[٣] ، اللّٰهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة ، / والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم ، واللّٰه أعلم . فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح ، وهو أن يكون المراد بقوله : ﴿ **ثلة من الأولين** ﴾ ، أي : من[٤] صدر هذه الأمة ، ﴿ **وقليل من الآخرين** ﴾ ، أي : من هذه الأمة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن[٥] الصباح ، حدثنا عفان ، حدثنا عبد اللّٰه بن بكر المزني[٦] ، سمعت الحسن أتىٰ علىٰ هذه الآية : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ ، فقال : أما السابقون فقد مضوا ، ولكن ، اللّٰهم اجعلنا من أهل اليمين .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا السري بن يحيىٰ قال : قرأ الحسن : ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * [في جنات النعيم][٧] * ثلة من الأولين** ﴾ قال : ثلة ممن مضىٰ من هذه الأمة .

---

(١٣) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/٥٥٥ - مخطوط) . وهشام بن عمار صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح . وعبد ربه بن صالح ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/٤٤) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . وعروة بن رويم روايته عن جابر مرسلة كما في جامع التحصيل للعلائي (٢٣٦) .

(١٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج ، حديث (٣٣٤٨) (٦/ ٣٨٢) .

ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : قوله : « يقول الله لآدم : أخرج بعث النار ... » ، حديث (٣٧٩ - ٢٢٢) (٣/١٢١ - ١٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « وإن يستعمل حتى نستعين بالسروان » .

[٢] - بياض في ز ، وسقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ز : المزي .

[٧] - سقط من ز ، خ .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري ، حدثنا أبو هلال ، عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية : ﴿ **ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين** ﴾ ، قال : كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة . فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة . ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها ، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل أمة بحسبها ؛ ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » [الحديث بتمامه](١٥) .

أما الحديث الذي رواه الإمام أحمد][١] حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زياد أبو عمر ، عن الحسن ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **مثل أمتي مثل المطر ، لا يدرىٰ أوله خير أم آخره** »(١٦) . فهذا الحديثُ - بعد[٢] الحكم بصحة إسناده - محمول علىٰ أن الدين كما هو محتاج إلىٰ أول الأمة في إبلاغه إلىٰ من بعدهم ، كذلك هو محتاج إلىٰ القائمين به في أواخرها ، وتثبيت الناس علىٰ السنة وروايتها وإظهارها ، والفضل للمتقدم[٣] ، وكذلك الزرع الذي يحتاج إلىٰ المطر الأول وإلىٰ المطر الثاني ، ولكن العمدة الكبرىٰ علىٰ الأول ، واحتياج الزرع إليه آكد ، فإنه لولاه ما نبت في الأرض [ولا تعلق][٤] أساسه فيها ، ولهذا قال - عليه السلام - : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلىٰ قيام الساعة** » / - وفي لفظ : « **حتىٰ يأتي أمر اللّٰه وهم كذلك** »(١٧) .

والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم ، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلىٰ منزلة ، لشرف دينها وعظم نبيها ، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، وفي لفظ : « **مع**

---

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، باب : (١) ، حديث (٣٦٥١) .

ومسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حديث (٢٥٣٣) (١٦/١٢٧ وما بعدها) . كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود بنحو هذا اللفظ .

(١٦) - أخرجه أحمد (٤/٣١٩) (١٨٩٣٤) والحسن يدلس ويرسل . لكن حسن ابن حجر هذا الحديث بطرقه في فتح الباري (٧/٦) .

(١٧) - تقدم تخريجه في سورة البقرة آية : (١٢٩) . وهو حديث صحيح متفق عليه .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ت .
[٢] - في ز : يبعد .
[٣] - في ز : متقدم .
[٤] - سقط من ز ، خ .

كل ألف سبعون ألفًا » ، وفي آخر : « **مع كل واحد سبعون ألفًا** »(١٨) .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا هشام[١] بن يزيد الطبراني ، حدثنا محمد - هو ابن إسماعيل بن عياش - حدثني أبي ، حدثني [ ][٢] ضمضم - يعني ابن زُرعة - عن شُريح - هو ابن عبيد - عن أبي مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما والذي نفسي بيده ، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زُمرة جميعُها يحيطون الأرض ، تقول الملائكة : لَمَا جاء مع[٣] محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أكثرُ مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام** » (١٩).

وحسن أن يذكر هاهنا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في « **دلائل النبوة** » حيث قال : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، حدثنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي ، حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد[٤] الله بن مسرح الحراني ، حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني ، عن مسلمة[٥] بن عبد الله الجُهني ، عن عمه أبي مَشْجَعَة بن ربعي ، عن ابن زِمْل الجُهني - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا صلىٰ الصبح قال - وهو ثَانٍ [رجليه][٦] - : « **سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، إن الله كان توابًا** » - سبعين مرة - ثم يقول : « **سبعين بسبعمائة ، لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة** » . ثم يقول ذلك مرتين ، ثم يستقبل الناس بوجهه ، وكان يعجبه الرؤيا ، ثم يقول : « **هل رأى أحد منكم شيئًا ؟** » . قال [ابن زمل][٧] : فقلت : أنا يا رسول الله . فقال : « **خير تلقاه ، وشر توقاه ، وخير لنا ، وشر علىٰ أعدائنا ، والحمد لله رب العالمين ، اقصص رؤياك** » .

فقلت : رأيت جميع الناس علىٰ طريق رَحب سهل لاحب(*) ، والناس على الجادة منطلقين ، فبينما هم كذلك إذ أشفىٰ(**) ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله ، يرف

(١٨) - تقدم تخريج هذه الروايات في تفسير سورة آل عمران آية : (١١٠) .

(١٩) - إسناده ضعيف ؛ شريح عن أبي مالك مرسل كما في جامع التحصيل (١٩٥) . وضمضم : صدوق يهم . ومحمد بن إسماعيل عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع .

(*) اللاحب : الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع . النهاية (٤/٢٣٥) .

(**) أي : أشرف عليه . انظر النهاية (٢/٤٨٩) .

[١] - في ز ، خ : هاشم .

[٢] - في ز : ابن .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ت : عبيد .

[٥] - في ز ، خ : مسلم .

[٦] - في ت : رجله .

[٧] - في ز : « أبو رتل » . بلا نقط .

رفيقًا ، / يقطر ماؤه ، فيه من أنواع الكلأ ، قال : [وكأني][١]بالرعلة الأولىٰ حين أشفوا على المرج كبروا ، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق ، فلم يظلموه[٢] يمينًا ولا شمالاً ، قال : فكأني أنظر إليهم منطلقين . ثم جاءت الرّعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافًا ، فلما أشفوا علىٰ المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق [فمنهم المرتع][٣] ، ومنهم الآخذ الضغث . ومضوا علىٰ ذلك . قال : ثم قَدم عُظم الناس ، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا : هذا خير المنزل . كأني أنظر إليهم يميلون يمينًا وشمالاً ، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتىٰ آتي أقصىٰ المرج ، فإذا أنا بك يا رسول اللَّه علىٰ منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة ، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل[٤] أقنىٰ ، إذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولاً ، وإذا عن يسارك[٥] رجل ، ربعة باذّ كثير خيلان الوجه ، كأنما حُمّم شَعْره بالماء ، إذا هو تكلم أصغيتم إكرامًا له ، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقًا ووجهًا ، كلكم تؤمّونه تريدونه ، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف ، وإذا أنت يا رسول اللَّه كأنك تبعثها . قال : فامتقع لونُ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ساعة ثم سرّي عنه ، وقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أمّا ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب ، فذاك ما حُملتم عليه من الهدىٰ وأنتم عليه . وأما المرج الذي رأيت فالدنيا [وغضارة عيشها][٦] ، مضيت[٧] أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء ، ولم تتعلق منا ، ولم نردها ولم تردنا . ثم جاءت الرّعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافًا ، فمنهم المرتع[٨] ومنهم الآخذ الضغث ، ونجوا علىٰ ذلك . ثم جاء عُظْمُ الناس فمالوا في المَرْج يمينًا وشمالاً ، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون ، وأما أنت فمضيت علىٰ طريقة صالحة فلن تزال عليها حتىٰ تلقاني ، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة ، فالدنيا سبعة آلاف سنة ، أنا في آخرها [ألفًا . و][٩] أما الرجل الذي رأيتَ علىٰ يميني الآدَم الشّثل ، فذاك موسىٰ - عليه السلام - ، إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام اللَّه إياه ، والذي / رأيت عن يساري الباذّ الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حُمّم شعره بالماء ، فذاك عيسىٰ ابن مريم ، نكرمه لإكرام اللَّه إياه . وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقًا ووجهًا فذاك أبونا إبراهيم ، كلنا نؤمّه ونقتدي به . وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها ، فهي الساعة ، علينا تقوم ، لا نبي بعدي ، ولا أمة بعد أمتي** » . قال : فما سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء

---

[١] - في ز ، خ : وكانوا .
[٢] - في خ : يكلموه .
[٣] - في ز : منهم المريع .
[٤] - في ز : شتل . وفي الدلائل : شعث .
[٥] - في الدلائل : يساره .
[٦] - في ز ، خ : وعصاك نصيب .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : المرقع .
[٩] - سقط من ز .

الرجل فيحدثه بها متبرعًا(٢٠) .

وقوله : ﴿ علىٰ سرر موضونة ﴾ . قال ابن عباس : أي مرمولة[١] بالذهب ؛ يعني : منسوجة به . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والضحاك ، وغيره .

وقال السدي : مرمولة[٢] بالذهب واللؤلؤ . وقال عكرمة : مشبكة بالدر والياقوت . وقال ابن جرير : ومنه سمي وَضِين الناقة الذي تحت بطنها ، وهو فعيل بمعنىٰ مفعول ، لأنه مضفور ، وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلئ .

وقوله[٣] : ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ ، أي : وجوه بعضهم إلىٰ بعض ، ليس أحد وراء أحد . ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ ، أي : مخلدون علىٰ صفة واحدة ، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون ، ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ ، أما الأكواب فهي : الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان ، والأباريق : التي جمعت الوصفين . والكئوس : الهنابات، والجميع من خمر من عين جارية معين[٤]، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ ، بل من عيون سارحة .

وقوله : ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ ، أي : لا تصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم ، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة .

وروىٰ الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول . فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، وقتادة ، والسدّي : ﴿ لا يصدعون عنها ﴾ ، يقول : ليس لهم فيها صداع رأس .

وقالوا في قوله : ﴿ولا ينزفون﴾ أي: لا تذهب بعقولهم .

---

(٢٠) - أخرجه البيهقي في الدلائل (٣٦/٧ - ٣٨) وفي إسناده سليمان بن عطاء شيخ يروى عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي شجعة بن ربعي بأشياء موضوعة ، لا تشبه حديث الثقات فلست أدرى التخليط فيها منه أو من مسلمة .اهـ من المجروحين لابن حبان (٣٢٥/١) وقد روى له هذا الحديث شاهدًا على ذلك .

---

[١] - في ز : مزمولة .
[٢] - في ز : مزمولة .
[٣] - في ز : التي .
[٤] - في خ : يعني . وفي ت ، ز : معني .

وقوله : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ ، أي : ويطوفون عليهم بما[١] يتخيرون / من الثمار .

وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ، ويدل على ذلك حديث [عِكرَاش بن ذُؤيب][٢] الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده : حدثنا العباس بن الوليد النرسي[٣] ، حدثنا العلاء بن [الفضل][٤] بن عبد الملك بن أبي سَوِيَّة ، حدثنا عبيد[٥] الله بن [عكراش ، عن أبيه][٦]عكراش بن ذؤيب قال : بعثني بنو[٧] مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين[٨] المهاجرين والأنصار ، وقدمت عليه بإبل كأنها عُروق الأرْطَى ، قال : « **من الرجل ؟** » . قلت : عكراش بن ذُؤيب . قال : « **ارفع في[٩] النسب** » . فانتسبت له إلى مُرة بن عُبيد ، وهذه صدقة مرة بن عبيد . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « **هذه إبل قومي ، هذه صدقات قومي** » . ثم أمر بها أن تُوسم بِمِيسَم إبل الصدقة وتضم إليها . ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة ، فقال : « **هل من طعام ؟** » فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والوَذر ، فجعل يأكل منها(*) ، فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليسرى على يدي اليمنى ، فقال : « **يا عكرَاش ، كل من موضع واحد ، فإنه طعام واحد** » . ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب - شك عبيد الله رطبًا كان أو تمرًا[١٠] - فجعلت آكل من بين يدي ، وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق ، وقال : « **يا[١١] عكراش ، كل من حيث شئت ، فإنه غير لون واحد** » . ثم أتينا بماء فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يده[١٢] ومسح ببلل[١٣] كفيه وَجْهه وذراعيه ورأسه ثلاثًا ، ثم قال : « **يا عكراش ، هذا الوضوء مما غيرت[١٤] النار** »(٢١) .

(*) أي كثيرة قطع اللحم .

(٢١) - في إسناده عبيد الله بن عكراش ، قال البخاري : لا يثبت حديثه . والعلاء بن الفضل : ضعيف . وقد أخرجه ابن حبان في المجروحين ، بإسناد أبي يعلى (٢/١٨٣ - ١٨٤) ، وقال : العلاء بن الفضل كان ممن ينفرد بأشياء مناكير عن أقوام مشاهير ، لا يعجبني الاحتجاج بأخباره التي انفرد بها ، فأما ما وافق فيها الثقات ، فإن اعتبر بذلك معتبر لم أر بذلك بأسًا .

---

[١] - في ز ، خ : مما .
[٢] - في ز ، خ : « علي بن أنس بن ذؤيب » .
[٣] - في ز : المرسي .
[٤] - في ز ، خ : المفضل .
[٥] - في ز ، خ : عبد .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : في .
[٩] - في ز ، خ : من .
[١٠] - في ز : هذا .
[١١] - سقط من ز ، خ .
[١٢] - سقط من ز ، خ .
[١٣] - في ز ، خ : بتلك .
[١٤] - في ز : عوت .

وهكذا رواه الترمذي مطولًا وابن ماجة جميعًا ، عن محمد بن بشار ، عن أبي الهُذيل العلاء بن الفضل ، به(٢٢) . وقال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهز بن أسد وعفان - وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا شيبان - قالوا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت قال : قال أنس : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تعجبه الرؤيا ، فربما رأىٰ الرجل الرؤيا فسأل / عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أُثني عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه[١] ، فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله ، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة ، فسمعت وَجْبة انتحبت[٢] لها الجنة ، فنظرت فإذا فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، فسمت اثني عشر رجلًا ، كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قد بعث سرية قبل[٣] ذلك ، فجيء بهم عليهم ثياب طُلْس تشخب أوداجُهم ، فقيل: اذهبوا بهم إلى نهر [البيدخ ، أو: البيذخ][٤] - قال : فغمسوا فيه ، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بُسره ما شاءوا ، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلتُ معهم ، فجاء البشير من تلك السرية ، فقال : [كان من أمرنا][٥] كذا وكذا ، وأصيب فلان وفلان . حتى عد اثني عشر رجلًا ، فدعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المرأة[٦] فقال : قصي رؤياك . فقصتها . وجعلت تقول : فجيء بفلان وفلان كما قال (٢٣).

وهذا لفظ أبي يعلىٰ ، قال الحافظ الضياء : وهذا على شرط مسلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا معاذ بن المثنىٰ ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ريحان بن سعيد ، عن عباد بن منصور ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن[٧] ثوبان قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن[٨] **الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة ،**

---

(٢٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : الأطعمة ، باب : ما جاء في التسمية في الطعام ، حديث (١٨٤٩) (١٣٠/٦) . وابن ماجة في كتاب : الأطعمة ، باب : الأكل مما يليك ، حديث (٣٢٧٤) (١٠٨٩/٢ - ١٠٩٠) .

(٢٣) - أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ٢٥٧) . وأبو يعلى (٤٤/٦ - ٤٥) (٣٢٨٩) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٧٩/٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

---

[١] - في أبي يعلى : عليه .
[٢] - في أبي يعلى : انتحت . وفي مسند أحمد : ارتجت .
[٣] - في أبي يعلى : بمثل .
[٤] - في خ : « التياح أو السدح » .
[٥] - في ز ، خ : « ما كان من رؤيا » .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز : هو .
[٨] - سقط من خ .

عادت مكانها أخرىٰ » (٢٤).

وقوله : ﴿ **ولحم طَير مما يشتهون** ﴾ قال[١] الإمام أحمد :

حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي[٢] ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن طير الجنة كأمثال البُخْت ترعىٰ في شجر الجنة** » . فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، إن هذه لطير ناعمة . فقال : « **أكَلَتُها**[٣] **أنعم منها - قالها ثلاثًا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها** »(٢٥) . تَفَرّد به أحمد من هذا الوجه. وروىٰ الحافظ أبو عبد اللَّه المقدسي في كتابه « **صفة الجنة** » من حديث إسماعيل بن علي الخُطبي[٤] ، عن أحمد بن علي الخَيُوطي ، عن عبد الجبار بن عاصم ، عن عبد اللَّه بن زياد ، عن زرعة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم طوبىٰ ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أبا بكر هل بلغك ما طوبىٰ ؟** » . قال : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **طوبىٰ شجرة في الجنة ، ما يعلم طولها إلا اللَّه ، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفًا ، ورقها**[٥] **الحُلَل ، يقع عليها الطير كأمثال البخت** » . / فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، إن هناك لطيرًا ناعمًا ؟ قال : « **أنعم منه من يأكله ، وأنت منهم إن شاء اللَّه** » (٢٦).

وقال قتادة في قوله : ﴿ **ولحم طير مما يشتهون** ﴾ : ذكر لنا أن أبا بكر قال : يا رسول للَّه ، إني أرىٰ طيرها ناعمة كما أهلها ناعمون . قال : « **من يأكلها - واللَّه يا أبا بكر - أنعم منها ، وإنها لأمثال البُخْت ، وإني لأحتسب علىٰ اللَّه أن تأكل منها يا أبا بكر** » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني مجاهد بن موسىٰ ، حدثنا معن بن عيسىٰ ، حدثني

---

(٢٤) - أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢/٢) (١٤٤٩) وفي إسناده عباد بن منصور وهو مدلس وقد تغير بأخرة ، وقد ذكره ابن حجر في الطبقة الرابعة من طبقات المدلسين . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤١٧/١٠) وقال : رواه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني وأحد إسنادى البزار ثقات .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٢٢١/٣) (١٣٣٣٥) . وفي إسناده سيار بن حاتم صدوق له أوهام وبقية رجاله ثقات . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤١٧/١٠) : رواه الترمذي باختصار ، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

(٢٦) - عزاه الألباني في الصحيحة (٢٥١٤) للمقدسي وأعله بعبد الله بن زياد ، وقال تكلم فيه ابن حبان .

---

[١] - في ز : وقال .

[٢] - في ز : الطبيعي .

[٣] - في ز : أكلها .

[٤] - في ز : الخطي .

[٥] - في ز : وورقها .

ابنُ أخي ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سُئل عن الكوثر ؟ فقال : « **نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة ، أشد بياضًا من اللبن ، وأحلىٰ من العسل ، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجُزُر** » . فقال عمر : إنها لناعمة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **آكلها أنعم منها** » .

وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن القعنبي ، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس(٢٧) ، وقال : حسن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو معاوية ، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي[١] ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن في الجنة لطيرًا فيه سبعون ألف ريشة ، فيقع علىٰ[٢] صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض ، فيخرج من كل ريشة ؛ يعني لونًا أبيض من اللبن ، [وألين من الزبد][٣] ، وأعذب من الشهد ، ليس منها لون يشبه صاحبه ، ثم يطير** » .

هذا حديث غريب جدًّا ، والوصافي[٤] وشيخه ضعيفان . ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث ، حدثني الليث ، حدثنا خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي حازم ، عن عطاء ، عن كعب قال : إن طائر الجنة كأمثال[٥] البُخت ، يأكل[٦] مما خُلق من ثمرات الجنة ، ويشرب من أنهار الجنة ، فيصطففن[٧] له ، فإذا اشتهىٰ منها شيئًا أتاه حتىٰ يقع بين يديه ، فيأكل من خارجه وداخله ، ثم يطير[٨] لم ينقص منه شيء(٢٨) . صحيح إلىٰ[٩] كعب .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنك**

---

(٢٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : الجنة ، باب : ما جاء في صفة طير أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٥) (٧/ ٢٢١) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٥١٤) .

(٢٨) - في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وهو صدوق كثير الغلط ، وبقية رجاله ثقات .

---

[١] - في ز : الرصافي .
[٢] - في خ : كل .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ز : الرصافي .
[٥] - في ت : أمثال .
[٦] - بياض في ز ، خ .
[٧] - في ز : فيصطفين .
[٨] - في ز : نظر .
[٩] - في خ : أبي .

لتنظر إلىٰ الطير في الجنة فتشتهيه ، فيخر بين يديك مشويًا »(٢٩) .

وقوله : ﴿ **وحُور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ : قرأ بعضهم بالرفع ، وتقديره : ولهم فيها حور عين . وقراءة الجر تحتمل معنين : أحدهما : / أن يكون الإعراب علىٰ الإتباع بما قبله ، كقوله : ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يُصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين** ﴾ ، كما قال: ﴿ **وامسحوا برءوسكم وأرجلكم** ﴾ وكما قال : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق** ﴾ . والاحتمال الثاني : أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ، ولكن يكون ذلك في القصور ، لا بين بعضهم بعضًا ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ ، أي : كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه و صفائه ، كما تقدم في سورة الصافات : ﴿ **كأنهن بيض مكنون** ﴾ . وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضًا ، ولهذا قال : ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ ، أي : هذا الذي أتحفناهم[١] به مجازاة لهم علىٰ ما أحسنوا من العمل .

ثم قال: ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا . إلّا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ ، أي : لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا ، أي : غثًا خاليًا عن المعنى ، أو مشتملًا على معنى [حقير أو ضعيف][٢] ، كما قال: ﴿ **لا تسمع فيها لاغية** ﴾ أي: كلمة لاغية ﴿ **ولا تأثيما** ﴾ أي: ولا كلامًا فيه قبح[٣] ، ﴿ **إلّا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض ، كما قال: ﴿ **تحيتهم فيها سلام** ﴾ وكلامهم أيضًا سالم من اللغو والإثم .

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ
﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ
وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾
عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾

---

(٢٩) - في إسناده حميد الأعرج ضعيف وخلف بن خليفة : صدوق اختلط في الآخر .

[١] - في ز : ألحقناهم . [٢] - في ز : حقيرًا وضعيفًا » .
[٣] - في ز : قبيحًا .

لما ذكر تعالىٰ مآل السابقين - وهم المقربون - عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار - كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين ، فقال : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾ . أي : أي شيءٍ أصحاب اليمين ؟ وما حالهم ؟ وكيف مآلهم ؟ ثم فسر ذلك فقال : ﴿ **في سدر مخضود** ﴾ . قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وأبو الأحوص ، وقَسامة بن زُهَير ، والسَّفر بن بشير[١] ، والحسن ، وقتادة ، وعبد اللَّه بن كثير ، والسدي ، وأبو حزرة[٢] ، وغيرهم : هو الذي لاشوك فيه ، وعن ابن عباس : هو المُوقر بالثمر . وهو رواية عن عكرمة ، / ومجاهد . وكذا قال قتادة أيضًا : كنا نُحدّث أنه المُوقر الذي لا شوك فيه .

والظاهر أن المراد هذا وهذا ؛ فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفي الآخرة علىٰ العكس[٣] من هذا ، لاشوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله . كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد[٤] :

[حدثنا عبد اللّه[٥] بن محمد - هو البغوي - حدثني حمزة بن العباس ، حدثنا عبد اللّه بن عثمان][٦] ، حدثنا عبد اللّه بن المبارك ، أخبرنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر ، قال : كان أصحاب رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقولون : إن اللّه لينفعنا بالأعراب ومسائلهم . قال : أقبل أعرابي يومًا ؛ فقال : يا رسول اللّه ؛ ذَكَرَ اللّه في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها . فقال[٧] رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **وما هي ؟** » : قال السّدر ، فإن له شوكًا مؤذيًا . فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أليس اللّه يقول : ﴿ في سدر مخضود ﴾** ، خَضَد اللّه شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها لتنبت ثمرًا تَفَتّق الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام ، مافيها لون يشبه الآخر »(٣٠) .

طريق أخرىٰ ، قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن المصفىٰ ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثني ثور بن يزيد ، حدثني حَبيب بن عبيد ، عن عُتْبة بن عبد السلمي ؛ قال : كنت جالسًا مع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فجاء أعرابي ؛ فقال : يا رسول اللّه ؛ أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها ؟ -

---

(٣٠) - أخرجه ابن أبي الدنيا كما في « الترغيب والترهيب » (٤/٤٣٤) وقال : إسناده حسن . وأخرجه الحاكم (٢/٤٧٦) وصححه ، ووافقه الذهبي .

---

[١] - في ز ، خ : بشر .
[٢] - في ز : حرزة .
[٣] - في ت : عكس .
[٤] - في خ : النجار .
[٥] - في ت : محمد .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٧] - في ز : قال .

يعني : الطلح - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصوة**[١] **التيس الملبود ، فيها سبعون لونًا من الطعام ، لا يشبه لون آخر** »(٣١) .

وقوله : ﴿ **وطلح منضود** ﴾ ، الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العضَاه ، واحدته طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، وأنشد ابن جرير لبعض الحداة

بَشَّرَها دَلِيلُها وقَالا : غدًا تَرينَ الطَّلحَ والجبالا

[ ][٢] .

قال مجاهد : ﴿ **منضود** ﴾ ، أي متراكم الثمر ، يذكر بذلك قريشًا ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ[٣] وظلاله من طلح وسدر . وقال السدي : ﴿ **منضود** ﴾ مصفوف . قال ابن عباس : يشبه طلح الدنيا ، ولكن له ثمر أحلى من العسل . قال الجوهري : والطلح لغةٌ في الطلع .

قلت : وقد روى ابن / أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد ، عن شيخ من همدان ؛ قال : سمعت عليًا يقول هذا الحرف في ﴿ **طلح منضود** ﴾ ، قال : ﴿طلع منضود﴾(٣٢) ، فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر ، فكأنه وصفه بأنه مخضود ، وهو الذي لا شوك له ، وأن طلعه منضود ، وهو كثرة ثمره ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن إدريس ، عن جعفر ابن إياس ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ﴿ **وطلح منضود** ﴾ ، قال : الموز . قال وروي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، والحسن ، وعكرمة ، وقسامة بن زُهَير ، وقتادة ، وأبي حزرة[٤] ، مثل ذلك . وبه قال مجاهد ، وابن زيد ، وزاد فقال : أهل اليمن يسمون الموز الطلح . ولم يحك ابن جرير غير هذا القول .

---

(٣١) - محمد بن المصفى صدوق له أوهام . لكن أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٦) من طريق أبي زرعة الدمشقي ثنا أبو مسهر ثنا يحيى بن حمزة ، به . قال الهيثمي في المجمع (٤١٧/١٠) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣٢) - إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي من همدان .

---

[١] - في ز : حضرة .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « كما قال ميمون بن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين » .

[٣] - وَجٌّ : اسم وادٍ بالطائف . القاموس صـ (٢٦٦) .

[٤] - في ز : حرزة .

وقوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال البخاري : حدثنا عليّ بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - يبلُغ به النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾** »(٣٣) . ورواه مسلم من حديث الأعرج به(٣٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيج ، حدثنا فُلَيح ، عن هلال بن عليّ ، عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرة ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن**[١] **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾** »(٣٥) . وكذا رواه البخاري عن محمد بن سنان[٢] عن فليح به(٣٦) . وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن[٣] هَمام ، عن أبي هريرة(٣٧) . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة(٣٨) ، والليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة(٣٩) وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج؛ قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هُرَيرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إن**[٤] **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة - سنة ، هي شجرة الخلد** »(٤٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله؛ قال : « **في الجنة شجرة يسير**

(٣٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، حديث (٤٨٨١) (٦٢٧/٨) .

(٣٤) - أخرجه مسلم في كتاب : الجنة ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٢٨٢٦/٧) (٢٤٤/١٧) .

(٣٥) - أخرجه أحمد (٤٨٢/٢) .

(٣٦) - البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥٢) (٣١٩/٦) .

(٣٧) - عبد الرزاق في « مصنفه » (٤١٧/١١) (٢٠٨٧٧) .

(٣٨) - أحمد (٤٦٩/٢) .

(٣٩) - مسلم في كتاب : الجنة ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٢٨٢٦/٦) (٢٤٤/١٧) .

(٤٠) - أخرجه أحمد (٤٥٤/٢) . وفي إسناده أبو الضحاك : مقبول .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : شيبان .
[٣] - في ز : بن .
[٤] - سقط من ز .

الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ، واقرءوا إن شئتم : ﴿ وظل ممدود ﴾ » . إسناد جيد ، ولم يخرجوه .

وهكذا رواه ابن جرير / [٢٢/٧و] عن أبي كريب عن[١] عبدة وعبد الرحيم ، عن محمد بن [عمرو به][٢] (٤١).

وقد رواه الترمذي ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان به (٤٢).

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زياد - مولىٰ بني مخزوم - عن أبي هُرَيرة ؛ قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : **﴿ وظل ممدود ﴾** . فبلغ ذلك كعبًا فقال : صدق ، والذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ ، والفرقان علىٰ محمد ، لو أن رجلًا ركب حقة أو جذعة ثم دارحول تلك الشجرة ما بلغها حتىٰ يسقط هَرَمًا[٣] ، إن اللّه غرسها بيده ، ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور[٤] الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة (٤٣).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا محمد بن منهال الضرير ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد[٥] بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في قول اللّه عز وجل : **﴿ وظل ممدود ﴾** ، قال : « **في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها** »(٤٤) .

وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع(٤٥) . وهكذا رواه أبو داود

(٤١) - أخرجه الطبري (١٨٣/٢٧) .

(٤٢) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٨٨) (٣٤/٩) .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤٣) - أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٨٢/٢٧) ، وفي إسناده زياد مولى بنى مخزوم ، قال يحيى بن معين : لاشيء . الجرح والتعديل (٥٤٩/٣) لكن يشهد لصدر الحديث الأحاديث السابقة .

(٤٤) - أخرجه أبو يعلى (٥/ ٣٤٨، ٣٨٠) (٢٩٩١، ٣٠٣٨) من طريقين عن قتادة بنحو هذا الحديث في ذكر الشجرة .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٥١) (٣١٩/٦) .

[١] - في ز : و .
[٢] - في ز : عبد ربه .
[٣] - بياض في ز .
[٤] - في ز : ستور .
[٥] - في ز : حميد .

الطيالسي ، عن عمران بن[١] دَاوَر القطان ، عن قتادة ، به(٤٦) . وكذا رواه معمر ، وأبو[٢] هلال ، عن قتادة به(٤٧) .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسَهل بن سَعد ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المُضَمَّر السريع مائة عام ما يقطعها** »(٤٨) .

فهذا حديث ثابت عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيده ، وثقة رجاله .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حُصَين؛ قال : كنا علىٰ باب في موضع ، ومعنا أبو صالح وشقيق - يعني الضبي - فحدّث أبو صالح؛ قال : حدثني أبو هُرَيرة؛ قال : إنَّ في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا . قال أبو صالح : أتكَذّب أبا هريرة ؟ قال : ما أكذّب أبا هريرة ، ولكني أكذّبك أنت . فشق ذلك علىٰ القراء يومئذ[٣] (٤٩) .

قلت : فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعه إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا زياد / بن الحسن بن الفُرَات القَزّاز ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي حازم ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه

---

(٤٦) - والطبري (٢٧/١٨٣) من طريق أبي داود .

(٤٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٨٩) (٩/٣٤ - ٣٥) من طريق معمر عن قتادة .

قال الترمذي : حسن صحيح . وأخرجه الطبري (٢٧/١٨٤) من طريق معمر وأبي هلال عنه .

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٥٣) (١١/٤١٦) .

ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، حديث (٢٨٢٨) (١٧/٢٤٥) كلاهما من حديث أبي سعيد .

وأخرجه البخاري رقم (٦٥٥٢) (١١/٤١٥) . ومسلم برقم (٨/٢٨٢٧) كلاهما من طريق سهل بن سعد .

(٤٩) - أخرجه الطبري (٢٧/١٨٤) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : وابن .

[٣] - سقط من ز .

وسلم : « **مافي الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب** » (٥٠). ثم قال : حسن غريب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا أبو عامر العَقَدي ، عن زمعة[١] بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر مايسير الراكب في نواحيها مائة عام .

قال : فيخرج إليها أهل الجنة - أهل الغرف وغيرهم - فيتحدثون في ظلها . قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا ، فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (٥١). هذا أثر غريب ، وإسناده جيد قوي حسن.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن يمان ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال : سبعون ألف سنة . وكذا رواه ابن جرير عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، مثله . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي أسحاق ، عن عمرو بن ميمون ﴿ **وظل ممدود** ﴾ ، قال : [خمسمائة ألف سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا حُصَين بن نافع ، عن الحسن في قول الله تعالى : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ قال][٢] : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة [ألف][٣] سنة لايقطعها .

وقال عوف عن الحسن : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لايقطعها** » . رواه ابن جرير (٥٢).

وقال شبيب : عن عكرمة ، عن ابن عباس : في الجنة شجر[٤] لا يحمل ، يُستظَلّ به . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الضحاك ، والسدي ، وأبو حَزْرَة في قوله : ﴿ **وظل ممدود** ﴾ : لاينقطع ، ليس

---

(٥٠) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة شجر الجنة ، حديث (٢٥٢٧) (٢١٠/٧) . وزياد بن الحسن بن فرات : صدوق يخطئ ، وأبوه صدوق يهم ، وبقية إسناده ثقات . والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٩ - ٢٦٥٨) .

(٥١) - في إسناده زمعة بن صالح ضعيف .

(٥٢) - أخرجه الطبري (١٨٤/٢٧) وهو ظاهر الانقطاع ، لكن يشهد له ما سبق من أحاديث صحيحة .

---

[١] - في ز : ربيعة .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : شجرة .

فيها شمس ولا حر ، مثل قبل طلوع الفجر .

وقال ابن مسعود : الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

وقد تقدمت الآيات كقوله : ﴿ **وندخلهم ظلًا ظليلًا** ﴾ وقوله : ﴿ **أكلها دائم وظلها** ﴾ وقوله : ﴿ **في ظلال وعيون** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ **وماء مسكوب** ﴾ ، قال الثوري : [يعني][1] يجري في غير أخدود .

وقد تقدم الكلام عند[2] تفسير قوله تعالى : ﴿ **فيها أنهار من ماءٍ غير آسن ...** ﴾ . الآية . بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **وفاكهة كثيرة * لامقطوعة ولاممنوعة** ﴾ . أي : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر علىٰ قلب بشر : ﴿ **كلما رزقوا / منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا** ﴾ . أي : يشبه الشكلُ الشكلَ ، ولكن الطعمَ غيرُ الطعم . وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى قال : « **فإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها[3] مثل قلال هجر** »(٥٣) . وفيهما أيضًا ، من حديث مالك ، عن زيد ، عن عطاء بن يَسَار ، عن ابن عباس قال : خُسفَت الشمس ، فصلىٰ رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم والناس معه ، فذكر الصلاة . وفيه : « **قالوا : يا رسول اللَّه ؛ رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت(*) ! قال : إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقودًا ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا** » (٥٤).

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا عبد اللَّه بن جعفر ، حدثنا عبيد اللَّه ، حدثنا ابن عقيل ، عن جابر قال : بينا نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئًا ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضىٰ الصلاة قال له أُبيّ بن كعب : يارسول اللَّه ، صنعتَ اليومَ في الصلاة شيئًا ما كنت تصنعه ! قال : « **إنه عُرِضَتْ عليّ الجنة ، وما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت منها قِطْفًا من عنب لآتيكم به ، فحيل**

(٥٣) - تقدم تخريجه في أول سورة الإسراء في أحاديث المعراج .

(*) أي أحجمت وتراجعت إلى الوراء . (النهاية ٤/١٨٠)

(٥٤) - أخرجه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : رفع البصر إلى الإمام في الصلاة ، حديث (٧٤٨) (٢/٢٣٢) . ومسلم في كتاب : الكسوف ، باب : ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، حديث (١٧/٩٠٧ م) (٦/٣٠٢).

[١] - سقط من ت ، خ . [٢] - في ز : على .

[٣] - في ز : وسعفها .

بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لاينقصونه » .

وروىٰ مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه (٥٥).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عليّ بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عامر بن زيد البَكَالي : أنه سمع عُتبةَ بن عَبْد السلمي يقول : جاء أعرابي إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسأله عن الحوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ قال : « **نعم ، وفيها شجرة تدعىٰ طوبىٰ** » ، فذكر شيئًا لا أدري ما هو ، قال : أي[١] شجر أرضنا تشبه ؟ قال : « **ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك** » ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أتيتَ الشام ؟** » قال : لا . قال : « **تشبه شجرة بالشام تدعىٰ الجَوزة ، تنبت علىٰ ساق واحد ، وينفرش أعلاها** » . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : « **لو ارتحلت جَذَعة من إبل أهلك ما أحاطت[٢] بأصلها حتىٰ تنكسر ترقوتها هرمًا[٣]** » . قال : فيها عنب ؟ قال : « **نعم** » . قال : فما[٤] عظم العنقود ؟ قال : « **مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتر** » . قال : فما عظَم الحبة[٥] ؟ قال : « **هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا ؟** » قال : نعم . قال : « **فسلخ إهابه فأعطاه أمك / فقال : اتخذي لنا منه دلوًا ؟** » قال : نعم . قال الأعرابي : فإن تلك الحبة[٦] لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال : « **نعم وعامَّة عشيرتك** » (٥٦).

وقوله : ﴿ **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ ، أي : لا تنقطع شتاء ولا صيفًا ، بل أكلها دائم مستمر أبدًا ، مهما طلبوا وجدوا ، لايمتنع عليهم بقدرة اللّٰه شيء .

قال قتادة : لا يَمنعهم من تَناولها عودٌ ولا شوك ولا بُعدٌ . وقد تقدم في الحديث : إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرىٰ .

---

(٥٥) - أخرجه مسلم في كتاب : الكسوف ، باب : ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، حديث (٩/٤٠٩) (٦/٢٩٣ وما بعدها) .

(٥٦) - أخرجه أحمد (٤/١٨٣) (١٧٦٩٣) . وعامر بن زيد البكالى ، قال الحسيني : ليس بالمشهور ، وتعقبه ابن حجر بقوله : بل معروف ؛ ذكره البخاري فقال : سمع عتبة بن عبدي ، روى عنه أبو سلام ، حديثه في الشاميين ، ولم يذكر فيه جرحًا . وتبعه ابن أبي حاتم ؛ وأخرج ابن حبان في صحيحه من طريق أبي سلام عنه أحاديث صرح فيها بالتحديث ، ومقتضاه أنه عنده ثقة ، ولم أر له ذكرًا في النسخة التى عندي من الثقات له ، فما أدرى هل أغفله أو سقط من نسختي ، ولاترجم له ابن عساكر في تاريخ =

---

[١] - في ز : لهي .
[٢] - في ز : أحطت .
[٣] - في ز : هربًا .
[٤] - في ز : ما .
[٥] - في ز : الجنة .
[٦] - في ز : الجنة .

وقوله : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ أي : عالية وطيئة ناعمة .

قال النسائي وأبو عيسىٰ الترمذي : حدثنا أبو كريب ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن عَمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ ، قال : « **ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام**(٥٧) » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . قال : وقال بعض أهل العلم[١] : معنىٰ هذا الحديث : ارتفاع الفرش في الدرجات ، وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . هكذا قال : إنه لايعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد ، وهو المصري ، وهو ضعيف .

وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير ، عن أبي كريب ، عن رشدين ، به (٥٨) .

ثم رواه هو وابن أبي حاتم ، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، فذكره(٥٩) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضًا عن نُعَيم بن حماد ، عن ابن وهب ، وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة ، عن ابن وهب ، به مثله .

ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسىٰ ، عن ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، فذكره (٦٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر[٢] ، عن أبي سهل - يعني كثير بن زياد - عن الحسن : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ ، قال : ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة (٦١) .

= دمشق . اهـ من التعجيل (٢٠٤ - ٢٠٥) وبقية إسناده ثقات .

(٥٧) - أخرجه الترمذي في صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٠) . وفي تفسير سورة الواقعة برقم (٣٢٩٠) . وفي إسناده دراج في روايته عن أبي الهيثم ضعف ، ورشدين ضعيف .

(٥٨) - أخرجه الطبري (١٨٥/٢٧) .

(٥٩) - أخرجه (١٨٥/٢٧) من رواية دراج عن أبي الهيثم .

(٦٠) - أخرجه أحمد (٧٥/٣) (١١٧٣٦) وإسناده كسابقه .

(٦١) - في إسناده جويبر ، وهو ضعيف جدًا .

---

[١] - في ز : المعاني .

[٢] - في ز : جوهر .

وقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارًا * عربًا أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، جرىٰ الضمير علىٰ غير مذكور . لكن لما دل السياق - وهو ذكر الفرش علىٰ النساء اللاتي يضاجعن فيها - اكتفي بذلك عن ذكرهن ، وعاد الضمير عليهن ، كما في قوله : ﴿ **إذ عُرض عليه بالعشيّ الصافناتُ الجياد * فقال إني / أحببت حُبّ الخير عن ذكر ربي حتي توارت بالحجاب** ﴾ يعني الشمس على المشهور من قول المفسرين .

قال الأخفش في قوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ : أضمرهن ولم يذكرهن[١] قبل ذلك .

وقال أبو عبيدة : ذكرن[٢] في قوله : ﴿ **وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون** ﴾ .

فقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن** ﴾ أي أعدناهن في النشأة الآخرة بعدما كن عجائز رمصا ، صرن أبكارًا عربًا ، أي : بعد الثيوبة عدن أبكارًا عُرُبًا ، أي : متحببات إلىٰ أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ أي : غنِجات .

قال موسىٰ بن عُبَيدة الرَّبَذيّ[٣] : عن يزيد الرّقاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال : رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ ، قال : « **نساءَ عجائزَ كُنّ في الدنيا عُمْشًا رُمْصًا**(٦٢) » . رواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم . ثم قال الترمذي : غريب ، وموسىٰ ويزيد ضعيفان .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس - حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن يزيد بن مُرّة ، عن سلمة بن يزيد قال : سمعتُ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول في قوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً** ﴾ يعني : الثيب والأبكار اللاتي كُنّ في الدنيا (٦٣).

وقال عبد بن حُمَيد : حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أتت عجوز فقالت : يارسول اللَّه ؛ ادع اللَّه أن يدخلني الجنة . فقال : « **ياأم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز** » . قال : فولت تبكي ، قال : « **أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ، إن اللَّه تعالىٰ يقول : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً * فجعلناهن أبكارًا ﴾** » .

---

(٦٢) - أخرجه الترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٩٢) (٩/٣٦) . والطبري (٢٧/١٨٥) .

(٦٣) - في إسناده جابر - وهو بن يزيد الجعفي - : ضعيف .

---

[١] - في ز : يذكر .
[٢] - في ز : ذكر .
[٣] - في ز : البريدي .

وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد(٦٤) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا بكر بن سهل الدمياطي ، حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي ، حدثنا سليمان بن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يارسول الله ، أخبرني عن قول الله : ﴿ حور عين ﴾ ، قال : « حور : بيض . عين : ضخام العيون ، شُفْر(*) الحوراء بمنزلة جناح النسر » . قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ ، قال : « صفاؤهن صفاءُ الدر الذي في الأصداف الذي لم تَمَسّه الأيدي » . قلت : أخبرني عن قوله : ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ . قال : « خَيِّراتُ الأخلاق ، حسان الوجوه » . قلت : أخبرني / عن قوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ . قال : « رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر ، وهو : الغِرْقِئُ[١] » . « قلت : يارسول الله ، أخبرني عن قوله : ﴿ عربًا أترابًا ﴾ . قال : « هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمْصًا شمطًا ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارىٰ عُرُبًا متعشقات محببات[٢] ، أترابًا علىٰ ميلاد واحد » . قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ، كفضل الظِّهارة علىٰ البِطانة » . قلت : يا رسول الله ، وبم ذاك ؟ قال : « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله - عز وجل - ألبس الله وجوهَهن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلي ، مجامرهن الدر[٣] ، وأمشاطهن الذهب ، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت[٤] ، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ، طوبىٰ لمن كُنَّا له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله ؛ المرأة منا تتزوج الزوجين[٥] والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من[٦] يكون زوجها ؟ قال « يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقًا ، فتقول : يارب ، إن هذا كان أحسن خلقًا معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ؛ ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »(٦٥) .

---

(٦٤) - أخرجه الترمذي في الشمائل كما في مختصر الألباني برقم (٢٠٥) . والحديث مرسل ؛ فالحسن يرسل ويدلس والراوي عنه وهو المبارك بن فضالة يدلس ويسوي . والحديث حسنه الشيخ الألباني لشواهده في غاية المرام .

(*) الشفر : بالضم وقد يفتح - حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر . (النهاية ٢/٤٨٤)

(٦٥) - أخرجه الطبراني (٢٣/٣٦٧ - ٣٦٨) حديث (٨٧٠) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٢٢) : رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي .

---

[١] - في ز : الغري .
[٢] - في خ : متحببات .
[٣] - في ز : الدرر .
[٤] - بعده في خ : أبدًا .
[٥] - في ز : زوجين .
[٦] - في خ : فمن .

وفي حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها . فكان[١] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل الرجل منهم علىٰ ثنتين وسبعين زوجة ، [سبعين][٢] مما ينشئ الله ، وثنتين من ولد آدم ، لهما فضل علىٰ من أنشأ الله ، بعبادتهما[٣] الله في الدنيا ، يدخل علىٰ الأولىٰ منهما في غرفة من ياقوتة ، علىٰ سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجًا من سندس وإستبرق ، وإنه ليضع يده بين كتفيها ، ثم ينظر إلىٰ يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلىٰ مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلىٰ السلك في قصبة الياقوت ، كبده لها مرآة - يعني : وكبدها له مرآة - فبينما هو / [٢٥/٧و] عندها لا يملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يفتر ذكره ولا تشتكي قبلها إلا أنه لا [منيّ ولا مَنِيّة][٤] ، فبينما هو كذلك إذ نودي : إنا قد عرفنا أنك لا تَمَلّ ولا تُمَلّ ، إلا أن لك أزواجًا غيرها . فيخرج[٥] ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما في الجنة شيء[٦] أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إليّ منك**(٦٦) .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هُرَيرة ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال له : أنطأ في الجنة ؟ قال : « **نعم والذي نفسي بيده ، دَحمًا دَحمًا ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**[٧] »(٦٧) .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي ، حدثنا معلىٰ بن عبد الرحمن الواسطي ، حدثنا شريك ، عن عاصم الأحول ، عن أبي المتوكل ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا** »(٦٨) .

---

(٦٦) - تقدم تخريجه في تفسير سورة إبراهيم آية ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض** .....﴾ (٤٨) وإسناده ضعيف ، وهو عند البيهقي في البعث .

(٦٧) - أخرجه ابن حبان (٣٥٩/٨ - موارد) (٢٦٣٣) وفي إسناده دراج وهو ضعيف .

(٦٨) - أخرجه الطبراني في الصغير (٩١/١) وقال : لم يروه عن عاصم إلا شريك . تفرد به معلى بن عبد الرحمن .

---

[١] - في ز : وكان .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : بعبادتهم .

[٤] - في ز : « بني ولا صبية » . بلا نقط .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من ز .

[٧] - في ز : بكذا .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عِمْران ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يعطىٰ المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء** » . قلت : يا رسول اللَّه ، ويطيق[١] ذلك ؟ ! قال : « **يعطىٰ قوة مائة** » (٦٩).

ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال : صحيح غريب(٧٠) .

ورروىٰ أبو القاسم الطبراني من حديث حُسَين بن عليّ الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هُرَيرة قال : قيل : يا رسول اللَّه ، هل نصل إلىٰ نسائنا في الجنة ؟ قال : « **إن الرجل ليصل في اليوم إلىٰ مائة عذراء** » (٧١).

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : هذا الحديث عندي على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : يعني متحببات إلىٰ أزواجهن ، ألم تر إلىٰ الناقة الضبِعة ، هي كذلك .

وقال الضحاك عن ابن عباس : العُرُب : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لهن عاشقون . وكذا قال عبد اللَّه بن سرجس[٢] ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير ، وعطية ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال [ثور بن][٣] زيد عن عكرمة ؛ قال : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ **عُرُبًا** ﴾ قال : هي الملقة لزوجها . وقال شعبة عن سماك عن عكرمة : هي الغنجة / .

وقال الأجلح بن عبد اللَّه ، عن عكرمة : هي الشَّكلة . وقال صالح بن حَيَّان ، عن عبد اللَّه بن بريدة في قوله : ﴿ **عُرُبا** ﴾ ، قال : الشكلة بلغة أهل مكة ، والغنجة بلغة أهل المدينة . وقال تميم بن حذلم : هي حسن التبعل . وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن :

= قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٢٠/١٠) : رواه البزار والطبراني في الصغير وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب .

(٦٩) - أخرجه الطيالسي في « مسنده » ص (٢٦٩) برقم (٢٠١٢) .

(٧٠) - ومن طريقه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة جماع أهل الجنة ، حديث (٢٥٣٩) (٢١٨/٧) . وفي إسناده قتادة مشهور بالتدليس ، وعمران - وهو ابن داود القطان ، صدوق يهم .

(٧١) - أخرجه الطبراني في الأوسط (٢١٩/١) (٧١٨) . وإسناده رجاله ثقات .

[١] - في ز : ونطيق .
[٢] - في ز : سرخس .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز : أبو .

العُرُب : حسنات الكلام .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن سهل بن عثمان العسكري : حدثنا أبو عليّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [﴿ عُرُبًا ﴾][١] قال : « **كلامهن عربيّ** » .

وقوله : ﴿ **أترابًا** ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس : يعني في سن واحدة ؛ ثلاث وثلاثين سنة .

وقال مجاهد : الأتراب : المستويات . وفي رواية عنه : الأمثال . وقال عطية : الأقران . وقال السدي : ﴿ **أترابًا** ﴾ ، أي : في الأخلاق المتواخيات بينهن ، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد ، يعني لا كما كن ضرائر متعاديات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف ، عن الحسن ومحمد : ﴿ **عُرُبًا أترابًا** ﴾ ، قالا : المستويات الأسنان ، يأتلفن جميعًا ، ويلعبن جميعًا .

وقد روىٰ أبو عيسىٰ الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن عليّ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين ، يرفعن أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبىٰ لمن كان لنا وكُنّا له** » (٧٢). ثم قال : هذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن فلان بن عبد الله بن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **إن الحور العين ليغنين في الجنة ، يقلن : نحن خَيِّرات حسان ، خبئنا[٢] لأزواج كرام** » (٧٣).

قلت : إسماعيل بن عُمَر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات . وقد روىٰ هذا

---

(٧٢) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في كلام الحور العين ، حديث (٢٥٦٧) (٧/٢٤٠ - ٢٤١) . وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف . والنعمان بن سعد ؛ قال الحافظ : مقبول .

(٧٣) - أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية لابن حجر (٤/٤٠٢) (٤٦٨٤) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : حيينا .

الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحيم ، عن ابن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع ، عن ابن لأنس ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : / « **إن الحور العين يغنين في الجنة : نحن الجوار الحسان ، خلقنا لأزواج كرام** » (٧٤).

وقوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾ ، أي : خلقن لأصحاب اليمين [أو : ادّخرن لأصحاب اليمين][١] أو : زوجن لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارًا . عربًا أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير .

رُوِي عن أبي سليمان الدّاراني - رحمه الله - قال : صليتُ ليلة ، ثم جلست أدعو ، وكان البردُ شديدًا ، فجعلت أدعو بيد واحدة ، فأخذتني عيني فنمت ، فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول : يا أبا سليمان ، أتدعو بيد واحدة وأنا أُغذىٰ[٢] لك في النعيم من خمسمائة سنة !

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ **لأصحاب اليمين** ﴾ متعلقًا بما قبله ، وهو قوله : ﴿ **أترابًا * لأصحاب اليمين** ﴾ ، أي : في أسنانهم[٣] . كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ، من حديث جَرير ، عن عُمَارة بن القعقاع ، عن أبي زُرعَةَ ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أول زمرة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم علىٰ ضَوء أشدّ كوكب دُرّيّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألُوّة[٤] ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم علىٰ خَلْق رجل واحد ، علىٰ صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعًا في السماء** » (٧٥).

---

(٧٤) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/٢٨٠) (٤٣٢) . وفي إسناده عون بن الخطاب ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٣١٢) (٦٤٩٧) وفيه الحسن بن داود المنكدري . قال البخاري : يتكلمون فيه . وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٤٢٢) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله وثقوا .

(٧٥) - أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته ، حديث (٣٣٢٧) (٦/ ٣٦٢) . =

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

[٢] - في ز : أعدني .

[٣] - في ز : أشباههم .

[٤] - الألُوَّة : عود يتبخر به . الوسيط [١/٢٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون وعفان ؛ قالا : حدثنا حماد بن سلمة - وروىٰ الطبراني واللفظ له ، من حديث حماد بن سلمة - عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يدخل أهل الجنة الجنةَ جُردًا مُردًا بيضًا جِعَادًا مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم علىٰ خَلْق آدم ستون ذراعًا في[١] عرض سبعة أذرع** »(٧٦).

وروىٰ الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن مُعَاذ بن جَبَل ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين أبناء [ثلاثين ، أو][٢] ثلاث وثلاثين سنة** »(٧٧). ثم قال : « **حسن غريب** » .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو بن الحارث أنَّ دَرّاجًا أبا السمح حَدّثه عن أبي[٣] الهيثم ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من مات / من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يُرَدّون بني ثلاث وثلاثين في الجنة ، لا يزيدون عليها أبدًا ، وكذلك أهل النار** »(٧٨) .

ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين[٤] بن سعد عن عمرو بن الحارث به (٧٩).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثني

= ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، حديث (١٥/٢٨٣٤) (١٧/٢٥١) .

(٧٦) - أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥، ٣٤٣، ٤١٥) . والطبراني في الأوسط (٥/٣١٨) (٥٤٢٢) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

(٧٧) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في سن أهل الجنة ، حديث (٢٥٤٨) (٧/ ٢٢٤) وفي إسناده شهر بن حوشب : ضعيف .
وقتادة مدلس ، والراوى عنه عمران بن داود صدوق يهم .

(٧٨) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٠٨) (٢٥٩) وفي إسناده دراج ، في روايته عن أبي الهيثم ضعف .

(٧٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء ما لأهل الجنة من الكرامة ، حديث (٢٥٦٥) (٧/٢٣٩) . وفي إسناده رشدين أيضًا وهو ضعيف .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - في ز : رشد .

رَوَّاد بن الجراح العسقلاني ، حدثنا الأوزاعي ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يدخل أهل الجنة الجنةَ علىٰ طول آدم ، ستين ذراعًا بذراع الملك ! علىٰ حُسْن يوسف ، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثين سنة ، وعلىٰ لسان محمد ، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلون** » (٨٠).

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد؛ قالا : حدثنا عمر ، عن الأوزاعي ، عن هارون بن رئاب ، عن أنس بن مالك؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يبعث أهل الجنة علىٰ صورة آدم في ميلاد [عيسىٰ][١] ثلاث وثلاثين ، جُردًا مردًا مكحلين . ثم يذهب بهم إلىٰ شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلىٰ ثيابهم ولا يفنىٰ شبابهم** » (٨١).

[وقوله : ﴿ **ثلة من الأولين** ﴾ أي : جماعة من الأولين ، وجماعة من الآخرين][٢] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بَشِير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حُصَين ، عن عبد اللَّه بن مسعود - قال : وكان بعضهم يأخذ عن بعض - قال : أكرينا ذات ليلة عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ثم غدونا عليه ، فقال : « **عُرضت عليّ الأنبياء وأتباعها بأممها ، فيمر عليّ النبيّ ، والنبي في العصابة ، والنبي في الثلاثة ، والنبي ليس معه أحد** » . وتلا قتادة هذه الآية : ﴿ **أليس منكم رجل رشيد** ﴾ - قال : « **حتىٰ مَرّ عليّ موسىٰ بن عمران في كُبْكُبَة**(*) **من بني إسرائيل** » . قال : « **قلتُ : ربِّ ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسىٰ بن عمران ومن معه من بني إسرائيل** » . قال : « **قلتُ : ربِّ ، فأين أمتي ؟ قال : انظر عن يمينك في الظّراب** » . قال : « **فإذا وجوه الرجال** » . قال : « **قال : أرضيتَ ؟** » قال : « **قلت : قد رضيت ، رب . قال : انظر إلىٰ الأفق عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أرضيت ؟ قلت : رضيت ، رب . قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفًا ، يدخلون الجنة بغير حساب** » . قال : وأنشأ عُكّاشة بن مِحْصَن من بني أسد - قال سعيد : وكان بَدْريًّا -

---

(٨٠) - ذكره ابن القيم في حادى الأرواح (٢١٨) من حديث ابن أبي الدنيا بهذا الإسناد ، وفيه رواد بن الجراح صدوق اختلط بأخرة فترك .

وصفوان بن صالح يدلس تدليس التسوية .

(٨١) - أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٠٤) (٢٥٥) . وفي الحلية (٣/٥٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٤٠٢) : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

(*) الجماعة المتضامة من الناس وغيرهم . النهاية (٤/١٤٤) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

قال : / يانبي الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم . قال : فقال : « **اللَّهم ؛ اجعله منهم** » . [قال : أنشأ رجل آخر][١] ؛ قال : يا نبي الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « **سبقك بها عُكَّاشة** » . قال : فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **فإن استطعتم – فداكم أبي وأمي – أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا من أصحاب الظّراب ، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق ، فإني قد رأيت ناسًا كثيرًا قد تأشَّبوا**(*) **حوله**[٢] » . ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . فكبرنا ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » . قال : فكبرنا ، قال : « **إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة** » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ . قال : فقلنا بيننا : من هؤلاء السبعون[٣] ألفًا ؟ فقلنا[٤] : هم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا . قال : [فبلغه][٥] ذلك ، فقال : « **بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلىٰ ربهم يتوكلون** » .

وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه(٨٢) . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه [في][٦] الصحاح وغيرها .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا سفيان ، عن أبان بن أبي عياش ، [عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس][٧] : ﴿ **ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين** ﴾ ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **هُمَا جميعًا من أمتي** » (٨٣) .

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ

(*) أي : اجتمعوا عليه وأطافوا به . (النهاية ١/ ٥٠)

(٨٢) – أخرجه الطبري (٢٧/ ١٩٠) ، و(٢٧/ ١٩١) وفي إسناده الحسن وقتادة وكلاهما عرف بالتدليس لكن يشهد لبعضه الحديث التالي .

(٨٣) – أخرجه البخاري في كتاب : الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو ، حديث (٥٧٠٥) (١٠/ ١٥٥) . وفي باب : ومن لم يرق ، حديث (٥٧٥٢) (١٠/ ٢١١) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٣٧٤/ ٢٢٠) (٣/ ١١٦ – ١١٨) . كلاهما من حديث عبد الله بن عباس ، رضي الله عنه .

---

[١] – بياض في ز .
[٢] – في ز : اخوا . كذا .
[٣] – في ز : فإن . كذا .
[٤] – في ز : قبلنا .
[٥] – بياض في ز .
[٦] – سقط من ز .
[٧] – ما بين المعكوفين سقط من ز .

﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى
الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ
مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن
زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ
الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

لما ذكر تعالىٰ حال أصحاب اليمين ، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال ، فقال : ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ . أي : أيّ شيء هم أصحاب الشمال ؟ ثم فسّر ذلك فقال : ﴿ **في سموم** ﴾ ، وهو : الهواء الحار ، ﴿ **وحميم** ﴾ ، وهو : الماء الحار ، ﴿ **وظل من يحموم** ﴾ ، قال ابن عباس : ظل الدخان . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **انطلقوا إلىٰ / ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلىٰ ظل ذي ثلاث شُعَب * لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالات[١] صُفر * ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وظل من يحموم** ﴾ ، وهو : الدخان الأسود ، ﴿ **لابارد ولا كريم** ﴾ ، أي : ليس طَيِّبَ الهبوب ولا حَسَن المنظر ، كما قال الحسن وقتادة : ﴿ **ولا كريم** ﴾ . أي : ولا كريم المنظر . وقال الضحاك : كل شراب ليس بعذب فليس[٢] بكريم .

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة في النفي ، فيقولون : هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم ، وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة .

ثم ذكر تعالىٰ استحقاقهم لذلك فقال تعالىٰ : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين** ﴾ . أي : كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين علىٰ لذات أنفسهم ، لا يلوون علىٰ ما جاءتهم به الرسل .

﴿ **وكانوا يصرون** ﴾ أي : يُصَمّمون ولا ينوون[٣] توبة ، ﴿ **علىٰ الحنث العظيم** ﴾ .

[١] - كذا في ز . [٢] - في ز : وليس .
[٣] - في ز : يتوبون .

وهو الكفر بالله ، وجعل الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله .

قال ابن عباس : ﴿ **الحنث العظيم** ﴾ : الشرك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم . وقال الشعبي : هو اليمين الغموس .

﴿ **وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون**[١] ﴾ يعني أنهم يقولون [مثل][٢] ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ . أي : أخبرهم يامحمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلىٰ عَرَصات القيامة ، لا نغادر منهم أحدًا . كما قال : ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **لمجموعون إلىٰ ميقات يوم معلوم** ﴾ ، أي : هو موقت بوقت مُحَدّد ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص .

﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون** ﴾ ، وذلك أنهم يقبضون ويُسجَرون حتىٰ يأكلوا من شجر الزقوم[٣] ، حتىٰ يملئوا منها بطونهم ، ﴿ **فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم** ﴾ . وهي الإِبل العطاش ، واحدها أهيم والأنثىٰ هيماء ، ويقال : هائم وهائمة .

قال ابن عباس ومجاهد ، وسعيد بن جبير وعكرمة : / الهيم : الإبل العطاش الظماء .

وعن عكرمة أنه قال : الهيم : الإِبل المراض ، تمص الماء مصًا ولا تَرْوَىٰ .

وقال السدي : الهيم : داء يأخذ الإِبل فلا تَرْوىٰ أبدًا حتىٰ تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يَرْوَون من الحميم أبدًا .

وعن خالد بن معدان : أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم عبة[٤] واحدة من غير أن يتنفس ثلاثًا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هذا نزلهم يوم الدين** ﴾ ، أي : هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم ، كما قال في حق المؤمنين : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلًا** ﴾ أي : ضيافة وكرامة .

---

[١] - في ز : الأولين .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز : من زقوم .
[٤] - في ز : غبة .

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالىٰ مُقرّرًا للمعاد ، وردًّا علىٰ المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد ، من الذين قالوا : ﴿ **أئذا** [متنا و][١] **كنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون** ﴾ . وقولُهم ذلك صَدَرَ منهم علىٰ وجه التكذيب والاستبعاد ، فقال : ﴿ **نحن خلقناكم** ﴾ ، أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، أفليس الذي قدر علىٰ البَداءَة بقادر علىٰ الإعادة بطريق الأولىٰ [والأحرىٰ][٢] ؛ فلهذا قال : ﴿ **فلولا تصدقون** ﴾ ، أي : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلًا عليهم بقوله : ﴿ **أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** ﴾ ، أي : أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها ، أم اللَّه الخالق لذلك ؟ ثم قال : ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت** ﴾ . أي : صرفناه بينكم . وقال الضحاك : ساوىٰ فيه بين أهل السماء والأرض .

﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ أي : وما نحن بعاجزين ﴿ **علىٰ أن نبدِّل أمثالكم** ﴾ ، أي : نغير خلقكم يوم القيامة ، ﴿ **وننشئكم فيما لا تعلمون** ﴾ ، أي : من الصفات والأحوال .

ثم قال : ﴿ **ولقد علمتم النشأة الأولىٰ فلولا تذكرون** ﴾ . أي : قد علمتم أن اللَّه أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر علىٰ هذه النشأة - وهي البَدَاءة - قادر علىٰ النشأة الأخرىٰ - / وهي الإعادة - بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؟ كما قال : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، وقال : [﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا** ﴾ وقال][٣] : ﴿ **أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أوَّلَ مَرَّةٍ وهو بكل خلق عليم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنىٰ * ثم كان علقة فخلق فسوىٰ * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ * أليس ذلك بقادر علىٰ أن يحيي الموتى** ﴾ .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

يقول : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون** ﴾ ، وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ، ﴿ **أأنتم تزرعونه** ﴾ ، أي : تنبتونه في الأرض ﴿ **أم نحن الزارعون** ﴾ أي : بلى[١] نحن الذين نقره قراره ونبنته في الأرض .

قال ابن جرير : وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي ، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجَرْمي ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تقولن : زرعت ، ولكن قل : حرثت** » . قال أبو هريرة : ألم تسمع إلىٰ قوله : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾(٨٤) [و][٢] رواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم[٣] الجرمي [به][٤] .

[وقال][٥] ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن عطاء عن أبي عبد الرحمن ، لا تقولوا : زرعنا ، ولكن قولوا : حرثنا .

وروي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ : ﴿ **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ : وأمثالها يقول : بل أنت يا رب .

وقوله : ﴿ **لو نشاء لجعلناه حطامًا** ﴾ . أي : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناه لكم

---

(٨٣) - أخرجه الطبري (١٩١/٢٧) . وفي إسناده أبان بن أبي عياش : متروك .
(٨٤) - أخرجه الطبري (١٩٨/٢٧) .

---

[١] - في ز : بلى .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - بعده في ت : عن .
[٤] - بياض في ز .
[٥] - سقط من ز .

رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطامًا ، أي : لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده ، ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ . ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ **إنا لمغرمون * بل نحن محرومون** ﴾ ، أي : لو جعلناه حطامًا لظَلْتم / تفكهون في المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : ﴿ **إنا لمغرمون** ﴾ أي : لَمُلْقَوْن[١] ، وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لمُولَع بنا . وقال قتادة : معذبون . وتارة تقولون : بل نحن محرمون .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **إنا لمغرمون** ﴾ : ملقون للشر ، أي : بل نحن مُحَارَفون . قاله قتادة ، أي : لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح .

وقال مجاهد : ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ [أي] :[٢] محدودون ، يعني : لاحظ لنا .

قال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تعجبون . وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تفجعون وتحزنون علىٰ ما فاتكم من زرعكم . وهذا يرجع إلىٰ الأول ، وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال عكرمة : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **فظلتم تفكهون** ﴾ ، تندمون . ومعناه إما علىٰ ما أنفقتم أو علىٰ ما أسلفتم من الذنوب . قال [الكسائي][٣] : تفكه من الأضداد ، تقول العرب : تفكهت[٤] بمعنىٰ تنعمت ، وتفكهت بمعنى حزنت .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن** ﴾ ، يعني : السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . ﴿ **أم نحن المنزلون** ﴾ ، يقول : بل نحن المنزلون . ﴿ **لو نشاء جعلناه أجاجًا** ﴾ ، أي : زُعاقًا[٥] مرًّا لا يصلح لشرب[٦] ولا زرع ، ﴿ **فلولا تشكرون** ﴾ ، أي : فهلا تشكرون نعمة اللّٰه عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالًا ؟! ﴿ **لكم منه شراب ومنه شجر فيه تُسِيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة ، حدثنا فُضَيل[٧] بن مرزوق ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : أنه كان[٨] إذا

---

[١] - في ز : لمعلون . [٢] - سقط من ز .
[٣] - بياض في ز . [٤] - سقط من ز .
[٥] - الزُّعاق من الماء : المرُّ الغليظ لا يطاق شربه . الوسيط [٤٠٨/١] .
[٦] - في ز : لشراب . [٧] - في ز : فضل .
[٨] - سقط من ت .

شرب الماء قال : « **الحمد لله الذي سقاناه عذبًا فراتًا برحمته ، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا** »(٨٥) .

ثم قال : ﴿ **أفرأيتم النار التي تورون** ﴾ ، أي : تقدحون من الزناد ، وتستخرجونها من أصلها ، ﴿ **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** ﴾ . أي : بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها ، وللعرب شجرتان ، إحداهما : المرخ[١] ، والأخرىٰ : العَفار[٢] ، إذا أخِذَ منهما غصنان أخضران ، فحُكَّ أحدهما بالآخر ، تناثر من بينهما شرر النار .

وقوله : ﴿ **نحن جعلناها تذكرة** ﴾ قال مجاهد وقتادة : أي تذكر النار الكبرىٰ .

قال قتادة : ذكر لنا أن / رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « **يا قوم ؛ ناركم**[٣] **هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم** » . قالوا : يارسول الله ؛ إن كانت لكافية ! قال : « **قد ضُربت بالماء ضربتين - أو : مرتين - حتىٰ يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها** »(٨٦) .

وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده ؛ فقال :

حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد** »(٨٧) .

وقال الإمام مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **نار بني آدم التي يوقدون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم** » . فقالوا : يارسول الله ؛ إن كانت لكافية . فقال : « **إنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءًا** »(٨٨) .

---

(٨٥) - في إسناده عثمان بن سعيد بن مرة ، قال الحافظ : مقبول . وفضيل بن مرزوق وثقه الثوري وابن معين ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن فضيل بن مرزوق ؟ فقال : هو صدوق ، صالح الحديث يهم كثيرًا يكتب حديثه . قلت : يحتج به ؟ قال : لا . الجرح والتعديل (٧/٧٥) . وجابر هو ابن يزيد بن رفاعة العجلي ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٢/٤٩٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(٨٦) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٠١) .

(٨٧) - أخرجه أحمد (٢/٢٤٤) وإسناده صحيح .

(٨٨) - وأخرجه مالك في كتاب : جهنم ، باب : ما جاء في صفة جهنم ، حديث (١) (٢/٧٥٩) .

---

[١] - في ز : المدح .
[٢] - في ز : العيار .
[٣] - سقط من ز .

رواه البخاري من حديث مالك(٨٩) ، ومسلم من حديث أبي الزناد(٩٠) . ورواه مسلم ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر عن همام ، عن أبي هريرة به (٩١). وفي لفظ « **والذي نفسي بيده ، لقد فضّلت [عليها][١] بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرّها** » .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحرامي ، حدثنا معن بن عيسىٰ القزاز ، عن مالك ، عن عمه أبي السهيل[٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سوادًا من ناركم هذه بسبعين[٣] ضعفًا** » (٩٢).

قال الضياء المقدسي : وقد رواه ابن مصعب عن مالك ولم يرفعه ، وهو عندي علىٰ شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ **ومتاعًا للمقوين** ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر ابن عربي[٤] : معنىٰ ﴿ **المقوين** ﴾ : المسافرين . واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : أقوت الدار إذا رحل أهلها . وقال غيره : القي والقَوَاء : القفر الخالي البعيد من العمران .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوي هٰهنا : الجائع .

وقال ليث بن أبي سليم : عن مجاهد : ﴿ **ومتاعًا للمقوين** ﴾ : للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار . وكذا روىٰ سفيان ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ **للمقوين** ﴾ المستمتعين ، الناس أجمعين . وكذا ذكر عن عكرمة .

وهذا / التفسير أعم من غيره ، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير ، الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع . ثم من لطف اللّه تعالىٰ أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد ، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه ، فإذا

---

(٨٩) - ومن طريقه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٦٥) (٣٣٠/٦) .

(٩٠) - مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : في شدة حر نار جهنم ، وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ، حديث (٢٨٤٣/٣٠) (٢٦١/١٧) .

(٩١) - أخرجه في الموضع السابق برقم (٢٨٤٣/٣٠م) (٢٦٢/١٧) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : سهل .

[٣] - في ز : بستين .

[٤] - في ز : عدي .

احتاج إلىٰ ذلك في منزله أخرج زنده وأورىٰ ، وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات .

فلهذا أفردَ المسافرون وإن كان[١] ذلك عامًّا في حق الناس كلهم . وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدَاش حِبَّانَ بن زَيد الشَّرعبي الشَّامي ، عن رجل من المهاجرين من قرن[٢] ، أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال : « **المسلمون شركاء في ثلاثة : النار ، والكلإ ، والماء** »(٩٣).

وروىٰ ابن ماجة بإسناد جيد عن أبي هريرة؛ قال : قال : رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثلاث لا يُمنعن : الماء ، والكلأ ، والنار** »(٩٤). وله من حديث ابن عباس مرفوعًا مثل هذا وزيادة : « **وثمنه حرام** »(٩٥) . ولكن في إسناده عبد اللَّه بن خِرَاش بن حَوْشب ، وهو ضعيف ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ ، أي : الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجًا كالبحار المغرقة . وخَلَق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم ، وزاجرًا لهم في المعاد .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(٩٢) - أخرجه الطبراني في الأوسط (١/١٥٥) (٤٨٥) .

(٩٣) - أخرجه أحمد (٥/٣٦٤) (٢٣١٨٨) .

وأبو داود في كتاب : البيوع ، باب : في منع الماء ، حديث (٣٤٧٧) (٣/٢٧٨) .

قال الزيلعي في « نصب الراية » (٤/٢٩٤) : وأسند ابن عدي في الكامل عن أحمد وابن معين أنهما قالا في حريز : ثقة . وذكره عبد الحق في أحكامه - يعنى الحديث - من جهة أبي داود ، قال : لا أعلم روى عن أبي خداش إلا حريز بن عثمان ، وقد قيل فيه : مجهول .اهـ .

قال البيهقي في المعرفة : وأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهم ثقات ، وترك ذكر أسمائهم في الإسناد لا يضر إن لم يعارضه ما هو أصح منه . انتهى . من النصب . والحديث صححه الشيخ الألباني في الإرواء (٦/٧-٨) .

(٩٤) - أخرجه ابن ماجة في كتاب : الرهون ، باب : المسلمون شركاء في ثلاث ، حديث (٢٤٧٣) (٢/٨٢٦) . قال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله موثقون ؛ لأن محمد بن عبد الله بن يزيد أبا يحيى المكى وثقه النسائي وابن أبي حاتم وغيرهما ، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين .

(٩٥) - أخرجه ابن ماجة في الموضع السابق برقم (٢٤٧٢) (٢/٨٢٦) . وفي الزوائد : عبد الله بن خراش قد ضعفه أبو زرعة والبخاري وغيرهما ، وقال محمد بن عمار الموصلى : كذاب . اهـ . =

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : قرر .

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قال جويبر عن الضحاك : إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه . وهذا القول ضعيف . والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله - عز وجل - يقسم بما شاء من خلقه ، وهو دليل على عظمته . ثم قال بعض المفسرين : « لا » هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم . ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ .

وقال آخرون : ليست « لا » زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به على منفي ، كقول عائشة - رضي الله عنها - : لا ، والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط(٩٦) . وهكذا هاهنا تقدير الكلام : لا أقسم بمواقع النجوم : ليس الأمر كما زعمتم / في القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم .

وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : ﴿ **فلا أقسم** ﴾ ، فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .

واختلفوا في معنى قوله : ﴿ **بمواقع النجوم** ﴾ فقال حكيم بن جُبَير عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعني نجوم القرآن ، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مُفرقًا في السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية .

وقال الضحاك عن ابن عباس : نزل القرآنُ جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجَّمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فهو قوله : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ : نجوم القرآن . وكذا قال عكرمة ومجاهد ، والسدي وأبو حزرة .

وقال مجاهد أيضًا : ﴿ **بمواقع النجوم** ﴾ في السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن ، وقتادة ، وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها : منازلها . وعن الحسن أيضًا : أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة .

= وقال البخاري : منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث . كذا في نصب الراية (٢٩٤/٤) .

(٩٦) - أخرجه البخاري في كتاب : الشروط ، باب : (٥٤) ، حديث (٢٧١٣) (٣١٢/٥) . =

وقال الضحاك : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ . يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مُطِروا قالوا : مطرنا بنَوء كذا وكذا .

وقوله : ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ . أي : وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه ، ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ . أي : إن هذا القرآن الذي نَزَل علىٰ محمد لكتاب عظيم . ﴿ في كتاب مكنون ﴾ أي : معظم في كتاب معظم محفوظ موقر .

قال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسىٰ [ ][١] ، أخبرنا شريك ، عن حكيم - هو ابن جبير - عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ قال : الكتاب الذي في السماء .

وقال العَوفي : عن ابن عباس : ﴿ إلا المطهرون ﴾ ، يعني الملائكة . وكذا قال أنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نَهيك ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن قتادة : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ، قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس ، والمنافق الرجس . و[٢]قال : وهي في قراءة ابن مسعود : (ما يمسه إلا المطهرون) . وقال أبو العالية : ﴿ لا يمسّه إلا المطهرون ﴾ ليس أنتم ، [أنتم][٣] أصحاب / الذنوب .

وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالىٰ أنه لا يمسه إلا المطهرون ، كما قال : ﴿ وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ .

وهذا القول قولٌ جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله . وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

وقال آخرون : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ، أي : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب . قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روىٰ مسلم ، عن ابن عمر أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو ، مخافة

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « بن إسماعيل » .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ت .

أن يناله العدو (٩٧). واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه ، عن عبد اللّٰه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ، أن في الكتاب الذي كتبه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لعمرو بن حزم ؛ أن لا يمس القرآن إلا طاهر (٩٨) . وروىٰ أبو داود في المراسيل ، من حديث الزهري ؛ قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **ولا يمس القرآن إلا طاهر** » (٩٩).

وهذه وجادة جيدة . قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به . وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم (١٠٠) ، وعبد اللّٰه بن عمر (١٠١) ، وعثمان بن أبي العاص (١٠٢) ، وفي إسناد كل منها نظر ، واللّٰه أعلم .

وقوله ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾ . أي : هذا القرآن منزل من رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذي لامِرْية فيه ، وليس وراءه حق نافع .

= وأطرافه في [٢٧٣٣، ٤١٨٢، ٤٨٩١، ٥٢٨٨، ٧٢١٤] .

(٩٧) - أخرجه مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ، حديث (٩٢ - ١٨٦٩/٩٤) (١٩/١٣ - ٢٠) .

(٩٨) - أخرجه مالك في كتاب : القرآن ، باب : الأمر بالوضوء لمن مس القرآن ، حديث (١) (١٧٧/١) .

قال ابن عبد البر : لاخلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث ، وقد روى مسندًا من وجه صالح ، وهو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد .

(٩٩) - أخرجه أبو داود في المراسيل (١٢٢) حديث (٩٤) قال أبو داود : روى هذا الحديث مسندًا ولا يصح . يعنى لا يصح مسندًا .

(١٠٠) - أخرجه الدارقطني كتاب : الطهارة ، باب : في نهى المحدث عن مس القرآن ، حديث (٥) (١/ ١٢٢) من طريق سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده .

وضعف الألباني هذا الإسناد بسليمان بن أرقم هذا ورجحه على سليمان بن داود في الإرواء (١٥٨/١) .

(١٠١) - أخرجه الدارقطني (١٢١/١) في الموضع السابق برقم (٣) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٨٨/١) من طريق ابن جريج عن سليمان بن موسى عن سالم عن أبيه به .

قال الزيلعي في « نصب الراية » (١٩٨/١) : وسليمان بن موسى الأشدق مختلف فيه ؛ فوثقه بعضهم وقال البخاري : عنده مناكير . وقال النسائي : ليس بالقوي . اهـ .

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨١/١) : رواه الطبراني في الكبير (١٣٢١٧) ، والصغير ، ورجاله موثقون .

(١٠٢) - أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣/٩) (٨٣٣٦) .

قال الهيثمي في « المجمع » (٢٨٢/١) : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه إسماعيل بن رافع ، ضعفه يحيى = ابن معين والنسائي ، وقال البخاري : ثقة مقارب الحديث . =

وقوله : ﴿ **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون** ﴾ ، قال العَوفي : عن ابن عباس : أي : مكذبون غير مصدقين . وكذا قال الضحاك ، وأبو حَزْرَة ، والسُّدّي . وقال مجاهد : ﴿ **مدهنون** ﴾ أي : تريدون أن تمالئوهم فيه ، وتركنوا إليهم .

﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ ، قال بعضهم : يعني وتجعلون رزقكم بمعنىٰ شكركم ﴿ أنكم تكذبون﴾ أي : تكذبون [بدل الشكر . وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها : (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون)][١] كما سيأتي .

وقال ابن جرير : وقد ذكر عن الهيثم[٢] بن عدي؛ أن من لغة أزد شَنُوءَةَ : ما رزق فلان، بمعنىٰ : ماشكر فلان .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلىٰ ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عليّ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ﴿ **وتجعلون رزقكم** ﴾ ، يقول : شكركم ، ﴿ **أنكم تكذبون** ﴾ ، تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، بنجم كذا وكذا » (١٠٣).

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، / عن مُخَوّل بن إبراهيم النهدي ، وابن جرير ، عن محمد بن المثنىٰ ، عن عبيد الله بن موسىٰ ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن أبي بكير ، ثلاثتهم عن إسرائيل ، به مرفوعًا (١٠٤).

وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن مَنيع ، عن حسين بن محمد - وهو المروزي - به(١٠٥) . وقال : حسن غريب . وقد رواه سفيان [الثوري][٣] ، عن عبد الأعلىٰ ، ولم يرفعه . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ،

= قال الألباني في الإرواء (١/١٦٠ - ١٦١) : وجملة القول : أن الحديث طرقه كلها لا تخلو من ضعف ، ولكنه ضعف يسير ؛ إذ ليس في شيء منها من اتهم بكذب ، وإنما العلة الإرسال أو سوء الحفظ ، ومن المقرر في علم المصطلح أن الطرق يقوى بعضها بعضًا إذ لم يكن فيها متهم كما قرره النووي في تقريبه ثم السيوطي في شرحه ، وعليه فالنفس تطمئن لصحة هذا الحديث ، لا سيما وقد احتج به إمام السنة أحمد بن حنبل كما سبق ، وصححه أيضًا صاحبه الإمام إسحاق بن راهويه .اهـ .

(١٠٣) - أخرجه أحمد (١/١٠٨) (٨٤٩) . وفي إسناده عبد الأعلى وهو ابن عامر الثعلبي : ضعيف .

(١٠٤) - أخرجه الطبري (٢٧/٢٠٧ - ٢٠٨) .

(١٠٥) - الترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة ، حديث (٣٢٩١) (٩/٨ - ٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٢] - في ز : القاسم .
[٣] - سقط من ت .

عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : ما مُطِر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرًا ، يقولون : مُطِرْنا بنَوء كذا وكذا .

وقرأ ابن عباس : (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) (١٠٦). وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

وقال مالك في الموطأ : عن صالح بن كيسان ، عن عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة بن مسعود ، [ ][١] عن زيد بن خالد الجهني ؛ أنه قال : صلىٰ لنا[٢] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس ، فقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** » . قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . « **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل اللّٰه ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب[٣] . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب[٤]** »(١٠٧) . أخرجاه في الصحيحين ، وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به (١٠٨).

وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعَمْرو بن سَوّاد ، حدثنا عبد اللّٰه بن وهب ، عن عمرو بن الحارث : أنَّ أبا يونس حَدّثه عن أبي هريرة ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ أنه قال : « **ما أنزل اللّٰه من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزلُ الغيث فيقولون : بكوكب كذا وكذا** » (١٠٩). تفرد به مسلم من هذا الوجه .

---

(١٠٦) - أخرجه الطبري (٢٠٨/٢٧) .

(١٠٧) - أخرجه مالك كتاب الاستسقاء ، باب : الاستمطار بالنجوم ، حديث (٤) (١٧٠/١) .

(١٠٨) - ومن طريقه البخاري في كتاب : الأذان ، باب : يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، حديث (٨٤٦) (٣٣٣/٢) وأطرافه [١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣] . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء حديث (٧١/١٢٥) (٧٩/٢ - ٨٠) . وأبو داود في كتاب : الطب ، باب : في النجوم ، حديث (٣٩٠٦) (١٦/٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الاستسقاء ، باب : القول عند المطر ، حديث (١٨٣٣) (٥٦٢/١ - ٥٦٣) .

(١٠٩) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الإيمان ، باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء ، حديث (٧٢/١٢٦م) (٨١/٢) .

---

[١] - في ز : و .

[٢] - في ت : بنا .

[٣] - في ت : بالكواكب .

[٤] - في ت : بالكواكب .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن اللّٰه لَيُصْبِحُ القوم بالنعمة أو يمسيهم**[١] **بها ، فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مُطِرنا بنوء كذا وكذا** »(١١٠).

قال محمد - هو ابن إبراهيم - : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبي هُرَيرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - وهو يستسقي ، فلما استسقىٰ التفت إلىٰ العباس ؛ فقال : يا عباس ، ياعم رسول اللّٰه ، كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا(١١١).

قال : فما / مضت سابعة حتىٰ مُطِروا . وهذا مَحمول علىٰ السؤال عن الوقت الذي أجرىٰ اللّٰه فيه العادة بإنزال المطر ، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر ، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده . وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله : ﴿ **ما يفتح اللّٰه للناس من رحمة فلا ممسك لها** ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية - أحسبه أو غيره - أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سمع رجلًا - ومطروا - يقول : مطرنا ببعض عثانين[٢] الأسد ، فقال : « **كذبت ! بل هو رزق اللّٰه** »(١١٢).

ثم قال ابن جرير : حدثني أبو صالح الصراوي[٣] ، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي ، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : ما مُطِر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين .

ثم قال : ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ . يقول قائل : مطرنا بنجم كذا وكذا(١١٣).

(١١٠) - أخرجه الطبري (٢٠٨/٢٧) وفيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن ، إلا أن الحديث له شواهد تقويه كما مر .

(١١١) - أخرجه الطبري في الموضع السابق .

(١١٢) - أخرجه الطبري في الموضع السابق ، وهو ظاهر الانقطاع .

(١١٣) - أخرجه الطبري (٢٠٩/٢٧) . وفي إسناده محمد بن عبد الملك الأزدي ، قال في الجرح والتعديل(٥/٨) : ليس بالقوي .

[١] - في ز : يمسهم .

[٢] - في ز : عانين .

[٣] - في ز : الصراري .

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعًا : « **لو قُحِط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا : مطرنا بنوء المِجْدَح** »(١١٤).

وقال مجاهد : ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ قال : قولهم في الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند اللّٰه ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد .

وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بئس ما أخذ قوم لأنفسهم ! لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب . فمعنى[١] قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب اللّٰه أنكم تكذبون به ؛ ولهذا قال قبله : ﴿ **أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ .

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٨٧) ﴾

يقول تعالى : ﴿ **فلولا إذا بلغت** ﴾ أى الروح ﴿ **الحلقوم** ﴾ [أي : الحلق][٢] وذلك حين الاحتضار . كما قال تعالى : ﴿ **كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق . وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق** ﴾ ؛ ولهذا قال هاهنا ﴿ **وأنتم حينئذ تنظرون** ﴾ أي : إلىٰ المحتضر[٣] وما يكابده من سكرات الموت ، ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾ أي : بملائكتنا ﴿ **ولكن لا تبصرون** ﴾ أى : ولكن لا ترونهم كما قال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلىٰ اللّٰه مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها** ﴾ معناه / فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من[٤] الجسد إن كنتم ﴿ **غير**

---

(١١٤) - أخرجه أحمد (٣/٧) (١١٠٥٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا رأى المطر ، حديث (١٠٧٦٢) (٦/٢٣٠) وغيرهما من طريق عتاب بن حنين عن أبي سعيد بنحو هذا اللفظ . وعتاب بن حنين ، قال الحافظ : مقبول .

---

[١] - في ز : يعني .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : المحضر .
[٤] - في ز : في .

مدينين ﴾ . قال ابن عباس يعني : محاسبين . وروي عن مجاهد وعكرمة ، والحسن وقتادة ، والضحاك والسدي ، وأبي حزرة مثله .

وقال سعيد بن جبير والحسن البصري : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس . وعن مجاهد : ﴿ [غير][١] مدينين ﴾ غير موقنين ، وقال ميمون بن مهران : غير معذبين مقهورين .

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين ، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فأما إن كان ﴾ أي : المحتضر ﴿ من المقربين ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ أي : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت . كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة ؛ تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ فروح ﴾ يقول راحة ﴿ وريحان ﴾ يقول مستراحة ، وكذا قال مجاهد : إن الروح الاستراحة . وقال أبو حزرة : الراحة من الدنيا ، وقال سعيد بن جبير والسدي : الروح : الفرح . وعن مجاهد : ﴿ فروح وريحان ﴾ : جنة ورخاء . وقال قتادة : فروح ورحمة . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : ﴿وريحان ﴾ ورزق .

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور ، والرزق الحسن ﴿ وجنة نعيم[٢] ﴾ . وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان [الجنة فيقبض][٣]

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : النعيم .
[٣] - في ز : « لكنه فينفس » . كذا .

روحه فيه .

وقال محمد بن كعب : لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟ وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند / قوله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ ولو كتبت هاهنا لكان حسنًا ، ومن جملتها حديث تميم الداري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : « **يقول الله تعالى لملك الموت : انطلق إلى [فلان فأتنى به ، فإنه قد جربته بالسراء والضراء][1] فوجدته حيث أحب ، ائتنى به فلأريحنَّه ، قال : فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة [واحد][2] ، وفي رأسها عشرون لونًا ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك** »(115) . وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق[3] عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « **فرُوح وريحان** » برفع الراء .(116) وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون ، وهو ابن موسى الأعور به (117). وقال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده ، وخالفه الباقون فقرءوا : ﴿ **فرَوح وريحان** ﴾ بفتح الراء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل ؛ أنه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ ؛ أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تكون النسم طيرًا يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها** »(118) .

---

(١١٥) - ذكره ابن حجر في « المطالب العالية » (٣٦٢/٤) (٤٦٠٢) ، (٣٧٥/٤ - ٣٧٩) (٤٦٣٠) في الأول مختصرًا والثاني مطولًا جدًّا ، وعزاه لأبي يعلى .

وقال البوصيري : رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف يزيد الرقاشي .

(١١٦) - أخرجه أحمد (٦٤/٦) (٢٤٤٦٣) وإسناده ثقات .

(١١٧) - وأخرجه أبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩١) (٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الروم ، حديث (٢٩٣٩) (١٣٦/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فروح وريحان** ﴾ ، حديث (١١٥٦٦) (٤٨٠/٦) .

(١١٨) - أخرجه أحمد (٤٢٤/٦) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف من قبل حفظه ، لكن يشهد له ما بعده .

---

[١] - بياض في ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : سفيان .

هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ؛ ومعنى يعلق : يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضًا ما رواه الإمام أحمد ، عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؛ قال : « **إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه اللّه إلى جسده يوم يبعثه** »(١١٩) . وهذا إسناد عظيم ومتن قويم .

وفي الصحيح [أن رسول اللّه ، صلى الله عليه وسلم ؛ قال][١] : « **إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في [رياض][٢] الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقةٍ بالعرش ...** » الحديث(١٢٠) .

وقال الإمام أحمد : [حدثنا عفان][٣] حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب ؛ قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخًا أبيض الرأس واللحية على حمار ، / وهو يتبع[٤] جنازة ، فسمعته يقول : حدثني فلان بن فلان سمع رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ؛ يقول : « **من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه ، ومن كره لقاء اللّه كره اللّه لقاءه** » . قال : فأكب القوم يبكون ؛ فقال[٥] : « **ما يبكيكم ؟** » فقالوا : إنا نكره الموت . قال : « **ليس ذاك ولكنه إذا احتضر[٦] ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ فإذا بشر بذلك أحب لقاء اللّه - عز وجل - واللّه - عز وجل - للقائه أحب ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ فإذا بشر بذلك كره لقاء اللّه . واللّه تعالى للقائه أكره** »(١٢١) . هكذا رواه الإمام أحمد [وفي الصحيح][٧] عن عائشة - رضي اللّه عنها - شاهد لمعناه(١٢٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **وأما إن كان من أصحاب اليمين** ﴾ أى وأما إن كان المحتضر من

(١١٩) - أخرجه أحمد (٣/٤٥٥) (١٥٨٢٠) .

(١٢٠) - أخرجه مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، حديث (١٢١/ ١٨٨٧) (١٣/٤٦ - ٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود مطولاً بنحو ذلك .

(١٢١) - أخرجه أحمد (٤/٢٥٩ - ٢٦٠) (١٨٣٣٦) وفي إسناده عطاء بن السائب وكان اختلط ، لكن للحديث طريق آخر عن عائشة عند مسلم سيأتي بعد هذا .

(١٢٢) - أخرجه مسلم في كتاب : الذكر والدعاء ، باب : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، حديث (٢٦٨٤/١٥) (١٨/١٥ - ١٦) .

[١] - في ز : من .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : تبع .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : حضر .
[٧] - سقط من ت .

أصحاب اليمين ﴿ **فسلام لك من أصحاب اليمين** ﴾ أي : تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك . أي : لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .

وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب اللَّه ، وسلّمت عليه ملائكة اللَّه . كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن . ويكون ذلك [كقول الله][١] تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفور رحيم** ﴾ .

وقال البخاري : ﴿ **فسلام لك** ﴾ أي : مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت [إن وهو][٢] معناها . كما تقول : أنت [مصدق][٣] مسافر عن قليل إذا كان [قد][٤] قال : إني مسافر عن قليل .

وقد يكون كالدعاء له كقولك : سقيًا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء . وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه ، واللَّه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم** ﴾ أي : وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدىٰ ﴿ **فنزل** ﴾ أي : فضيافة ﴿ **من حميم** ﴾ وهو [المذاب][٥] الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿ **وتصلية جحيم** ﴾ أي : وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته .

ثم قال تعالى : ﴿ **إن هذا لهو حق اليقين** ﴾ أي : إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ، ولا محيد لأحد عنه ﴿ **فسبح باسم ربك / العظيم** ﴾ .

قال الإمام[٦] أحمد (١٢٣) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أيوب الغافقي ،

(١٢٣) - أخرجه أحمد (١٥٥/٤) (١٧٤٦١) . وموسى بن أيوب الغافقي قال الحافظ : مقبول . وإياس بن عامر ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٨١/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . قال العجلي : لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات ، وصحح له ابن خزيمة ، وقال الذهبي في تعليقه على مستدرك الحاكم : ليس بالقوي .

[١] - في ز : كقوله .

[٢] - في ز : من وهي .

[٣] - في ز : وقال . كذا .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من ز .

حدثني عمي إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني؛ قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ قال: « **اجعلوها في ركوعكم** ». ولما نزلت ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **اجعلوها في سجودكم** ». وكذا رواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به (١٢٤).

وقال روح بن عبادة: حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من قال: سبحان الله العظيم وبحمده - غُرِسَت له نخلة في الجنة** ». هكذا رواه الترمذي من حديث روح، ورواه هو والنسائي أيضًا من حديث حمّاد بن سلمة [من حديث أبي الزبير][١] عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم به(١٢٥).

وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي[٢] الزبير.

وقال البخاري في آخر كتابه: حدثنا أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** » (١٢٦). ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله(١٢٧).

[آخر تفسير سورة الواقعة، ولله الحمد والمنّة].

(١٢٤) - الحديث أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، حديث (٨٦٩) (١/٢٣٠). وابن ماجة في كتاب: الإقامة، باب: التسبيح في الركوع والسجود، حديث (٨٨٧) (١/٢٨٧).

(١٢٥) - أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل سبحان الله، حديث (٣٤٦٠) (٩/١٤٩ - ١٥٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ثواب من قال: سبحان الله العظيم، حديث (١٠٦٦٣) (٦/٢٠٧). وإسناده صحيح. وقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٥٧ - ٣٧١١).

(١٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾. حديث (٧٥٦٣).

(١٢٧) - مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث (١١/٢٦٩٤) (٣١/١٧). والترمذي في كتاب: الدعوات، باب: فضل سبحان الله، حديث (٣٤٦٠) (٩/١٥٠). والنسائي في الكبرى في كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يثقل الميزان، حديث (١٠٦٦٦) (٦/٢٠٧ - ٢٠٨). وابن ماجة في كتاب: الأدب، باب: فضل التسبيح، حديث (٣٨٠٦) (٢/١٢٥١)، وأحمد (٢/٢٣٢).

[١] - سقط من ز. [٢] - في ز: ابن.

سورة الواقعة

مكّيّة، وهي سبع وتسعون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ أي: إذا قامت القيامة، وذلك عند النفخة الثانية. والتعبير عنها بـ﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ / للإيذان بتحقّق وقوعها لا محالةَ، كأنّها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيّز الشرط، كأنّه قيل: كانت الكائنة وحدثت الحادثة. وانتصابُ ﴿إِذَا﴾ بمضمر ينبئ عن الهَول والفظاعة، كأنّه قيل: إذا وقعت الواقعة يكون مِن الأهوال ما لا يفي به المقال. [١٥٧و]

وقيل: بالنفي المفهوم مِن قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: لا يكون عند وقوعها نفسٌ تكذب على الله تعالى، أو تكذب في نفيها، كما تكذب اليوم.[١] و"اللام" كهي في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر، ٢٤/٨٩]. وهذه الجملة على الوجه الأوّل اعتراض مقرِّر لمضمون الشرط على أنّ "الكاذبة" مصدر كـ"العافية"، أي: ليس لأجل وقعتها وفي حقِّها كَذِب أصلًا؛ بل كلّ ما ورد في شأنها مِن الأخبار حقّ صادق لا ريبَ فيه.

وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هي خافضة لأقوام رافعةٌ لآخرين، وهو تقريرٌ لعظمتها وتهويلٌ لأمرها، فإنّ الوقائع العِظام شأنُها كذلك، أو بيانٌ لِما يكون يومئذ مِن حطّ الأشقياء إلى الدركَات ورفعِ السُّعداء إلى الدرَجات، ومِن زلزلة الأشياء وإزالةِ الأجرام عن مقارّها بنَثْر الكواكبِ وإسقاطِ السماء كِسَفًا وتسييرِ الجبال في الجوّ كالسحاب. وتقديم الخَفْض على الرفع للتشديد في التهويل.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٤٢/٤.

وقُرئ: "خَافِضَةً رَافِعَةً"[1] بالنصب على الحال مِن الواقعة.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: زُلزِلت زلزالًا شديدًا بحيث ينهدِم ما فوقها مِن بناء وجبل، متعلِّق بـ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾[2] أي: تخفِض وترفَع وقتَ رجِّ الأرض؛ إذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض، أو بدل مِن ﴿إِذَا وَقَعَتْ﴾.[3]

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فُتِّتَتْ حتى صارت مثل السَّويق المَلتوت مِن "بسّ السَّويقَ" إذا لتّه،[4] أو سِيقت وسُيِّرت مِن أماكنها مِن "بسّ الغنمَ" إذا ساقها، كقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ، ٢٠/٧٨]. وقُرئ: "رَجَّتِ" و"بَسَّتِ"[5] أي: ارتجّت وذهبت.

﴿فَكَانَتْ﴾ أي: فصارت بسبب ذلك ﴿هَبَآءً﴾ غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ منتشرًا.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤﴾

﴿وَكُنتُمْ﴾ إمّا خطاب للأمّة الحاضرة والأمم السالفة تغليبًا، أو للحاضرة فقط ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾ فكلّ صنف يكون مع صنف آخرَ في الوجود / أو في الذِّكر فهو زوج. [١٥٧ظ]

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ تقسيم وتنويعٌ للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجماليّة إلى أحوالهم

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن واليزيدي وعيسى بن عمر وابن مِقسَم وأبي حَيْوَة وابن أبي عبلة والزَّعفراني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٥١.

[2] في الآية السالفة.

[3] الواقعة، ١/٥٦.

[4] السَّويق: طعام يتّخذ مِن الحنطة والشعير، ولتّه: بلّه بالماء. لسان العرب لابن منظور، «سوق»، «لتت».

[5] قراءتان شاذّتان، مرويّتان عن عُبيد بن عُمير وزيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٢.

قبل تفصيلها. فقوله تعالى: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ خبره، على أنّ ﴿مَا﴾ الاستفهاميّة مبتدأ ثانٍ ما بعده خبرُه والجملةُ خبرٌ للأوّل، والأصل "ما هم"، أي: أيّ شيء هم في حالهم وصِفتهم، فإنّ "ما" و"إن" شاعت في طلب مفهوم الاسمِ والحقيقة لكنّها قد يُطلَب بها الصفة والحال، تقول: "ما زيد؟" فيقال: "عالمٌ" أو "طبيبٌ". فوُضع الظاهر موضعَ الضمير لكونه أدخَلَ في التفخيم، وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾.

والمراد تعجيب السامع مِن شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة، كأنّه قيل: فأصحابُ الميمنة في غاية حُسن الحال، وأصحابُ المشأمة في نهاية سوءِ الحال. وتكلّموا في الفريقين، فقيل: أصحابُ الميمنة أصحابُ المنزلة السنيّة وأصحابُ المشأمة أصحابُ المنزلة الدنيّة أخذًا مِن تيمُّنهم بالميامن وتشاؤمِهم بالشمائل.

وقيل: الذين يُؤتَون صحائفهم بأيمانهم والذين يُؤتَونها بشمائلهم. وقيل: الذين يُؤخَذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة والذين يُؤخَذ بهم ذات الشِّمال إلى النار. وقيل: أصحابُ اليُمن وأصحابُ الشؤم، فإنّ السعداء ميامينُ على أنفسهم بطاعاتهم والأشقياءُ مشائيمُ عليها بمعاصيهم.[١]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ هو القسم الثالث مِن الأزواج الثلاثة، ولعلّ تأخيرَ ذِكرهم مع كونهم أسبقَ الأقسام وأقدمَهم في الفضل ليقترن ذِكرهم ببيان محاسن أحوالهم، على أنّ إيرادهم بعنوان السَّبْق مطلقًا مُعرِب عن إحرازهم لقَصَب السَّبْق مِن جميع الوجوه.

وتكلّموا فيهم أيضًا، فقيل: هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحقّ مِن غير تلعثُم وتوانٍ. وقيل: الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات.[٢] وقيل: هم الذين صلّوا إلى القبلتين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ

---

١ الأقوال الثلاثة في الكشّاف للزمخشري، ٣٤٣/٤. ٢ القولان في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٦١/٣.

[١٥٨و] ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة، ٩/١٠٠].[١] / وقيل: هم السابقون إلى الصلوات الخمس.[٢] وقيل: المسارِعون في الخيرات.[٣]

وأيًا ما كان فالجملةُ مبتدأ وخبر. والمعنى: والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعُرِفت محاسنهم، كقول أبي النجم:

وشِـــعـــري شِــــعـــري[٤]

وفيه مِن تفخيم شأنهم والإيذانِ بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى. وقيل: والسابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته، أو السابقون إلى الخير السابقون إلى الجنّة.[٥]

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى السابقين، وما فيه مِن معنى البُعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببُعد منزلتهم في الفضل، ومحلُّه الرفع على الابتداء، خبرُه ما بعده، أي: أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: الذين قُرِّبت إلى العرش العظيم درجاتهم، وأُعلِيت مراتبُهم ورُقِّيت إلى حظائر القدس نفوسُهم الزكيّة. هذا أظهَرُ ما ذُكر في إعراب هذه الجمل وأشهرُه.

والذي يقتضيه جزالةُ التنزيل أنّ قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[٦] خبرُ مبتدأ محذوف، وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾،[٧] وقولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾، فإنّ المترقِّب عند بيان انقسامِ الناس إلى الأقسام الثلاثةِ بيانُ أنفُس الأقسامِ، وأمّا أوصافُها وأحوالها فحقُّها أن تُبيَّن بعد ذلك بإسنادها إليها. والتقدير فأحدُها أصحاب الميمنة والآخرُ أصحاب المشأمة والثالثُ السابقون،

---

١ مرويّ عن محمّد بن سيرين في جامع البيان للطبري، ٢٢/٢٩٠؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٨/٨-٩؛ واللباب لابن عادل، ١٨/٣٧٩.

٢ مرويّ عن عليّ رضي الله عنه في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٩؛ واللباب لابن عادل، ١٨/٣٧٩.

٣ مرويّ عن سعيد بن جُبير رضي الله عنه في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٩؛ واللباب لابن عادل، ١٨/٣٧٩.

٤ الرجز بتمامه:

أنـا أبـو النجـم وشِـعـري شِـعـري

وهو في ديوان أبي النجم العِجلي، ص ١٩٨؛ وهو له في الخصائص لابن جنّي، ٣/٣٣٧، والكشّاف للزمخشري، ٤/٣٤٤؛ وشرح التسهيل لابن مالك ١/٣٠٤؛ وبلا نسبة في شرح الرضيّ على الكافية ١/٢٥٥، ٣٢٥.

٥ انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٣٦١.

٦ في الآية الثامنة مِن هذه السورة.

٧ في الآية التاسعة مِن هذه السورة.

خلا أنّه لمّا أُخِر بيان أحوال القسمين الأوّلين عُقِب كلٌّ منهما بجملة معترِضة بين القسمين منبِئة عن ترامي أحوالهما في الخير والشرّ إنباءً إجماليًا مشعِرًا بأنّ لأحوال كلٍّ منهما تفصيلًا مترقَّبًا، لكن لا على أنّ ﴿مَا﴾ الاستفهاميّة مبتدأ وما بعدها خبرٌ على ما رآه سيبويهِ في أمثاله؛[1] بل على أنّها خبرٌ لِما بعدها، فإنّ مناط الإفادة بيانُ أنّ أصحاب الميمنة أمرٌ بديع، كما يفيده كون ﴿مَا﴾ خبرًا، لا بيانُ أنّ أمرًا بديعًا أصحابُ الميمنة، كما يفيده كونها مبتدأ، وكذا الحالُ في ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾.[2] وأمّا القسمُ الأخير فحيث قُرِن بيان محاسن أحواله بذِكره لم يُحتَج فيه إلى تقديم الأنموذج، فقوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مبتدأ.

والإظهارُ في مقام الإضمار للتفخيم، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ثانٍ أو بدلٌ مِن الأوّل، وما بعده خبرٌ له أو للثاني، والجملةُ خبر للأوّل.

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ متعلّق بـ﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ أو بمضمر هو حال مِن ضميره، أي: كائنين في جنّات النعيم. وقيل: خبرٌ ثانٍ لاسم الإشارة.[3] وفيه أنّ الإخبار بكونهم فيها بعد الإخبار بكونهم مقرَّبين ليس فيه مزيد مزيّة. وقُرئ: "فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ".[4]

وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هم أمّة جمّة مِن الأوّلين، وهم الأمَم السالفة مِن لدن آدمَ إلى نبيّنا عليهما السلام وعلى مَن بينهما مِن الأنبياء العِظام.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ أي: مِن هذه الأمّة ولا يخالفه قوله عليه السلام: «إنّ أمّتي يكثرون سائرَ الأمم»،[5] فإنّ أكثريّة سابقي الأمم السالفة مِن سابقي هذه الأمّة، لا تمنع أكثريّة تابعي هؤلاء مِن تابعي أولئك، ولا يردُّه قوله تعالى: في أصحاب اليمين: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؛ لأنّ كثرة كلٍّ مِن الفريقين

---

[1] انظر: كتاب سيبويه، ١/١٣٤.

[2] في الآية التاسعة مِن هذه السورة.

[3] القول في اللباب لابن عادل، ١٨/٣٨٠.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٢.

[5] ما وقفتُ عليه بهذا اللفظ في مظانّه. وهو بلفظه في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٣٦٢؛ وفي مسند أحمد، ١٥/٣٨ (٩٠٨٠): «أنتم ثلث أهل الجنّة، بل أنتم نصف أهل الجنّة، وتُقاسموني النصفَ الثاني».

[١٥٨ظ] في أنفسهما لا تُنافي أكثريّة أحدهما مِن الآخر / وسيأتي أنّ الثلّتين مِن هذه الأمّة، وقد روي مرفوعًا أنّ الأوّلين والآخِرين ههنا أيضًا متقدِّمو هذه الأمّة ومتأخِّروهم،[١] واشتقاقُ الثلّة مِن "الثَّلّ" وهو الكسر.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ حال أخرى مِن "المقرَّبين" أو مِن ضميرهم في الحال الأولى. وقيل: خبر آخرُ للضمير. والموضونة: المنسوجة بالذهب مشبَّكةً بالدُّرّ والياقوت، أو المتواصلة مِن "الوَضْن" وهو النسج.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ حالان مِن الضمير المستكنّ فيما تعلّق به ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾، أي: مستقرّين على سُرَر متّكئين عليها متقابلين، لا ينظر بعضهم مِن أقفاء بعض، وهو وصف لهم بحُسن العشرة وتهذيبِ الأخلاق والآداب.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ حال أخرى أو استئنافٌ، أي: يدور حولهم للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: مُبقَون أبدًا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحوّلون عنها. وقيل: مقرّطون، والخلد: القُرط. قيل: هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيُثابوا عليها ولا سيّئات فيُعاقبوا عليها، رُوي ذلك عن عليّ رضي الله تعالى عنه وعن الحسن رحمه الله،[٢] وفي الحديث: «أولادُ الكفّار خدّام أهل الجنّة».[٣]

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ بآنية لا عُرى لها ولا خراطيمَ ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ أي: آنية ذات عُرى وخراطيمَ ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: خمر جارية مِن العيون. قيل: إنّما أُفرِد الكأس؛ لأنّها لا تُسمّى كأسًا إلّا إذا كانت مملوءةً.

---

١ الحديث في مسند الطيالسي، ٢/٢٠٩ (٩٢٧)؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٣٦٢.

٢ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٤٥.

٣ ما وقفتُ عليه في مظانّه. وهو بلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٤٥.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقتُه: لا يصدر صداعُهم عنها. وقُرئ: "لَا يَصَّدَّعُونَ"،[١] أي: لا يتصدّعون ولا يتفرّقون، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم، ٤٣/٣٠]. وقُرئ: "لا يَصْدَعُونَ"،[٢] أي: لا يفرِّق بعضُهم بعضًا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يَسكَرون مِن "أنزَف الشاربُ" إذا نَفِد عقله أو شرابه.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يختارونه ويأخذون خيرَه وأفضلَه.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: يتمنّون. وقُرئ: "وَلُحُومِ طَيْرٍ".[٣]

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع عطفٌ على ﴿وِلْدَٰنٌ﴾[٤] أو مبتدأ محذوفُ الخبر، أي: وفيها أو لهم حُورٌ. وقُرئ بالجرّ[٥] عطفًا على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾،[٦] كأنّه قيل: هم في جنّات وفاكهة ولحم ومصاحبة حُور، أو على أكواب؛ لأنّ معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ﴾:[٧] يُنعَّمون بأكواب، وبالنصب،[٨] أي: ويؤتَون حُورًا.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ / صفة لـ﴿حُورٌ﴾ أو حال. [١٥٩و]

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مفعول له، أي: يُفعَل بهم ذلك كلّه جزاءً بأعمالهم، أو مصدرٌ مؤكِّد، أي: يُجزون جزاءً.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي: باطلًا ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا نسبةً إلى الإثم، أي: لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ ولا سماعَ، كقوله:

ولا ترى الضبَّ بها ينجحر[٩]

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٥٢.

[٢] قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٢.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٢.

[٤] في الآية السابعة عشرة مِن هذه السورة.

[٥] قرأ بها حمزة والكسائي وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٨٣/٢.

[٦] في الآية الثانية عشرة مِن هذه السورة.

[٧] في الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة مِن هذه السورة.

[٨] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٥١.

[٩] وفي هامش م: وصدره:

لا يُفزِع الأرنبَ أهوالُها

والبيت لابن أحمر في ديوانه، ص ٦٧؛ وهو له في شرح المفضّليّات للأنباري، ص ٥٩، ٨٧٩؛ والتكملة والذيل والصلة للصغاني، «فلت»؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ١٩٢/١٠؛ وهو بلا عزو في شرح الرضيّ على الكافية، ٣٢٦/٤.

﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أي: قولًا ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ بدل مِن ﴿قِيلًا﴾، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم، ٦٢/١٩]، أو صفته، أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها إلّا أن يقولوا: سلامًا سلامًا، والمعنى أنّهم يُفشون السلام فيُسلِّمون سلامًا بعد سلام، أو لا يسمع كلٌّ مِن المسلِّم والمسلَّم عليه إلّا سلامَ الآخر بدءًا أو ردًّا. وقُرئ: "سَلَامٌ سَلَامٌ"[١] على الحكاية.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ شروع في تفصيل ما أُجمِل عند التقسيم مِن شئونهم الفاضلة إثرَ تفصيل شئون السابقين، وهو مبتدأ، وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ جملة استفهاميّة مسوقة لتفخيمهم والتعجيبِ مِن حالهم، وقد عرفتَ كيفيّة سبكها، محلُّها إمّا الرفع على أنّها خبر للمبتدأ أو معترضةٌ لا محلَّ لها.

والخبر قوله تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ وهو على الأوّل خبرٌ ثانٍ للمبتدأ أو خبرٌ لمبتدأ محذوف، والجملةُ استئناف لبيان ما أُبهِم في قوله: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ مِن عُلوّ الشأن، أي: هم في سِدر غير ذي شوك لا كسِدر الدنيا، وهو شجر النبق كأنّه خُضِد شوكه، أي: قُطِع. وقيل: مخضود، أي: مثنيٌّ أغصانه لكثرة حَمْله مِن "خَضَد الغصنَ" إذا ثناه وهو رَطْب.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قد نُضِد حملُه مِن أسفله إلى أعلاه، ليست له ساق بارزة، وهو شجر الموز أو أمّ غَيلان، وله أنوارٌ كثيرة منتظِمة طيِّبةُ الرائحة، وعن السدّي: شجر يشبه طلحَ الدنيا، ولكنّ له ثمرًا أحلى مِن العسل.[٢] وعن عليّ رضي الله عنه

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٢.

[٢] القول في اللباب لابن عادل، ٣٩٧/١٨.

أنه قرأ: "وَطَلْعٍ"،[١] وما شأن الطلح،[٢] وقرأ قوله تعالى: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق، ١٠/٥٠]، فقيل: أَوَنُحَوِّلُها؟ قال: آيُ القرآن لا تُهاج ولا تُحوَّل،[٣] وعن ابن عبّاس رضي الله عنه نحوه.[٤]

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ ممتدّ منبسط لا يتقلّص / ولا يتفاوت كظلّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. [١٥٩ظ]

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يُسكَب لهم أينما شاءوا وكيفما أرادوا بلا تعب، أو مصبوبٌ سائل يجري على الأرض في غير أخدود، كأنّه مُثِّل حال السابقين بأقصى ما يُتصوَّر لأهل المدن، وحالُ أصحاب اليمين بأكملِ ما يُتصوَّر لأهل البوادي إيذانًا بالتفاوت بين الحالين.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ بحسب الأنواع والأجناس.

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في وقت مِن الأوقات كفواكه الدنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ عن متناوليها بوجه مِن الوجوه، لا يُحظَر عليها كما يُحظَر على بساتين الدنيا. وقُرِئ: "فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ"[٥] بالرفع على "وهناك فاكهةٌ"... إلخ، كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾.[٦]

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: رفيعة القدر، أو منضّدة مرتفعة، أو مرفوعة على الأسرّة. وقيل: الفرُش النساء، حيث يُكنى بالفراش عن المرأة، وارتفاعُها كونهنّ على الأرائك. قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس، ٥٦/٣٦].[٧] ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾. وعلى التفسير الأوّل أُضمِر "لهنّ" لدلالة ذِكر "الفرُش" التي هي المضاجع عليهنّ دلالةً بيّنة، والمعنى ابتدأنا خلقهنّ ابتداءً جديدًا، أو أبدعناهنّ مِن غير وِلاد إبداءً أو إعادةً.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٥١.

٢ أي: أنّه قال له: وما شأن الطلح.

٣ بلفظ قريب في شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٥١؛ وجامع البيان للطبري، ٣٠٩/٢٢-٣١٠؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٢/٨.

٤ اللباب لابن عادل، ٣٩٧/١٨.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٢.

٦ في الآية الثانية والعشرين مِن هذه السورة.

٧ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٤٦/٤.

وفي الحديث: هنّ اللواتي قُبضنَ في دار الدنيا عجائزَ شُمْطًا رُمْصًا جعلهنّ الله تعالى بعد الكِبَر أترابًا على ميلاد واحد في الاستواء، كلّما أتاهنّ أزواجهن وجدوهنّ أبكارًا،[١] وذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾. وقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ جمع "عَروب" وهي المتحبّبة إلى زوجها الحسنةُ التبعّل. وقُرئ: "عُرْبًا"[٢] بسكون "الراء" ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السنّ بنات ثلاث وثلاثين سنةً، وكذا أزواجهنّ.

و"اللام" في قوله تعالى: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ متعلّقة بـ﴿أَنشَأْنَا﴾ أو ﴿جَعَلْنَا﴾ أو بـ﴿أَتْرَابًا﴾، كقولك: "هذا تِرْب لهذا"، أي: مساوٍ له في السنّ. وقيل: بمحذوف هو صفة لـ﴿أَبْكَارًا﴾، أي: كائنات لأصحاب اليمين أو خبرُ مبتدأ محذوف، / أي: هنَّ لأصحاب اليمين. وقيل: خبر لقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.[٣] وهو بعيد؛ بل هو خبر مبتدأ محذوف خُتِمت به قصّة أصحاب اليمين، أي: هم أمّة مِن الأوّلين وأمّة مِن الآخرين، وقد مرّ الكلام فيهما. وعن أبي العالية ومجاهد وعطاء والضحّاك: ثلّة مِن الأوّلين، أي: مِن سابقي هذه الأمّة، وثلّة مِن الآخرين مِن هذه الأمّة في آخر الزمان.[٤] وعن سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «هم جميعًا مِن أمّتي».[٥] [١٦٠و]

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ شروع في تفصيل أحوالهم التي أشيرَ عند التنويع إلى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حُسن حال أصحاب اليمين. والكلام في قوله تعالى:

---

١ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٣٢٠/٢٢-٣٢١؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٤/٨.
٢ قرأ بها حمزة وخلف وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢١٦/٢، ٣٨٣.
٣ القولان في اللباب لابن عادل، ٤٠٤/١٨.
٤ وفي هامش م: ثعلبي. | وهو في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٨٤/٢٥؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٨/٨.
٥ الحديث في مسند الطيالسي، ٢٠٩/٢ (٩٢٧).

﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ عينُ ما فُصِّل في نظيره. وكذا في قوله تعالى: ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ والسَّموم: حرُّ نار ينفذ في المسامّ، والحميم: الماء المتناهي في الحرارة.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ مِن دخان أسودَ بهيم.

﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائر الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ فيه خيرٌ ما في الجملة سُمّي ذلك ظلًّا، ثمّ نُفي عنه وَصْفاه البَرْد والكرَم الذي عُبِّر به عن دفع أذى الحرّ لتحقيق أنّه ليس بظلّ. وقُرئ: "لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ"[1] بالرفع، أي: لا هو بارد ولا كريم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ تعليل لابتلائهم بما ذُكر مِن العذاب، أي:إنّهم كانوا قبل ما ذُكر مِن سوء العذاب في الدنيا منعَّمين بأنواع النِّعَم مِن المآكل والمشارب والمساكن الطيّبة والمقامات الكريمة منهمِكين في الشهوات، فلا جرمَ عُذِّبوا بنقائضها.

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الذنب العظيم الذي هو الشِّرك، ومنه قولهم: "بلغ الغلامُ الحنثَ"، أي: الحُلم ووقتَ المؤاخذة بالذنب.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ﴾ لغاية عُتوّهم وعِنادهم ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ أي: كان بعض أجزائنا مِن اللحم والجلد ترابًا وبعضُها عظامًا نخرةً. وتقديم "التراب" لعراقته في الاستبعاد / وانقلابِه مِن الأجزاء البادية. و"إذا" متمحِّضة للظرفيّة، [١٦٠ظ]
والعامل فيها ما دلّ عليه قولُه تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، لا نفسُه؛ لأنّ ما بعد "أنّ" و"اللام" و"الهمزة" لا يعمل فيما قبلها، وهو "نُبعَثُ"، وهو المرجع للإنكار.

وتقييدُه بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به، فإنّهم منكِرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله؛ بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلّيّة. وتكرير "الهمزة" لتأكيد النكير.

وتحلية الجملة بـ"أنّ" لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى يُتوهَم مِن ظاهر النظم، فإنّ تقديم "الهمزة" لاقتضائها الصدارة، كما في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة، ٢/٤٤] على رأي الجمهور، فإنّ المعنى عندهم تعقيبُ الإنكار

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٣.

لا إنكار التعقيب كما هو المشهور، وليس مدارُ إنكارهم كونَهم ثابتين في المبعوثيّة بالفعل في حال كونهم ترابًا وعظامًا؛ بل كونُهم بعرضيّة ذلك واستعدادُهم له، ومرجعُه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة، وفيه مِن الدلالة على غُلوّهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيدَ عليه.

وتكرير الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ لتأكيد النكير، و"الواو" للعطف على المستكنّ في ﴿لَمَبۡعُوثُونَ﴾، وحَسُن ذلك للفصل بـ"الهمزة"، يعنُون أنّ بَعْث آبائهم الأوّلين أبعدُ مِن الوقوع. وقُرئ: "أَوْ آبَاؤُنَا".[1]

﴿قُلۡ﴾ ردًّا لإنكارهم وتحقيقًا للحقّ ﴿إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ﴾ مِن الأمم الذين مِن جملتهم أنتم وآباؤكم، وفي تقديم الأوّلين مبالغة في الردّ حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشدَّ مِن إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي. ﴿لَمَجۡمُوعُونَ﴾ بعد البعث. وقُرئ: "لَمُجَمَّعُونَ"[2] ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ إلى ما وُقّتت به الدنيا مِن يوم معلوم، والإضافة بمعنى "مِن" كـ"خاتمُ فضّةٍ".

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عطفٌ على ﴿إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[3] داخل تحت القول، و﴿ثُمَّ﴾ للتراخي زمانًا أو رتبةً. ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ أي: بالبعث، والخطاب لأهل مكّة وأضرابهم.

﴿لَأٓكِلُونَ﴾ بعد البعث / والجمعِ ودخولِ جهنّم ﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ ﴿مِن﴾ [١٦١و]
الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر، وتفسيره، أي: مبتدئون الأكل مِن شجر هو زقّوم. وقيل: ﴿مِن﴾ الثانية متعلّقة بمضمَر هو وصف لشجر، أي: كائن مِن زقّوم.[4]

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ أي: بطونكم مِن شدّة الجوع.

---

[1] قرأ بها ابن عامر وأبو جعفر وقالون. النشر لابن الجزري، ٣٥٧/٢.

[2] قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٣٤٧/٤.

[3] في الآية التاسعة والأربعين مِن هذه السورة.

[4] القول في اللباب لابن عادل، ٤١٠/١٨.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ عَقيبَ ذلك بلا ريث ﴿مِنَ ٱلۡحَمِيمِ﴾ أي: الماء الحارّ في الغاية. وتأنيثُ ضمير "الشجر" أوّلًا وتذكيرُه ثانيًا باعتبار المعنى واللفظ. وقُرئ: "مِنْ شَجَرَةٍ"،[١] فضمير ﴿عَلَيۡهِ﴾ حينئذ للزقّوم، وقيل: للأكل.[٢]

وقوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ كالتفسير لِما قبله على طريقة قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾ [القمر، ٩/٥٤] أي: لا يكون شُربكم شُربًا معتادًا؛ بل يكون مثلَ شُرب الهِيم وهي الإبل التي بها الهُيام، وهو داء يُصيبها فتشرب ولا تروى، جمع "أهيَم وهَيْمَاء"، وقيل: الهِيَم: الرمال، على أنّه جمع الهَيام بفتح الهاء، وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على "فُعُل" كـ"سَحَاب" و"سُحُب"، ثمّ خُفِّف وفُعِل به ما فُعِل بجمع "أبيَض"،[٣] والمعنى أنّه يُسلَّط عليهم مِن الجوع والتهاب النار في أحشائهم ما يضطرّهم إلى أَكْل الزقّوم الذي هو كالمُهل، فإذا ملأوا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سُلِّط عليهم مِن العطش ما يضطرّهم إلى شُرب الحميم الذي يقطِّع أمعاءهم فيشربونه شُرب الهِيم.

وقُرئ: "شَرْبَ الهِيمِ"[٤] بالفتح وهو أيضًا مصدر، وقُرئ بالكسر[٥] على أنّه اسم المشروب.

﴿هَٰذَا﴾ الذي ذُكر مِن ألوان العذاب ﴿نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يومَ الجزاء فإذا كان ذلك نُزُلهم، وهو ما يُعدّ للنازل ممّا حَضَر، فما ظنُّك بما لهم بعد ما استقرّ لهم القرار واطمأنّت بهم الدار في النار؟ وفيه مِن التهكّم بهم ما لا يخفى. وقُرئ: "نُزْلُهُمْ"[٦] بسكون "الزاء" تخفيفًا. والجملةُ مسوقة مِن جهته تعالى بطريق الفذلكة مقرِّرة لمضمون الكلام الملقَّن غيرُ داخلة تحت القول.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٥٧.

٢ القول في اللباب لابن عادل، ١٨/٤١٠.

٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٤٨/٤.

٤ قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٨٣/٢.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة ومجاهد. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٣.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن عبّاس عن أبي عمرو، والأعمش، وابن مُحيصن، وخارجة عن نافع. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٥٧.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تلوين للخطاب وتوجيهٌ له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت. و"الفاء" لترتيب التحضيض على ما قبلها، أي: فهلّا تصدِّقون بالخَلْق، فإنّ ما لا يحقّقه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس مِن التصديق في شيء. وقيل: بالبعث / استدلالا عليه بالإنشاء، فإنّ مَن قَدر عليه قَدَر على الإعادة حتمًا.[1] والأوّل هو الوجه كما ستُحيط به خُبرًا. [١٦١ظ]

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: تقذِفون في الأرحام مِن النُّطف. وقُرئ بفتح "التاء"[2] مِن "مَنَى النطفةَ" بمعنى أمناها.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: تُقدِّرونه وتُصوِّرونه بشرًا سويًّا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ له مِن غير دَخْل شيء فيه. و﴿أَمْ﴾ قيل: منقطعة لأنّ ما بعدها جملة، فالمعنى: بل أنحن الخالقون؟ على أنّ الاستفهام للتقرير، وقيل: متّصلة،[3] ومجيء ﴿ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ بعد ﴿نَحْنُ﴾ بطريق التأكيد لا بطريق الخبريّة أصالةً.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: قسمناه عليكم ووقّتنا موتَ كلّ أحد بوقت معيّن حسبما يقتضيه مشيئتنا المبنيّة على الحِكَم البالغة. وقُرئ: "قَدَرْنَا"[4] مخفّفًا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: إنّا قادرون ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ لا يغلبنا أحدٌ على أن نُذهِبكم ونأتيَ مكانكم أشباهَكم مِن الخلق ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن الخَلْق والأطوار ولا تعهدون بمثلها، قال الحسن رحمه الله: أي: نجعلكم قردةً وخنازيرَ.[5] وقيل: المعنى: ونُنشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فمَن هذا شأنه كيف يعجز عن إعادتكم.[6] وقيل: المعنى: وما يسبقنا أحد فيهرُبَ مِن الموت أو يغيّر وقته.[7] و﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾... إلخ، إمّا حال مِن فاعل ﴿قَدَّرْنَا﴾،

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٤٨/٤.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي السَّمّال. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٣.

٣ الوجهان في اللباب لابن عادل، ٤١٦/١٨.

٤ قرأ بها ابن كثير. النشر لابن الجزري، ٣٨٣/٢.

٥ بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٢٠/٨.

٦ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٤٨/٤.

٧ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٦٦/٣.

أو علّة التقدير، و﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى "اللام" وما بينهما اعتراض.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ هي خَلْقهم مِن نطفة ثمّ مِن علقة ثمّ مِن مُضغة. وقيل: هي فطرة آدمَ عليه السلام مِن التراب.[1] ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فهلّا تتذكّرون أنّ مَن قدَر عليها قدَر على النشأة الأخرى حتمًا، فإنّه أقلّ صنعًا لحصول الموادّ وتخصُّص الأجزاء وسبقِ المثال، وفيه دليلٌ على صحّة القياس. وقُرئ: "فَلَوْلَا تَذْكُرُونَ"[2] مِن الثلاثي.

وفي الخبر: «عجبًا كلَّ العجب للمكذِّب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى، وعجبًا للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور».[3]

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي: تبذرون حَبّه وتعملون في أرضه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تُنبتونه وتردُّونه نباتًا / يرِف ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أي: المنبِتون لا أنتم، والكلام في ﴿أَمْ﴾ كما مرّ آنفًا. [١٦٢و]

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيمًا متكسِّرًا متفتّتًا بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غِلاله ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجّبون مِن سوء حاله إثرَ ما شاهدتموه على أحسن ما يكون مِن الحال، أو تندمون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه، أو على ما اقترفتم لأجله مِن المعاصي فتتحدّثون فيه. والتفكّه: التنقّل بصنوف الفاكهة، وقد استُعير للتنقّل بالحديث.

وقُرئ: "تَفَكَّنُونَ"،[4] أي: تتندّمون، وقُرئ: "فَظِلْتُمْ"[5] بالكسر و"فَظَلِلْتُمْ"[6] على الأصل.

---

[1] مرويّ عن قتادة والضحّاك في جامع البيان للطبري، ٢٢/٣٤٧-٣٤٨؛ واللباب لابن عادل، ١٨/٤١٨.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة. اللباب لابن عادل، ١٨/٤١٨.

[3] اللباب لابن عادل، ١٨/٤١٨.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن حزام العُكلي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٥٢.

[5] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة وأبي حَيْوَة، والحسن عن أبي بكر عن عاصم. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٣.

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود والأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٣.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: لمُلزَمون غرامةَ ما أنفقنا أو مُهلَكون بهلاك رزقنا مِن "الغَرام" وهو الهلاك. وقُرئ: "أَئِنَّا"[١] على الاستفهام، والجملةُ على القراءتين مقدّرة بقول هو في حيّز النصب على الحاليّة مِن فاعل ﴿تَفَكَّهُونَ﴾، أي: قائلين أو تقولون: إنّا لمغرمون.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حُرِمنا رزقَنا أو محارَفون محدودون لا حظَّ لنا ولا بَخْتَ لا مجدودون.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۞﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ عذبًا فراتًا، وتخصيص هذا الوصف بالذِّكر مع كثرة منافعه لأنّ الشُّرب أهمُّ المقاصد المَنوطة به.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي: مِن السَّحاب، واحده "مُزنة"، وقيل: هو السحاب الأبيض، وماؤه أعذبُ.[٢] ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ له بقدرتنا.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مِلحًا زُعاقًا لا يمكن شُربه. وحذفُ "اللام" ههنا مع إثباتها في الشرطيّة الأولى للتعويل على عِلم السامع أو الفرقِ بين المطعوم والمشروب في الأهميّة وصعوبةِ الفقد، والشرطيّتان مستأنَفتان مسوقتان لبيان أنّ عصمته تعالى للزرع والماء عمّا يُخلّ بالتمتّع بهما نعمةٌ أخرى بعد نعمة الإنبات والإنزالِ مستوجبةٌ للشكر، فقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ تحضيض على شكر الكلّ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۞ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۞ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۞﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي: تقدحونها وتستخرجونها مِن الزِّناد.

[١٦٢ظ] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ / التي منها الزِّناد وهي المَرْخ والعَفار ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ لها بقدرتنا. والتعبير عن خَلْقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصُّنع

---

[١] قرأ بها أبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٧٢.

[٢] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٤٩.

المُعربِ عن كمال القدرة والحكمة لِما فيه مِن الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الأشجار التي لا تخلو عن النار، حتّى قيل: «في كلّ شجر نار، واستمجد المَرْخ والعَفار»،[١] كما أنّ التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون، ١٤/٢٣] لذلك.

وقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ﴾ استئناف مبيِّن لمنافعها، أي: جعلناها تذكيرًا لنار جهنّم حيث علّقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكّروا ما أُوعِدوا به مِن نار جهنّم أو تذكرةً وأُنمُوذجًا مِن نار[٢] جهنّم، لِما رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ناركم هذه التي يُوقدها بنو آدم جزء مِن سبعين جزءًا مِن حرّ جهنّم».[٣] وقيل: تبصرةً في أمر البعث،[٤] فإنّه ليس بأبدعَ مِن إخراج النار مِن الشيء الرَّطْب.

﴿وَمَتَٰعٗا﴾ ومنفعةً ﴿لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ للذين ينزلون القَواء وهي القَفْر، وتخصيصُهم بذلك لأنّهم أحوجُ إليها، فإنّ المقيمين أو النازلين بقُرب منهم ليسوا بمضطّرين إلى الاقتداح بالزِّناد. وقد جُوّز أن يراد بالمُقوِين الذين خَلَت بطونهم ومزاودهم مِن الطعام.[٥] وهو بعيد لعدم انحصار ما يُهمهم ويسدّ خَلَلهم فيما لا يؤكل إلّا بالطبخ. وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أنّ الأهم هو النفع الأخروي.

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ لترتيب ما بعدها على عددٍ مِن بدائع صُنعه تعالى وروائع نِعَمه الموجِبة لتسبيحه تعالى، إمّا تنزيهًا له تعالى عمّا يقوله الجاحدون بوحدانيّته تعالى الكافرون بنعمته مع عِظَمها وكثرتها، أو تعجُّبًا مِن أمرهم في غَمْط تلك النِّعَم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرِها، / أو شكرًا على تلك النِّعَم السابغة، أي: فأحدِث التسبيحَ بذِكر اسمه تعالى أو بذِكره، فإنّ إطلاق الاسم للشيء ذِكرٌ له. و﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ صفة لـ"الاسم" أو "الربّ". [١٦٣و]

---

[١] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٧٤/٢؛ وأورده في هذا الموضع ابن عادل في اللباب، ٤٢٥/١٨.

[٢] س ي - نار.

[٣] صحيح البخاري، ١٢١/٤ (٣٢٦٥)؛ صحيح مسلم، ٢١٨٤/٤ (٢٨٤٣)؛ الكشّاف للزمخشري، ٣٥٠/٤.

[٤] القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٦٧/٣.

[٥] هذا الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٣٥٠/٤.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: فأقسِمُ، و﴿لَآ﴾ مزيدة للتأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ [الحديد، ٢٩/٥٧]، أو "فَلَأَنَا أقسِمُ"، فحُذف المبتدأ وأُشبِعَ فتحةُ لام الابتداء، ويعضده قراءة مَن قرأ: "فَلَأُقْسِمُ"،[١] أو ﴿فَلَا﴾ ردٌّ لكلام يخالف المقسَم عليه. وأمّا ما قيل: مِن أنّ المعنى: فلا أُقسِم؛ إذِ الأمرُ أوضحُ مِن أن يحتاج إلى قسَم،[٢] فيأباه تعيينُ المقسَم به وتفخيمُ شأن القسم به.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي: بمساقطها وهي مغاربها، وتخصيصُها بالقَسم لِما في غروبها مِن زوال أثرها والدلالةِ على وجود مؤثِّر دائم لا يتغيَّر، أو لأنّ ذلك وقتُ قيام المتهجِّدين والمبتهلين إليه تعالى وأَوانُ نزول الرحمة والرضوان عليهم، أو بمنازلها ومجاريها، فإنّ له تعالى في ذلك مِن الدليل على عِظَم قدرته وكمالِ حكمته ما لا يحيط به البيان. وقيل: النجومُ نجوم القرآن ومواقُعها أوقاتُ نزولها.[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض في اعتراض قُصِد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسميّة وتأكيدُه، حيث اعتُرض بقوله تعالى:[٤] ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾ أي: كثيرُ النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمّة في صلاح المعاش والمعادِ، أو حسنٌ مرضيٌّ، أو كريمٌ عند الله تعالى؛ وبقوله تعالى: ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته، وجواب ﴿لَوۡ﴾ إمّا متروك أريدَ به نفيُ عِلمهم، أو محذوفٌ ثقةً بظهوره، أي: لَعظّمتموه أو لَعملتم بموجَبه.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ﴾ أي: مَصون مِن غير المقرَّبين مِن الملائكة لا يطَّلع عليه مَن سواهم وهو اللوح.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والثقفي. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٣.

٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٦٧/٣.

٣ هذا القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٥١/٤.

٤ م - تعالى.

﴿لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ إمّا صفة أخرى لـ﴿كِتَٰبٍ﴾، فالمراد بالمُطهَّرين الملائكة المنزَّهون عن الكدورات الجسمانيّة وأوضارِ الأوزار، أو للقرآن، فالمرادُ هم المطهَّرون مِن الأحداث، فيكون نفيًا بمعنى النهي، أي: لا ينبغي أن يمسَّه إلّا مَن كان على طهارة مِن الناس، على طريقة قوله صلّى الله عليه وسلّم: «المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمه ولا يُسلِمه»،[١] أي: لا ينبغي / له أن يظلِمه أو يسلِمَه إلى مَن يظلِمُه. وقيل: لا يطلبه إلّا المطهَّرون مِن الكفر.[٢] [١٦٣ظ]

وقُرئ: "المُتَطَهِّرُونَ"،[٣] و"المُطَّهِّرُونَ"[٤] بالإدغام، و"المُطْهَرُونَ"[٥] مِن "أطهَره" بمعنى "طهَّره"، و"المُطَهِّرُونَ"،[٦] أي: أنفسَهم أو غيرَهم بالاستغفار أو غيرِه.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة أخرى لـ﴿قُرْءَانٌ﴾، وهو مصدر نُعت به حتّى جرى مَجرى اسمه. وقُرئ: "تَنْزِيلًا".[٧]

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ الذي ذُكرت نعوته الجليلة الموجِبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاوِنون به كمَن يُدهِن في الأمر، أي: يلين جانبه ولا يتصلَّب فيه تهاونًا به.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شُكرَ رزقكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تضعون التكذيب موضعَ الشكر. وقُرئ: "وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ"،[٨] أي: تجعلون شُكركم لنعمة القرآن أنكم تكذِّبون به. وقيل: الرزق المطر،[٩] والمعنى:

---

١ صحيح البخاري، ١٢٨/٣ (٢٤٤٢)؛ صحيح مسلم، ١٩٩٦/٤ (٢٥٨٠)؛ الكشّاف للزمخشري، ٣٥١/٤.

٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٦٨/٣.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٤.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن سلمان الفارسي وابن مسعود. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٣.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٤.

٦ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٣٥١/٤.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن عبّاس عن ابن مسعود وزِرّ بن حُبيش. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٥٩.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وابن عبّاس. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٦٤.

٩ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٥١/٤.

وتجعلون شُكر ما يرزقكم الله تعالى مِن الغيث أنّكم تكذِّبون بكونه مِن الله، حيث تنسبونه إلى الأنواء.

والأوّل هو الأوفَقُ لسِباق النظم الكريم وسياقِه، فإنّ قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾... إلى آخره، تبكيتٌ مبنيٌّ على تكذيبهم بالقرآن فيما نطَق به قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ إلى هنا مِن القوارع الدالّة على كونهم تحت ملكوته تعالى مِن حيث ذواتُهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم، كما ستقف عليه. و﴿لَوْلَآ﴾ للتحضيض لإظهار عجزِهم، و﴿إِذَا﴾ ظرفيّة، أي: فهلّا إذا بلغت النفس، أي: الروح. وقيل: نفسُ أحدكم الحلقوم وتداعَت إلى الخروج.

[١٦٤و] ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ﴾ أيها الحاضرون حولَ صاحبها / ﴿تَنظُرُونَ﴾ إلى ما هو فيه مِن الغمرات.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ عِلمًا وقدرةً وتصرُّفًا ﴿مِنكُمْ﴾، حيث لا تعرفون مِن حاله إلّا ما تُشاهدونه مِن آثار الشدّة مِن غير أن تقِفوا على كُنهها وكيفيّتها وأسبابها، ولا أن تقدروا على دَفْع أدنى شيء منها، ونحن المتولُّون لتفاصيل أحواله بعِلمنا وقدرتنا، أو بملائكة الموت. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ لا تُدرِكون ذلك لجهلكم بشئوننا.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مربوبين مِن "دان السلطانُ رعيّته" إذا ساسهم واستعبدهم ناظرًا إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾،[١] فإنّ التحضيض يستدعي عدم المحضَّض عليه حتمًا.

وقوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي: النفسَ إلى مقرّها، هو العامل في ﴿إِذَا﴾ والمحضَّض عليه بـ﴿لَوْلَآ﴾ الأولى، والثانية مكرَّرة للتأكيد، وهي مع ما في حيّزها دليل جواب الشرط، والمعنى إن كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدمُ تصديقكم بخلقنا إيّاكم فهلّا ترجعون النفسَ إلى مقرّها عند بلوغها الحلقوم

---

[١] في الآية السابعة والخمسين مِن هذه السورة.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في اعتقادكم، فإنّ عدم تصديقهم بخالقيّته تعالى لهم عبارةٌ عن تصديقهم بعدم خالقيّته تعالى بموجَب مذهبهم.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾... إلخ شروع في بيان حال المتوفّى بعد الممات إثرَ بيان حاله عند الوفاة، أي: فأمّا إن كان الذي بيِّن حاله مِن السابقين مِن الأزواج الثلاثة عُبِّر عنهم بأجلّ أوصافهم.

﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فله استراحةٌ. وقُرِئ: "فَرُوحٌ"[1] بضمّ "الراء"، وفُسِّر بالرحمة؛ لأنّها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي: ذات تنعُّم.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ / عُبِّر عنهم بالعنوان السابق؛ إذ لم يُذكَر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه، كما ذُكر للفريقين الآخرين. [١٦٤ظ]

وقوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ إخبار مِن جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض، كما يُفصِح عنه "اللام"، لا حكايةُ إنشاء سلامٍ بعضهم على بعض، وإلّا لَقيل: "عليك". والالتفاتُ إلى خطاب كلّ واحد منهم للتشريف.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم أصحاب الشِّمال عُبِّر عنهم بذلك حسبما وُصِفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾[2] ذمًّا لهم بذلك وإشعارًا بسبب ما ابتُلوا به مِن العذاب.

﴿فَنُزُلٌ﴾ أي: فله نزُلٌ كائن ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يُشرَب بعد أكل الزقّوم، كما فُصِّل فيما قبل.

---

[1] قرأ بها رُويس. النشر لابن الجزري، ٣٨٣/١.

[2] في الآية الحادية والخمسين مِن هذه السورة.

﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: إدخال في النار. وقيل: إقامةٌ فيها ومُقاساة لألوان عذابها.[١] وقيل: ذلك ما يجده في القبر مِن سموم النار ودخانها.[٢]

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٩٦﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الذي ذُكر في السورة الكريمة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ أي: حقّ الخبر اليقين. وقيل: الحقّ الثابت مِن اليقين.[٣]

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ لترتيب التسبيح أو الأمر به على ما قبلها، فإنّ حقّيّة ما فُصِل في تضاعيف السورة الكريمة ممّا يوجب تنزيهه تعالى عمّا لا يليق بشأنه الجليل مِن الأمور التي مِن جملتها الإشراكُ به والتكذيبُ بآياته الناطقة بالحقّ.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة الواقعة في كلّ ليلة لم تُصبه فاقة أبدًا».[٤]

---

١ القول في اللباب لابن عادل، ٤٤٨/١٨.
٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٦٩/٣.
٣ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٣٥٢/٤.
٤ بلفظ قريب في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ٧٢٦/٢ (١٢٤٧)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ١١٩/٤ (٢٢٦٨)؛ وبلفظه في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٠١/٢٥ (الواقعة، ١/٥٦)؛ والكشّاف للزمخشري، ٣٥٣/٤.

٥٦

سورة الواقعة

مكية إلاّ «أفبهذا الحديث» الآيَة، و«ثُلَّة من الأولين» الآيَة، وهي ستٌّ أو سبع أو تسع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا وَقَعَتِ الواقِعَةُ﴾ قامتِ القِيامة، ٢ ـ ﴿لَيسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾: نفسٌ تكذِّب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا، ٣ ـ ﴿خافِضَةٌ رافِعَةٌ﴾ أي: هي مُظهِرة لخفض أقوام بدُخولهم النارَ ولرفع آخرين بدُخولهم الجنَّةَ،٤ ـ ﴿إذا رُجَّتِ الأرضُ رَجًّا﴾: حُرِّكتْ حركة شديدة، ٥ ـ ﴿وبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾: فُتِّتَتْ، ٦ ـ ﴿فكانَت هَباءً﴾: غُبارًا ﴿مُنبَثًّا﴾: منتشرًا ـ وإذا الثانية: بدل من الأُولى ـ ٧ ـ ٨ ـ ﴿وكُنتُم﴾ في القِيامة ﴿أزواجًا﴾: أصنافًا ﴿ثلاثةً، فأصحابُ المَيمَنةِ﴾.........

سورة الواقعة

قولُهُ: (قَامَتِ) أو حدثَتْ، سمَّاها واقعةً لتحقُّقِ وقوعِها، وانتصابُ ﴿إذا﴾ بمحذوفٍ مثلُ: اذكُرْ، وقيل: بـ﴿لَيْسَ﴾، وقيل: بقولِهِ: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

قولُهُ: (بِأَنْ تَنفِيَهَا) أي: تكذِبُ في نَفيِها، واللَّامُ للتَّأقيتِ؛ أي: حينَ تقعُ.

قولُهُ: (مُظهِرَةٌ) إشارةٌ إلى أنَّ الخافضَ والرَّافعَ هو اللهُ، لكنَّ ظهورَها في ذلكَ الوقتِ، قيل: يخفضُ أقواماً بالعدلِ، ويرفعُ أقواماً بالفضلِ.

قولُهُ: (حَرَكَةً شَدِيدَةً) بحيثُ ينهدمُ ما فوقَها مِن بناءٍ وجَبلٍ.

قولُهُ: (أي: فُتِّتَتْ) أو سُيِّرت.

قولُهُ: (بَدَلٌ) أو ظَرفٌ لـ﴿خافِضةٌ﴾.

قولُهُ: (أَصنَافاً) وكلُّ صنفٍ يكونُ أو يُذكَرُ معَ صنفٍ آخرَ زوجٌ؛ أي: ينقسمُ النَّاسُ يومئذٍ إلى ثلاثةِ أصنافٍ.

وهم الذين يُؤتَون كُتبَهم بأيمانهم، مبتدأٌ خبرُه: ﴿ما أصحابُ المَيمَنةِ﴾! تعظيمٌ لشأنهم بدخولهم الجنّة، ٩ ـ ﴿وأصحابُ المَشْأمةِ﴾ أي: الشِّمالِ بأن يُؤتَى كُلّ منهم كِتابَه بشِماله ﴿ما أصحابُ المَشْأمةِ﴾! تحقيرٌ لشأنهم بدخولهم النارَ، ١٠ ـ ﴿والسّابِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء: مبتدأٌ ﴿السّابِقُونَ﴾: تأكيد لتعظيم شأنهم، والخبرُ: ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ، في جَنّاتِ النَّعِيمِ، ثُلّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية، ١٤ ـ ﴿وقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾: من أمة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبرُ: ١٥ ـ ﴿علَى سُرُرٍ مَوضُونةٍ﴾: منسوجة بقُضبان الذهب والجواهر، ١٦ ـ ﴿مُتَكِئِينَ علَيها مُتَقابِلِينَ﴾: حالان من الضمير في الخبر.

١٧ ـ ﴿يَطُوفُ علَيهِم﴾ للخِدمة ﴿وِلدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: على شكل الأولاد لا يَهرمون، ١٨ ـ ﴿بِأَكْوابٍ﴾:

قولُهُ: (تَحقِيرٌ) إشارةٌ إلى أنَّ معنى الاستفهاميَّتينِ التَّعجُّبُ مِن حالِ الفريقينِ.

قولُهُ: (وهُمُ الأَنبِيَاءُ) لأنَّهم مقدَّموا أهلِ الأديانِ، وفيه أنَّه لا يلائمُ قولَهُ: ﴿وَقَلِيْلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾، أوِ السَّابقونَ إلى إجابةِ الرَّسولِ، أو إلى الخيراتِ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) أو خبرٌ؛ أي: الَّذين سبقوا إلى الجنَّةِ.

قولُهُ: (مُبْتَدَأٌ) أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أو خبرٌ آخرُ.

قولُهُ: (أي: جَمَاعَةٌ) كثيرةٌ.

قولُهُ: (مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ) وهذهِ الأمَّةِ، وقالت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: الفِرقَتانِ في أمَّةِ كلِّ نبيٍّ: في صدرِها ثلَّةٌ، وفي آخرِها ثلَّةٌ[١]، وكثيرٌ مِن السَّلفِ ومنهُم الحسنُ على أنَّ معناهُ: هم كثيرٌ مِن متقدِّمِي هذهِ الأمَّةِ وقليلٌ من متأخِّريْها، وروى الطَّبرانيُّ وغيرُه مرفوعاً: «أنَّهما من هذهِ الأمَّةِ»[٢].

قولُهُ: (في الخَبَرِ) أو خبرٌ آخرُ.

قولُهُ: (للخِدْمَةِ) في «النِّهايةِ»[٣]: الطَّائفُ الخادمُ الَّذي يخدمُكَ برفقٍ وعنايةٍ، وفي الحديثِ: «أولادُ الكفَّارِ خُدَّامُ أهلِ الجنَّةِ»[٤].

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤١) بهذا السياق: روي عن عائشة أنها تأولت أن الفرقتين في أمة كل نبي وهي في الصدر ثلة وفي آخر الأمة قليل.

(٢) وكذا ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩) وحسن إسناده، إلا أني لم أجده عند الطبراني. ورواه مسدد كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٣٧٤٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٤٢).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٤٥١٦)، والروياني في «مسنده» (٨٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٤٤) (٦٩٩٣)، وفي =

أقداح لا عُرَى لها ﴿وأباريقَ﴾ لها عُرَى وخراطيمُ ﴿وكأسٍ﴾: إناءِ شُربِ الخمر ﴿مِن مَعِينٍ﴾، أي: خمرٍ جارية من مَنبع لا ينقطع أبدًا، ١٩ ـ ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها ولا يُنزَفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسرها، من: نُزِفَ الشاربُ وأنزَفَ ـ أي: لا يَحصُل لهم منها صُداع ولا ذَهاب عقل بخِلاف خمر الدنيا، ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿وفاكِهةٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ، ولَحمِ طَيرٍ مِمّا يَشتَهُونَ، و﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾: نساء شديداتُ سوادِ العُيون وبياضِها ﴿عِينٌ﴾: ضِخامُ العُيون ـ كُسرت عينه بدل ضمّها لمجانسة الياء، ومفرده عَيناء كحَمراء. وفي قراءة بجرِّ «حورٍ عينٍ» ـ ٢٣ ـ ﴿كأمثالِ اللُّؤلُؤِ المَكنُونِ﴾: المصون، ٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿جَزاءً﴾: مفعول له أو مصدر، والعامل مُقدّر، أي: جعلنا لهم ما ذُكر للجزاء أو جزَيناهم ...

قولُهُ: (لا عُرَى لَهَا) ولا خرطومَ، والباءُ للتَّعديةِ.

قولُهُ: (إِنَاءِ شُرْبِ الخَمرِ) أي: إناءٍ يُشرَبُ فيه الخمرُ.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) كوفيٌّ[1].

قولُهُ: (نُزِفَ الشَّارِبُ) بالضمِّ، ذهبَ عقلُهُ بالسكرِ.

قولُهُ: (وأَنزَفَ) بالبناءِ للفاعلِ، إذا نفدَ وفنيَ شرابُهُ.

قولُهُ: (ولا ذَهَابُ عَقلٍ) ولا نفادُ خمرٍ.

قولُهُ: (﴿و﴾ لَهُم) أو فيها، وقيل: عطفٌ على: ﴿وِلْدَانٌ﴾.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ بـ«حُورٍ عِينٍ») يعني: قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ[2] بالجرِّ عطفاً على: ﴿جَنَّات﴾؛ أي: هم في جنَّاتٍ، وفي صُحبةِ حورٍ، أو على: ﴿أكوابٍ﴾ بحسبِ المعنى، فإنَّ معناه: ينعمونَ بأكوابٍ، وإن أرادَ أنَّ القراءةَ بالباءِ الجارَّةِ؛ فهي شاذَّةٌ[3].

قولُهُ: (المَصُونِ) عمَّا يضرُّ به في الصَّفاءِ والنَّقاءِ.

قولُه: (أو جَزَيْنَاهُمْ) رويَ: أنَّ المنازلَ في الجنَّةِ على قدرِ الأعمالِ، وأمَّا نفسُ الدُّخولِ فبرحمةِ اللهِ وفضلِهِ،

= «المعجم الأوسط» (٢٠٤٥) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٩): فيه عباد بن منصور، وثقه يحيى القطان وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

ورواه الطيالسي في «مسنده» (٢٢٢٥)، والبزار في «مسنده» (٧٤٦٦)، والطبراني في «الأوسط» (٥٣٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٦٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) لم أقف عليها في كتب الشواذ.

﴿بما كانُوا يَعمَلُونَ، لا يَسمَعُونَ فِيها﴾: في الجنّة ﴿لَغوًا﴾: فاحشًا من الكلام ﴿ولا تأثِيمًا﴾: ما يُؤثِم. ٢٦ ـ ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿قِيلاً﴾: قولاً ﴿سَلامًا سَلامًا﴾: بدلٌ من «قِيلاً». فإنهم يسمعونه.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿وأصحابُ اليَمِينِ ما أصحابُ اليَمِينِ! في سِدرٍ﴾: شجرِ النَّبق ﴿مَخضُودٍ﴾: لا شوك فيه، ٢٩ ـ ﴿وطَلحٍ﴾: شجرِ الموز ﴿مَنضُودٍ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه، ٣٠ ـ ﴿وظِلٍّ مَمدُودٍ﴾: دائم، ٣١ ـ ﴿وماءٍ مَسكُوبٍ﴾: جارٍ دائمًا، ٣٢ ـ ٣٣ ـ ﴿وفاكِهةٍ كَثِيرةٍ، لا مَقطُوعةٍ﴾ في زمن، ....

والخلودُ بالنِّيَّةِ، وكذلك الدَّركاتُ في النَّارِ على مراتبِ المعاصي، وأمَّا نفسُ الدُّخولِ فبالعدلِ، والخلودُ بالنِّيَّةِ.

قولُهُ: (فَاحِشاً) الظاهرُ: عبثاً.

قولُهُ: (مَا يُؤثِمُ) أي: ولا ما يُوقِعُ في الإثمِ، أو ولا نسبةَ إلى الإثمِ؛ أي: لا يقالُ لهم: أثمتُمْ.

قولُهُ: (لَكِن) يعني: الاستثناءُ منقطعٌ، وهو ظاهرٌ أو متَّصلٌ، والمعنى: لا لغوَ إلَّا السَّلامُ، ومعلومٌ أنَّ السَّلامَ ليسَ بلغوٍ فلا لغوَ، فيكونُ من بابِ تأكيدِ المدحِ بما يشبهُ الذَّمَّ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) أو صفةٌ؛ بمعنى: سالماً.

قولُهُ: (فَإِنَّهُمْ يَسْمَعُونَهُ) لقولهِ تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، والتَّكريرُ للدَّلالةِ على فشوِّ السَّلامِ بينهُم، ويمكنُ أن يكونَ التَّقديرُ: سلاماً مِن اللهِ وسلاماً مِن الملائكةِ.

قولُهُ: (لا شَوكَ) أو مثنيٍّ أغصانُهُ.

قولُهُ: (شَجَرِ المَوزِ) وأكثرُ السَّلفِ على أنَّه أمُّ غيلانَ له أنوارٌ كثيرةٌ ورائحةٌ طيِّبةٌ وظلٌّ باردٌ، وعن ابنِ عبَّاسٍ[1]: يشبهُ طلحَ الدُّنيا، لكنَّ ثمرَهُ أحلى مِن العسلِ، وعنهُ[2]: أنَّ بينَ نعيمِ الدُّنيا ونعيمِ العقبى مشاركةً اسميَّةً.

قولُهُ: (بالحَمْلِ) أي: متراكِمٌ.

قولُهُ: (دَائِمٍ) أو منبَسطٍ، وفي «الصَّحيحينِ»[3]: «إنَّ في الجنَّةِ شجرةً لو يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ ما قطعَها».

قولُهُ: (جَارٍ) أينَ شاؤوا، وكيفَ شاؤوا، أو مصبوبٍ سائلٍ يجري على الأرضِ من غيرِ أخدودٍ.

قولُهُ تعالى: (﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾) أي: كثيرةِ الأجناسِ.

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٥٢٦). وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٦١) ونسبه للسدي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦٥٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

﴿ولا مَمنُوعةٍ﴾ بثمن، ٣٤ ـ ﴿وفُرُشٍ مَرفُوعةٍ﴾ على السُّرُر.

٣٥ ـ ﴿إنّا أنشأناهُنَّ إنشاءً﴾ أي: الحُورَ العِين من غير وِلادة، ٣٦ ـ ﴿فجَعَلْناهُنَّ أبكارًا﴾: عذارَى، كُلّما أتاهنّ أزواجُهنّ وجدوهنّ عذارى ولا وجعَ، ٣٧ ـ ﴿عُرُبًا﴾، بضم الراء وسكونها: جمع عَرُوب ـ وهي المُتحبّبة إلى زوجها عِشقًا له ـ ﴿أترابًا﴾: جمع تِرب، أي: مُستوياتٍ في السنّ، ٣٨ ـ ﴿لِأصحابِ اليَمِينِ﴾: صلةُ «أنشأناهنّ» أو «جعلناهنّ»، ٣٩ ـ ٤٠ ـ وهم ﴿ثُلّةٌ مِنَ الأوّلِينَ، وثُلّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

قولُهُ: (بِثَمَنٍ) بل ولا تمتنعُ عن متناولِها بوَجهٍ.

قولُهُ: (على السُّرُرِ) أو رفيعةِ القدرِ، أو مرفوعةٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، وفي الحديثِ: «ارتفاعُهَا ما بينَ السَّماءِ والأرضِ» رواهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[1]، وقيل: الفرشُ: النِّساءُ، وارتفاعُها أنَّها على الأرائِكِ، ويدلُّ عليهِ ما بعدَهُ.

قولُهُ: (أي: الحُورَ العِينَ) أي: ابتَدأناهُنَّ ابتداءً جديداً.

قولُهُ: (مِن غَيرِ وِلادَةٍ) إبداءً أو إعادةً، أو الضَّميرُ لما دلَّ عليهِ السِّياقُ وهو ذكرُ الفرشِ؛ أي: النِّساءِ؛ أي: أعَدْنا إنشاءَهُنَّ، ففي الحديثِ: «هنَّ اللَّواتي قُبِضنَ عجائزَ خلقهنَّ اللهُ بعدَ الكبرِ فجعلهنَّ عذارى متعشِّقاتٍ على ميلادٍ واحدٍ أفضلُ مِنَ الحورِ العينِ، كفضلِ الظِّهارَةِ على البِطَانةِ، ومَن يكنْ لها أزواجٌ في الدُّنيا تُخيَّرُ فتختارُ أحسنَهُمْ خلقاً»، الحديثُ في الطَّبرانيِّ والتِّرمذيِّ[2] مطوَّلٌ دالٌّ على معانٍ كثيرةٍ جليلةِ القدرِ. وفي حديثٍ: «هنَّ أفضلُ مِنَ الحورِ لصلاتهنَّ وصيامهنَّ»[3].

قولُهُ: (وسُكُونِهَا) حمزةُ وشعبةُ[4].

قولُهُ: (فِي السِّنِّ) كلُّهنَّ بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ، وكذا أزواجُهنَّ.

قولُهُ: (أو جَعَلْنَاهُنَّ) أو صلةٌ لـ﴿أبْكارًا﴾، أو خبرٌ لمحذوفٍ مثلُ: هنَّ.

قولُهُ: (وهُم) مبتدأٌ مقدَّرٌ، ولا معنى للواوِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤)، وأحمد في «مسنده» (١١٧١٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٠٥) وأبو نعيم في (صفة الجنة) (٣٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.
ولم أجده عند النسائي، والله أعلم.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٦٧) (٨٧٠) مطولًا من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.
وأما الترمذي فروى قطعة منه (٣٢٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٣) هذا طرف من حديث أم سلمة رضي الله عنها المتقدم عند الطبراني.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٧).

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿وأصحابُ الشِّمالِ ما أصحابُ الشِّمالِ! في سَمُومٍ﴾: ريح حارّة من النار تنفذ في المسامّ، ﴿وحَمِيمٍ﴾: ماء شديد الحرارة ٤٣ ـ ﴿وظِلٍّ مِن يَحمُومٍ﴾: دُخان شديد السواد، ٤٤ ـ ﴿لا بارِدٍ﴾ كغيره من الظِّلال ﴿ولا كَرِيمٍ﴾: حسن المنظر. ٤٥ ـ ﴿إنَّهُم كانُوا قَبلَ ذلِكَ﴾: في الدنيا ﴿مُترَفِينَ﴾: مُنعّمين، لا يتعبون في الطاعة، ٤٦ ـ ﴿وكانُوا يُصِرُّونَ علَى الحِنثِ﴾: الذنب ﴿العَظِيمِ﴾ أي: الشرك، ٤٧ ـ ﴿وكانُوا يَقُولُونَ: أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾ ـ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ـ ٤٨ ـ ﴿أوَآباؤُنا الأوَّلُونَ﴾؟ بفتح الواو للعطف. والهمزة: للاستفهام. وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد. وفي قراءة بسكون الواو عطفًا بـ «أوْ» والمعطوف عليه محلّ «إن» واسمها.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿قُلْ: إنَّ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ لَمَجمُوعُونَ إلَى مِيقاتِ﴾: وقتِ ﴿يَومٍ مَعلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة، ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿ثُمَّ إنَّكُم ـ أيُّها الضّالُّونَ المُكَذِّبُونَ ـ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ﴾: بيانٌ للشجر،

قولُهُ: (رِيحٍ) أو حرِّ نارٍ.

قولُهُ: (المَسَامِّ) خروقِ الجسدِ.

قولُهُ: (دُخَانٍ) يفعولُ مِن الحُمَمَةِ؛ أي: الفحمِ.

قولُهُ: (حَسَنِ المَنْظَرِ) أو يانعٍ[1]، نفى بذلك ما أوهمَ الظِّلُّ من الاسترواحِ.

قولُهُ: (مُنعَّمِينَ) منهمِكينَ في الشَّهَواتِ.

قولُهُ: (لا يَتْعَبُونَ فِي الطَّاعَةِ) ولا يصبرونَ عن السَّيِّئةِ.

قولُهُ: (بالهَمْزَتَينِ) كُرِّرَتِ الهمزةُ للدَّلالةِ على إنكارِ البعثِ مطلقاً، وخُصوصاً في هذا الوقتِ.

قولُهُ: (التَّحقِيقُ) تقدَّمَ[2].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لقالونَ وشاميٌّ[3].

قولُهُ: (لِوَقتِ) الإضافَةُ بمعنى: مِن، كخاتمِ حديدٍ؛ أي: إلى ما وُقِّتَ به الدُّنيا وحُدِّثَ من يومٍ معيَّنٍ عندَ اللهِ معلومٍ.

قولُهُ: (بَيَانٌ) والأولى للابتداءِ، أو التَّبعيضِ.

---

(١) في (م): «نافع».

(٢) انظر الآية رقم: (٥) من سورة الرعد.

(٣) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٧١).

٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ﴿فمالِئُونَ مِنها﴾: من الشجر ﴿البُطُونَ، فشارِبُونَ علَيهِ﴾ أي: الزقومِ المأكولِ ﴿مِنَ الحَمِيمِ، فشارِبُونَ شَربَ﴾ ـ بفتح الشين وضمّها مصدرٌ ـ ﴿الهِيمِ﴾: الإبل العِطاش، جمع هَيمانَ للذكر وهَيمَى للأُنثى كعَطشانَ وعَطشَى. ٥٦ ـ ﴿هذا نُزُلُهُم﴾: ما أُعِدّ لهم ﴿يَومَ الدِّينِ﴾: يوم القيامة.

٥٧ ـ ﴿نَحنُ خَلَقْناكُم﴾: أوجدناكم من عدم. ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث، إذِ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. ٥٨ ـ ﴿أفرَأَيتُم ما تُمنُونَ﴾: تُرِيقون من المنيِّ في أرحام النساء؟ ٥٩ ـ ﴿أأنتُم﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركه، في المواضع الأربعة ـ ﴿تَخلُقُونَهُ﴾ أي: المنيَّ بشرًا ﴿أم نَحنُ الخالِقُونَ﴾؟

٦٠ ـ ﴿نَحنُ قَدَّرنا﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿بَينَكُمُ المَوتَ، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾: بعاجزين

قولُهُ: (مِنَ الشَّجَرِ) لغَلبةِ الجوعِ.

قولُهُ: (أي: الزَّقُّومِ) لشدَّةِ العطشِ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ[١].

قولُهُ: (العِطَاشِ) الَّتي بها الهُيامُ، وهو داءٌ يشبهُ الاستسقاءَ[٢]، وقيل: المرادُ الرِّمالُ الَّتي لا يرويها الماءُ.

قولُهُ: (هَيْمَانَ) أو أهيَمُ، في «البحرِ»[٣]: الفاءُ تقتضِي التَّعقِيبَ في الشُّربِ، وأنَّهُم لمَّا عطِشُوا شرِبوا مِن الحميمِ فازدادوا عطشاً، فشَربوا بعدَهُ شُرباً لا يقعُ به رِيٌّ أبداً، فهما شربانِ من الحميمِ لا شربٌ واحدٌ، واختلفَت صفتاهُ فَعُطِفَ.

قولُهُ: (مَا أُعِدَّ لَهُم) تكرِمةً لهم؛ فما ظنُّكَ بما يُعدُّ لهم بعدُ.

قولُهُ: (تُرِيقُونَ من المِنيِّ) أي: ما تقذفونَهُ من النُّطفِ.

قولُهُ: (بِتَحْقِيقِ) تقدَّم تحقيقُهُ في البقرةِ[٤].

قولُهُ: (والتَّخفِيفِ) مكِّيٌّ[٥]؛ أي: قَسمناهُ عليكُمْ، وأقَّتْنا موتَ كلٍّ بوقتٍ معيَّنٍ.

قولُهُ: (بِعَاجِزِينَ) أي: مغلوبينَ، أو لا يسبِقُنا أحدٌ فيَهربَ من الموتِ، أو يُغيِّرَ وقتَهُ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) في «روح البيان» (٩/ ٣٣٠): الهُيام: هو داء يصيبها يشبه الاستسقاء، فتشرب ولا تروى، إلى أن تموت أو تسقم سقماً شديداً.

(٣) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٨٧).

(٤) في الآية رقم: (٦).

(٥) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٥).

٦١ ـ ﴿عَلَى﴾: عن ﴿أن نُّبَدِّلَ﴾: نجعل ﴿أمثالَكُم﴾ مكانكم، ﴿ونُنشِئَكُم﴾: نَخلقكم ﴿فِيما لا تَعلَمُونَ﴾ من الصُّور كالقِردة والخنازير. ٦٢ ـ ﴿ولَقَد عَلِمتُمُ النَّشاءَةَ الأُولَى﴾. وفي قراءة بسُكون الشين. ﴿فلَولا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال.

٦٣ ـ ﴿أفرَأَيتُم ما تَحرُثُونَ﴾: تُثيرون الأرضَ وتُلقون البِذر فيها؟ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿ءَأَنتُم تَزرَعُونَهُ﴾: تُنبِتونه ﴿أم نَحنُ الزَّارِعُونَ؟ لَو نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطامًا﴾: نباتًا يابسًا لا حبّ فيه، ﴿فظَلْتُم﴾ ـ أصله «ظَلِلتُم» بكسر اللام حُذفت تخفيفًا ـ أي: أقمتم نهارًا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾، حُذفتْ منه إحدى التاءين في الأصل: تَعجَبون من ذلك، وتقولون: ٦٦ ـ ﴿إنّا لَمُغرَمُونَ﴾ نَفقةَ زرعِنا، ٦٧ ـ ﴿بَل نَحنُ مَحرُومُونَ﴾: ممنوعون رزقَنا.

٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ﴿أفرَأَيتُمُ الماءَ الَّذِي تَشرَبُونَ؟ ءَأَنتُم أنزَلتُمُوهُ مِنَ المُزنِ﴾: السحابِ، جمعُ مُزنة، ﴿أم نَحنُ المُنزِلُونَ؟ لَو نَشاءُ جَعَلناهُ أُجاجًا﴾: مِلحًا لا يُمكن شُربه. ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ﴿تَشكُرُونَ﴾.

قولُهُ: (مَكَانَكُمْ) أي: نبدِّلَ منكُم أشباهَكُم فنخلقَ بدلَكُم، أو نغيِّرَ صفاتِكُم، على أنَّ أمثالَ جمعُ: مَثَلٍ، بفتحتَين.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ مكِّيٍّ وبصريٍّ[1].

قولُهُ: (فيهِ إدْغَامُ) لغيرِ حفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[2].

قولُهُ: (تُنبِتونَهُ) الزَّرعُ: طرحُ البذرِ والإنباتُ، قالَهُ الجوهريُّ[3]، وفي الحديثِ: «لا يقولنَّ أحدُكُمْ: زرعْتُ، وليقلْ: حرثْتُ» رواهُ ابنُ جريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ[4].

قولُهُ: (بِكَسرِ اللَّامِ) وقُرِئَ به[5].

قولُهُ: (أَقَمْتُمْ نَهَاراً) أو صِرتُم.

قولُهُ: (نَفَقَةَ زَرعِنَا) أي: لملزمونَ غرامةَ ما أنفقْنا.

قولُهُ: (جَمْعُ: مُزْنَةٍ) وقيل: المُزنُ السَّحابُ الأبيضُ، وماؤُهُ أعذبُ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٩٣).

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ١٢٢٤).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (١٠٠٦٤)، وأبو يعلى في «معجمه» (٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٣٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٢٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٠٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٠): فيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات.

(٥) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعود رضي الله عنه والأعمش، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٦٣).

٧١ ـ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تُخرِجون من الشجر الأخضر؟ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ﴿أَأَنتُم أَنشَأْتُم شَجَرَتَها﴾ كالمَرْخ والعَفار والكِلخ، ﴿أم نَحنُ المُنشِئُونَ؟ نَحنُ جَعَلْناها تَذكِرةً﴾ لنار جهنّم ﴿ومَتاعًا﴾: بُلغةً ﴿لِلمُقْوِينَ﴾: للمسافرين. مِن: أقوَى القومُ، أي: صاروا بالقِواءِ، بالمدّ والقصر، أي: القَفرِ. وهو مفازةٌ لا نبات فيها ولا ماء. ٧٤ ـ ﴿فسَبِّحْ﴾: نزِّهْ ﴿بِاسمِ﴾ ـ زائدٌ ـ ﴿رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ أي: اللهِ.

٧٥ ـ ﴿فلا أُقسِمُ﴾، لا: زائدةٌ، ﴿بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾: بمَساقطها لغروبها ـ ٧٦ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القَسَمَ بها ﴿لَقَسَمٌ، لَو تَعلَمُونَ، عَظِيمٌ﴾ أي: لو كنتم من ذوي العِلم لعلمتم عِظَمَ هذا القسم ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿إنَّهُ﴾ أي: المَتلوَّ عليكم ﴿لَقُرآنٌ كَرِيمٌ في كِتابٍ مَكنُونٍ﴾: ....

قولُهُ: (تُخرِجُونَ) أي: تقدحونَ وتوقِدونَ.

قولُهُ: (كالمَرخِ والعفارِ) يحكُّ أحدَ غُصنَيها بالآخرِ فيتناثرُ منهما شررُ النَّارِ، وقيل: كلُّ شجرٍ إلَّا العنَّابَ؛ يعني: الشَّجرةَ الَّتي منها الزِّنادُ.

قولُهُ: (لِنَارِ جَهَنَّمَ) أي: جَعلنا نارَ الزِّنادِ تذكيراً، أو أنموذَجاً لنارِ جهنَّمَ.

قولُهُ: (بُلْغَةً) ومنفعةً.

قولـه: (صَـارُوا) أي: نزلـوا ودخلـوا، فـإنَّ انتفاعَهُـم بالزندِ أكثـرُ مِنِ انتفـاعِ الحضريِيـنَ، أو الَّذيـنَ خلَتْ بطونُهُـم، أو مزاوِدُهـم مِـن الطَّعـامِ، فإنَّ أصلَ القَـوَاءِ: الخـلاءُ، وإنَّما خُصَّ الجائعـونَ؛ لأنَّ غيرَهُـم المنعَّمَ بها لا يجعلُهـا متاعاً.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) في «البحرِ»[1]: ظهرَ أنَّ ﴿سبِّحَ﴾ يتعدَّى بنفسِهِ وبحرفِ الجرِّ؛ أي: جدِّدَ التَّسبيحَ ونزِّهْهُ عن النَّقائصِ باستعانةِ ذكرِ اسمِهِ العظيمِ، أو اسمِ ذاتِهِ العظيمِ تنزيهاً عمَّا يقولونَ، أو تعجُّباً وشكراً.

قولُهُ: (بِمَسَاقِطِهَا) وهو قولُ الحسنِ ومجاهدٍ وقتادةَ[2]، وتخصيصُ المغاربِ لما في غروبِها مِن زوالِ أثرِها، وللدَّلالةِ على وجودِ مؤثِّرٍ لا يزولُ تأثيرُه، وقيل: النُّجومُ: القرآنُ، ومواقعُها: أوقاتُ نزولِها، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ والضَّحَّاكِ وعكرمةَ والسُّدِّيِّ[3].

والمعنى: لا أقسِمُ بها؛ إذ الأمرُ أوضحُ من أن يحتاجَ إلى قسَمٍ، أو ﴿لا﴾ زائدةٌ.

قولُهُ: (أي: المَتْلُوَّ) جوابُ القسمِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٨) عن مجاهد وقتادة.

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٠/ ٩٢)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٥٤٤).

مصون وهو المُصحَف، ٧٩ ـ ﴿لا يَمَسُّهُ﴾: خبرٌ بمعنى النهي ﴿إلاَّ المُطَهَّرُونَ﴾: الذين طهّروا أنفُسهم من الأحداث، ٨٠ ـ ﴿تنزِيلٌ﴾: مُنزّل ﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾.

٨١ ـ ﴿أفبِهذا الحَدِيثِ﴾: القُرآن ﴿أنتُم مُدهِنُونَ﴾: مُتهاونون مُكذّبون، ٨٢ ـ ﴿وتَجعَلُونَ رِزقَكُم﴾ من المطرِ أي: شُكرَه ﴿أنّكم تُكَذِّبُونَ﴾ بسُقيا الله حيثُ قلتم: مُطرنا بنَوء كذا؟

قولُهُ: (مَصُونٍ) من الشَّياطينِ.

قولُهُ: (وهُو المُصْحَفُ) أو اللَّوحُ، أي: لا يطَّلعُ عليه إلَّا المطهَّرونَ من الكُدوراتِ الجسمانيَّةِ وهم الملائكةُ.

قولُهُ: (مِنَ الأَحدَاثِ) وفي البخاريِّ[١]: لا يجدُ طعمَهُ ونفعَهُ إلَّا مَن آمَنَ بالقرآنِ. وقالَ بعضُ العارفينَ: لا ينالُ بركتَهُ إلَّا من طهَّرَهُ يومَ قسمتِهِ عن الشَّقاوةِ، وخلقَهُ يومَ خلقَه مطهَّراً من المخالفَةِ.

قولُهُ: (مُنَزَّلٌ) صفةٌ للقرآنِ، وهو مصدرٌ نُعِتَ به للمبالغَةِ.

قولُهُ: (مِنَ المَطَرِ) بهذا فسَّرَهُ ﷺ كما نقلَهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرمذيُّ[٢]، وقد صحَّ عن حبرِ الأُمَّةِ أيضاً[٣].

قولُهُ: (شُكْرَهُ) ويؤيِّدُه أنَّه قُرئَ: (شُكرَكُمْ)[٤]، والرِّزقُ؛ بمعنى: الشُّكرِ في لغةٍ، أو تجعلونَ حظَّكُم ونصيبَكُم من الآنِ تكذيبَكُم به، وهو قولُ الحسَنِ ومجاهدٍ[٥].

قولُهُ: (بِسُقيَا اللهِ) أي: بمانحِهِ حيثُ تنسبونَهُ إلى الأنواءِ.

---

(١) ذكره البخاري (٩/ ١٥٥) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ [آل عمران: ٩٣].

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٥)، وأحمد في «مسنده» (٦٧٧) من حديث علي قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وتجعلون رزقكم﴾ شكركم ﴿أنكم تكذبون﴾ تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث إسرائيل.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٤) عن ابن عباس، قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾.

وروى مسلم (٧٣) عن ابن عباس، قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال: النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا» قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥]، حتى بلغ: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢].

(٤) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعلي وابن عباس رضي الله عنهم، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٦٤).

(٥) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦) عن الحسن.

وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦) عن مجاهد: قولهم في الأنواء: مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه.

٨٣ ـ ﴿فلَولا﴾: فهلاّ، ﴿إذا بَلَغَتِ﴾ الروحُ وقتَ النزع ﴿الحُلقُومَ﴾ هو مجرى الطعام، ٨٤ ـ ﴿وأنتُم﴾ ـ يا حاضري الميّت ـ ﴿حِينَئذٍ تَنظُرُونَ﴾ إليه، ٨٥ ـ ﴿ونَحنُ أقرَبُ إلَيهِ مِنكُم﴾ بالعِلم، ﴿ولكِن لا تُبصِرُونَ﴾: من البَصيرة، أي: لا تعلمون ذلك، ٨٦ ـ ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ـ ﴿إن كُنتُم غَيرَ مَدِينِينَ﴾: مَجزيِّين بأن تُبعثوا، أي: غيرَ مبعوثين بزعمكم ـ ٨٧ ـ ﴿تَرجِعُونَها﴾: تردّون الروح إلى الجسد بعد بُلوغ الحُلقوم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيما زعمتم. «فلولا» الثانية: تأكيد للأُولى. وإذا: ظرف لـ «ترجعون» المُتعلِّقِ به الشرطان. والمعنى: هلاّ تَرجعونها، إن نفَيتم البعث صادقين في نفيه، أي: لِينتفيَ عن محلِّها الموتُ فالبعثُ.

٨٨ ـ ٨٩ ـ ﴿فأمّا إن كانَ﴾ الميّت ﴿مِنَ المُقَرَّبِينَ فرَوحٌ﴾ أي: فله استراحةٌ ﴿ورَيحانٌ﴾: رزق حسن ﴿وجَنّةُ نَعِيمٍ﴾ ـ وهل الجواب لِـ «أمّا» أو لِـ «إن» أو لهما؟.........

قولُهُ: (إليهِ) وما يُقاسيهِ من شدَّةِ النَّزعِ، أو حالِهِ، أو حالِكُم، أو أمري وسُلطاني ولا تقدِرونَ على دفعِهِ، والواوُ للحالِ.

قولُهُ: (بالعِلمِ) أي: نحنُ أعلمُ به، وعبَّرَ عن العلمِ بالقربِ الَّذي هو أقوى سببِ الاطِّلاعِ.

قولُهُ: (ذَلِكَ) أي: لا تدركونَ كنهَ ما يجري عليه، أو لا تبصرونَ قُربَنا، ولا تعرفونَ قَدرَنا.

قولُهُ: (الشَّرطَانِ) وجوابُ الشَّرطِ يدلُّ عليه السِّياقُ، وحاصلُهُ أنَّكُم تزعمونَ أن لا بعثَ ولا حسابَ، ولا إلهَ يُجازي فنفيتُمْ قُدرَتي واختيارِي، فما لكم لا تردُّونَ روحَ من يعزُّ عليكُمْ، فإذا لم يمكنكُمْ ذلك فاعلَموا أنَّ فوقَكُم قادراً مختاراً بيدِهِ الأمرُ، لا عجزَ ولا تعطيلَ.

وقالَ الإمامُ الطِّيبيُّ[1]: يزعمُ أنَّه قادرٌ على تغييرِ الطَّبيعةِ بالمعَالجةِ، والكفَّارُ أكثرُهم طبيعيُّونَ، فقيل لهم: هلَّا تَرجِعونَ الرُّوحَ من الحلقومِ إن كنتُم صادِقينَ في أنَّ لكم قدرةً.

قولُهُ: (المَيِّتُ) والمحتضِرُ.

قولُهُ: (استِرَاحَةٌ) أو راحةٌ، وفي الحديثِ: «الموتُ تحفَةُ المؤمنِ»[2].

قولُهُ: (رِزقٌ حَسَنٌ) طيِّبٌ، وقيل: مشمومٌ، وجنَّةٌ ذاتُ تنعُّمٍ؛ أي: يبشَّرُ بهذه الثَّلاثةِ.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٥/ ٢٢٤).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٩٩)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وخالفه الذهبي فقال: فيه ابن زياد وهو الأفريقي ضعيف.

أقوالٌ - ٩٠ - ٩١ - ﴿وأمّا إن كانَ مِن أصحابِ اليَمِينِ فسَلامٌ لَكَ﴾، أي: له سلامةٌ من العذاب، ﴿مِن أصحابِ اليَمِينِ﴾: من جِهة أنه منهم، ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ﴿وأمّا إن كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ فنُزُلٌ مِن حَمِيمٍ، وتَصلِيةُ جَحِيمٍ. إنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾، من إضافة الموصوف إلى صِفته. ٩٦ - ﴿فسَبِّحْ بِاسمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾: تقدّمَ.

قولُهُ: (أَقوالٌ) والأوَّلُ أقواها، واستَغنى بجوابِ ﴿أمّا﴾ عن جوابِ ﴿إنْ﴾؛ لأنَّ ﴿إنْ﴾ قد حُذِفَ جوابُها في مواضِعَ.

قولُهُ: (أي: لَهُ) هذا تفسيرٌ غَريبٌ، والصَّحيحُ أنَّ المعنى: فسلامٌ، أو فيُقالُ له: سلامٌ لكَ يا صاحبَ اليمينِ مِن إخوانِكَ أصحابِ اليمينِ يُسلِّمونُ عليكَ، ولذا قيلَ: المعنى: فسلامٌ عليكَ من أصحابِ اليمينِ، أو حصلَ لك سلامةٌ من العذابِ حالَ كونِكَ من أهلِ اليمينِ يُبشَّرُ بالبشارتَينِ.

وعن بعضِ المفسِّرينَ: فسلامَةٌ لك يا محمَّدُ لا تهتمَّ لهم، فإنَّهُم في سِدرٍ مخضُودٍ[1].

قولُهُ تعالى: (﴿الضَّالِينَ﴾) يعني: أصحابَ الشِّمالِ، وإنَّما وصفَهُم بأفعالِهِم زجراً عنها، وإشعاراً بما أوجبَ لهم ما أوعدَهُم به، ولعلَّ فيه إشارةً لطيفَةً إلى لطفِهِ بعبادِهِ المؤمنينَ.

وقولُهُ: (﴿فَنُزُلٌ﴾) أي: فلَهُ ذلك.

قولُهُ تعالى: (﴿إِنَّ هَذَا﴾) أي: الَّذي ذكرَ في السُّورةِ، أو في شأنِ الفرقِ الثَّلاثةِ.

قولُهُ: (مِن إضَافَةِ المَوصُوفِ[2]) هذا مذهبٌ كوفيٌّ، وأمَّا على المختارِ فتقديرُهُ: حقُّ الخبرِ اليقينِ، أو الإضافةُ بيانيَّةٌ؛ أي: حقٌّ هو اليقينُ لا مريةَ فيه، أو ﴿اليقينُ﴾ اسمٌ للعلمِ الَّذي لا لبسَ فيه، والإضافةُ؛ بمعنى: اللَّامِ.

قولُهُ: (تَقَدَّمَ) أي: نَزِّهْهُ بذكرِ اسمِهِ عمَّا لا يليقُ بعظمةِ شأنِهِ، وقد وردَ لمَّا نزلَتْ قالَ ﷺ: «اجعلُوهَا في ركوعِكُم»، ولمَّا نزلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قالَ: «اجعلُوهَا في سجودِكُم»[3]، واللهُ أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «جامع البيان» للإيجي (٤/ ٢٥٦).

(٢) في الأصول: «الصفة» وما أثبته من «الجلالين».

(٣) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد في «مسنده» (١٧٤١٤)، والدارمي في «السنن» (١٣٤٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٨٣) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

مكية كما أخرجَه البيهقيُّ في «الدلائل» وغيرُه عن ابن عباس[1]، وابن مردويه عن ابن الزبير[2].

واستثنَى بعضُهم قولَه تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (٤٠)﴾ كما حكاه في «الإتقان» وكذا استثنى قوله سبحانه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥)﴾ إلى ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ لِمَا أخرجَه مسلم في سبب نزوله[3]، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وفي «مجمع البيان» حكايةُ استثناءِ قولِه تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾ عن ابن عباس وقتادة[4].

وعددُ آيِها تسعٌ وتسعون في الحجازي والشامي، وسبعٌ وتسعون في البصري، وستٌّ وتسعون في الكوفي، وتفصيلُ ذلك فيما أُعدَّ لِمثله.

وهي وسورةُ الرحمن متواخيةٌ في أنَّ في كلٍّ منهما وصفُ القيامة والجنة والنار، وقال في «البحر»: مناسبتُها لِمَا قبلها أنَّه تضمَّن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين، وفاضَلَ سبحانه بين جنَّتَي بعضِ المؤمنين وجنَّتَي بعضٍ آخَرَ منهم، فانقسَم المكلَّفون بذلك إلى كافرٍ، ومؤمنٍ فاضلٍ، ومؤمنٍ مفضول؛ وعلى هذا جاء ابتداءُ هذه السورة من كونهم أصحابَ ميمنةٍ، وأصحابَ مشأمة، وسابقين[5].

---

(١) دلائل النبوة ٧/ ١٤٤، وأخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٧).

(٢) عزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٣.

(٣) الإتقان ١/ ٥١، وسيأتي عند تفسير الآية.

(٤) مجمع البيان ٢٥/ ١٠٩.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٢٠٢.

وقال بعضُ الأجلة: انظر إلى اتِّصال قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ بقوله سبحانه: (فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ) وأنَّه اقتصر في «الرحمن» على ذكر انشقاقِ السماء، وفي «الواقعة» على ذكر رجِّ الأرض، فكأنَّ السورتَين لتلازُمِهما واتِّحادهما سورةٌ واحدة، فذُكِرَ في كلٍّ شيءٌ، وقد عكس الترتيبَ فذكر في أول هذه ما في آخر تلك، وفي آخر هذه ما في أول تلك، فافتتَح في سورة الرحمن بذكر القرآن، ثم ذِكْر الشمسِ والقمر، ثم ذكر النبات، ثم خَلْقِ الإنسان والجانِّ، ثم صفةِ يوم القيامة، ثم صفةِ النار، ثم صفةِ الجنة؛ وهذه ابتداؤُها بذكر القيامة، ثم صفةِ الجنة، ثم صفةِ النار؛ ثم خَلْقِ الإنسان، ثم النباتِ، ثم الماءِ، ثم النارِ، ثم ذُكِرَت النجومُ ولم تذكر في «الرحمن»، كما لم يذكر هنا الشمس والقمر، ثم ذكر الميزان، فكانت هذه كالمقابِلة لتلك، وكالمتضمنة لردِّ العجز على الصدر.

وجاء في فضلها آثار، أخرج أبو عبيد في «فضائله» وابن الضريس والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورةَ الواقعةِ كلَّ ليلةٍ لم تُصبه فاقةٌ أبدًا»[1].

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس نحوه مرفوعًا[2].

وأخرج ابن مردويه عن أنس عن رسول الله ﷺ قال: «سورةُ الواقعة سورةُ الغِنَى فاقرؤوها وعلموها أولادكم»[3].

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد ص١٣٨، وفضائل القرآن لابن الضريس (٢٢٦)، ومسند الحارث ٢/ ٧٢٩ (٧٢١)، وشعب الإيمان (٢٤٩٩) و(٢٥٠٠)، وعزاه لابن مردويه وأبي يعلى السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٣، وأخرجه أيضاً ابن الجوزي في العلل ١/ ١١٢. وفي إسناده السري بن يحيى، قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٦٣: اختلف أصحاب السري، هل شيخه شجاع أو أبو شجاع، واختلفوا في شيخ شجاع، هل هو أبو فاطمة أو أبو ظبية، ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية، فعند الدارقطني بالطاء المهملة بعدها تحتانية ثم موحدة، وأنه عيسى بن سليمان الجرجاني، وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة... وعند البيهقي أنه بالمعجمة بعدها موحدة ثم تحتانية، وأنه مجهول، وقال أحمد ابن حنبل: هذا حديث منكر وشجاع لا أعرفه. اهـ.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/ ٤٤٤.

(٣) عزاه لابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ١٥٣.

وأخرج الديلمي عنه مرفوعًا: «عَلِّموا نساءكم سورةَ الواقعة، فإنَّها سورةُ الغِنَى»[1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١﴾ أي: إذا حدثَت القيامةُ، على أنَّ «وقعت» بمعنى حدثَت، و«الواقعة» علمٌ بالغلبة أو منقول للقيامة، وصرَّح ابن عباس بأنَّها من أسمائها، وسمِّيَت بذلك للإيذان بتحقُّق وقوعها لا محالةَ، كأنَّها واقعةٌ في نفسها[2] مع قَطْع النظر عن الوقوع الواقعِ في حيز الشَّرط، فليس الإسناد كما في: جاءني جاءٍ، فإنَّه لغوٌ لدلالة كلِّ فعلٍ على فاعل له غير معيَّن.

وقال الضحاك: «الواقعة» الصيحةُ، وهي النفخةُ في الصُّوْر.

وقيل: «الواقعة» صخرةُ بيتِ المقدس تقعُ يوم القيامة. وليس بشيءٍ.

و«إذا» ظرفٌ متضمِّنٌ معنى الشرط على ما هو الظاهر، والعاملُ فيها عند أبي حيان الفعلُ بعدها[3]، فهي عنده في موضع نصب بـ «وَقَعت» كسائر أسماء الشرط، وليست مضافةً إلى الجملة.

والجمهورُ على إضافتها؛ فقيل: هي هنا قد سُلبَت الظرفية ووقعت مفعولًا به لـ: اذكُر، محذوفًا.

وقيل: لم تُسلَب ذلك وهي منصوبةٌ بـ «ليس»، وصنيع الزمخشريِّ يُشعرُ باختياره[4].

وقيل: بمحذوف، وهو الجوابُ، أي: إذا وَقَعت الواقعةُ كان كيتَ وكيت.

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ١٠ (٤٠٠٥).

(٢) في الأصل: بنفسها.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٢٠٢.

(٤) الكشاف ٤/ ٥١.

قال في «الكشف»: هذا الوجه العربي الجزل، فالنصبُ بإضمار «اذكر» إنما كثُر في «إذ»، وبـ «ليس» إنَّما يصحُّ إذا جعلت لمجرَّد الظرفية، وإلا لوجَبَ الفاءُ في «ليس».

وأبو حيان تعقَّب النصبَ بـ «ليس» بأنَّه لا يذهب إليه نحويٌّ؛ لأنَّ «ليس» في النفي كـ «ما» وهي لا تعمل، فكذا «ليس» فإنَّها مسلوبةُ الدلالة على الحدث والزمان، والقولُ بأنَّها فعلٌ [هو] على سبيل المجاز، والعاملُ في الظرف إنَّما هو ما يقعُ فيه من الحدث، فحيث لا حدَثَ فيها لا عمَلَ لها فيه. ثم ذَكَر نحوَ ما ذَكَرَ صاحبُ «الكشف» من وجوب الفاء في «ليس» إذا لم تجرَّد عن الشرطية[١].

واعتُرِضَ دعواه أنَّ «ما» لا تعمل، بأنَّهم صرَّحوا بجواز تعلُّق الظرف بها لتأويلها بـ «انتفى»، وأنَّه يكفي له رائحةُ الفعل، ويقاسُ عليها في ذلك «ليس»، وكذا دعوى وجوبِ الفاء في «ليس» إذا لم تُجرَّد «إذا» عن الشرطية بأنَّ لزومَ الفاء مع الأفعال الجامدةِ إنما هو في جواب «إنْ» الشرطية لعملها كما صرَّحوا به. وأما «إذا» فدخول الفاء في جوابها على خلاف الأصل. وسيأتي إن شاء الله تعالى فيها قولان آخران.

وبعد القيل والقال الأولَى كونُ العامل محذوفًا، وهو الجوابُ كما سمعتَ، وفي إبهامه تهويلٌ وتفخيم لأمر الواقعة.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ إما اعتراضٌ يؤكد تحقُّق[٢] الوقوع، أو حالٌ من «الواقعة» كما قال ابنُ عطية[٣]. و«كاذبة» اسمُ فاعل وَقَع صفةً لموصوف محذوفٍ، أي: نفس، وقيل: مقالة. والأولُ أولَى؛ لأنَّ وَصْف الشخص بالكذب أكثرُ من وصف الخبر به.

والوقعة[٤]: السقطةُ القوية، وشاعَت في وقوع الأمر العظيم، وقد تُخصُّ بالحرب ولذا عبَّر بها هنا، واللام للتَّوقيت مثلُها في قولك: كتبتُه لخمسٍ خَلَون،

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٠٢، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٢) في (م): تحقيق.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.
(٤) في (م): الواقعة، والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب ٨/ ١٤٠، والكلام منه.

أي: لا يكون حين وقوعِها نفسٌ كاذبةٌ، على معنى: تَكْذِبُ على الله تعالى وتَكْذِبُ في تكذيبه سبحانه وتعالى في خبره بها، وإيضاحُه: أنَّ منكرَ الساعة الآن مكذِّبٌ له تعالى في أنَّها تقعُ، وهو كاذبٌ في تكذيبه سبحانه؛ لأنَّه خبرٌ على خلاف الواقع، وحين تقعُ لا يبقَى كاذبًا مكذِّبًا، بل صادقًا مصدِّقًا.

وقيل: على معنى: ليس في وقت وقوعها نفسٌ كاذبةٌ في شيءٍ من الأشياء، ولا يخفَى أنَّ صحته مبنيةٌ على القول بأنَّه لا يصدر من أحد كذِبٌ يوم القيامة؛ وأنَّ قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] مجابٌ عنه بما هو مذكورٌ في محلِّهِ.

أو اللام على حقيقتها، و«كاذبة» صفة لذلك المحذوف أيضًا، أي: ليس لوقعتها نفسٌ كاذبةٌ، بمعنى: لا يُنكرُ وقوعَها أحدٌ ولا يقولُ للساعة: لم تكوني؛ لأنَّ الكونَ قد تحقَّق، كما يقولُ لها في الدنيا بلسان القول أو الفعل؛ لأنَّ مَن اغترَّ بزخارفِ الدنيا فقد كذَّب الساعة في وَقْعتها بلسان الحال: لن تكوني، وهذا كما تقول لمخاطبك: ليس لنا ملك، ولمعروفك كاذب، أي: لا يكذبك أحدٌ، فيقول: إنَّه غيرُ واقع، وفيه استعارةٌ تمثيليةٌ؛ لأنَّ الساعةَ لا تصلُح مخاطبًا إلا على ذلك، إما على سبيل التخييل من باب: لو قيل للشحم أين تذهب؟ وهو الأظهرُ، وإما على التحقيق.

وجُوِّز كونُ «كاذبة» من قولهم: كذبَت نفسُه وكذبته: إذا منَّته الأمانيَّ، وقرَّبت له الأُمورَ البعيدة، وشجَّعَته على مباشرة الخَطْبِ العظيم، واللام قيل: على حقيقتها أيضًا، أي: ليس لها إذا وقعَت نفسٌ تحدِّثُ صاحبَها بإطاقة شدَّتها واحتمالها وتُغريه عليها. وفي «الكشف»: إنَّ اللام على هذا الوجه للتوقيت كما على الوجه الأول.

وجوِّز أيضًا كون «كاذبة» مصدرًا بمعنى التكذيب، وهو التثبيط، وأمرُ اللام ظاهرٌ، أي: ليس لوقعتها ارتدادٌ ورجعةٌ، كالحملة الصادقة من ذي سطوةٍ قاهرة؛ وروي نحوه عن الحسن وقتادة، وذكر أنَّ حقيقةَ التكذيب بهذا المعنى راجعةٌ إلى تكذيب النفس في كذبها وإغرائها وتشجيعها، وأنشد على ذلك لزهير:

ليثٌ بِعَثَّرَ يصطادُ الرجالَ إذا ما الليثُ كَذَّبَ عن أقرانِهِ صَدَقا[1]

ويجوزُ جعلُ الكاذبة بمعنى الكذب على معنى: ليس للوقعة كذب، بل هي وقعةٌ صادقةٌ لا تطاق، على نحو: حملة صادقة، وحملة لها صادق[2]، أو على معنى: ليس هي في وقت وقوعها كذب؛ لأنَّه حقٌّ لا شبهةَ فيه.

ولعلَّ ما ذكر أظهرُ مما تقدَّم، وإنْ رُوي نحوه عمَّن سمعتَ. نعم قيل عليهما: إنَّ مجيء المصدر على زِنَةِ الفاعل نادرٌ.

وقولُه عز وجل: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هي خافضةٌ لأقوامٍ رافعةٌ لآخرين كما قال ابن عباس، وأخرجَه عنه جماعةٌ[3]، والجملة تقريرٌ لعظمتِها وتهويلٌ لأمرها، فإنَّ الوقائع العظام شأنُها الخفضُ والرفعُ كما يُشاهَد في تبدُّل الدول وظهور الفتن من ذُلِّ الأعزةِ وعزِّ الأذلةِ.

وتقديمُ الخفض على الرفع لتشديد التهويل، أو بيانٌ لِمَا يكون يومئذ من حطِّ الأشقياء إلى الدركات ورفعِ السعداء إلى درجات الجنات، وعلى هذا قولُ عمرَ ﷺ: خفضَت أعداءَ الله تعالى إلى النار ورفعَت أولياءَه إلى الجنة. أو بيانٌ لِمَا يكونُ من ذلك ومن إزالة الأجرامِ عن مقارِّها، ونَثْرِ الكواكبِ، وتسييرِ الجبال في الجوِّ كالسحاب.

والضحاك بعد أنْ فسَّر «الواقعةَ» بالصيحةِ قال: «خافضةٌ» تخفِضُ قوَّتها لتُسمِعَ الأدنَى، «رافعة» ترفعها لتسمِعَ الأقصَى، وروي ذلك أيضًا عن ابن عباس وعكرمة.

وقدَّر أبو علي المبتدأ مقرونًا بالفاء، أي: فهي خافضةٌ، وجعلَ الجملةَ جوابَ «إذا» فكأنَّه قيل: إذا وقعَت الواقعةُ خفَضَت قومًا ورفَعَت آخرين.

وقرأ زيد بن علي والحسن وعيسى وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن مقسم

(١) ديوان زهير ص٤٥، والكشاف ٤/ ٥١، و(عَثَّر) بلدٌ في اليمن. معجم البلدان ٤/ ٨٤.
(٢) في هامش الأصل: أي: صدق. اهـ.
(٣) أخرجه ابنُ أبي شيبة ١٣/ ٣٧٢، وعزاه في الدر المنثور ٣/ ١٥٣ أيضاً لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. .

والزعفراني واليزيدي في اختياره: «خافضةً رافعةً» بنصبهما[١]، ووجهُهُ أنْ يُجعَلا حالَين عن «الواقعة» على أنَّ «ليس لوقعتها كاذبة» اعتراضٌ، أو حالَين عن «وقعتها».

وقوله سبحانه: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ أي: زلزلَت وحرِّكَت تحريكًا شديدًا بحيث ينهدِمُ ما فوقَها من بناء وجبلٍ، متعلِّقٌ بـ «خافضة» أو بـ «رافعة» على أنَّه من باب الإعمال، أو بدلٌ من «إذا وقَعَت» كما قال به غيرُ واحدٍ، وقال ابن جنّي[٢] وأبو الفضل الرازي[٣]: «إذا رُجَّت» في موضع رفعٍ على أنَّه خبرٌ للمبتدأ الذي هو «إذا وقعت» وليست واحدةٌ منهما شرطيةً، بل هي بمعنى: وَقْت، أي: وَقْتُ وقوعها وَقتُ رجِّ الأرض. وادَّعى ابن مالك أنَّ «إذا» تكون مبتدأ، واستدلَّ بهذه الآية[٤].

وقال أبو حيان: هو بدل من «إذا وقَعَت»، وجواب الشرط عندي ملفوظٌ به، وهو قولُه تعالى: (فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ) والمعنى: إذا كان كذا وكذا، فأصحابُ الميمنة ما أسعدَهم وما أعظمَ ما يجازون به، أي: إنَّ سعادتَهم وعظمَ رتبتهم[٥] عند الله عز وجلَّ تظهرُ في ذلك الوقت الشديدِ الصَّعب على العالم[٦]. وفيه بعدٌ.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ أي: فُتَّتْ ـ كما قال ابن عباس ومجاهد ـ حتى صارَت كالسَّويق الملْتُوت، من بَسَّ السويق: إذا لتَّه.

وقيل: سيقَت وسُيِّرَت من أماكنها، من بسَّ الغَنَم: إذا ساقَها، فهو كقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠].

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥٠، والمحتسب ٢/ ٣٠٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٣-٢٠٤، وجاء في هامش الأصل: قال ابن خالويه: قال الكسائي: لولا أن اليزيدي سبقني إليه لقرأته. اهـ.

(٢) في المحتسب ٢/ ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) كما في البحر ٨/ ٢٠٤، وعنه نقل المصنف.

(٤) تسهيل الفوائد ص٩٤، والبحر ٨/ ٢٠٤.

(٥) في (م): رتبهم.

(٦) البحر المحيط ٨/ ٢٠٤.

وقرأ زيد بن علي: «رَجَّت» و«بَسَّت» بالبناء للفاعل[١]، أي: ارتجَّت وتَفتَّتَت، وفي كلام هند بنت الخُسِّ تصف ناقةً بما يُستدَلُّ به على حَمْلها: عينُها هاجّ، وصَلَاها راجّ، وهي تمشي وتَفَاجُّ[٢].

﴿فَكَانَتْ﴾ فصارت بسبب ذلك ﴿هَبَآءً﴾ غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ متفرِّقًا، والمرادُ مطلَق الغبار عند الأكثرين، وقال ابن عباس: هو ما يثورُ مع شعاع الشمس إذا دخلَت من كوَّةٍ، وفي رواية أخرى عنه أنَّه الذي يطيرُ من النار إذا اضطرمَت.

وقرأ النخعي: «مُنْبَتًّا» بالتاء المنطوقة بنقطتين من فوق[٣]، من البتِّ بمعنى القطع، والمرادُ به ما ذكر من البثِّ بالمثلثة.

﴿وَكُنتُمْ﴾ خطابٌ للأمة الحاضرة والأُمم السالفةِ تغليبًا كما ذهب إليه الكثير، وقال بعضُهم: خطابٌ للأمة الحاضرة فقط، والظاهرُ أنَّ «كان» أيضًا بمعنى «صار» أي: وصرتم ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾ وكلُّ صنفٍ يكون مع صنفٍ آخرَ في الوجود أو في الذكر فهو زوجٌ، قال الراغبُ: الزوجُ يكون لكلِّ واحدٍ من القرينَين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة، ولكلِّ قرينَين فيها وفي غيرها كالخفِّ والنعلِ، ولكل ما يقترِنُ بآخرَ مماثلًا له أو مضادًّا[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ تفصيلٌ للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبلَ تفصيلها، والدائرُ على ألسنتهم أنَّ «أصحاب الميمنة» مبتدأ، وقوله تعالى: «ما أصحاب الميمنة» «ما» فيه استفهاميةٌ مبتدأ ثانٍ. و«أصحابُ» خبرُه، والجملةُ

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٠٤.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٩٢، والكشاف ٤/ ٥٢، وجاء في هامش الأصل في شرح معنى تفاجّ: مِن فجَّ ما بين رجليه: فتحه. اهـ. وقولها: عينها هاج: أي: غائرة، كما في غريب الحديث، وصلاها: الصَّلَا: وَسَطُ الظَّهر منَّا ومن كلِ ذي أربع، أو ما انحدَرَ من الوَرِكَين، أو الفُرْجة بين الجاعرة والذَّنَب، أو ما عن يمين الذَّنب وشماله، وهما صَلَوان. القاموس المحيط (صلا).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩، والقرطبي ٢٠/ ١٨٠، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٤.

(٤) مفردات الراغب (زوج).

خبر المبتدأ الأول، والرابط: الظاهرُ القائمُ مقامَ الضمير، وكذا يقالُ في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ إلخ؛ والأصلُ في الموضعَين: ما هم؟ أي: أيُّ شيءٍ هم في حالهم وصِفَتِهم، فإنَّ «ما» وإنْ شاعَت في طلب مفهومِ الاسمِ والحقيقة، لكنَّها قد تُطلَب بها الصفةُ والحال، كما تقول: ما زيدٌ؟ فيقال: عالِمٌ أو طبيبٌ، فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخلَ في المقصود، وهو التفخيمُ في الأول والتفظيعُ في الثاني.

والمرادُ تعجيبُ السامع من شأن الفريقَين في الفخامة والفظاعة، كأنَّه قيل: فأصحابُ الميمنة في غاية حُسْن الحال، وأصحابُ المشأمة في نهاية سوءِ الحال.

وقيل: جملة «ما أصحاب» خبرٌ بتقدير القول على ما عُرِف في الجملة الإنشائية إذا وقَعَت خبرًا، أي: مقولٌ في حقِّهم ما أصحاب.. إلخ؟ فلا حاجةَ إلى جَعْلِه من إقامة الظاهر مقامَ الضمير. وفيه نظر.

و«الميمنة» ناحيةُ اليمين، أو اليُمن والبركة، و«المشأمة» ناحيةُ الشمال من اليد الشؤمَى وهي الشمال، أو هي من الشُّؤم مقابل اليُمنِ، ورُجِّح إرادة الناحية فيهما بأنَّها أوفقُ بما يأتي في التفصيل.

واختلفوا في الفريقَين فقيل: أصحابُ الميمنة أصحابُ المنزلة السَّنيَّة، وأصحابُ المشأمة أصحاب المنزلةِ الدَّنيَّة، أخذًا من تيمُّنهم بالميامِن وتَشَؤُّمهم بالشمائل، كما تسمع في السانح والبارح، وهو مجازٌ شائع، وجوز أنْ يكون كنايةً.

وقيل: الذين يُؤتَون صحائِفَهم بأيمانهم والذين يؤتَونها بشمائلهم.

وقيل: الذين يُؤخَذ بهم ذاتَ اليمين إلى الجنة، والذين يُؤخَذ بهم ذاتَ الشمال إلى النار.

وقيل: أصحابُ اليُمن وأصحاب الشُّؤم، فإنَّ السعداءَ ميامِين على أنفسهم بطاعتهم، والأشقياء مشائِيم على أنفسهم بمعاصيهم، وروي هذا عن الحسن والربيع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ هو الصنفُ الثالث من الأزواج الثلاثةِ، ولعلَّ تأخيرَ ذِكْرهم مع كونهم أسبقَ الأصنافِ وأقدمهم في الفضل، ليردفَ ذكرَهم ببيان محاسِنِ أحوالهم، على أنَّ إيرادهم بعنوان السَّبق مطلقًا معرِبٌ[1] عن إحرازهم قَصَب السَّبق من جميع الوجوه.

واختُلف في تعيينهم؛ فقيل: هم الذين سَبَقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحقِّ من غير تَلَعثُمٍ وتوانٍ، وروي هذا عن عكرمةَ ومقاتل، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلَت في حزقيلَ مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار الذي ذكر في «يسٓ»، وعليِّ بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه. وكلُّ رجلٍ منهم سابق أمَّته، وعليٌّ أفضلُهم[2].

وقيل: هم الذين سبَقُوا في حيازةِ الكمالات من العلوم اليقينية ومراتبِ التقوى الواقعةِ بعد الإيمان. وقيل: هم الأنبياء عليهم السلام؛ لأنَّهم مُقدَّمو أهلِ الأديان.

وقال ابن سيرين: هم الذين صلَّوا إلى القبلتَين كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وعن ابن عباس: هم السابقون إلى الهجرة.

وعن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: هم السابقون إلى الصلوات الخمس.

وأخرج أبو نعيم والديلمي عن ابن عباس مرفوعًا: «أولُ مَن يَهجُرُ إلى المسجد وآخِرُ من يخرُجُ منه»[3].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عبادة بن أبي سودة مولَى عبادةَ بنِ الصامت قال: بلغَنَا أنَّهم السابقُون إلى المساجد والخروجِ في سبيل الله عز وجل[4].

---

(١) في (م): معرض.
(٢) عزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٤.
(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٤٨ (٣٥٧٤)، وعزاه لأبي نعيم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٤.
(٤) عزاه لعبد بن حميد وابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٤.

وعن الضحاك: هم السابقون إلى الجهاد.

وعن ابن جبير: هم السابقون إلى التوبة وأعمالِ البرِّ.

وقال كعب: هم أهلُ القرآن.

وفي «البحر»: في الحديث: سئل عن السابقين فقال: «هم الذين إذا أُعطُوا الحقَّ قَبِلُوه، وإذا سُئِلُوه بَذلُوه، وحَكَموا للناس كحُكْمهم لأنفسِهم»[١].

وقيل: الناسُ ثلاثة: فرجلٌ ابتكَر الخيرَ في حداثة سنِّه ثم دامَ عليه حتى خرجَ من الدنيا، فهذا هو السابق. ورجلٌ ابتكر عمرَه بالذَّنب وطوَّل الغفلةَ، ثم تراجعَ بتوبتِهِ، فهذا صاحبُ اليمين. ورجلٌ ابتكر الشرَّ في حداثة سنِّه، ثم لم يزل عليه حتى خرجَ من الدنيا، فهذا صاحب الشمال.

وعن ابن كيسان: أنَّهم المسارعون إلى كل ما دعا الله تعالى إليه. ورجَّحه بعضُهم بالعموم، وجعل ما ذُكر في أكثر الأقوال من باب التمثيل.

وأيًّاما كان فالشائعُ أنَّ الجملةَ مبتدأ وخبرٌ، والمعنى: والسابقون هم الذين اشتهرَت أحوالُهم وعُرفَت فخامتُهم، كقوله:

أنا أبو النجم وشِعري شِعري[٢]

وفيه من تفخيم شأنهم والإيذانِ بشيوع فَضْلهم ما لا يخفَى.

وقيل: متعلّقُ السبق [الأول][٣] مخالفٌ لمتعلّق السَّبق الثاني، أي: السابقون إلى طاعة الله تعالى، السابقون إلى رحمته سبحانه، أو: السابقون إلى الخير، السابقون إلى الجنة، والتقديرُ الأولُ محكيٌّ عن صاحب «المرشد». وأنت تعلم أنَّ الحمل مفيدٌ بدون ذلك كما سمعتَ، بل هو أبلغُ وأنسبُ بالمقام.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٠٥، والحديث أخرجه أحمد (٢٤٣٧٩)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٦ و٢/ ١٨٦-١٨٧ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) سلف ٢/ ٤١٧.

(٣) ما بين حاصرتين من البحر ٨/ ٢٠٥، والكلام فيه بنحوه.

وأيًّا ما كان فقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾ مبتدأٌ وخبر، والجملةُ استئنافٌ بيانيٌّ، وقيل: «السابقون» السابقُ مبتدأ، و«السابقون» اللاحقُ تأكيدٌ له، وما بعدُ خبر، وليس بذاك أيضًا، لفوات مقابلة ما ذُكر لقوله تعالى: (فَأَصۡحَٰبُ) إلخ، ولأنَّ القسمةَ لا تكونُ مستوفاةً حينئذٍ، ولفوات المبالغةِ المفهومةِ من نحو هذا التركيبِ على ما سمعتَ، مع أنَّهم أعني «السابِقين» أحقُّ بالمدح والتعجيب من حالهم من السابقَين، ولفوات ما في الاستئناف بـ «أولئك المقربون» من الفخامة، وإنما لم يقل: والسابقون ما السابقون، على منوال الأوَّلَين؛ لأنَّه جعل أمرًا مفروغًا مسلَّمًا مستقلًّا في المدح والتعجيب.

والإشارة بـ «أولئك» إلى السابِقين وما فيه من معنى البُعد مع قُرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببُعد منزلتهم في الفضل، و«المقربون» من القُرْبة بمعنى الحظوة، أي: أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل الذين أُنِيلُوا حظوةً ومكانةً عند الله تعالى. وقال غيرُ واحدٍ: المرادُ: الذين قربَت إلى العرش العظيم درجاتُهم.

هذا وفي «الإرشاد»: الذي تقتضيه جزالةُ التنزيل أنَّ قوله تعالى: (فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ) خبرُ مبتدأ محذوفٍ، وكذا قولُه سبحانه: (وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ) وقولُه جل شأنه: (وَٱلسَّٰبِقُونَ)؛ فإنَّ المترقِّب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيانُ أَنْفسِ الأقسام، وأما أوصافُها وأحوالها فحقُّها أنْ تبيَّنَ بعد ذلك بإسنادها إليها، والتقدير: أحدُها أصحابُ الميمنة، والآخرُ أصحابُ المشأمة، والثالثُ السابقون، خلا أنَّه لمَّا أُخِّرَ بيانُ أحوال القسمَين الأوَّلَين عُقِّب كلٌّ منهما بجملة معترضةٍ بين القسمَين، منبئةٍ عن ترامي أحوالهما في الخير والشرِّ إنباءً إجماليًّا مشعرًا بأنَّ لأحوال كلٍّ منهما تفصيلًا مترقَّباً، لكنْ لا على أنَّ «ما» الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر، على ما رآه سيبويه(١) في أمثاله، بل على أنَّها خبرٌ لِمَا بعدها، فإنَّ مناط الإفادة بيانُ أنَّ أصحابَ الميمنة أمرٌ بديع ـ كما يفيدُه كونُ «ما» خبرًا ـ لا بيانُ أنَّ أمرًا بديعًا

(١) ينظر الكتاب ٢/ ١٥٧-١٥٨، والدر المصون ١٠/ ١٩٤.

أصحاب الميمنة، كما يُفيدُه كونها مبتدأ، وكذا الحالُ في «ما أصحاب المشأمة»، وأما القسمُ الأخير فحيث قرن به بيان محاسنِ أحواله لم يحتَجْ فيه إلى تقديم الأنموذَج، فقوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مبتدأ، والإظهارُ في مقامِ الإضمار للتفخيم، و«أولئك» مبتدأ ثانٍ، أو بدل من الأول، وما بعدَه خبر له، أو للثاني، والجملةُ خبرٌ للأول[1]. انتهى.

وقيل عليه: إنَّه ليس في جعل جملتَي الاستفهام وقوله سبحانه: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ أخبارًا لِمَا قبلها بيانٌ لأوصاف الأقسامِ وأحوالها تفصيلًا حتى يقال: حقُّها أنْ تبيَّنَ بعدَ أنفسِ الأقسام، بل فيه بيانُ الأقسام مع إشارةٍ إلى تَرامي أحوالها في الخير والشرِّ والتعجيب من ذلك. وأيضًا مقتضَى ما ذكره أنْ لا يذكر «ما أصحاب اليمين» و«ما أصحاب الشمال» في التفصيل.

وتُعقِّب هذا بأنَّ الذكر محتاجٌ إلى بيان نكتةٍ على الوجه الدائر على ألسنتهم، كاحتياجه إليه على هذا الوجه، ولعلَّها عليه أنَّه لمَّا عقَّب الأولَين بما يُشعرُ بأنَّ لأحوال كلٍّ تفاصيلَ مترقَّبةً أُعيدَ ذلك للإعلام بأنَّ الأحوال العجيبةَ هي هذه فلتُسمع، والذي يتبادرُ للنظر الجليل ما في «الإرشاد» من كون «أصحاب الميمنة» وكذا كلٌّ من الأخيرَين خبرَ مبتدأ محذوفٍ كما سمعتَ؛ لأنَّ المتبادر بعد بيان الانقسام ذكرُ نَفْس الأقسام على أنْ تكون هي المقصودة أولًا وبالذات دون الحكم عليها وبيانِ أحوالها مطلقًا وإنْ تضمَّن ذلك ذكرَها، لكن ما ذكروه أبعدُ مغزًى، ومع هذا لا يتعيَّن على ما ذكر كونُ تَينك الجملتَين الاستفهاميتَين معترضتَين، بل يجوز أنْ يكون كلٌّ منهما صفةً لِمَا قبلها بتقدير القول، كأنَّه قيل: فأحدُها أصحابُ الميمنة المقولُ فيهم: ما أصحاب الميمنة، وكذا يقال في «وأصحاب المشأمة» إلخ، ويجعل أيضًا «السابقون» صفة لـ «السابقون» قبله، والتأويلُ في الوصفية كالتأويل في الخبرية، ويكون الوصفُ بذلك قائمًا مقامَ تَينك الجملتَين في المدح، والجملةُ بعدُ مستأنفة استئنافًا بيانيًا كما في الوجه الشائع.

---

(١) تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٠.

وما يقال: إنَّ في هذا الوجه حذفَ الموصول مع بعض أجزاءِ الصلة، يجابُ عنه بمنع كون «أل» في الوصف حيث لم يُرَد منه الحدوث موصولةً. فتأمل ولا تغفل.

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ متعلِّقٌ بـ «المقربون»، أو بمضمَر هو حال من ضميره، أي: كائنين في جنات النعيم، وعلى الوجهَين فيه إشارةٌ إلى أنَّ قُربَهم محضُ لذَّةٍ وراحة، لا كقُرب خواصِّ الملِك القائمين بأشغاله عنده، بل كقرب جلسائه وندمائه الذين لا شُغلَ لهم ولا يَرِدُ عليهم أمرٌ أو نهيٌ، ولذا قيل: «في جنات النعيم» دون: جنات الخلود، ونحوه.

وقيل: خبرٌ ثانٍ لاسم الإشارة. وتُعقِّب بأنَّ الإخبار بكونهم فيها بعدَ الإخبار بكونهم مقرَّبين ليس فيه مزيدُ مزية. وأُجيبَ بأنَّ الإخبارَ الأولَ للإشارة إلى اللذَّة الروحانيةِ، والإخبار الثاني للإشارة إلى اللذة الجسمانية.

وقرأ طلحة في: «جنة النعيم» بالإفراد[1].

وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ خبرُ مبتدأ مقدَّرٍ، أي: هم ثلَّةٌ.. إلخ، وجوِّز كونُه مبتدأً خبرُه محذوفٌ، أي: منهم، أو خبرًا أولًا أو ثانيًا لـ «أولئك». وجوَّز أبو البقاء كونَه مبتدأً والخبرُ «على سرر»[2].

والثُّلَّة في المشهور الجماعةُ كثُرَت أو قلَّت، وقال الزمخشري: الأمةُ من الناس الكثيرة، وأنشد قوله:

وجاءَتْ إليهمْ ثُلَّةٌ خِنْدِفيةٌ بجيشٍ كتيَّارٍ من السَّيل مُزبدِ

وقوله تعالى بعد: (وَقَلِيلٌ) إلخ كفى به دليلًا على الكثرة[3]. انتهى، والظاهرُ أنَّه أنشد البيت شاهدًا لمعنى الكثرة في الثُّلَّة، فإن كانت الباء تجريدية ـ وهو الظاهر ـ فنصٌّ، وإلا فالاستدلال عليها من أنَّ المقام مقامُ مبالغةٍ ومَدْح، وأما استدلالُه

(١) القراءات الشاذة ص١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٥.
(٢) إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٣٧٥.
(٣) الكشاف ٤/ ٥٢-٥٣.

بما بعدُ فذلك لأنَّ التقابل مطلوبٌ؛ لأنَّ الثلَّة لم تُوضَع للقليل بالإجماع حتى يحمل ما بعدُ على التفنُّن، بل هي إما للكثرة والاشتقاقُ عليها أدلُّ، لأنَّ الثلَّ بمعنى الصبِّ وبمعنى الهَدْم بالكُلِّية، والثِّلَّة بالكسر الضأنُ الكثيرة؛ وإما لمطلَقِ الجماعة كالفرقة والقطعةِ من الثل بمعنى الكسر، كأنَّها جماعة كُسِرَت من الناس وقُطِعَت منهم، إلا أنَّ الاستعمالَ غَلَب على الكثير فيها، فالمعنى: جماعة كثيرةٌ من الأوَّلين، وهم الناسُ المتقدِّمون من لَدُن آدمَ إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى مَن بينهما من الأنبياء العظام.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ وهم الناسُ من لَدُن نبينا ﷺ إلى قيام الساعة، ولا يخالفُه قولُه عليه الصلاة والسلام: «إنَّ أمتي يَكْثُرون سائرَ الأمم»(١) أي: يغلبونهم في الكثرة؛ لأنَّ أكثرية سابقي المتقدِّمين من سابقي هذه الأمة لا تمنعُ أكثريةَ تابعي هؤلاء من تابعي أولئك.

وحاصلُ ذلك غلبةُ مجموع هذه الأمةِ كثرةً على مَن سواها، كقريةٍ فيها عشرةٌ من العلماء ومئةٌ من العوامِّ، وأُخرى فيها خمسةٌ من العلماء وألفٌ من العوام، فخواصُّ الأُولَى أكثرُ من خواصِّ الثانية، وعوامُّ الثانية ومجموعُ أهلها أضعافُ أولئك.

لا يقال: يأبَى أكثرية تابعي هؤلاء قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ فإنَّه في حقِّ أصحاب اليمين، وهم التابعون، وقد عبَّر في كلٍّ بالثلَّة، أي: الجماعة الكثيرة = لأنَّا نقول: لا دلالةَ في الآية على أكثر مِن وَصْف كلٍّ مِن الفريقَين بالكثرة، وذلك لا يُنافي أكثريةَ أحدهما، فتحصَّل أنَّ سابقي الأمم السوالف أكثرُ من سابقي أمتنا، وتابعي أمتنا أكثرُ من تابعي الأمم، والمرادُ بالأمم ما يدخلُ فيه الأنبياء، وحينئذٍ لا يبعدُ أنْ يقال: إنَّ كثرةَ سابقي الأولين ليس إلا بأنبيائهم، فما على سابقي هذه الأمة بأس إذ أكثرُهم سابقو الأمم بضم الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره مع حاشية الشهاب ٨/ ١٤٢، وقال المناوي في الفتح السماوي ٣/ ١٠٢٢: لم أقف عليه.

وأخرج الإمام أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال: لمَّا نزلَت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلَت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنة، بل أنتم نصفُ أهل الجنة ـ أو شطر أهل الجنة ـ وتقاسِمُونَهم النصفَ الثاني»[1]، وظاهرُه أنَّه شقَّ عليهم قلَّة مَن وُصف بها، وأنَّ الآيةَ الثانية أزالَت ذلك ورفعَته وأبدلته بالكثرة، ويدلُّ على ذلك ما أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: لمَّا نزلَت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ حَزِنَ أصحابُ رسول الله ﷺ وقالوا: إذًا لا يكونُ من أمة محمدٍ ﷺ إلا قليلٌ. فنزلَت نصف النهار: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ فنسَخت: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[2].

وأَبَى ذلك الزمخشريُّ فقال: إنَّ الرواية غيرُ صحيحةٍ لأمرَين: أحدُهما: أنَّ الآية الأولَى واردةٌ في السابقين، والثانية في أصحاب اليمين. والثاني: أنَّ النسخ في الأخبار غيرُ جائز[3]، فإذا أخبَرَ تعالى عنهم بالقلَّة لم يجز أن يخبرَ عنهم بالكثرة من ذلك الوجه.

وما ذكر من عدم جواز النسخ في الأخبار، أي: في مدلولها مطلقًا هو المختار. وقيل: يجوزُ النسخُ في المتغيِّر إنْ كان عن مستقبل؛ لجواز المحو لله تعالى فيما يقدِّره، والإخبار يتبعه[4]، وعلى هذا البيضاوي[5]. وقيل: يجوز في الماضي أيضًا وعليه الإمام الرازي[6] والآمدي.

---

(١) مسند أحمد (٩٠٨٠)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٤.

(٢) عزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٣.

(٤) قوله: يتبعه، أي: المحو، أي: إذا محى الله شيئاً يلزم من ذلك أن يخبر بمحوه. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ٢/ ١٢٠.

(٥) منهاج الأصول ٢/ ٥٧١، ونقله المصنف عنه بواسطة المحلي في شرحه على جمع الجوامع ٢/ ١٢٠.

(٦) المحصول ٣/ ٣٢٦، والكلام من شرح المحلي على جمع الجوامع.

وأما نسخُ مدلول الخبر إذا كان مما لا يتغيَّر كوجود الصانع وحدوث العالم فلا يجوزُ اتِّفاقًا.

فإنْ كان ما نحن فيه مما يتغيَّرُ فنسخُه جائزٌ عند البيضاوي، ويوافقُه ظاهرُ خبر أبي هريرة الثاني، ولا يجوزُ على المختار الذي عليه الشافعي وغيرُه، فقول صاحب «الكشف»: لا خلافَ في عدم جواز النسخ في مثل ما ذكر من الخبر إذ لا يتضمَّن حكمًا شرعيًّا، لا يخلو عن شيء.

وأقول: قد يُتَعَقَّب ما ذكره الزمخشري بأنَّ الحديث قد صحَّ، وورود الآية الأولَى في السابقين والثانية في أصحاب اليمين لا يردُّ مقتضاه، فإنَّه يجوز أنْ يقال: إنَّ الصحابة ﷺ لمَّا سمعوا الآيةَ الأُولى حسبوا أنَّ الأمر في هذه الأمة يذهب على هذا النهج، فيكون أصحابُ اليمين ثلةً من الأولين وقليلًا منهم، فيَكْثُرهم الفائزون بالجنة من الأُمم السوالف، فحزنُوا لذلك، فنزل قوله تعالى في أصحاب اليمين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وقال لهم النبيُّ ﷺ ما قال مما أذهَبَ به حُزنَهم، وليس في هذا نسخٌ للخبر كما لا يخفى.

وقول أبي هريرة: فنسَخَت «وقليل من الآخرين» إنْ صحَّ عنه ينبغي تأويلُه بأنْ يقال: أراد به: فأزالَت حسبانَ أنْ يُذكرَ نحوه في الفائزين بالجنة من هذه الأمة غير السابقين فتدبر.

وعن عائشة ﷺ: الفرقتان ـ أي: في قوله تعالى: (ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ) ـ في أمة كلِّ نبيٍّ؛ في صدرها ثلةٌ وفي آخرها قليل.

وقيل: هما من الأنبياء عليهم السلام؛ كانوا في صدر الدنيا كثيرين وفي آخرها قليلين.

وقال أبو حيان: جاء في الحديث: «الفرقتان في أُمَّتي فسابق أول الأمة ثلةٌ، وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل»[1]. انتهى.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٠٥، وذكره أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١، ولم نقف عليه مسنداً.

وجاء في فرقتَي أصحاب اليمين نحو ذلك، أخرج مسدَّد في مسنده وابن المنذر والطبراني وابن مردويه بسند حسن عن أبي بكرةَ ﷺ عن النبي ﷺ في قوله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ قال: «هما جميعًا من هذه الأمة»[(١)]، وأخرج جماعة بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعًا ما لفظه: «هما جميعًا من أمتي»[(٢)]، وعلى هذا يكون الخطابُ في قوله عز وجل: (وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً) لهذه الأمة فقط.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ حالٌ من «المقربين»، أو من ضميرهم في قوله تعالى: (فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ) بناءً على أنَّه في موضع الحال كما تقدَّم، وقيل: هو خبرٌ آخر للضمير المحذوف المخبر عنه أولاً بـ «ثلَّة»، وفيه وجهٌ آخَر أشرنا إليه فيما مرَّ.

و«موضونة» من الوَضْن، وهو نَسْج الدِّرع؛ قال الأعشى:

ومِــن نَــسْــج داودَ مــوضــونــةً تــسـيـر مع الـحـيِّ عِـيـرًا فـعـيـرا[(٣)]

واستُعير لمطلق النسج، أو لنسجٍ محكم مخصوص، ومن ذلك وَضِينُ الناقة: وهو حزامُها؛ لأنَّه موضون، أي: مفتول، والمرادُ هنا على ما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس: مَرْمُولة ـ أي: منسوجةٍ ـ بالذهب[(٤)]، وفي رواية عنه: بقضبان الفضة[(٥)].

وقال عكرمة: مُشبَّكة بالدرِّ والياقوت.

وقيل: «موضونة» متَّصلٌ بعضُها ببعض كحلق الدرع، والمرادُ متقاربة.

وقرأ زيد بن علي وأبو السمال: «سُرَرٍ» بفتح الراء[(٦)]، وهي لغةٌ لبعض تميم

---

(١) الدر المنثور ٦/ ١٥٩، وأخرجه أيضاً أبو داود الطيالسي في مسنده (٨٨٦)، وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.
(٢) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٣٤، وفيه أبان ابن أبي عياش قال الحافظ في التقريب: متروك.
(٣) ديوان الأعشى ص١٤٩، وتفسير الطبري ٢٢/ ٢٩١.
(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩٢.
(٥) عزاه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٥ للطستي.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٥.

وكلب يفتحون عين فُعُل جمع فَعيل المضعَّف[(١)] نحو سرير.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾ حالٌ من الضمير المستقرِّ في الجارِّ والمجرور، أعني: «على سرر»، وقوله تعالى: ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ حالٌ منه أيضًا ولك أنْ تعتبرَ الحالَين متداخلَين. والمرادُ كما قال مجاهد: لا ينظرُ أحدُهم في قَفَا صاحبه، وهو وَصْفٌ لهم بحُسْن العشرة، وتهذيب الأخلاقِ، ورعايةِ الآداب، وصفاء البواطن.

وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ حالٌ أخرى أو استئنافٌ، أي: يدور حولَهم للخدمة ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: مُبْقَون أبدًا على شكل الولدان وحدِّ الوصافة لا يتحوَّلون عن ذلك، وإلا فكلُّ أهل الجنة مخلَّدٌ لا يموت، وقال الفراء وابن جبير: مقرَّطون بخَلَدة[(٢)]، وهي ضربٌ من الأقراط.

قيل: هم أولادُ أهل الدنيا، لم يكن لهم حسناتٌ فيثابوا عليها، ولا سيئاتٌ فيعاقَبوا عليها، وروي هذا عن[(٣)] أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه، وعن الحسن البصري، واشتُهر أنَّه عليه الصلاة والسلام قال: «أولادُ الكفار خَدَمُ أهل الجنة»[(٤)] وذكر الطيبي أنَّه لم يصحَّ بل صحَّ ما يدفعُه، أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة قالت: تُوفِّي صبيٌّ فقلت: طوبَى له عصفورٌ من عصافير الجنة. فقال ﷺ: «أَوَلا تَدْرِيْنَ أنَّ الله تعالى خَلَق الجنة وخَلَق النار، فخَلَقَ لهذه أهلًا ولهذه أهلًا» وفي رواية: «خلقهم لهما وهم في أصلاب آبائهم»[(٥)].

وأخرج أبو داود عنها أنَّها قالت: قلتُ: يا رسول الله ذراري المؤمنين؟ فقال: «مِن آبائهم» فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟ قال: «الله أعلمُ بما كانوا عاملين»

---

(١) في الأصل: للضعف، والمثبت من (م) والبحر المحيط ٨/ ٢٠٥.
(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨١.
(٣) قوله: عن، ليس في (م).
(٤) أخرجه أبو يعلى (٤٠٩٠)، والبزار (٢١٧٠ - كشف) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٦٩٩٣)، والبزار (٢١٧٢ - كشف) من حديث سمرة بن جندب ﷺ.
(٥) سنن أبي داود (٤٧١٣)، والنسائي ٤/ ٥٧، ولم نقف عليه عند البخاري، وأخرجه مسلم (٢٦٦٢): (٣٠)، وسلف ٩/ ١١٨ و١٥/ ٣٦.

قلتُ: يا رسول الله فذراري المشركين؟ قال: «مِن آبائهم» فقلتُ: بلا عمل؟ قال: «الله أعلمُ بما كانوا عاملين»[1].

وقيل: إنَّهم يُمتَحنون يوم القيامة فتخرجُ لهم نارٌ ويؤمرون بالدخول فيها، فمن دخلَها وجدَها بردًا وسلامًا وأُدخِلَ الجنة، ومَن أبَى أُدخِلَ النارَ مع سائر الكفار، ويَروُون في ذلك أثرًا.

ومن الغريب ما قيل: إنَّهم بعد الإعادة يكونون ترابًا كالبهائم.

وفي «الكشف»: الأحاديثُ متعارضةٌ في المسألة وكذلك المذاهب، والمسألةُ ظنيةٌ، والعلمُ عند الله تعالى وهو عز وجل أعلم. انتهى.

والأكثرُ على دخولهم الجنةَ بفضل الله تعالى ومزيدِ رحمته تبارك وتعالى، وسيأتي إن شاء الله تعالى تمامُ الكلام في ذلك[2].

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ بآنية لا عُرى لها ولا خراطيم[3]، والظاهرُ أنَّها الأقداح، وبذلك فسَّرها عكرمة، وهي جمع كوب.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمعُ إبريق، وهو إناءٌ له خرطوم، قيل: وعروة، وفي «البحر»: أنَّه من أواني الخمر، وأنشد قول عدي بن زيد:

وَدَعوا بالصَّبوح يومًا فجاءت قَينةٌ في[4] يمينها إبريقُ

وفيه أيضًا أنَّه إفْعيل من البَريق[5].

وذكر غيرُ واحد أنَّه معرَّب «آب ريزاي»: صابّ الماء، وهو أنسبُ مما في

(١) سنن أبي داود (٤٧١٢).

(٢) عند تفسير الآية (٤٠) من سورة النبأ.

(٣) جمع خرطوم، وهو ما يُصب منه، والعرى جمع العروة، وهي ما يمسك منه. حاشية الشهاب ٨/ ١٤٣.

(٤) في (م): في قينة.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٢٠٠-٢٠١، والبيت في تاريخ دمشق ١٥/ ١٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، واللباب ١٨/ ٣٨٦، وخزانة الأدب ٩/ ٤٤٨.

بعض نسخ «القاموس» أنَّه معرَّب «آب ري» بلا زاي[1]، وأيًّاما كان فهو ليس مأخوذًا من البريق، نعم الإبريقُ بمعنى المرأة الحسنة البرَّاقة، والسيفِ البرَّاق، والقوس فيها تلاميع، مأخوذٌ من ذلك، ولعلَّه يقول بأنَّه عربي لا معرَّب، وأنَّ البريق مما فيه من الخمر، والشعراءُ يصفونها بذلك كقوله:

مُشَعْشَعَةً كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خالَطَها سَخِيْنَا[2]

أو لأنَّه غالباً يُتَّخذ مما له نوعُ بَرْق كالبلور والفضة.

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من العيون كما قال ابن عباس وقتادة، أي: لم يُعصَر كخمر الدنيا. وقيل: خمر ظاهرة للعيون مرئية بها؛ لأنَّها كذلك أهنأ.

وأُفرِد الكأس على ما قيل؛ لأنَّها لا تُسمَّى كأسًا إلا إذا كانت مملوءةً.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقتُه: لا يصدرُ صداعُهم عنها، والمراد: أنَّهم لا يلحقُ رؤوسَهم صداعٌ لأجل خُمار يحصل منها كما في خمور الدنيا، وقيل: لا يفرَّقون عنها، بمعنى لا تقطع عنهم لذَّتهم بسببٍ من الأسباب كما تُفرِّقُ أهلَ خمرِ الدنيا بأنواع من التَّفريق.

وقرأ مجاهد: «لا يَصَّدَّعون» بفتح الياء وشدِّ الصاد[3] على أنَّ أصله يَتَصَدَّعون، فأدْغَم التاء في الصاد، أي: لا يتفرَّقون كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

وقرئ: «لا يَصدعون» بفتح الياء والتخفيف[4]، أي: لا يصدعُ بعضُهم بعضًا

(١) القاموس المحيط (برق)، وفي المعجم الذهبي ص ٢٤ أن الإبريق بالفارسية هو آب ريز.
(٢) البيت لعمرو بن كلثوم وهو في شرح المعلقات للنحاس ٢/ ٩٠، وللتبريزي ص ٢٥٥. المشعشعة: الرقيقة من العصر أو من المزج. والحص: الورس، ويقال: الزعفران شبه صفرتها بصفرته، وسخيناً يحتمل وجهين: إما يريد به الماء السُّخن. أو من قولك: سَخِي الرجلُ ويَسْخَى.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٢٠٥-٢٠٦.
(٤) لم نقف عليها بفتح الياء، وذكرها السمين في الدر المصون ١٠/ ٢٠١ بضم الياء وتخفيف الصاد وكسر الدال مشددة، وينظر الكشاف ٤/ ٥٤.

ولا يفرقونهم، أي: لا يَجلسُ داخل منهم بين اثنين فيفرق بين المتقاربين، فإنَّه سوء الأدب وليس من حُسْن العشرة.

﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك: لا تذهب عقولُهم بسكرها، مِن نُزِفَ الشاربُ كعُنِيَ: إذا ذهَبَ عقلُه، ويقال للسكران: نَزِيفٌ ومَنزوفٌ، قيل: وهو من نَزَف الماءَ: نَزَحَه من البئر شيئًا فشيئًا، فكأنَّ الكلامَ على تقدير مضاف.

وقرأ ابن أبي إسحاق وعبد الله والسلمي والجحدري والأعمش وطلحة وعيسى وعاصم كما أخرج عنه عبد بن حميد: «ولا يُنزِفُون» بضم الياء وكسر الزاي[1]، من أنزَف الشاربُ: إذا ذهَبَ عقلُه أو شرابه، ومعناه: صار ذا نزف، ونظيرُه: أقشَعَ السرابُ وقشعَته الريحُ، وحقيقتُه: دخل في القَشْع.

وقرأ ابن أبي إسحاق أيضًا: «ولا يَنزِفون» بفتح الياء وكسر الزاي[2]، قال في «المجمع»: وهو محمولٌ على أنَّه لا يفنَى خمرُهم[3].

والتناسب بين الجملتَين على ما سمعتَ فيهما أولًا على قراءة الجمهور أنَّ الأولى لبيان نَفْي الضرر عن الأجسام، والثانية لبيان نَفْي الضرر عن العقول، وتأمَّل لتعرفه إن شاء الله تعالى على ما عدا ذلك.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾ أي: يأخذون خيرَه وأفضلَه، والمرادُ: مما يرضونه.

﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٍ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢١﴾ مما تميلُ نفوسُهم إليه وترغب فيه.

والظاهرُ أنَّ «فاكهة» و«لحم» معطوفان على «أكواب»، فتُفيد الآيةُ أنَّ الولدان يطوفون بهما عليهم، واستُشكل بأنَّه قد جاء في الآثار أنَّ فاكهةَ الجنة وثِمارَها ينالُها القائم والقاعد والنائم، وعن مجاهد: أنَّها دانيةٌ من أربابها فيتناولونها

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٠٦، وقراءة عاصم عزاها لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٥، وهي في التيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٣٥٧ عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٠٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

(٣) مجمع البيان ٢٧/ ١١٦.

متَّكئين، فإذا اضطجعوا نزلَت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضْطَجعين، وأنَّ الرجل مِن أهل الجنةِ يشتهي الطيرَ من طيور الجنةِ فيقعُ في يده مَقْليًّا نَضجًا، وقد أخرج هذا ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة(١)، وأخرج عن ميمونة مرفوعًا: «إنَّ الرجلَ لَيشتهي الطيرَ في الجنة، فيجيء مثل البُخْتي، حتى يقَعَ على خِوَانه لم يُصبْه دخان ولم تمسَّه نارٌ، فيأكل منه حتى يشبَعَ ثم يطيرُ»(٢) إلى غير ذلك، وإذا كان الأمرُ كما ذكر استُغني عن طوافهم بالفاكهة واللحم.

وأُجيبَ بأنَّ ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ حالة الاجتماع والشرب، ويفعلون ذلك للإكرام ومزيدِ المحبة والتعظيم والاحترامِ، وهذا كما يناول أحدُ الجلساء على خِوَان الآخر بعضَ ما عليه من الفواكه ونحوها وإنْ كان ذلك قريبًا منه اعتناءً بشأنه وإظهارًا لمحبته والاحتفال به.

وجوِّز أن يكونَ العطفُ على «جنات النعيم»، وهو من باب:

متـــقـــلـــدًا ســيـــفًـــا ورمـــحًـــا(٣)

أو من بابه المعروف.

وتقديمُ الفاكهة على اللحم للإشارة إلى أنَّهم ليسوا بحالة تقتضي تقديمَ اللحم كما في الجائع، فإنَّ حاجته إلى اللحم أشدُّ من حاجته إلى الفاكهة، بل هم بحالة تقتضي تقديمَ الفاكهة واختيارها كما في الشبعان، فإنَّه إلى الفاكهة أميلُ منه إلى اللحم، وجوز أنْ يكونَ ذلك لأنَّ عادةَ أهل الدنيا لا سيما أهلِ الشرب منهم تقديمُ الفاكهة في الأكل.

وهو طِبًّا مستحسَنٌ لأنَّها ألطفُ وأسرعُ انحدارًا، وأقلُّ احتياجًا إلى المكث في المعدة للهضم، وقد ذكروا أنَّ أحدَ أسباب الهيضة إدخالُ اللطيف من الطعام على الكثيف منه، ولأنَّ الفاكهةَ تحرِّك الشهوةَ للأكل، واللحم يدفعُها غالبًا.

---

(١) وأخرجه أيضاً الطبري ٢٠/ ٦٤٦.
(٢) عزاه لابن أبي الدنيا في صفة الجنة السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ٢٢.
(٣) سلف ٦/ ٧٧.

ويعلم من الوجه الأول وَجْهُ تخصيص التخيرِ بالفاكهة والاشتهاء باللحم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الفاكهةَ لم تَزَل حاضرةً عندهم وبمرأًى منهم دون اللحم، ووجهُ ذلك أنَّها مما تلذُّه الأعين دونه.

وقيل: وجْهُ التخصيص كثرةُ أنواعِ الفاكهة واختلافُ طعومها وألوانها وأشكالها، وعدم كون اللحم كذلك.

وفي التعبير بـ «يتخيَّرون» دون «يختارون» وإن تقاربا معنًى إشارةٌ ـ لمكان صيغةِ التفعُّل ـ إلى أنَّهم يأخذون ما يكون منها في نهاية الكمال، وأنَّهم في غاية الغِنَى عنها، والله تعالى أعلم بأسرار كلامه.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ عطفٌ على «ولدانٌ»، أو على الضمير المستكنِّ في «متكئين»، أو على مبتدأ حُذِفَ هو وخبرُه، أي: لهم هذا كلُّه[1] وحورٌ، أو مبتدأ حُذِفَ خبرُه، أي: لهم ـ أو: فيها ـ حورٌ.

وتُعقِّبَ الوجهُ الأولُ بأنَّ الطواف لا يناسبُ حالهنَّ.

وأُجيبَ بأنَّه[2] لا يبعدُ أن يكونَ من الحور ما ليس بمقصورات في الخيام ولا مخدَّراتٍ، هنَّ كالخدم لهنَّ لا يُبالَى بطوافهنَّ ولا يُنكرُ ذلك عليهنَّ، أو أنَّ[3] الطواف في الخيام أنفسِها، وهو لا ينافي كونَهنَّ مقصوراتٍ فيها، أو أنَّ العطفَ على معنى: لهم ولدان وحور.

والثاني بأنَّه خلافُ الظاهر جدًّا. والثالثُ بكثرة الحذف.

و«عِين» جمع عيناء، وأصلُه عُيْنٌ على فُعْل، كما تقول حمراء وحُمر، فكُسِرَت العينُ لئلَّا تنقلبَ الياءُ واوًا، وليس في كلام العرب ياءٌ ساكنةٌ قبلها ضمة، كما أنَّه ليس فيه واوٌ ساكنةٌ قبلها كسرة.

---

(١) في (م): كل، والمثبت من الأصل والبحر ٨/ ٢٠٦.
(٢) في الأصل: بأن.
(٣) في (م): وأن.

وقرأ السلمي والحسن وعمرو بن عبيد وأبو جعفر وشيبة والأعمش وطلحة والمفضل وأبان وعصمة عن عاصم وحمزة والكسائي: «وحورٍ عينٍ» بالجرِّ[(١)]، وقرأ النخعي كذلك إلا أنَّه قَلَبَ الواوَ ياءً والضمةَ قبلها كسرةً في «حور» فقال: «وحِيرٍ»[(٢)] على الإتباع لـ «عين». وخرِّج على العطف على «جنات النعيم» وفيه مضاف محذوف، كأنَّه قيل: هم في جنات وفاكهةٍ ولحمٍ ومصاحبةِ حورٍ، على تشبيه مصاحبةِ الحور بالظرف على نَهْج الاستعارةِ المكنية، وقرينتُها التخييلية إثباتُ معنى الظرفيةِ بكلمة «في»، فهي باقيةٌ على معناها الحقيقي، ولا جمع بين الحقيقة والمجاز، وذهب إلى العطف المذكور الزمخشريُّ[(٣)].

وتعقَّبه أبو حيان فقال: فيه بُعْدٌ وتفكيكُ كلامٍ مرتبطٍ بعضُه ببعضٍ، وهو فهم أعجمي[(٤)]. وليس كما قال كما لا يخفى.

أو على «أكواب» ويجعل من باب:

متـــقـــلـــدًا ســـيـــفًـــا ورُمـــحًـــا

كما سمعتَ آنفًا، فكأنَّه قيل: يُنعَّمون بأكواب وبِحُور.

وجوِّز أن يبقَى على ظاهره المعروف، وأنَّ الوِلْدان يطوفون عليهم بالحور أيضًا، لعَرضِ أنواعِ اللذات عليهم من المأكول والمشروبِ والمنكوح، كما تأتي الخُدَّام بالسراري للملوك ويعرضوهنَّ[(٥)] عليهم، وإلى هذا ذهب أبو عمرو[(٦)] وقطرب، وأبَى ذلك صاحب «الكشف» فقال: أما العطفُ على الولدان على الظاهر فلا؛ لأنَّ الولدان لا يطوفون بهنَّ طوافَهم بالأكواب. والقلب إلى هذا

---

(١) قراءة أبي جعفر وحمزة والكسائي في التيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٣٨٣، والكلام من البحر ٨/ ٢٠٦.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٤.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

(٥) كذا في الأصل و(م) وحاشية الشهاب ٨/ ١٤٣ والكلام منه، والجادة: ويعرضونهن.

(٦) في (م): عمر.

أَميلُ إلا أنْ يكون هناك أثرٌ يدلُّ على خلافه. وكون الجرِّ للجوار يأباه الفصل أو يُضعِّفُه.

وقرأ أبيّ وعبد الله: «وحورًا عينًا» بالنصب[١]، وخرج على العطف على محلِّ «بأكواب» لأنَّ المعنى: يُعطَون أكوابًا وحورًا، أو[٢] على أنه مفعول به لمحذوف، أي: ويُعطَون حورًا، أو على العطف على محذوف وقَعَ مفعولًا به لمحذوف أيضًا، أي: يُعطَون هذا كلَّه وحورًا.

وقرأ قتادة: «وحورُ» بالرفع مضافًا إلى «عينٍ»، وابن مقسم: «وحورَ» بالنصب مضافًا، وعكرمة: «وحوراءَ عيناءَ» على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما[٣]، فاحتمل الجرَّ والنصب.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: في الصفاء، وقيد بـ«المكنون» - أي: المستور بما يحفظه - لأنَّه أصفَى وأبعدُ من التغير، وفي الحديث: «صفاؤُهنَّ كصفاء الدرِّ الذي لا تمسُّه الأيدي»[٤]، ووَصفُ الحسنات بذلك شائعٌ في العرب، ومنه قوله:

قامَت تراءَى بين سَجْفَيْ كِلَّةٍ ... كالشمس يومَ طُلُوعها بالأسعُدِ
أو دُرَّةٍ صدفيةٍ غوَّاصُها ... بَهِجٌ متى يَرَهَا يُهِلّ ويَسجدِ[٥]

والجارُّ والمجرور في موضع الصفة لـ«حور»، أو الحال، والإتيان بالكاف للمبالغة في التشبيه، ولعل الأمر عليه نحو: زيدٌ قمر.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ مفعول له لفعل محذوفٍ، أي: يفعل بهم ذلك كلّه جزاءً بأعمالهم، أو بالذي استمرُّوا على عمله، أو مصدرٌ مؤكِّد، أي: يُجزَون جزاءً.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥١، والمحتسب ٢/ ٣٠٩، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٦.
(٢) قوله: أو، ليس في (م).
(٣) القراءات الثلاث في البحر المحيط ٨/ ٢٠٦.
(٤) أخرجه الطبري في التفسير ٢٢/ ٣٠٤، والطبراني في الأوسط (٣١٤١) من حديث أم سلمة ﵂، وفي سنده سليمان بن أبي كريمة، قال الهيثمي ١٠/ ٤١٧: وهو ضعيف.
(٥) البيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص٤٠.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ ما لا يعتدُّ به من الكلام، وهو الذي يُورَد لا عن رَويَّة وفكر فيجري مجرى اللَّغَا، وهو صوتُ العصافير ونحوها من الطير، وقد يسمَّى كلُّ كلامٍ قبيحٍ لغوًا.

﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا نسبةً إلى الإثم، أي: لا يقال لهم: أثمتُم، وعن ابن عباس - كما أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم - تفسيرُه بالكذب[1]، وأخرجه هناد عن الضحاك[2]، وهو من المجاز كما لا يخفى، والكلام من باب:

ولا تَرَى الضبَّ بها يَنْجَحِرْ[3]

﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أي: قولًا، فهو مصدر مثله ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ بدلٌ من «قيلًا» كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]. وقال الزجّاج[4]: هو صفةٌ له بتأويله بالمشتق، أي: سالمًا من هذه العيوب، أو مفعوله والمراد لفظُه فلذا جاز وقوعُه مفعولًا للقول مع إفراده، والمعنى: إلا أنْ يقول بعضُهم لبعض سلامًا.

وقيل: هو مصدرٌ لفعل مقدَّرٍ من لفظه، وهو مقولُ القول ومفعولُه حينئذٍ، أي: نسلِّم سلامًا، والتكريرُ للدلالة على فُشوِّ السلام وكثرته فيما بينهم؛ لأنَّ المراد: سلامًا بعد سلام.

والاستثناءُ منقطعٌ، وهو من تأكيد المدح بما يُشبه الذمَّ محتمل لأنْ يكونَ من الضرب الأول منه، وهو أنْ يُستثنَى من صفة ذمٍّ منفيةٍ عن الشيء صفةُ مدحٍ له بتقدير دخولها فيها[5]، بأنْ يقدَّر السلام هنا داخلًا فيما قبل فيفيدُ التأكيد من وجهَين[6].

---

(١) عزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٦.
(٢) الزهد لهناد ١/ ٥١ (٦).
(٣) البيت لعمرو بن الأحمر الباهلي كما في خزانة الأدب ١٠/ ١٩٢، وسلف ٤/ ٨٨.
(٤) في معاني القرآن ٥/ ١١٢.
(٥) كقوله النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلولٌ من قراع الكتائب

(٦) جاء في هامش الأصل: من جهة أنه كدعوى الشيء بنسبة، ومن جهة أن الأصل في الاستثناء الاتصال، فذِكرُ أداته قبل ذِكرِ ما بعدها يوهم إخراجَ شيءٍ مما قبلها، فإذا وليها =

وأنْ يكون من الضرب الثاني منه، وهو أنْ يثبتَ لشيء صفة مدحٍ ويُعقب بأداة استثناء يليها صفةُ مدحٍ أُخرَى[1]، بأنْ لا يقدَّر ذلك، ويجعل الاستثناء من أصله منقطعًا فيفيدُ التأكيدَ مِن وَجْه، ولولا ذكرُ التأثيم ـ على ما قاله السعد ـ جاز جعلُ الاستثناء متَّصلًا حقيقةً؛ لأنَّ معنى السلام الدعاءُ بالسلامة، وأهلُ الجنة أغنياءُ عن ذلك، فكان ظاهرُه من قبيل اللَّغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فائدة الإكرام، وإنَّما منع التأثيم الذي هو النسبةُ إلى الإثم؛ لأنَّه لا يمكنُ جعلُ السلام من قبيله، وليس لك في الكلام أنْ تذكرَ متعدِّدَين ثم تأتي بالاستثناء المتصل من الأول مثل أنْ تقول: ما جاء من رجلٍ ولا امرأةٍ إلا زيدًا، ولو قصدتَ ذلك كان الواجبُ أن تؤخِّرَ ذِكرَ الرجل.

وقرئ: «سلامٌ سلامٌ» بالرفع[2] على الحكاية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ إلخ شروعٌ في بيان تفاصيل شؤونهم بعدَ بيان تفاصيلِ شؤون السابقين، «وأصحاب» مبتدأ وقوله: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ جملةٌ استفهاميةٌ مشعرةٌ بتفخيمهم والتعجيب من حالهم، وهي على ما قالوا: إما خبرٌ للمبتدأ، وقوله سبحانه: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ خبرٌ ثانٍ له، أو خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، أي: هم في سِدْر، والجملةُ استئنافٌ لبيان ما أُبهِمَ في قوله عز وجل: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ من علوِّ الشأن، وإما معترضةٌ والخبرُ هو قوله تعالى شأنه: ﴿فِى سِدْرٍ﴾.

وجوِّز أن تكونَ تلك الجملةُ في موضع الصفة والخبرُ هو هذا الجارّ والمجرور، والجملةُ عطفٌ على قوله تبارك وتعالى في شرح أحوال السابقين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: وأصحابُ اليمين المقولُ فيهم ما أصحابُ اليمين كائنونَ في سِدر.. إلخ.

= صفة مدح وتحول الاستثناء إلى الانقطاع جاء التأكيد لما فيه من المدح والإشعار بأنَّه لم يجد فيهاً صفة ذمٍّ حتى يثبتها، فاضطر إلى استثناء صفةِ مدح، مع ما فيه من نوع خلابةٍ وتأخيذٍ للقلوب. اهـ منه.

(١) كقول النبي ﷺ: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش». قال في اللآلئ: معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ.. . كشف الخفاء ١/ ٢٣٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٤، وتفسير البيضاوي ٨/ ١٤٣.

والظاهرُ أنَّ التعبيرَ بـ «الميمنة» فيما مرَّ، وبـ «اليمين» هنا للتفنُّن، وكذا يقال في «المشأمة» و«الشمال» فيما بعد.

وقال الإمام: الحكمةُ في ذلك أنَّ في «الميمنة» وكذا «المشأمة» دلالةً على الموضع والمكان، والأزواجُ الثلاثة في أول الأمر يتميَّزُ بعضُهم عن بعض ويتفرَّقون بالمكان، فلذا جيء أولًا بلفظ يدلُّ على المكان، وفيما بعد يكون التميُّزُ والتفرُّق بأمرٍ فيهم، فلذا لم يُؤْتَ بذلك اللفظ ثانيًا(١).

والسِّدرُ شجرُ النَّبق، والمخضودُ الذي خُضِدَ، أي: قُطِعَ شوكُه، أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي أمامة قال: كان أصحابُ رسول الله ﷺ يقولون: إنَّ الله تعالى ينفعُنا بالأعراب ومسائلهم؛ أقبلَ أعرابيٌّ يومًا فقال: يا رسولَ الله، لقد ذَكَر الله تعالى في القرآن شجرةً مؤذيةً، وما كنتُ أَرَى أنَّ في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها؟ قال: «وما هي؟» قال: السِّدْر، فإنَّ له شوكًا، فقال رسول الله ﷺ: «أليسَ اللهُ يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خَضَد الله شوكَه فجعل مكانَ كلِّ شوكةٍ ثمرةً، وإنَّ الثمرةَ من ثَمَره تفتق عن اثنين وسبعينَ لونًا من الطعام، ما فيها لونٌ يشبه الآخرَ»(٢).

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك: أنَّه المُوْقَر حَمْلًا(٣). على أنَّه من خَضَد الغصنَ: إذا ثَنَاه وهو رطب، فمخضود: مثنيُّ الأغصان، كنى به عن كثير الحمل.

وقد أخرج ابن المنذر عن يزيد الرقاشي: أنَّ النَّبقَةَ أعظمُ من القِلال(٤).

والظرفية مجازيةٌ للمبالغة في تمكُّنهم من التنعُّم والانتفاع بما ذكر.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٦٢ بنحوه.

(٢) المستدرك ٢/ ٤٧٦، والبعث والنشور (٣٠٢). وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٦٣ - زوائد نعيم).

(٣) عزا أثر ابن عباس لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٦-١٥٧.

(٤) عزاه لابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٧.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ قد نَضَد حملُه من أسفله إلى أعلاه ليسَت له ساقٌ بارزة، وهو شجرُ الموز كما أخرج ذلك عبد الرزاق وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه[(١)]، وأخرجَه جماعة من طُرق عن ابن عباس[(٢)]، ورواه ابن المنذر عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري[(٣)]، وعبد بن حميد عن الحسن ومجاهد وقتادة[(٤)].

وعن الحسن أنَّه قال: ليس بالموز، ولكنَّه شجرٌ ظلُّه باردٌ رَطبٌ.

وقال السدي: شجرٌ يُشبه طلحَ الدنيا، ولكن له ثمرٌ أحلَى من العسل.

وقيل: هو شجر من عظام العضاه[(٥)].

وقيل: شجر أمِّ غيلان، وله نُوَّارٌ كثير طيِّب الرائحة.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ ممتدٌّ منبسطٍ لا يتقلَّص ولا يتفاوت، كظلٍّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وظاهرُ الآثار يقتضي أنَّه ظلُّ الأشجار؛ أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وغيرُهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنَّ في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مئة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[(٦)].

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي سعيد قال: قال

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٧٠، والزهد لهناد (١١٢)، وتفسير الطبري ٢٢/ ٣١١، وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٧.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٧٠، وهناد في الزهد (١١١)، والطبري ٢٢/ ٣١١.

(٣) عزا أثر أبي سعيد الخدري لابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٧. والأثران في تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٣٠.

(٤) الدر المنثور ٦/ ١٥٧، وأخرجه عن مجاهد وقتادة الطبري ٢٢/ ٣١١ و٣١٢.

(٥) جمع العضاهة، وهي أعظم الشجر، أو كلُّ ذات شوك. القاموس (عضه).

(٦) المسند (٧٤٩٨)، وصحيح البخاري (٣٢٥٢)، وصحيح مسلم (٢٨٢٦)، وسنن الترمذي (٢٥٢٢)، وسنن ابن ماجه (٤٣٣٥).

رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرةٌ يسيرُ الراكب في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يقطعها، وذلك الظلُّ الممدود»(١).

وأخرج ابن أبي حاتم وابنُ مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الظلُّ الممدود شجرةٌ في الجنة على ساق، ظلُّها قدرُ ما يسيرُ الراكبُ في كلِّ نواحيها مئةَ عام، يخرجُ إليها أهلُ الجنة أهلُ الغرف وغيرُهم، فيتحدَّثون في ظلِّها، فيشتهي بعضُهم ويذكر لَهْوَ الدنيا، فيرسلُ الله تعالى ريحًا من الجنة فتحرِّكُ تلك الشجرة بكلِّ لَهْوٍ في الدنيا(٢). وعن مجاهد أنَّه قال: هذا الظلُّ من سدرها وطلحها.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمرو بن ميمون أنَّه قال: الظلُّ الممدودُ مسيرةُ سبعينَ ألف سنة(٣).

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ قال سفيان وغيره: جارٍ من غير أخاديد. وقيل: منسابٌ حيث شاؤوا لا يحتاجون فيه إلى سانية ولا رشاء.

وذكر هذه الأشياء لِمَا أنَّ كثيرًا من المؤمنين لبداوتهم تمنَّوها، أخرج عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوَجّ وظِلالِه من طَلْحِهِ وسِدْرِه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ * فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ إلخ(٤).

وفي رواية عن الضحاك: نظر المسلمون إلى وَجٍّ فأعجبَهم سِدْرُه وقالوا: يا ليتَ لنا مثل هذا، فنزلَت هذه الآية(٥).

---

(١) المسند (١١٦٧٣)، وصحيح البخاري (٦٥٥٣)، وصحيح مسلم (٢٨٢٨)، وسنن الترمذي (٢٥٢٣)، وعزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٧.

(٢) الدر المنثور ٦/ ١٥٧، قال ابن كثير: هذا أثر غريب وإسناده قويٌّ جيد حسن.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣١٣، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٧.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣١١، والبعث والنشور (٣٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٧. وجاء في هامش الأصل: وهو واد مخصب بالطائف. اهـ منه.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٤٢٨.

وقيل: كأنَّه لما شبَّه حالَ السابقين بأقصى ما يتصوَّر لأهل المدن من كونهم على سُرُر، تطوفُ عليهم خُدَّامهم بأنواع الملاذِّ، شبَّه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصوَّر لأهل البوادي من نزولهم في أماكن مخصبةٍ فيها مياهٌ وأشجارٌ وظلالٌ؛ إيذانًا بأنَّ التفاوت بين الفريقَين كالتفاوت بين أهل المدن والبوادي.

وذكر الإمام مدَّعيًا أنَّه مما وفِّق له أنَّ قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ من باب قوله سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨] لأنَّ السدر أوراقه في غاية الصِّغَر، والطلح ـ يعني الموز ـ أوراقُه في غاية الكِبَر، فوقَعت الإشارةُ إلى الطرفَين، فيراد جميع الأشجار؛ لأنَّها نظرًا إلى أوراقها محصورةٌ بينهما[(١)]. وهو مما لا بأس به.

وقرأ عليٌّ كرم الله تعالى وجهه وجعفر بن محمد وعبد الله رضي الله عنهم: «وطَلْعٍ» بالعين بدل: «وطلح» بالحاء[(٢)]، وأخرج ابن الأنباري في المصاحف وابن جرير عن قيس بن عباد قال: قرأتُ على عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: «وطلح منضود» فقال: ما بالُ الطلح؟ أما تقرأ: «وطلع». ثم قرأ قوله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ فقيل له: يا أمير المؤمنين، أنحُكُّها من المصحف؟ فقال: لا يُهاجُ القرآنُ اليومَ[(٣)].

وهي روايةٌ غير صحيحة كما نبَّه على ذلك الطيبي، وكيف يقرأ أميرُ المؤمنين كرم الله تعالى وجهه تحريفاً في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس؟ أو كيفَ يُظَنُّ بأنَّ نقلةَ القرآن ورواتَه وكتَّابَه من قَبْلُ تعمَّدوا ذلك أو غفِلوا عنه؟ هذا واللهُ تعالى قد تكفَّل بحفظه، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم إنَّ الذي يقتضيه النظمُ الجليلُ ـ كما قال الطيبي ـ حَمْلُ ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ إلخ على معنى التظليل وتكاثف الأشجار على سبيل الترقِّي؛ لأنَّ الفواكه مستغنًى عنها بما بعدُ، وليقابل قولُه تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٦٢ بنحوه.

(٢) القراءات الشاذة ص١٥١، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٠٩-٣١٠، وعزاه لأبي بكر الأنباري القرطبي في تفسيره ٢٠/ ١٩٥.

وَظِلٍّ مِن يَحۡمُومٍ ﴿٤٣﴾ قولَه سبحانه: (وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ) إلخ، فإذن لا مدخلَ لحديث الطلع في معنى الظلِّ وما يتصل به، لكن قال صاحب «الكشف»: إنَّ وصْفَ الطلح بكونه منضودًا لا يظهرُ له كثيرُ ملاءمة[1]، لكون المقصود منفعةَ التظليل، وينبغي أنْ يحمل الطلح على أنَّه من عظام العضاه على ما ذكره في «الصحاح»[2]، فشجر أمِّ غيلان والموز لا ظلَّ لهما يعتدُّ به، ثم قال: ولو حمل الطلح على المشموم لكان وجهًا. انتهى. وقد قدَّمنا لك خبر سبب النزول فلا تَغفُل.

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾﴾ أي: بحسب الأنواع والأجناس على ما يقتضيه المقام.

﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ في وقت من الأوقات كفواكه الدنيا ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ عمَّن يُريد تناولها بوجهٍ من الوجوه، ولا يُحظَر عليها كما يُحظَر على بساتين الدنيا.

وقرئ: «وفاكهةٌ كثيرةٌ لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ» بالرفع في الجميع[3]، على تقدير: وهناك فاكهة.. إلخ.

﴿وَفُرُشٖ﴾ جمع فراش كسراج وسُرُج، وقرأ أبو حيوة بسكون الراء[4].

﴿مَّرۡفُوعَةٍ﴾ منضدةٍ مرتفعة، أو مرفوعة على الأسرَّة، فالرفع حسِّيٌّ كما هو الظاهر، وقد أخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وجماعة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنَّه قال: «ارتفاعُها كما بينَ السماءِ والأرضِ، ومسيرةُ ما بينهما خمسُ مئة عام»[5]، ولا تستبعد ذلك من حيث العروجُ والنزولُ ونحوهما، فالعالَمُ عالم آخرُ وراءَ طَور عقلك.

وأخرج هناد عن الحسن: أنَّ ارتفاعها مسيرةُ ثمانين سنة[6]. وليس بمثابة الخبر السابق.

---

(١) جاء في هامش الأصل: قيل المراد: نضد الورق لما هو المشهور في الموز. اهـ منه.
(٢) مادة: (عضه).
(٣) البحر المحيط ٨/ ٢٠٧.
(٤) القراءات الشاذة ص١٥١، والبحر المحيط ٨/ ٢٠٧.
(٥) المسند (١١٧١٩)، وسنن الترمذي (٢٥٤٠) و(٣٢٩٤)، وعزاه للنسائي ابنُ كثير في تفسيره.
(٦) الزهد (٧٨)، وفيه جويبر، قال الحافظ في التقريب: ضعيف جدًّا.

وقال بعضُهم: أي: رفيعة القدر على أنَّ رفْعَها معنويٌّ بمعنى شرفها.

وأيًّاما كان فالمراد بالفُرُش للجلوس عليه. وقال أبو عبيدة: المرادُ بها النساء، لأنَّ المرأةَ يكنَى عنها بالفراش كما يكنَى عنها باللباس، ورفْعُهن في الأقدار والمنازل[١]، وقيل: على الأرائك، وأيد إرادة النساء بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾ لأنَّ الضمير في الأغلب يعودُ على مذكور متقدِّم، وليس إلا الفرش، ولا يناسبُ العود إليه إلا بهذا المعنى، والاستخدامُ بعيدٌ هنا[٢]، وعلى القول في الفرش الضميرُ للنساء وإنْ لم يَجْرِ لها ذكرٌ، لتقدُّم ما يدلُّ عليها، فهو تَتْميمٌ بيانًا لمقدَّر يدلُّ عليه السياق، كأنه قيل: وفُرُش مرفوعة ونساء أو وحور عين، ثم استُؤنِفَ وصفُهن بقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ تتميمًا للبيان زيادةً للترغيب، لا لتعليل الرفع.

وقيل: إنَّ المرجع مضمَرٌ، وتقديرُ المنزل: وفرش مرفوعة لأزواجهم أو لنسائهم، فـ «إنا» إلخ استئناف علَّة للرفع، أي: وفرش مرفوعة لأزواجهم لأنَّا أنشأناهنَّ. والأولُ أوفقُ لبلاغة القرآن العظيم.

والمرادُ بـ «أنشأناهنَّ»: أعَدْنا إنشاءهنَّ من غير ولادةٍ؛ لأنَّ المخبَر عنهنَّ بذلك نساؤكنَّ في الدنيا، فقد أخرج ابن جرير وعبد بن حميد والترمذي وآخرون عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في الآية: «إنَّ المنشآت اللَّاتي كنَّ في الدنيا عجائزَ عمشًا رُمصًا»[٣].

وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم وجماعة عن سلمة بن يزيد[٤] الجعفي قال:

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٠٧.

(٢) الاستخدام: هو أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره مراداً به المعنى الآخر. وأراد به المصنف هنا: إرجاعَ الضمير إلى الفرش بمعنى النساء بعد إرادة معناها المعروف. ينظر حاشية الشهاب ٨/ ١٤٤.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٢٠-٣٢١، وسنن الترمذي (٣٢٩٦)، وعزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٨، وهو من طريق موسى بن عُبيدة عن يزيد الرَّقَاشي عن أنس، قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٤) في الأصل و(م): مرثد، والمثبت من مصادر التخريج.

سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾: «الثيبُ والأبكارُ اللاتي كنَّ في الدنيا»(١).

وأخرج الترمذي في «الشمائل» وابن المنذر وغيرُهما عن الحسن قال: أتَتْ عجوزٌ فقالت: يا رسولَ الله ادعُ اللهَ أنْ يُدخلَني الجنة. فقال: «يا أم فلان إنَّ الجنة لا تدخلُها عجوزٌ» فولَّت تبكي قال: «أخبِرُوها أنَّها لا تدخلُها وهي عجوزٌ، إنَّ الله تعالى يقول: (إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً) إلخ»(٢).

وقال أبو حيان: الظاهرُ أنَّ الإنشاء هو الاختراعُ الذي لم يُسبَق بخَلْق، ويكون ذلك مخصوصًا بالحور العين(٣)، فالمعنى: إنَّا ابتدأناهنَّ ابتداءً جديدًا من غير ولادةٍ ولا خَلْق أول.

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾ تفسيرٌ لِمَا تقدَّم، والجعلُ إما بمعنى التصيير، و«أبكاراً» مفعولٌ ثان، أو بمعنى الخلق، و«أبكارًا» حالٌ أو مفعولٌ ثانٍ، والكلامُ من قبيل: ضيِّق فم الرَّكِيَّة(٤)، وفي الحديث: «إنَّ أهلَ الجنة إذا جامعُوا نساءَهم عُدْنَ أبكارًا» أخرجه الطبراني في «الصغير» والبزار عن أبي سعيد مرفوعًا(٥).

﴿عُرُبًا﴾ متحبِّباتٍ إلى أزواجهنَّ، جمع عَرُوب كصَبُور وصُبُر، وروي هذا عن جماعة من السلف، وفسَّرها جماعةٌ أخرى بغَنِجَات، ولا يخفَى أن الغَنْج ألطفُ أسباب التحبُّب، وعن زيد بن أسلم: العَرُوب الحسنةُ الكلام.

---

(١) المعجم الكبير (٦٣٢١)، وعزاه لابن أبي حاتم ابنُ كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٣٠٧)، والطبري ٢٢/ ٣٢٠، والبيهقي في البعث والنشور (٣٨١).
وفيه جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف.

(٢) الشمائل (٢٣٠)، وعزاه لابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٥٨.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٢٠٧.

(٤) الرَّكِيَّة: البئر، وقولك للحفَّار: ضيِّق فم الركية ووسِّع أسفلها، إنما تريد به الإنشاء على تلك الصفة، لا أن هناك نقل من سعة إلى ضيق ولا من ضيق إلى سعة. البحر ٧/ ٤٥٣.

(٥) المعجم الصغير (٢٤٩)، وكشف الأستار (٣٥٣٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه معلَّى بن عبد الرحمن الواسطي، وهو كذاب.

وفي رواية عن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد: هنَّ العواشقُ لأزواجهنَّ. ومنه على ما قيل قول لبيد:

وفي الخدور عَرُوب غيرُ فاحشةٍ ريَّا الروادفِ يَعْشَى دونَها البصرُ[1]

وفي رواية أخرى عن مجاهد: أنَّهنَّ الغَلِمات اللاتي يشتهينَ أزواجَهن. وأخرج ابن عدي بسند ضعيفٍ عن أنس مرفوعًا: «خيرُ نسائكم العفيفةُ الغلمة»[2].

وقال إسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلي: العَرُوب: الخفرة المتبذِّلة لزوجها، وأنشد:

يعربنَ عند بعولهنَّ إذا خَلَوا وإذا هم خَرجُوا فهنَّ خفار[3]

ويرجع هذا إلى التحبُّب، وأخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾: «كلامُهنَّ عربيٌّ»[4]، ولا أظنُّ لهذا صحة؛ والتفسيرُ بالمتحبِّبات هو الذي عليه الأكثر.

وقرأ حمزة وجماعة منها عباس والأصمعيُّ عن أبي عمرو، وأخرى منها خارجة وكردم عن نافع، وأخرى منها حماد وأبو بكر وأبان عن عاصم: «عُرْبًا» بسكون الراء وهي لغة تميم[5]، وقال غيرُ واحد: هي للتخفيف كما في عُنُق وعُنْق.

---

(١) شرح ديوان لبيد ص٦١، وفيه: الحُدُوج، بدل: الخدور.

(٢) الكامل ٣/ ١٠٦٠ في ترجمة زيد بن جبيرة الأنصاري، وقال ابن عدي: وعامة ما يرويه عمّن روى عنهم لا يتابعه عليه أحد. وفي الميزان ٢/ ٩٩: قال البخاري وغيره: متروك، وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٨/ ٢٤٣، وذكره المزي في تهذيب الكمال ٢/ ٤٤٣، وفي (م): يعرين، بدل: يعربن.
والبيت للفرزدق، وهو في ديوانه ١/ ٣٧١، بلفظ: يأنسْنَ عند بعولهن إذا التقوا...

(٤) الدر المنثور ٦/ ١٥٩، وعزاه لابن أبي حاتم أيضاً ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وابن حجر في الفتح ٦/ ٣٢٢، وفيهما: ... عن أبيه عن جده. وقال الحافظ ابن حجر: وهو ضعيف منقطع.

(٥) قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصم في التيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٢١٦، والكلام من البحر المحيط ٨/ ٢٠٧.

﴿أَتۡرَابٗا﴾ مستوياتٍ في سنٍّ واحد كما قال أنس وابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم، كأنَّهنَّ شُبِّهنَ في التساوي بالترائب التي هي ضلوعُ الصدر، أو كأنَّهنَّ وقَعْنَ معاً في التراب، أي: الأرض. وهنَّ بناتُ ثلاثٍ وثلاثين سنة وكذا أزواجهنَّ.

وأخرج الترمذي عن معاذ مرفوعًا: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جردًا مردًا مكحَّلين أبناءَ ثلاثين، أو ثلاثٍ وثلاثين»[(١)]. والمراد بذلك كمالُ الشباب.

وقوله تعالى: ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨﴾ متعلِّق بـ «أنشأنا» أو بـ «جعلنا». وقيل: متعلِّق بـ «أترابًا» كقولك: فلانٌ تِربٌ لفلان، أي: مساوٍ له، فهو محتاجٌ إلى التأويل. وتُعقِّب بأنَّه مع هذا ليس فيه كثيرُ فائدةٍ، وفيه نظر.

وقيل: بمحذوف هو صفة لـ «أبكارًا»، أي: كائنات لأصحاب اليمين، وفيه إقامةُ الظاهر مقامَ الضمير لطول العهد، أو للتأكيد والتحقيق.

وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هم ثُلَّةٌ، أو خبرٌ ثانٍ لـ «هم» المقدَّر مبتدأ مع «في سدر»، أو لـ «أصحاب اليمين» في قوله تعالى: (وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ) أو مبتدأ خبرُه محذوف، أي: منهم، أو مبتدأ خبرُه الجارُّ والمجرور قبله، احتمالاتٌ اعتُرض الأخير منها بأنَّ المعنى عليه غيرُ ظاهرٍ ولا طلاوةَ فيه، وجَعْلُ اللام بمعنى «مِن» كما في قوله:

ونحنُ لكم يومَ القيامة أفضلُ[(٢)]

لا يخفى حاله.

والأولون والآخرون: المتقدِّمون والمتأخِّرون؛ إما من الأمم وهذه الأمة، أو من هذه الأمة فقط على ما سمعتَ فيما تقدَّم.

---

(١) سنن الترمذي (٢٥٤٥)، وأخرجه أحمد (٢٢١٠٦).

(٢) عجز بيت لجرير وصدره: لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم، وهو في ديوانه ١/ ١٤٣.

هذا ولم يقل سبحانه في حقِّ أصحاب اليمين: «جزاء بما كانوا يعملون» كما قاله عز وجل في حقِّ السابقين رمزًا إلى أنَّ الفضل في حقِّهم متمحِّضٌ، كأنَّ عملَهم لقصوره عن عمل السابقين لم يُعتَبر اعتبارَه.

ثم الظاهرُ أنَّ ما ذكر من حال أصحاب اليمين هو حالهم الذي ينتهون إليه، فلا ينافي أنْ يكونَ منهم مَن يُعذَّب لمعاصٍ فعلَها ومات غيرَ تائبٍ عنها ثم يدخلُ الجنة، ولا يمكنُ أنْ يقال: إنَّ المؤمنَ العاصي من أصحاب الشمال؛ لأنَّ صريحَ أوصافهم الآتية يقتضي أنَّهم كانوا كافرين، ويلزم من جَعْل هذا قسمًا على حِدَةٍ كونُ القسمة غيرَ مستوفاةٍ فليتأمل، والله تعالى أعلم.

والكلام في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ﴾ على نمط ما سلف في نظيره، والسَّمُوم قال الراغب: الريح الحارَّة التي تؤثِّر تأثيرَ السُّمِّ[1]. وفي «الكشاف»: حرُّ نارٍ ينفذُ في المسامِّ[2]. والتنوين للتعظيم وكذا في قوله تعالى: ﴿وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ وهو الماءُ الشديدُ الحرارة.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ أي: دخان أسود كما قال ابن عباس وأبو مالك وابن زيد والجمهور، وهي على وزن يَفْعُول، وله نظائر قليلة، من الحُمَمَة[3]: القطعةُ من الفحم، وتسميتُه ظلًّا على التشبيه التهكُّمي.

وعن ابن عباس أيضًا أنَّه سُرادقُ النار المحيطُ بأهلها يرتفعُ من كلِّ ناحيةٍ حتى يُظلَّهم.

وقال ابن كيسان: هو من أسماء جهنَّم؛ فإنَّها سوداء، وكذا كلُّ ما فيها أسودُ بهيمٌ، نعوذ بالله تعالى منها.

وقال ابن بريدة وابن زيد أيضًا: هو جبلٌ في النار أسودُ يفزع أهلُ النار إلى ذُرَاه فيجدونه أشدَّ شيء.

---

(١) مفردات الراغب (سم).
(٢) الكشاف ٤/ ٥٥.
(٣) في هامش الأصل: بضم الحاء المهملة وبميمَين مفتوحتين تليها تاء التأنيث. اهـ منه.

والجارُّ والمجرور في موضع الصفة لـ «ظل»، وكذا قوله سبحانه: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ صفتان له، وتقديمُ الصفةِ الجارِّ والمجرور على الصفة المفردة جائزٌ كما صرَّح به الرضي وغيرُه، أي: لا باردٍ كسائر الظلال، ولا نافع لمن يأوي إليه من أَذَى الحرِّ، وذلك كرمه، فهناك استعارةٌ. ونَفَى ذلك ليمحَقَ توهُّم ما في الظل من الاسْتِرْواح إليه وإنْ وُصِف أولًا بقوله تعالى: ﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾ والمعنى: أنَّه ظلٌّ حارٌّ ضارٌّ، إلا أنَّ للنفي شأنًا ليس للإثبات، ومن ذلك جاء التهكُّم والتعريض بأنَّ الذي يستأهل الظلَّ الذي فيه بردٌ وإكرام غيرُ هؤلاء، فيكون أشجَى لحلوقهم وأشدَّ لتحسُّرهم.

وقيل: الكرمُ باعتبار أنَّه مرضيٌّ في بابه، فالظلُّ الكريم هو المرضي في بَرْده ورَوْحه. وفيه أنَّه لا يلائم ما هنا؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾.

وجوز أنْ يكونَ ذلك نفيًا لكرامة مَن يسْتَروِحُ إليه، ونُسِب إلى الظلِّ مجازًا، والمراد: أنَّهم يستظلُّون به وهم مهانُون، وقد يُحتَملُ المجلسُ الرديء لِنيل الكرامة.

وفي «البحر»: يجوز أنْ يكونا صفتَين لـ «يَحْموم»، ويلزمُ منه وصفُ الظلِّ بهما[(١)].

وتُعقِّبَ بأنَّ وصْفَ اليحموم ـ وهو الدخان ـ بذلك ليس فيه كبيرُ فائدةٍ.

وقرأ ابن أبي عبلة: «لا باردٌ ولا كريمٌ» برفعهما[(٢)]، أي: لا هو باردٌ ولا كريمٌ، على حدِّ قوله:

فـأبِـيـتُ لا حَـرِجٌ ولا مـحـرُومُ[(٣)]

أي: لا أنا حرِجٌ ولا محرومٌ.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٠٩.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٠٩.
(٣) وصدره: ولقد أكون من الفتاة بمنزل، والبيت للأخطل وهو في ديوانه ص٨٤.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ تعليلٌ لابتلائهم بِما ذُكر من العذاب، وسلك هذا المسلكَ في تعليل الابتداء بالعذاب اهتمامًا بدفع توهُّم الظلم في التعذيب، ولمَّا كان إيصالُ الثواب مما ليس فيه توهُّمُ نقصٍ أصلًا لم يسلك فيه نحو هذا.

والمترفُ هنا بقرينة المقام هو المتروك يصنعُ ما يشاء لا يُمنَع، والمعنى: إنَّهم عُذِّبوا لأنَّهم كانوا قبلَ ما ذكرَ من العذاب في الدنيا متَّبعين هوَى أنفسِهم، وليس لهم رادعٌ منها يردعُهم عن مخالفة أوامره عز وجل، وارتكابِ نواهيه سبحانه. وكذا قيل.

وقيل: هو العاتي المستكبرُ عن قبول الحقِّ والإذعان له، والمعنى: إنَّهم عُذِّبوا لأنَّهم كانوا في الدنيا مستكبرين عن قبول ما جاءتهم به رسُلُهم من الإيمان بالله عز وجل، وما جاء منه سبحانه.

وقيل: هو الذي أترفَتْه النعمةُ، أي: أبطَرَتْه وأطغَتْه. وقريبٌ منه ما قيل: هو المنعَّم المنهمِكُ في الشهوات، وعليه قول أبي السعود: أي: إنَّهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعَّمين بأنواع النعم من المآكل والمشاربِ والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة، منهمكين في الشهوات، فلا جَرَم عُذِّبوا بنقائضها[1].

وتُعقِّبَ بأنَّ كثيرًا من أهل الشمال ليسوا مترَفين بالمعنى الذي اعتبره، فكيف يصحُّ تعليلُ عذابِ الكلِّ بذلك؟ ولا يَرِدُ هذا على ما قدَّمناه من القولَين كما لا يخفى.

ومن الناس مَن فسَّر المترف بما ذكر وتَفَصَّى عن الاعتراض بأنَّ تعليلَ عذاب الكلِّ بما ذكر في حيِّز العلة لا يستدعي أنْ يكونَ كلٌّ من المذكورات موجودًا في كلٍّ من أصحاب الشمال، بل وجودُ المجموعِ في المجموع، وهذا لا يضرُّ فيه اختصاصُ البعضِ بالبعض، فتأمَّلْه.

(١) تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٤-١٩٥.

وقيل: المترفُ المجعول ذا تُرْفَة، أي: نعمةٍ واسعةٍ، والكلُّ مترفون بالنسبة إلى الحالة التي يكونون عليها يوم القيامة. وهو ـ على ما فيه ـ لا يظهرُ أمرُ التعليل عليه.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ يتشدَّدون ويمتنعون من الإقلاع ويُداومون ﴿عَلَى الْحِنثِ﴾ أي: الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ وفسَّر بعضُهم «الحنث» بالذنب العظيم لا بمطلَق الذنب، وأيد بأنَّه في الأصل العدل العظيم، فوصفه بـ «العظيم» للمبالغة في وَصْفه بالعِظَم، كما وُصِف الطَّوْدُ[1] ـ وهو الجبل العظيم ـ به أيضًا.

والمرادُ به كما روي عن قتادة والضحاك وابن زيد: الشركُ، وهو الظاهر، وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي: أنَّ المرادَ به الكبائر[2]. وكأنَّه جَعَل المعنى: وكانوا يُصرُّون على كل حنثٍ عظيم. وفي روايةٍ أخرى عنه: أنَّه اليمينُ الغموسُ[3]. وظاهرُه الإطلاق.

وقال التاج السبكي في «طبقاته»: سألتُ الشيخَ ـ يعني والدَه تقي الدين ـ: ما الحنثُ العظيم؟ فقال: القَسَمُ على إنكار البعثِ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]. وهو تفسيرٌ حسنٌ لأنَّ الحنثَ وإنْ فُسِّر بالذنب مطلقًا أو العظيم، فالمشهورُ استعمالُه في عدم البِرِّ في القَسَم[4].

وتعقَّبَ بأنَّه يأباه قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ إلى آخره؛ للزوم التكرار.

وأُجيبَ بأنَّ المرادَ بالأول وصفُهم بالثبات على القَسَم الكاذب، وبالثاني وصفُهم بالاستمرار على الإنكار، والرمزُ إلى استدلالٍ ظاهرِ الفسادِ، مع أنَّه لا محذورَ في تكرار ما يدلُّ على الإنكار، وهو توطئةٌ وتمهيدٌ لبيان فساده.

---

(١) في الأصل: الطور، والمثبت من (م) وحاشية الشهاب ٨/ ١٤٤.
(٢) عزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٠.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٥٧.
(٤) الطبقات الكبرى ١٠/ ٢٨٢.

والمرادُ بقولهم: «كنا ترابًا وعظامًا»: كان بعضُ أجزائنا من اللحم والجلد ونحوهما ترابًا وبعضُها عظامًا نخرة. وتقديمُ التراب لأنَّه أبعدُ عن الحياة التي يقتضيها ما هم بصَدَد إنكارِه من البعث.

و«إذا» متمحِّضة للظرفية، والعاملُ فيها ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ - لا «مبعوثون» نفسه، لتعدُّد ما يمنعُ من عمل ما بعده فيما قبله[1] - وهو: نُبْعَث، وهو المرجع للإنكار، وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به، فإنَّهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدنُ على حاله، [بل][2] لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافيةٍ له بالكلية، وهذا كالاستدلال على ما يزعمونَه.

وتكريرُ الهمزة لتأكيد النكير، وتحليةُ الجملة بـ «إنَّ» لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد.

وقوله سبحانه: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عطفٌ على محل «إنَّ» واسمها، أو على الضمير المستتر في «مبعوثون» وحَسُنَ للفصل بالهمزة وإن كانت حرفًا واحدًا كما قال الزمخشري[3]، ولا يضرُّ عملُ ما قبل هذه الهمزة في المعطوف بعدها؛ لأنَّها مكررةٌ للتأكيد، وقد زُحلقَت عن مكانها، وقولهم: الحرفُ إذا كرِّر للتأكيد فلا بدَّ أنْ يُعاد معه ما اتَّصل به أولًا أو ضميره[4] لا يُسلَّم اطِّرادُه؛ لورود:

ولا لِـلِـمَـا بـهـم أبـدًا دواءُ[5]

وأمثالِه. وجوز أن يكون «آباؤنا» مبتدأ وخبرُه محذوفٌ دلَّ عليه ما قبل، أي: مبعوثون، والجملةُ عطفٌ على الجملة السابقة، وهو تكلُّف يُغني عنه العطفُ

(١) وهو الفصل بـ «إنَّ» وبالهمزة، وكلٌّ منهما يستحق الصدارة المانعة عن عمل ما بعده فيما قبله. حاشية الشهاب ٨/ ١٤٥.
(٢) مابين حاصرتين من تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٥، والكلام منه.
(٣) الكشاف ٤/ ٥٥.
(٤) في الأصل و(م): ضمير، والمثبت من حاشية الشهاب ٨/ ١٤٥.
(٥) عجز بيت، وصدره: فلا والله لا يُلْفَى لما بي، وهو لمسلم بن معبد الوالبي كما في خزانة الأدب ٢/ ٣٠٨، وسلف ١/ ١٨١.

المذكور، والمعنى: أيُبعَثُ أيضًا آباؤنا، على زيادة الاستبعاد، يعنونَ أنَّهم أقدمُ فبعثُهم أبعدُ وأبطلُ.

وقرأ قالون وابن عامر: «أَوْ آباؤنا» بإسكان الواو[1]، وعلى هذه القراءة لا يُعطَفُ على الضمير إذ لا فاصلَ.

﴿قُلْ﴾ ردًّا لإنكارهم وتحقيقًا للحقِّ: ﴿إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ﴾ من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم، وتقديمُ «الأولين» للمبالغة في الردِّ حيث كان إنكارُهم لبعث آبائهم أشدَّ من إنكارهم لبعثهم، مع مراعاة الترتيب الوجودي ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ بعد البعث، وقرئ: «لَمُجْمَعُون»[2].

﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم القيامة، ومعنى كونِهِ معلومًا كونُه معيَّنًا عند الله عز وجل، والميقاتُ ما وقِّت به الشيء، أي: حُدَّ، ومنه مواقيت الإحرام، وهي الحدود التي لا يتجاوزُها مَن يريد دخولَ مكة إلا مُحْرِمًا، وإضافته إلى «يوم» بيانية كما في: خاتم فضة، وكون يوم القيامة ميقاتًا؛ لأنَّه وُقِّتَ به الدنيا، و«إلى» للغاية والانتهاء، قيل[3]: والمعنى: لمجموعون منتهين إلى ذلك اليوم، وقيل: ضُمِّن معنى السَّوق فلذا تعدَّى بها.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عطف على «إنَّ الأولين» داخلٌ في حيِّز القول، و«ثم» للتراخي الزماني أو الرُّتْبي ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث، أو بما يعمُّه وغيرَه، ويدخل هو دخولًا أوليًّا للسياق على ما قيل، والخطابُ لأهل مكة وأضرابهم.

﴿لَآكِلُونَ﴾ بعد البعث والجَمْعِ ودخولِ جهنم ﴿مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ «مِن» الأُولَى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الشجر، وتفسيرُه، أي: مبتدؤون للأكل من شجر هو زقُّوم، وجوِّز كونُ الأولى تبعيضية و«مِن» الثانية على حالها، وجوِّز كونُ «مِن زقوم» بدلًا من قوله تعالى: «مِن شجر» فـ «مِن» تحتمل الوجهَين، وقيل: الأُولى زائدة.

(١) التيسير ص١٨٦، والنشر ٢/ ٣٥٧، وقرأ بها أبو جعفر.
(٢) القراءات الشاذة ص١٥٢.
(٣) في (م): وقيل.

وقرأ عبد الله: «مِن شجرة»[١] فوجه التأنيث ظاهرٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: بطونكم من شدَّة الجوع، فإنَّه الذي اضطرهم وقَسَرهم على أكل مثلها مما لا يُؤكَل، وأما على قراءة الجمهور فوجهُه الحملُ على المعنى؛ لأنَّه بمعنى الشجرة، أو الأشجار إذا نُظِرَ لصدقه[٢] على المتعدِّد. وأما التذكير على هذه القراءة في قوله سبحانه: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: عقيب ذلك بلا ريث ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: الماء الحارِّ في الغاية لغلبة العطش = فظاهرٌ لا يحتاج إلى تأويل.

وقال بعضهم: التأنيث أولًا باعتبار المعنى، والتذكيرُ ثانيًا باعتبار اللفظ. فقيل عليه: إنَّ فيه اعتبارَ اللفظ بعد اعتبار المعنى على خلاف المتعارفِ، فلو أُعيدَ الضميرُ المذكَّر على الشجر باعتبار كونه مأكولًا ليكونَ التذكيرُ والتأنيثُ باعتبار المعنى كان أولَى. وفيه بحثٌ.

ووجهُهُ على القراءة الثانية أنَّ الضميرَ عائدٌ على الزقوم، أو على الشجر[٣] باعتبار أنَّها زقومٌ أو باعتبار أنَّها مأكول.

وقيل: هو مطلقًا عائدٌ على الأكل، وتعقِّب بأنَّه بعيدٌ لأنَّ الشربَ عليه لا على تناوله، مع ما فيه من تفكيك الضمائر، وكونُه مجازًا شائعًا وغيرَ مُلْبِسٍ لا يدفعُ البعد، فتأمل.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك جمع أَهْيَم، وهو الجملُ الذي أصابه الهُيام بضم الهاء، وهو داءٌ يشبه الاستسقاء يُصيبُ الإبل فتشرب حتى تموتَ، أو تسقم سُقْمًا شديدًا، ويقال: إبلٌ هَيْماء وناقةٌ هيماء، كما يقال: جملٌ أهْيَم؛ قال الشاعر:

فأصبحتُ كالهيماءِ لا الماءُ مُبرِدٌ ... صداها، ولا يَقْضي عليها هُيامُها[٤]

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٧، والبحر المحيط ٨/ ٢١٠.

(٢) في حاشية الشهاب ٨/ ١٤٥ (والكلام منه): لصدقها.

(٣) كذا في الأصل و(م)، ولعل الصواب: الشجرة. ينظر الكشاف ٤/ ٥٥-٥٦.

(٤) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/ ١٠٠٠، وتفسير البيضاوي ٨/ ١٤٦، وفي الديوان: مبرئ، بدل: مبرد.

وجَعَل بعضُهم «الهيم» هنا جمع الهيماء، وقيل: هو جمع هائم أو هائمة، وجمع فاعل على فعل كبازل وبزل شاذٌّ. وعن ابن عباس أيضًا وسفيان: «الهيم» الرِّمال التي لا تَرْوَى من الماء لتَخَلْخُلها، ومفردُه هَيَام بفتح الهاء على المشهور كسَحَاب وسُحُب، ثم خُفِّف وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجَمْع «أبيض» من قلب الضمة كسرةً لتسلَمَ الياءُ ويخفَّ اللفظ، فكُسِرت الهاء لأجل الياء، وهو قياسٌ مطَّردٌ في بابه.

وقال ثعلب: هو بالضمِّ كقُراد وقُرُد، ثم خُفِّف وفُعِل به ما فُعل مما سمعتَ.

والعطف بالفاء قيل: لأنَّ الإفراط بعد الأصلي، وقيل: لأنَّ كلًّا من المتعاطفَين أخصُّ من الآخر، فإنَّ شارب الحميم قد لا يكونُ به داء الهُيام، ومَن به داء الهُيام قد يشربُ غيرَ الحميم، والشربُ الذي لا يُحصِّلُ الريَّ ناشئٌ عن شرب الحميم؛ لأنَّه لا يبلُّ الغليل.

والذي أختاره ما قالَه مفتي الديار الرومية: إنَّ ذلك كالتفسير لِمَا قبلَه، أي: لا يكونُ شربُكم شربًا معتادًا بل يكونُ مثلَ شُربِ الهيم(١).

والشُّرب بالضم مصدر، وقيل: اسمٌ لِمَا يُشرَب، وقرأ رسول الله ﷺ، كما روى جماعة منهم الحاكم وصححه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «شَرْبَ» بفتح الشين(٢)، وهو مصدر شَرِب المقيس، وبذلك قرأ جمعٌ من السبعة والأعرج وابن المسيب وشعيب ومالك بن دينار وابن جريج(٣).

وقرأ مجاهد وأبو عثمان النهدي بكسر الشين(٤)، وهو اسمٌ بمعنى المشروب، لا مصدر كالطِّحْن والرِّعي.

﴿هَٰذَا﴾ الذي ذُكِرَ من ألوان العذاب ﴿نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء، فإذا كان ذلك

---

(١) تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٦.

(٢) المستدرك ٢/ ٢٥٠، وفيه سلام بن سليمان المدايني، قال الذهبي في التلخيص: سلام ضعيف.

(٣) التيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٢٨٣، عن ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو والكسائي من السبعة، وهي قراءة يعقوب وخلف من العشرة، والكلام من البحر المحيط ٨/ ٢١٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧، والبحر المحيط ٨/ ٢١٠.

نُزُلهم - وهو ما يُقدَّم للنازل مما حضر - فما ظنُّك بما لهم بعد ما استقرَّ لهم القرار، واطمأنت لهم الدار في النار؟

وفي جعله نُزُلًا - مع أنَّه مما يُكرَم به النازل - من التهكُّم ما لا يخفَى، ونظير ذلك قوله:

وكنَّا إذا الجبَّارُ بالجيش ضافَنَا جعلنا القَنَا والمرهفاتِ له نُزْلا[1]

وقرأ ابن محيصن وخارجة عن نافع ونعيم ومحبوب وأبو زيد وهارون وعصمة وعباس كلهم عن أبي عمرو: «نُزْلهم» بتسكين الزاء المضمومة[2] للتخفيف كما في البيت.

والجملةُ مسوقة من جهته سبحانه وتعالى بطريق الفَذْلكةِ مقرِّرة لمضمون الكلام الملقن، غير داخلةٍ تحت القول.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ تلوينٌ للخطاب، وتوجيهٌ له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت، والفاءُ لترتيب التحضيض على ما قبلها، أي: فهلَّا تصدِّقون بالخلق، بقرينة «نحن خَلقْناكم» ولمَّا لم يُحقِّق تصديقَهم المشعِرَ به قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] عَمَلُهم، حيث لم يقترن بالطاعة والأعمال الصالحة، بل اقترَنَ بما يُنبِئُ عن خلافه من الشرك والعصيان، نُزِّلَ منزلَة العدم والإنكار، فحُضُّوا على التصديق بذلك.

وقيل: المرادُ: فهلا تصدِّقون بالبعث، لتقدُّمه، وتقدَّم إنكارُه في قولهم: «أئنا لمبعوثون» فيكون الكلامُ إشارةً إلى الاستدلال بالإبداء على الإعادة، فإنَّ مَن قَدَرَ عليه قَدَرَ عليها حتمًا.

والأوَّل هو الوجهُ، كما يظهرُ مما بعد إن شاء الله تعالى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: ما تقذِفونه في الأرحام من النُّطف، وقرأ ابن عباس

---

(١) البيت لأبي الشعر الضبي كما في الكشاف ٤/ ٥٦، وسلف ٥/ ٢٣٥.

(٢) القراءات الشاذة ص١٥١، والقرطبي ٢٠/ ٢٠٦، والبحر المحيط ٨/ ٢١٠.

وأبو السَّمَّال: «تَمنون» بفتح التاء[1]، من مَنَى النطفةَ بمعنى أمناها، أي: أزالها بدفع الطبيعة.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: تقدِّرونه وتصوِّرونه بشرًا سويًّا تامَّ الخِلْقة، فالمرادُ خَلْق ما يحصل منه، على أنَّ في الكلام تقديرًا أو تجوُّزًا، وجوِّز إبقاء ذلك على ظاهره، أي: أأنتم تخلقونَه وتُنشئون نفسَ ذات ما تُمنونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ له من غير دَخْل شيء فيه.

و«أرأيتم» قد مرَّ الكلامُ غير مرَّةٍ فيه، ويقال هنا: إنَّ اسم الموصولِ مفعولُه الأولُ، والجملة الاستفهامية مفعوله الثاني، وكذا يقال فيما بعدُ مِن نظائره، وما يُعتَبر فيه الرؤيةُ بصريةً تكونُ الجملة الاستفهامية فيه مستأنفةً لا محلَّ لها من الإعراب.

وجوز في «أنتم» أن يكون مبتدأ، والجملةُ بعده خبرُه، وأنْ يكون فاعلًا لفعل محذوف، والأصل: أتخلقونه[2]، فلمَّا حذف الفعل انفصَل الضميرُ، واختاره أبو حيان[3].

و«أم» قيل: منقطعة لأنَّ ما بعدَها جملةٌ، فالمعنى: بل أنحنُ الخالقون، على أنَّ الاستفهامَ للتقرير، وقال قوم من النحاة: متَّصلةٌ معادلة للهمزة، كأنَّه قيل: أأنتم تخلقُونه أم نحنُ، ثم جيء بـ «الخالقون» بعدُ بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالةً.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ قسَمناه عليكم ووقَّتنا موتَ كلِّ أحدٍ بوقت معيَّن حسبما تقتضيه مشيئتُنا المبنية على الحكم البالغة.

وقرأ ابن كثير: «قَدَرْنا» بالتخفيف[4].

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥١، والكشاف ٤/ ٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨، والبحر المحيط ٨/ ٢١١.

(٢) في الأصل و(م): أتخلقون، والمثبت من البحر ٨/ ٢١١، والدر المصون ١٠/ ٢١٤.

(٣) في البحر المحيط ٨/ ٢١١.

(٤) التيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٢٨٣.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لا يغلبنا أحدٌ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: على أنْ نُذهِبَكم ونأتيَ مكانَكم أشباهَكم من الخلق، فالسبقُ مجازٌ عن الغلبة، استعارةٌ تصريحية أو مجاز مرسَل عن لازمه، وظاهرُ كلام بعض الأجلة: أنَّه حقيقةٌ في ذلك إذا تعدَّى بـ «على». والجملةُ في موضع الحال من ضمير «قَدَّرنا»، وكأنَّ المراد: قدَّرنا ذلك ونحن قادرون على أنْ نُميتَكم دفعةً واحدةً ونخلُقَ أشباهَكم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الخلق والأطوار التي لا تعهدونها، وقال الحسنُ: من كونكم قردةً وخنازيرَ، ولعل اختيارَ ذلك لأنَّ الآيةَ تنحو إلى الوعيد، والمرادُ: ونحن قادرون على هذا أيضًا.

وجوِّز أن يكون «أمثالكم» جمعَ مَثَل بفتحتين بمعنى الصفة، لا جمع مِثْل بالسكون بمعنى الشبه كما في الوجه الأول، أي: ونحن نقدرُ على أن نغيِّر صفاتكم التي أنتم عليها خَلْقًا وخُلُقًا، ونُنشئَكم في صفات لا تعلمونَها.

وقيل: المعنى: ونُنشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا.

وقيل: المعنى: وما يسبقنا أحدٌ فيهرب من الموت أو يغيِّر وقتَه الذي وقَّتناه، على أنَّ المراد تمثيلُ حال مَن سَلِمَ من الموت أو تأخَّر أجلُه عن الوقت المعيَّن له بحالِ مَن طلبه طالبٌ فلم يلحقه وسبقَه، وقوله تعالى: (عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ) إلخ في موضع الحال من الضمير المستتر في «مسبوقين» أي: حال كوننا قادرين أو عازمين على تبديل أمثالكم، والجملةُ السابقةُ على حالها.

وقال الطبري: «على أن نبدِّل» متعلِّقٌ بـ «قدَّرنا» وعلة له، وجملة «وما نحن بمسبوقين» اعتراضٌ، والمعنى: نحن قدَّرنا بينكم الموتَ لأنْ نبدِّل أمثالَكم، أي: نميتُ طائفة ونبدِّلها بطائفة، هكذا قَرْنًا بعد قَرْن[1].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ مِن خَلْقكم من نُطفة، ثم مِن علقَة، ثم من مضغة.

وقال قتادة: هي فطرةُ آدمَ عليه السلام من التراب، ولا ينكرها أحدٌ من ولده.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٢/ ٢٤٦، والبحر المحيط ٨/ ٢١١.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فهلَّا تتذكرون أنَّ مَن قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدَرُ وأقدَرُ، فإنَّها أقلُّ صنعًا لحصول الموادِّ[١] وتخصيصِ الأجزاء وسبقِ المثال، وهذا ـ على ما قالوا ـ دليلٌ على صحة القياس، لكن قيل[٢]: لا يدلُّ إلا على قياس الأَوْلَى، لأنَّه الذي في الآية، وفي الخبر: عَجَبًا كلَّ العجب للمكذِّب بالنشأة الآخرة وهو يَرَى النشأةَ الأُولَى، وعَجَبًا للمصدِّق بالنشأة الآخرة وهو يسعَى لدار الغرور[٣].

وقرأ طلحة: «تَذْكُرون» بالتخفيف وضم الكاف[٤].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ما تبذُرُون حَبَّه وتعملون في أرضه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تُنبتُونه وتردُّونه نباتًا يَرِفُّ وينمي إلى أنْ يبلغَ الغاية ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أي: المنبتون لا أنتم، والكلامُ في «أنتم» و«أم» كما مرَّ آنفًا.

وأخرج البزار وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في «شعب الإيمان» وضعَّفه، وابن حبان كما قال الخفاجي عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقولَنَّ أحدُكم: زَرَعْتُ، ولكن ليقل: حَرَثْتُ» ثم قال أبو هريرة ﵁: ألم تسمَعُوا الله تعالى يقول: (أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ❁ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ)»[٥]، يشيرُ ﵁ إلى أنَّه عليه الصلاة والسلام أخذَ النهيَ من هذه الآية، فإنَّه أسند الحرثَ إلى المخاطبين دون الزرع.

وقال القرطبيُّ: إنَّه يستحبُّ للزارع أن يقولَ بعد الاستعاذة وتلاوة هذه الآية: اللهُ تعالى الزارعُ والمنبِتُ والمبلغُ، اللهم صلِّ على محمد، وارزقنا ثمَرَه وجنِّبنا ضرَرَه،

---

(١) في الأصل: المراد، والمثبت من (م) وتفسير أبي السعود ٨/ ١٩٧، والكلام منه.
(٢) قوله: قيل، ليس في الأصل.
(٣) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٣٢٨ عن علي بن الحسين بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨، والبحر المحيط ٨/ ٢١١.
(٥) كشف الأستار (١٢٨٩)، وتفسير الطبري ٢٢/ ٣٤٨، وحلية الأولياء ٨/ ٢٦٧، وشعب الإيمان (٥٢١٧-٥٢١٨)، وصحيح ابن حبان (٥٧٢٣)، وحاشية الشهاب ٨/ ١٤٧، وعزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٠-١٦١.

واجعلنا لأَنْعُمِكَ من الشاكرين. قيل: وقد جرِّب هذا الدعاءُ لدفع آفاتِ الزرع كلِّها وإنتاجه[١].

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيمًا متكسِّرًا متفتّتًا لشدَّة يُبْسه بعدما أنبتناه، وصار بحيث طمعتُم في حيازة غِلاله. ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون من سوء حاله إثرَ ما شاهدتُموه على أحْسَن ما يكونُ من الحال، على ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وقال الحسن: تندَمُون، أي: على ما تعبتُم فيه وأنفقتُم عليه من غير حصول نَفْع، أو على ما اقترفتُم لأجله من المعاصي.

وقال عكرمة: تلاوَمُون على ما فعلتُم.

وأصل التفكُّه التنقُّل بصنوف الفاكهة، واستُعير للتنقل بالحديث، وهو هنا ما يكونُ بعد هلاكِ الزرع، وقد كنى به في الآية عن التعجُّب أو الندم أو التلاوم على اختلاف التفاسير.

وفي «البحر»: كلٌّ ذلك تفسيرٌ باللازم، ومعنى «تفكهون» تطرحون الفُكاهةَ عن أنفسكم، وهي المسرَّة، ورجلٌ فَكِهٌ: منبَسِطُ النفس غيرُ مكترثٍ بشيء، وتفكَّه من أخوات تحرَّج وتحوَّب[٢]، أي أنَّ التفعُّل فيه للسلب.

وقرأ أبو حيوة وأبو بكر في رواية العتكي عنه: «فظِلْتُم» بكسر الظاء كما قالوا: مِسْتُ بالكسر ومَسْتُ بالفتح، وحكاها الثوري عن ابن مسعود، وجاءت عن الأعمش، وقرأ عبد الله والجحدري: «فظَلِلتم» بلامَين أولاهما مكسورة، وقرأ الجحدري أيضًا كذلك مع فتح اللام، والمشهور ظَلِلْتُ بالكسر[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٠، ونقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في حاشيته ٨/ ١٤٧.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٢١١.
(٣) تنظر هذه القراءات في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩، والبحر المحيط ٨/ ٢١١-٢١٢.

وقرأ أبو حزام: «تفكَّنُون» بالنون بدل الهاء، قال ابن خالويه: تفكَّه بالهاء تعجَّب، وتفكَّن بالنون تندَّم[١].

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ أي: معذَّبون مهلكون، من الغرام وهو الهلاك، قال الشاعر:

إنْ يُعذِّب يكن غرامًا وإن يُعـ ... ـطِ جزيلًا فإنَّه لا يُبالي[٢]

والمرادُ: مهلكون بهلاك رزقنا، وقيل: بالمعاصي، أو ملزمون غرامةً بنقص رزقنا، وقرأ الأعمش والجحدري وأبو بكر: «أئنا» بالاستفهام والتحقيق[٣]، والجملةُ على القراءتَين بتقدير قول، هو في حيِّز النصب على الحالية من فاعل «تفكَّهون»، أي: قائلين ـ أو تقولون ـ ذلك.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾ محدودون لا مجدودون[٤]، أو محرومون الرزقَ، كأنَّهم لمَّا قالوا: إنَّا مُهلَكون لهلاك رزقنا، أضربُوا عنه وقالوا: بل هذا أمرٌ قُدِّر علينا لنحوسة طالعنا وعدم بَخْتِنا، أو لمَّا قالوا: إنَّا ملزمون غرامةً بنقص أرزاقنا، أضربوا فقالوا: بل نحن محرمون الرزقَ بالكلية.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨﴾ عذبًا فراتًا، وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعِهِ؛ لأنَّ الشربَ أهمُّ المقاصد المنوطة به.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي: السحاب، واحدتُه مُزْنة، قال الشاعر:

فلا مُزْنة ودَقَت وَدْقَها ... ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها[٥]

وقيل: هو السحابُ الأبيضُ وماؤه أعذبُ.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥١، والبحر المحيط ٨/ ٢١٢.

(٢) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٥٩، وسلف ١٩/ ١٠٣.

(٣) قراءة أبي بكر في التيسير ص٢٠٧، والنشر ١/ ٣٧٢، وقراءة الأعمش والجحدري في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩، والبحر المحيط ٨/ ٢١٢.

(٤) الأولى بالمهملة من الحد بمعنى المنع، والثانية بالجيم من الجدّ، وهو البخت. حاشية الشهاب ٨/ ١٤٧.

(٥) البيت لعامر بن جوين الطائي كما في الكتاب ٢/ ٤٦، ومجاز القرآن ٢/ ٦٧، وخزانة الأدب ١/ ٤٥، الودق: المطر، وأبقل: أي: نبت بقله.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ له بقُدْرَتنا.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ملحًا ذُعاقًا لا يمكن شُربه، من الأجيج: وهو تلهُّبُ النار، وقيل: الأُجاج كلُّ ما يلذعُ الفم ولا يمكن شُربُه، فيشملُ الملح والمرَّ والحارَّ، فإما أنْ يُرادَ ذلك، أو الملحُ بقرينة المقام. وحُذفَت اللام من جواب «لو» هاهنا للقرينة اللفظية والحالية، ومتى جازَ حذفُ «لَمْ أرَ» في قول أوس:

حتى إذا الكلَّابُ قال لها ... كاليومِ مَطْلوبًا ولا طَلَبا[1]

والقرينةُ حالية، فأوْلَى أنْ يجوزَ حذفُها وحدها لذلك على ما قرَّره الزمخشري، وقرَّر وجهًا آخر حاصلُه: أنَّ اللام لمجرَّد التأكيد فتناسبُ مقامَ التأكيد، فأُدخِلَت في آية المطعوم دونَ المشروب للدلالة على أنَّ أمرَه مقدَّم على أمره، وأنَّ الوعيد بفَقْده أشدُّ وأصعبُ من قِبَل أنَّ المشروب تَبَعٌ له، ألا يُرى أنَّ الضيفَ يُسقَى بعد أن يُطعم[2]. وقد ذكر الأطباء أنَّ الماء مُبذِرِق، ويُؤيِّد ذلك تقديمُه على المشروب في النظم الجليل.

وللإمام في هذا المقام كلامٌ طويلٌ اعترَض به على الزمخشري وبيَّن فيه وجْهَ الذكر أولًا والحذف ثانيًا[3]، ولم أرَه أتَى بما يشرحُ الصدر.

وخيرٌ منه عندي قولُ ابن الأثير في «المثل السائر»: إنَّ اللام أُدخِلَت في المطعوم دون المشروب؛ لأنَّ جَعْل الماء العذبِ ملحًا أسهلُ إمكانًا في العرف والعادة، والموجودُ من الماء الملح أكثرُ من الماء العذب، وكثيرًا ما إذا جَرَت المياهُ العذبةُ على الأراضي المتغيرةِ التربةِ أحالَتْها إلى الملوحة، فلم يُحْتَجْ في جعل الماء العذبِ ملحًا إلى زيادة تأكيد، فلذا لم تدخُل لامُ التأكيد المفيدةُ لزيادة التحقيق، وأما المطعوم فإنَّ جعله حطامًا من الأشياء الخارجة عن المعتاد، وإذا وقَعَ يكون عن سَخَط شديد، فلذا قُرِن باللام لتقرير إيجادِه وتحقيقِ أمره[4]. انتهى.

---

(١) ديوان أوس بن حجر ص٣، وسلف ١٠/ ٤١٠.
(٢) الكشاف ٤/ ٥٧ بنحوه.
(٣) ينظر مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٨١-١٨٢.
(٤) المثل السائر ٢/ ٥٦.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ تحضيضٌ على شكر الكلِّ؛ لأنَّه أفيدُ، دون عذوبة الماء فقط كما ذهب إليه البعض.

نعم أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر ﷺ أنَّ النبي ﷺ كان إذا شَرِبَ الماء قال: «الحمدُ لله الذي سقانا عذبًا فراتًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أُجاجًا بذنوبنا»[(١)].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ أي: تقدَحُونها وتستخرجونها من الزِّناد[(٢)] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ التي منها الزناد، وهي المَرْخُ والعَفَار.

وقيل: المرادُ بالشجرة نفسُ النار، كأنَّه قيل: نوعها أو جنسها، فاستُعير الشجرةُ لذلك، وهو قولٌ متكلَّف بلا حاجة.

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ لها بقدرتنا. والتعبير عن خَلْقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع، المعرِبِ عن كمال القدرة والحكمة، لِمَا فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الأشجار التي لا تخلو عن النار، حتى قيل: في كلِّ شجرٍ نارٌ واستَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار[(٣)]. كما أنَّ التعبيرَ عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] لذلك.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ استئنافٌ معيِّن[(٤)] لمنافعها، أي: جعلناها تذكيرًا لنار جهنم، حيث علَّقنا بها أسبابَ المعاش، لينظروا إليها ويذكروا بها ما أُوعِدُوا به. أو جعلناها تذكرةً وأُنموذجًا من جهنَّم؛ لما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة عنه ﷺ: «نارُكم هذه التي تُوقدون جزءٌ من سبعينَ جزءًا من نارِ جهنَّم»[(٥)]. وعلى الوجهَين التذكرةُ من الذِّكر المقابلِ للنسيان، ولم ينظر في الأول إلى أنَّها من جنس نار جهنم أو لا، وفي الثاني نظر إلى ذلك.

---

(١) عزاه لابن أبي حاتم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦١، وأخرجه الطبراني في الدعاء (٨٩٩)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٣٧، وهو مرسل.

(٢) في هامش الأصل: جمع (زند) و(زندة)، لا مفرد كما يتوهم. اهـ منه.

(٣) المستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٨٣، وسلف ١٢/ ٢٨.

(٤) في تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٩: مبين، والكلام منه.

(٥) صحيح البخاري (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم (٢٨٤٣)، وهو عند أحمد (٨١٢٦).

وقيل: تبصرةً في أمر البعث لأنَّ مَن أخرجَ النار من الشجر الأخضر المضادِّ لها قادرٌ على إعادة ما تفرَّقَت موادُّه.

وقيل: تبصرةً في الظلام يُبصَرُ بضوئها. وفيه أنَّ التذكرةَ لا تكونُ بمعنى التبصرة المأخوذةِ من البصر.

وكون المراد تذكرةً لنار جهنَّم هو المأثور عن الكثيرين، ومنهم ابن عباس ومجاهد وقتادة.

﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومنفعةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للذين ينزلون القَواء وهي القَفْر، من أَقْوَى دَخَل القَواء، كأصْحَر دَخَل الصحراء، وتخصيص «المقوين» بذلك لأنَّهم أحوجُ إليها، فإنَّ المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد.

وقيل: «للمقوين» أي: المسافرين، ورواه جمعٌ عن ابن عباس[1]، وعبدُ بن حميد عن الحسن[2]، وهو وابن جرير وعبد الرزاق عن قتادة[3] بزيادة: كم مِن قومٍ قد سافَرُوا ثم أرملوا، فأَجَّجُوا نارًا فاستَدْفَؤُوا وانتفعوا بها. وكأنَّ إطلاقَ المُقوين على المسافرين؛ لأنَّهم كثيرًا ما يسلكون القَفْراء والمفاوِزَ.

وقيل: «للمقوين» للفقراء يَستضيئُون بها في الظلمة، ويَصْطَلون من البرد، كأنَّه تصوَّر من حال الحاصل في القَفْر الفقر، فقيل: أَقْوى فلانٌ، أي: افتَقَر، كقولهم: أَتْرَب وأَرْمَل.

وقال ابن زيد: للجائعين لأنَّهم أَقْوتُ، أي: خَلَت بطونُهم ومزاوِدُهم من الطعام، فهم يحتاجون إليها لطبخ ما يأكلون، وخُصُّوا - على ما قيل - لأنَّ غيرَهم يتنعَّم بها لا يجعلها متاعًا. وتُعقِّب بأنَّه بعيدٌ لعدم انحصار ما يهمُّهم ويسدُّ خَلَّتَهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٦.

(٢) عزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦١.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٧، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٧٣، وعزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦١.

وقال عكرمة ومجاهد: المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين، المسافرين والحاضرين، يستضيئُون بها، ويَصْطلون من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخَبْز. قال العلامة الطيبي والطبرسي: وعلى هذا القول المقوي من الأضداد، يقال للفقير: مُقوٍ لخلوِّه من المال، وللغني مُقوٍ لقوَّته على ما يريد، يقال: أقوَى الرجلُ إذا صار إلى حال القوة، والمعنى: متاعًا للأغنياء والفقراء؛ لأنَّه لا غِنَى لأحدٍ عنها[1]. انتهى. وفيه بحثٌ لا يخفى، ولعلَّ الأقرب عليه أنَّه أُريدَ بالإقواء الاحتياجُ، والمستمتع بها محتاجٌ إليها فتدبر.

وتأخيرُ هذه المنفعة للتنبيه على أنَّ الأهمَّ هو النفعُ الأُخروي، وتقديمُ أمرِ الماء على أمر النار؛ لأنَّ الاحتياجَ إليه أشدُّ وأكثرُ، والانتفاع به أعمُّ وأوفرُ.

وقال بعضُهم: قدَّم أمرَ خَلْق الإنسان من نطفة؛ لأنَّ النعمة في ذلك قبل النعمة في الثلاثة بعدُ، ثم ذكر بعدَه ما به قِوام الإنسان من فائدة الحرث، وهو الطعام الذي لا يستغني عنه[2] الجسدُ الحيُّ، وذلك الحَبُّ الذي يُختبزُ، فيُحتَاجُ بعد حصوله إلى حصول الماء ليُعْجَن به، فلذا ذُكِرَ بعده، ثم إلى النار لتصيِّرَه خبزًا، فلذا ذُكِرت بعدَ الماء. وهو كما ترى.

واستحسن بعضُهم من القارئ أنْ يقولَ بعد كلِّ جملة استفهامية من الجمل السابقة: بل أنت يا رب. فقد أخرج عبد الرزاق وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه عن حُجر المَدَرِيّ[3] قال: بتُّ عند عليٍّ كرم الله تعالى وجهه، فسمعتُه وهو يصلِّي بالليل يقرأ، فمرَّ بهذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ فقال: بل أنتَ يا ربّ، ثلاثًا، ثم قرأ: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ فقال: بل أنت يا ربّ، ثلاثًا، ثم قرأ: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾

---

(١) مجمع البيان ٢٧/١٢٨.

(٢) في (م): عند.

(٣) في الأصل و(م): المروي، وهو حُجر بن قيس المدري الحَجُوري، يروي عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ﷺ، وعنه طاوس بن كيسان وشداد بن جابان. تهذيب الكمال ٥/ ٤٧٥.

فقال: بل أنت يا ربّ، ثلاثًا، ثم قرأ: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ فقال: بل أنت يا ربّ، ثلاثًا[١]. وأنت تعلم أنَّ في استحسان قول مثل ذلك في الصلاة اختلافًا بين العلماء.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ مرتَّب على ما عُدِّد من بدائع صُنعه عز وجل وودائع نِعَمه سبحانه وتعالى، والمرادُ على ما قيل: أَحدِث التسبيح، تنزيلًا للفعل المتعدِّي منزلَة اللازم، وأُريد من إحداثه استمرارُه لا إيجاده؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام غيرُ معرضٍ عنه، وتعقَّبه الطيبي بأنَّ هذا عكس ما يقتضيه لفظُ الإحداث، فالمرادُ تجديد التسبيح، وفي الكلام إضمارٌ، أي: سبِّح بذكر اسم ربك، أو الاسم مجازٌ عن الذكر، فإنَّ إطلاقَ الاسم للشيء ذكره. والباء للاستعانة أو الملابسة، وكونُها للتعدية ـ كما هو ظاهرُ كلام أبي حيان[٢] ـ ليس بشيءٍ، و«العظيم» صفةٌ للاسم، أو للربِّ.

وتعقيبُ الأمر بالتسبيح لِمَا عُدِّد إما لتنزيههِ تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيته عز وجل، الكافرون بنعَمه سبحانه مع عِظَمها وكثرتها؛ أو للشكر على تلك النِّعم السابقة؛ لأنَّ تنزيهَهُ تعالى وتعظيمَه جل وعلا بعد ذكر نِعَمه سبحانه مدحٌ عليها، فهو شكرٌ للمنعم في الحقيقة؛ أو للتعجب من أمر الكفرة في غَمْط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرِها وظهورِ أمرها، و«سبحان» تَرِدُ للتعجُّب مجازًا مشهورًا، «فسبِّحْ» بمعنى «تَعَجَّبْ»، وأصله فقل: سبحان الله، للتعجُّب، وفيه بُعدٌ[٣]، وما تقدَّم أظهر.

هذا وجوز أنْ لا يكون في «باسم ربك» إضمارٌ ولا مجازٌ، بل يبقَى على

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٧٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣١١ من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن شداد بن جابان، عن حجر المدري قال: بتُّ عند علي... إلخ، وهو في مصنف عبد الرزاق (٤٠٥٣) عن معمر عن شداد بن جابان قال: بتُّ عند حجر المدري فسمعته... إلخ، ولم يذكر عليًا، ومثله في فضائل القرآن لأبي عبيد ص٧٢، حيث قال: ويروى عن معمر بن راشد أن حجراً المدري قام ليلة يصلي...، فذكره.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢١٦.

(٣) قوله: وفيه بعد، ليس في الأصل.

ظاهره، فقد قالوا في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]: كما يجب تنزيهُ ذاته تعالى وصفاته سبحانه عن النقائص يجبُ تنزيهُ الألفاظِ الموضوعة لها عن سوء الأدب، وهو أبلغُ لأنَّه لا يلزمُه تقديسُ ذاته عز وجل بالطريق الأَوْلَى على طريق الكناية الرمزية. وفيه أنَّه إنَّما يتأتَّى لو لم تذكر الباء، وجعلُها زائدةً خلافُ الظاهر، وحالُ كونها للتعدية قد سمعتَه، وجعَلَ بعضُهم على هذا الخطابَ لغير معيَّن فقال: إنَّه تعالى لـمَّا ذَكر ما ذكر من الأمور وكان الكلُّ معترفين بأنَّها من الله تعالى، وكان الكفارُ إذا طُولبوا بالوحدانية قالوا: نحن لا نشرك في المعنى، وإنما نتَّخذُ أصنامًا آلهةً، وذلك إشراكٌ في الاسم، والذي خَلَقنا وخلق السماوات والأرض هو الله تعالى، فنحن نُنزِّهُه في الحقيقة = قال سبحانه: (فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ) على معنى: كما أنَّك أيُّها الغافلُ اعترفتَ بعدم اشتراكها في الحقيقة اعترِفْ بعدم اشتراكها في الاسم، ولا تقل لغيره تعالى إلهًا، فإنَّ الاسم يَتْبع المعنى والحقيقة، فالخطابُ كالخطاب في قول الواعظ: يا مسكين أفنيتَ عمرَك وما أصلحتَ أمرَك، لا[1] يريدُ به أحدًا بعينه، وإنما يُريد: أيُّها المسكين السامع، وهو كما ترى.

نعم احتمالُ عموم الخطاب مما لا يُنكَر، لكن لا يتعيَّن عليه هذا التقرير.

ثم الظاهرُ أنَّ المراد بذكر الربِّ أو ذكرِ اسمه سبحانه ـ على ما تقرَّر سابقًا ـ ما هو المتبادر المعروف.

وفي «الكشف»: إنَّ المراد بذلك تلاوتُه ﷺ للقرآن أو لهذه السورة الكريمة المتضمِّنة لإثبات البعثِ والجزاء ومراتب أهله، لينطبق عليه قولُه تعالى بعد: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ وعلى الأول لابدَّ من إضمارٍ، أي: فسبِّح باسم ربِّك وامتثل ما أُمرت به، فأُقسِم إنَّه لقرآن، والغرضُ تأكيدُ الأمر بالتسبيح.

وأنا أقول: يتأتَّى الانطباقُ على الظاهر أيضًا، سوى أنَّه يُعتَبر في الكلام إضمارٌ، ولا بأس بأنْ يقال: إنَّه تعالى لـمَّا ذَكر من النعم الجليلةِ الداعيةِ لتوحيده سبحانه ووَصْفه بما يليقُ به عز وجل قال سبحانه: (فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ) أي:

---

(١) في الأصل: فلا.

فنزِّههُ تعالى عما يقولون في وصفه سبحانه، وأَقبِلْ على إنذارهم بالقرآن والاحتجاجِ عليهم به بعد الاحتجاجِ بما ذكرنا، فأُقسِم إنَّه لقرآن كيت وكيت؛ فـ «لا» في قوله عز وجل: (فَلَآ أُقۡسِمُ) مزيدةٌ للتأكيد مثلُها في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] أو هي لام القسم أُشبعَت فتحتُها فتولَّدَت منها ألفٌ نظير ما في قوله:

أعـــوذُ بـــالله مـــن الـــعَـــقْـــراب(١)

واختاره أبو حيان ثم قال: وهو وإنْ كان قليلًا فقد جاء نظيرُه في قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧] بياء بعد الهمزة وذلك في قراءة هشام، ويؤيده قراءة الحسن وعيسى: «فلأُقسِمُ»(٢)، وهو مبنيٌّ على ما ذهب إليه تبعًا لبعض النحويِّين من أنَّ فِعْل الحال يجوزُ القَسَمُ عليه؛ فيقال: والله تعالى لَيخرج زيدٌ، وعليه قولُ الشاعر:

لَـيَـعْـلَـمُ ربـي أنَّ بـيـتـي واسـعُ(٣)

وحينئذٍ لا يصحُّ أنْ يُقرَن الفعلُ بالنون المؤكِّدةِ؛ لأنَّها تخلِّصُه للاستقبال وهو خلافُ المراد، والذي اختارَه ابن عصفور والبصريون أنَّ فعل الحال ـ كما هنا ـ لا يجوزُ أنْ يُقسَم عليه، ومتى أُريدَ من الفعل الاستقبال لَزِمَت فيه النون المؤكدة فقيل: لأُقسِمَنَّ، وحذفها ضعيفٌ جدًّا، ومِن هنا خرَّجوا قراءة الحسن وعيسى على أنَّ اللام لام الابتداء، والمبتدأ محذوفٌ؛ لأنَّها لا تدخُل على الفعل، والتقدير: فلأَنا أُقسمُ، وقيل نحوه في قراءة الجمهور على أنَّ الألف قد تولَّدَت من الإشباع.

وتُعقِّب بأنَّ المبتدأ إذا دَخَل عليه لامُ الابتداء يمتنعُ أو يقبُحُ حذفُه؛ لأنَّ دخولَها لتأكيده، وهو يقتضي الاعتناء به، وحذفُه يدلُّ على خلافه.

---

(١) سلف ١٣/ ٣٢٧.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢١٣، وقراءة هشام بخلف عنه: «أفئيدة»، وقد سلفت في محلِّها، وقراءة الحسن وعيسى في القراءات الشاذة ص١٥١، والمحتسب ٢/ ٣٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠.

(٣) وصدره: لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم، وهو للكميت بن معروف الأسدي كما في خزانة الأدب ١٠/ ٦٨، وهو غير الكميت بن زيد الأسدي صاحب الهاشميات، وسلف عند تفسير الآية (١١٣) من سورة الأنعام.

وقال سعيد بن جبير وبعض النحاة: «لا» نَفْيٌ ورَدٌّ لِمَا يقوله الكفار في القرآن من أنَّه سحرٌ وشعرٌ وكهانة، كأنَّه قيل: فلا صحةَ لِمَا يقولون فيه، ثم استُؤنفَ فقيل: أُقسم.. إلخ.

وتَعقَّبه أبو حيان بأنَّه لا يجوز؛ لِمَا فيه من حذف اسم «لا» وخبرِها في غير جواب سؤالٍ، نحو: لا، في جواب: هل مِن رجلٍ في الدار[1]؟

وقيل: الأَولَى فيما إذا قُصِدَ بـ «لا» نفيٌ لمحذوف، واستئنافٌ لِمَا بعدها في اللفظ الإتيان بالواو، نحو: لا وأطال الله تعالى بقاءك.

وقال بعضُهم: إنَّ «لا» كثيرًا ما يُؤتَى بها قبل القسم على نحو الاستفتاح كما في قوله:

لا وَأَبيكِ ابنةَ العامري لا يدَّعي القومُ أنِّي أفِرّ[2]

وقال أبو مسلم وجمع: إنَّ الكلام على ظاهره المتبادر منه، والمعنى: لا أُقسم، إذ الأمرُ أوضحُ مِن أنْ يحتاجَ إلى قَسَم[3]، أي: لا يحتاجُ إلى قَسَمٍ ما فضلًا عن هذا[4] القسم العظيم، فقولُ مفتي الديار الرومية أنَّه يأباه تعيينُ المقسم به وتفخيمه[5]، ناشئٌ عن الغفلة على ما لا يخفَى على فَطِن.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي: بمساقط كواكبِ السماء ومغاربِها كما جاء في رواية عن قتادة والحسن، على أنَّ الوقوع بمعنى السقوط والغروب، وتخصيصُها بالقسم لِمَا في غروبها من زوال أثرها، والدلالةِ على وجود مؤثِّرٍ دائمٍ لا يتغيَّر، ولذا استدلَّ الخليلُ عليه السلام بالأُفول على وجود الصانع جل وعلا، أو لأنَّ ذلك وقتُ قيام المتهجِّدين والمبتهلين إليه تعالى، وأوانُ نزول الرحمة والرضوان عليهم؛ وقد

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢١٣.
(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٥٤، وسلف ٦/ ١١٧.
(٣) مجمع البيان ٢٧/ ١٣١.
(٤) في (م): عن أن هذا.
(٥) تفسير أبي السعود ٨/ ١٩٩، وفيه: يأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به.

أخرج البخاريُّ ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: «يَنزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حينَ يَبقَى ثلثُ الليل الآخِرِ، فيقولُ: مَن يَدْعُوني فأستجيب له، مَن يسألُني فأعطيه، مَن يَستغفرُني فأغفر له»[١].

وعن الحسن أيضًا: المرادُ مواقعُها عند الانكدارِ يوم القيامة. قيل: و«موقع» عليه مصدرٌ ميميٌّ، أو اسم زمان، ولعلَّ وقوعَها ذلك اليوم ليس دفعةً واحدةً، والتخصيصُ لِمَا في ذلك من ظهور عظمته عز وجل، وتحقُّقِ ما يُنكرُه الكفار من البعث.

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله على آبائهما وعليهما السلام: المرادُ مواقعُها عند الانقضاض إِثْر المستَرِقِين السمعَ من الشياطين. وقد مرَّ لك تحقيقُ أمر هذا الانقضاض[٢] فلا تغفل.

وقيل: مواقعُ النجوم هي الأنواء التي يزعُم الجاهلية أنَّهم يُمطَرون بها، ولعلَّه مأخوذٌ من بعض الآثار الواردة في سبب النزول، وسنذكره إن شاء الله تعالى، وليس نصًّا في إرادة الأنواء بل يجوز عليه أن يراد المغارب مطلقًا.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة: أنَّها منازلُها ومجاريها[٣]، على أنَّ الوقوعَ النزول، كما يقال: على الخبير سقطْتَ، وهو شائعٌ، والتخصيص لأنَّ له تعالى في ذلك من الدليل على عظيم قدرتِهِ وكمالِ حكمتِهِ ما لا يحيطُ به نِطاقُ البيان.

وقال جماعة منهم ابن عباس: النجومُ نجومُ القرآن، ومواقعُها أوقاتُ نزولها. وأخرج النسائي وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي في «الشعب»: عنه أنَّه قال: أُنزِلَ القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً، ثم فُرِّقَ في السنين. وفي لفظ: ثم نَزَل من السماء الدنيا إلى الأرض

---

(١) صحيح البخاري (١١٤٥)، وصحيح مسلم (٧٥٨).

(٢) تقدم ص١٠٤-١٠٥ من هذا الجزء.

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٧٣، وتفسير الطبري ٢٢/ ٣٦١.

نجومًا، ثم قرأ: (فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ)[1]. وأُيِّد هذا القول بأنَّ الضميرَ في قوله تعالى بعد: (إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ) يعودُ حينئذٍ على ما يُفهَم من مواقع النجوم حتى يكاد يعدُّ كالمذكور صريحًا، ولا يحتاج إلى أنْ يقال: يفسِّره السياق، كما في سائر الأقوال، ووجْهُ التخصيص أظهرُ من أن يخفَى، ولعل الكلام عليه من باب:

وثـنـايـاكِ إنَّـهـا إغـريـضُ[2]

وقرأ ابن عباس وأهل المدينة وحمزة والكسائي: «بموقع» مفردًا مرادًا به الجمع[3].

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ مشتملٌ على اعتراض في ضِمْنِ آخَرَ، فقوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ) (عَظِيمٌ) معترضٌ بين القسم والمقسم عليه وهو قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ وهو تعظيمٌ للقَسَم مقرِّرٌ مؤكِّدٌ له، وقولُه عز وجل: (لَّوۡ تَعۡلَمُونَ) معترضٌ بين الصفة والموصوف، وهو تأكيدٌ لذلك التعظيم. وجوابُ «لو» إما متروكٌ أُريدَ به نَفْيُ علمهم، أو محذوفٌ ثقةً بظهوره، أي: لعظَّمتُموه، أو: لعملتُم بموجبه.

ووجهُ كون ذلك القسمِ عظيمًا قد أُشيرَ إليه فيما مرَّ، أو ظاهرٌ بناءً على أنَّ المراد بمواقع النجوم ما روي عن ابن عباس والجماعة.

ومعنى كون القرآن كريمًا أنَّه حَسَنٌ مرضيٌّ في جنسه من الكتب، أو نَفَّاعٌ جمُّ المنافع، وكيف لا وقد اشتمل على أصول العلوم المهمةِ في إصلاح المعاش والمعاد، والكَرَمُ على هذا مستعارٌ ـ كما قال الطيبي ـ من الكرم المعروف.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (١١٦٢٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾، وتفسير الطبري ٢٢/ ٣٥٩، والمستدرك ٢/ ٥٣٠، وشعب الإيمان (٢٢٥٠).

(٢) سلف ٢٢/ ١٢.

(٣) قراءة حمزة والكسائي في التيسير ص٢٠٧، والنشر ٢/ ٣٨٣، وقرأ بها خلف من العشرة، والكلام من البحر المحيط ٨/ ٢١٣-٢١٤.

وقيل: الكرم أعمُّ من كثرة البذل والإحسان والاتِّصاف بما يُحمَد من الأوصاف ككثرة النَّفْع، فإنَّه وصفٌ محمودٌ، فكونه كرمًا حقيقةٌ.

وجوز أنْ يُراد: كريمٌ على الله تعالى، قيل: وهو يرجعُ لِمَا تقدَّم، وفيه تقديرٌ من غير حاجة.

وأيًّا ما كان فمحطُّ الفائدة الوصفُ المذكور، وقيل[١]: إنَّ مرجعَ الضمير هو القرآن لا مِن حيث عنوانُ كونه قرآناً، فبمجرد الإخبار عنه بأنَّه قرآنٌ تحصل الفائدة، أي: إنَّه لمقروءٌ على النبيِّ ﷺ لا أنَّه أنشأه كما زعمه الكفار.

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾ وصفٌ آخرُ للقرآن، أي: كائن في كتاب مصونٍ عن غير المقرَّبين من الملائكة عليهم السلام لا يطَّلع عليه مَن سواهم، فالمرادُ به اللوح المحفوظ كما روي عن الربيع بن أنس وغيره.

وقيل: أي: في كتاب مصون عن التبديل[٢] والتغيير، وهو المصحف الذي بأيدي المسلمين، ويتضمَّن ذلك الإخبارَ بالغيب لأنَّه لم يكن إذ ذاك مصاحف.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة أنَّه قال: «في كتاب» أي: التوراة والإنجيل[٣]، وحكى ذلك في «البحر» ثم قال: كأنَّه قال: ذُكِرَ في كتاب مكنون كرمُه وشرفُه، فالمعنى على هذا الاستشهادُ بالكُتُب المنزلة[٤]. انتهى. والظاهرُ أنَّه أُريدَ على هذا بالكتاب الجنس لتصحَّ إرادةُ التوراة والإنجيل، وفي وَصْف ذلك بالمكنون خفاءٌ، ولعلَّه أُريدَ به جليلُ الشأن عظيمُ القدر، فإنَّ الستر كاللازم للشيء الجليل، وجوِّز إرادةُ هذا المعنى المجازي على غير هذا القول من الأقوال.

وقيل: الكتابُ المكنون قلبُ المؤمن. وهو كما ترى.

وقيل: المرادُ من كونه في «كتاب مكنون» كونُه محفوظًا من التغيير والتبديل

---

(١) في(م): قيل.
(٢) في الأصل: من التبديل.
(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٥، وعزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٢.
(٤) البحر المحيط ٨/ ٢١٤، والكلام السالف منه.

ليس إلا ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. والمعوَّل عليه ما تقدَّم.

وجوِّز تعلُّق الجار بـ «كريم» كما يقال: زيدٌ كريم في نفسه، والمعنى: إنَّه كريمٌ في اللوح المحفوظ وإن لم يكن كريمًا عند الكفار، والوصفيةُ أبلغ كما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ إما صفة بعد صفة للكتاب مرادًا به اللوح[1]، فالمرادُ بـ «المطهَّرون» الملائكة عليهم السلام، أي: المطهَّرون المنزَّهون عن كَدَرِ الطبيعةِ ودَنَس الحظوظِ النفسية، وقيل: عن كدر الأجسام ودَنَس الهيولى. والطهارةُ عليهما طهارةٌ معنوية، ونَفْي مسِّه كنايةٌ عن لازمه، وهو نَفْي الاطلاع عليه وعلى ما فيه.

وإما صفةٌ أخرى لـ «قرآن»، والمراد بـ «المطهَّرون»: المطهَّرون عن الحدث الأصغر والحدث الأكبر، بحمل الطهارة على الشرعية، والمعنى: لا ينبغي أنْ يمسَّ القرآنَ إلا مَن هو على طهارةٍ من الناس، فالنفيُ هنا نظيرُ ما في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣] وقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه»[2] الحديث، وهو بمعنى النهي بل أبلغُ من النهي الصريح، وهذا أحدُ أوجهٍ ذكروها للعدول عن جَعْل «لا» ناهية.

وثانيها: أنَّ المتبادِر كونُ الجملة صفةً، والأصلُ فيها أنْ تكونَ خبريةً، ولا داعي لاعتبار الإنشائية وارتكابِ التأويل.

وثالثها: أنَّ المتبادر من الضمة أنَّها إعرابٌ، فالحمل على غيره فيه إلباسٌ.

ورابعها: أنَّ عبد الله قرأ: «ما يمسه»[3] وهي تُؤيِّد أنَّ «لا» نافية.

وكون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام مرويٌّ من عدَّة طرقٍ عن ابن عباس، وكذا أخرجه جماعة عن أنس وقتادة وابن جبير ومجاهد وأبي العالية

---

(١) جاء في هامش الأصل: وجوز في جملة «لا يمسه» كونها مستأنفة. اهـ. منه.

(٢) أخرجه أحمد (٥٦٤٦)، والبخاري (٢٤٤٢) و(٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٦-٣٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، والبحر المحيط ٨/ ٢١٤.

وغيرهم، إلا أنَّ في بعض الآثار عن بعض هؤلاء ما هو ظاهرٌ في أنَّ الضمير في «لا يمسه» مع كون المراد بالمطهرين الملائكة عليهم السلام راجعٌ إلى القرآن.

أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة أنَّه قال في الآية: ذاك عند ربِّ العالمين، لا يمسُّه إلا المطهرون من الملائكة، فأمَّا عندكم فيمسُّه المشركُ والنجس والمنافق الرِّجسُ(١).

وأخرجا هما وابن المنذر والبيهقي في «المعرفة» عن الحبر قال في الآية: الكتاب المنزل في السماء لا يمسُّه إلا الملائكة(٢).

ويشير إليه ما أخرج ابن المنذر عن النعيمي قال: قال مالك: أحسنُ ما سمعتُ في هذه الآية (لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ) أنَّها بمنزلة الآية التي في «عبس»: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾(٣).

وكون المراد بهم المطهَّرين من الأحداث مرويٌّ عن محمد الباقر ـ على آبائه وعليه السلام ـ وعطاء وطاوس وسالم.

وأخرج سعيد بنُ منصور وابن أبي شيبة في «المصنف» وابن المنذر والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن زيد قال: كنا مع سلمان ـ يعني الفارسي رضي الله عنه ـ فانطلَقَ إلى حاجة فتوارَى عنَّا، فخرَج إلينا فقلنا: لو توضأتَ فسألناك عن أشياءَ من القرآن؟ فقال: سلوني فإني لستُ أَمسُّه، إنما يمسُّه المطهرون. ثم تلا: (لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ)(٤).

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٦، وعزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٢-٣٦٣، ومعرفة السنن والآثار ١/ ٣٢٠ (٧٧٠)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٢.

(٣) عزاه لابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٢، وقول مالك في الموطأ ١/ ١٩٩.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١/ ١٠٣، والمستدرك ٢/ ٤٧٧، وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٢، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقيل: الجملة صفة لـ «قرآن»، والمراد بـ «المطهَّرون»: المطهرون من الكفر، والمسُّ مجازٌ عن الطلب كاللمس في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨] أي: لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر. ولم أرَ هذا مرويًّا عن أحد من السلف، والنفيُ عليه على ظاهره.

ورجَّح جمعٌ جعلَ الجملة وصفًا للقرآن؛ لأنَّ الكلام مسوقٌ لحرمته وتعظيمه لا لشأن الكتاب المكنون، وإن كان في تعظيمه تعظيمُه. وصحَّح الإمامُ جعلها وصفًا للكتاب(١)، وفيه نظر، وعلى الوصفية للقرآن ذهب مَن ذَهَب إلى اختيار تفسيرِ المطهرين بالمطهرين عن الحدث الأكبر والأصغر.

وفي «الأحكام» للجلال السيوطي: استدلَّ الشافعيُّ بالآية على مَنْع المحدث من مسِّ المصحَفِ(٢). وهو ظاهرٌ في اختيار ذلك.

ولاحتمالِ جَعْلِ الجملة صفةً للكتاب المكنون أو للقرآن، وكونِ المراد بالمطهرين: الملائكةَ المقربين عليهم السلام على ما سمعتَ عن ابن عباس وقتادة = عَدَل الأكثرون عن الاستدلال بها على ذلك إلى الاستدلال بالأخبار، فقد أخرج الإمام مالك وعبد الرزاق وابن أبي داود وابن المنذر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال: في كتاب النبيِّ ﷺ لعمرو بنِ حزم: «ولا تمسَّ القرآنَ إلا على طهور»(٣).

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمسّ القرآنَ إلا طاهرٌ»(٤). إلى غير ذلك.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٩٣.

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ص ٢٥٤.

(٣) الموطأ ١/ ١٩٩، ومصنف عبد الرزاق ١/ ٣٤١-٣٤٢، والمصاحف لابن أبي داود ٢/ ٦٣٧-٦٣٨ (٧٣٩)، والأوسط لابن المنذر ٢/ ١٠٣، واللفظ له. وليس فيه عند مالك: عن أبيه، وكذا أخرجه أبو داود في المراسيل (٩٣) من طريق مالك. قال ابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ١٠، وفي التمهيد ١٧/ ٣٩٧: وكتاب عمرو بن حزم هذا تلقَّاه العلماء بالقبول والعمل، وهو عندهم أشهر وأظهرُ من الإسناد الواحد المتصل.

(٤) المعجم الكبير (١٣٢١٧)، والصغير (١١٦٢)، وعزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور

وقال بعضهم: يجوزُ أنْ يُؤخَذ منعُ مسِّ غيرِ الطاهر القرآنَ من الآية على الاحتمالَين الآخرَين أيضًا، وذلك لأنَّها أفادت تعظيم شأن القرآن وكونِهِ كريمًا، والمسُّ بغير طهرٍ مخلٌّ بتعظيمه فتأباه الآية. وهو كما ترى.

وأطال الإمام الكلامَ في هذا المقام بما لا يخفَى حاله على من راجعه[1].

نعم لا شكَّ في دلالة الآية على عِظَم شأن القرآن، ومقتَضى ذلك الاعتناء بشأنه، ولا ينحصر الاعتناءُ بمنع غيرِ الطاهرِ عن مسِّه بل يكون بأشياءَ كثيرةٍ كالإكثار من تلاوته، والوضوءِ لها، وأنْ لا يقرأَه الشخصُ وهو متنجِّسُ الفم فإنَّه مكروه، وقيل: حرام كالمسِّ باليد المتنجسة، وكونِ القراءة في مكان نظيفٍ، والقارئ مستقبل القبلةِ متخشِّعًا بسكينة ووَقَارٍ مُطرِقًا رأسه، والاستياكِ لقراءته، والترتيلِ، والتدبُّرِ، والبكاء، أو التباكي، وتحسينِ الصوت بالقراءة، وأن لا يتَّخذَه معِيشةً، وأنْ يحافظَ على أن لا ينسَى آيةً أُوتِيَها منه، فقد أخرج أبو داود وغيرُه: «عُرِضَتْ عليَّ ذنوبُ أمتي فلم أَرَ أعظمَ من سورة من القرآن أو آية أُوتِيَها رجلٌ ثم نَسِيَها»[2]، وأنْ لا يجامعَ بحضرته، فإنْ أراد سَتَره، وأنْ لا يضعَ غيرَه من الكتب السماوية وغيرِها فوقَه، وأنْ لا يقلبَ أوراقه بأصبع عليها بزاقٌ ينفصلُ منه شيءٌ؛ فقد قيل بكفر من يفعل ذلك، إلى أمورٍ أُخَر مذكورة في محالِّها.

وفي وجوب كون القارئ طاهرًا من الأحداث خلافٌ، فعن ابن عباس في رواية أنَّه يجوزُ للجنب قراءةُ القرآن، وروي ذلك أيضًا عن الإمام أبي حنيفة، وعن ابن

= ٦/ ١٦٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٧٦: ورجاله موثقون. وقال الحافظ في التلخيص الحبير ١/ ١٣١: وإسناده لا بأس به، ذكر الأثرم أن أحمد احتج به.

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٩٤.

(٢) سنن أبي داود (٤٦١)، وأخرجه الترمذي (٢٩١٦)، وهو من طريق المطَّلب عن أنس عن النبي ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه، قال محمد: ولا أعرف للمطلب بن عبد الله بن حنطب سماعًا من أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ إلا قولَه: حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ، . . . وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس. اهـ، وقال الحافظ عنه في التقريب: صدوق كثير التدليس والإرسال.

عمر: أحبُّ إليَّ أنْ لا يقرأ إلا طاهرٌ. وكأنَّهم اعتبروه كسائر الأذكار، والفرقُ مثلُ الشمس ظاهر.

وقرأ عيسى: «المُطْهَرُونَ» اسم مفعول مخفَّفًا من أطهَر، ورُويَت عن نافع وأبي عمرو[(١)]، وقرأ سلمان الفارسي رضي الله عنه: «المطَهِّرون» بتخفيف الطاء وتشديد الهاء وكسرها اسم فاعل من طَهَّر[(٢)]، أي: المطهِّرون أنفسَهم أو غيرَهم بالاستغفار لهم والإلهام[(٣)]، وعنه أيضًا: «المطَّهِّرون» بتشديدهما، وأصله: المتطهِّرون فأدغم التاء بعد إبدالها في الطاء؛ ورويت عن الحسن وعبد الله بن عون[(٤)]، وقرئ: «المتطهِّرون»[(٥)] على الأصل.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ صفةٌ أخرى للقرآن، أي: مُنزلٌ، أو وصف بالمصدر لأنَّه يُنزلُ نجومًا من بين سائر كُتُب الله تعالى، فكأنَّه في نفسه تنزيل، ولذلك أُجري مجرى بعضِ أسمائه فقيل: جاء في التنزيل كذا، و:نطق به التنزيل.

وجوِّز كونُه خبرَ مبتدأ محذوفٍ، أي: هو تنزيلٌ، على الاستئناف.

وقرئ: «تنزيلًا» بالنصب[(٦)] على: نُزِّلَ تنزيلًا.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: أتعرِضُون، فبهذا الحديث الذي ذكرت نعوتُه الجليلة الموجبةُ لإعظامه وإجلاله والإيمانِ بما تضمَّنه وأرْشَدَ إليه، وهو القرآن الكريم ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون به كمن يُدهن في الأمر، أي: يلين جانبُه ولا يتصلَّب فيه تهاونًا به، وأصلُ الإدْهان كما قيل: جعلُ الأديم ونحوه مدهونًا بشيءٍ من الدُّهن، ولمَّا

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، والبحر المحيط ٨/ ٢١٤، وهو خلاف المشهور عن نافع وأبي عمرو.

(٢) القراءات الشاذة ص١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، والبحر ٨/ ٢١٤.

(٣) قوله: الإلهام، ناظرٌ إلى تفسيرهم بالملائكة، حاشية الشهاب ٨/ ١٥٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، والبحر المحيط ٨/ ٢١٤.

(٥) الكشاف ٤/ ٥٩، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥.

(٦) الكشاف ٤/ ٥٩، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥.

كان ذلك مُليِّنًا لِينًا محسوسًا يُراد به اللين المعنوي(١)، على أنَّه تُجوِّز به عن مطلق اللين أو استعير له، ولذا سمِّيت المداراةُ مداهنةً، وهذا مجازٌ معروفٌ، ولشهرته صار حقيقةً عرفيةً، ولذا تُجوِّز به هنا عن التهاوُن أيضًا؛ لأنَّ المتهاون بالأمر لا يتصلَّب فيه.

وعن ابن عباس والزجَّاج: «مُدهنون» أي: مكذِّبون(٢)، وتفسيرُه بذلك لأنَّ التكذيبَ من فروع التهاون.

وعن مجاهد، أي: منافقون في التصديق به، تقولون للمؤمنين: آمنَّا به، وإذا خلَوتُم إلى إخوانكم قلتُم: إنا معكم. والخطابُ عليه للمنافقين، وما قدَّمناه أَولَى، والخطابُ عليه للكفار كما يقتضيه السياق.

وجوِّز أن يراد بـ «هذا الحديث» ما تحدَّثوا به من قبل في قوله سبحانه: (وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ) فالكلامُ عودٌ إلى ذلك بعد ردِّه، كأنه قيل: أفبهذا الحديث الذي تتحدَّثون به في إنكار البعثِ أنتم مُدهنون أصحابَكم، أي: تعلمون خلافَه وتقولونه مداهنةً، أم أنتم به جازمون، وعلى الإصرار عليه عازمون. ولا يخفى بُعدُه، وفيه مخالفةٌ لسبب النزول، وستعلمه قريبًا إن شاء الله تعالى.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون: مُطرنا بنَوْء كذا وكذا، وبنَجْم كذا وكذا، أخرج ذلك الإمام أحمد والترمذي وحسَّنه والضياء في «المختارة» وجماعة عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه عن النبي ﷺ(٣)، وهو إما إشارةٌ منه عليه الصلاة والسلام إلى أنَّ في الكلام مضافًا مقدَّرًا، أي: شكر رزقكم، أو إشارةٌ إلى أنَّ الرزقَ مجازٌ عن لازمه وهو الشكر، وحكى الهيثم بن عدي أنَّ من لغة أَزْدِ شَنُوءة: ما رزَقَ فلانٌ فلانًا، بمعنى: شكره.

(١) العبارة في حاشية الشهاب ٨/ ١٥٠ (والكلام منه): ولما كان ذلك مليِّناً له لِيناً محسوساً أُريدَ به اللين المعنوي.
(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٥/ ١١٦.
(٣) المسند (٨٤٩)، وسنن الترمذي (٣٢٩٥)، والأحاديث المختارة (٥٧١).

ونقل عن الكِرماني أنَّه نقل في «شرح البخاري» أنَّ الرزق من أسماء الشكر[١]، واستبعَدَ ذلك، ولعله هو ما حكاه الهيثم.

وفي «البحر» وغيره: أنَّ عليًّا كرم الله تعالى وجهه وابن عباس قرأا: «شكركم» بدل: «رِزْقَكم»[٢]، وحمله بعضُ شراح البخاري على التفسير من غير قصدٍ للتلاوة[٣]، وهو خلاف الظاهر، وقد أخرج ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قرأ عليٌّ كرم الله تعالى وجهه «الواقعة» في الفجر فقال: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» فلمَّا انصرفَ قال: إني قد عرفتُ أنَّه سيقول قائلٌ: لِم قرأها هكذا، إنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأُ كذلك، كانوا إذا أُمطِروا قالوا: أُمطرنا بنَوءِ كذا وكذا، فأنزل الله تعالى: «وتجعلون شكركم أنكم إذا مطرتم تكذبون»[٤].

ومعنى جَعْلِ شكرهم التكذيبَ: جعلُ التكذيب مكانَ الشكر، فكأنَّه عينُه عندهم، فهو من باب:

تـحـيـةُ بـيـنـهـم ضـربٌ وجـيـع[٥]

ومنه قول الراجز:

وكـان شـكـرُ الـقـومِ عـنـد الـمِـنَـن

كـيَّ الـصـحـيـحـات وفَـقْءَ الأعـيُـن[٦]

وأكثرُ الروايات أنَّ قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ إلخ نزل في القائلين: مُطِرنا بنوء كذا، من غير تعرُّض لِمَا قبلُ.

---

(١) شرح الكرماني ٦/ ١٢٤.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٢١٥، والقراءات الشاذة ص١٥١، والمحتسب ٢/ ٣١٠.
(٣) ينظر فتح الباري ٢/ ٥٢٣.
(٤) عزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٣، وأخرج نحوه الطبري ٢٢/ ٣٦٩.
(٥) وصدره: وخيل قد دلَفْتُ لها بخيل، نسبه الشنتمري في شرح شواهد الكتاب ص٣٦٠ لعمرو بن معدي كرب، وسلف ٤/ ٩٢.
(٦) البيان والتبيين ٣/ ٩٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥، وخزانة الأدب ٢/ ٤٦٢.

وأخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال: مُطِر الناسُ على عهد رسول الله ﷺ فقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «أصبَحَ مِن الناس شاكرٌ ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمةٌ وضَعَها الله، وقال بعضُهم: لقد صَدَق نَوءُ كذا» فنزلَت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[1].

وأخرج نحوه ابن عساكر في «تاريخه» عن عائشة ﵂. وكان ذلك على ما أخرج ابن أبي حاتم عن أبي عروة ﵁ في غزوة تبوك، نزلوا الحِجْر فأمرهم ﷺ أنْ لا يحملوا من مائه شيئًا، ثم ارتَحلُوا ونزلوا منزلًا آخرَ وليس معهم ماءٌ، فشَكَوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقام عليه الصلاة والسلام فصلَّى ركعتَين ثم دعا، فأُمطِرُوا وسُقُوا، فقال رجلٌ من الأنصار يُتَّهَمُ بالنفاق: إنَّما مُطِرنا بنَوْء كذا، فنَزَل ما نزل[2].

ولعلَّ جمعًا من الكفار قالوا نحوَ ذلك أيضًا، بل هم لم يزالوا يقولون ذلك، والأخبار متضافرة على أنَّ الآية في القائلين بالأنواء، بل قال ابن عطية: أجمع المفسِّرون على أنَّها توبيخٌ لأولئك[3].

وظاهرُ مقابلة الشكرِ بالكفر في الحديث السابق أنَّ المراد بالكفر كفرانُ النعمة إذا أُضيفَت لغير مُوْجِدِها جل جلاله، وقد صحَّ ذكره مع الإيمان، أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن زيد بن خالد الجهني قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ الصبحَ بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلمَّا سلَّم أقبلَ علينا فقال: «هل تدرون ما قال ربُّكم في هذه الليلة؟» قالوا: الله ورسولُه أعلم. فقال: «قال: ما أنعمْتُ على عبادي نعمةً إلا أصبحَ فريقٌ منهم بها كافرين، فأما مَن آمن بي وحَمَدني على سقياي فذلك الذي آمن بي وكفر بالكوكب، وأما مَن قال: مُطِرنا

(١) صحيح مسلم (٧٣)، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٢.
(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٤٧، وعزاه لابن أبي حاتم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٣.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

بنوء كذا وكذا، فذلك الذي آمن بالكوكب وكفر بي»[(١)].

والآية على القول بنزولها في قائلي ذلك ظاهرةٌ في كفرهم المقابلِ للإيمان، فكأنَّهم كانوا يقولونه عن اعتقادِ أنَّ الكواكبَ مؤثِّرةٌ حقيقةً، مُوْجِدةٌ للمطر، وهو كفرٌ بلا ريب، بخلاف قوله مع اعتقادِ أنَّه مِن فضل الله تعالى، والنوءُ ميقاتٌ وعلامة له، فإنَّه ليس بكفر.

وقيل: تسميتُه كفرًا لأنَّه يُفضي إليه إذا اعتقَدَ أنَّه مؤثِّرٌ حقيقةً.

هذا، وقيل: معنى الآية: وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به، ويُشيرُ إلى ذلك ما رواه قتادة عن الحسن: بئس ما أَخذَ القومُ لأنفسهم، لم يُرزَقُوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيبَ. وفي «الإرشاد»: أنَّه الأوفقُ لسياق النظم الكريم وسباقه[(٢)].

وأقول: ما قدَّمناه تفسيرٌ مأثورٌ نَطقَت به السنة المقبولة، وذهب إليه الجمهورُ، وليس فيه ما يأبَى إرادةَ معنًى مطابقٍ لسبب النزول، وموافقٍ لسياق النظم الكريم وسباقه، وذلك بأنْ يقال: إنَّه عز وجل بعد أنْ وَصَفَ القرآنَ بما دلَّ على جلالة شأنه وعزَّةِ مكانه، وأشعَرَ باشتماله على ما فيه تزكيةُ النفوسِ وتحليتُها بما يوجب كمالها من العقائد الحقَّة ونحوها، حيث قال سبحانه: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فعبَّر جل وعلا عن ذاته سبحانه بلفظ الربِّ الدالِّ على التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا. وقد يُستفادُ ذلك من وَصْفه بـ «كريم» بناءً على أنَّ المراد به: نفَّاعٌ جمُّ المنافع، فإنَّه لا منفعةَ أجلُّ مما ذكر، وكان قد ذَكرَ عز وجل غيرَ بعيدٍ ما يدلُّ على أنَّه تعالى هو المُنزلُ لماء المطرِ لا غيرُه سبحانه استقلالًا ولا اشتراكًا = قال عز قائلًا: أفبهذا القرآنِ الجليلِ الشأن، المشتمِلِ على العقائد الحقَّة، المرشدِ إلى ما فيه نفعُكم، أنتم متهاونون فلا تشكرون الله تعالى عليه، وتجعلون بدل شكرِكم

---

(١) صحيح البخاري (٨٤٦)، وصحيح مسلم (٧١)، وسنن أبي داود (٣٩٠٦)، والسنن الكبرى للنسائي (١٨٤٦)، وسلف هذا الحديث مع الكلام عن هذه المسألة ٥/ ٢١٤ و١١/ ٨٢ و٢٢/ ٣٤٥.

(٢) تفسير أبي السعود ٨/ ٢٠٠.

أنَّكم تكذِّبون به، ومن ذلك أنَّكم تقولون إذا مطرتُم: مُطِرنا بنوء كذا وكذا، فتُسنِدُون إنزالَ المطرِ إلى الكواكب، وقد أرشَدَكم غيرَ مرةٍ إلى ما يأبى ذلك من العقائد، وهداكم إلى أنَّه تعالى هو المنزل للمطر لا الكواكبُ ولا غيرُها أصلًا. فما جاء من تفسير «تكذبون» بـ: تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، ليس المرادُ منه إلا بيانَ نوعٍ اقتضاهُ الحالُ من التكذيب بالقرآن المنعوتِ بتلك النعوت الجليلة، وكونُ ذلك على الوجه الذي يزعمُه الكفار تكذيبًا به مما لا ينتطحُ فيه كبشان، وهذا لا تمحُّل فيه.

وقد يقال على تقدير أنْ يُراد بالرزق المطرُ، وكونِ «تكذِّبون» على معنى: تكذبون بكونه ـ أي: المطر ـ من الله تعالى، حيث تنسبونه إلى الأنواء، وإن لم أقف على التصريح به في أثَرٍ يعوَّل عليه: المعنى: أفبهذا القرآنِ الجليلِ المرشدِ إلى أنَّ كلَّ نعمةٍ منه تعالى لا غير، المصرِّحِ عن قريبٍ بأنَّه المنزلُ للمطر وحدَه «أنتم مدهنون» أي: مكذبون[1]، على ما سمعتَ عن ابن عباس والزجَّاج، ومن ذلك أنَّكم تجعلون موضعَ شُكرِ ما يرزقُكم من المطر وينزله لكم أنَّكم تكذِّبون بكونه من الله تعالى وتنسبونَه إلى الأنواء، والتبكيتُ الآتي مبنيٌّ على تكذيبهم بالقرآن المفهومِ من «تكذِّبون»، أو من قوله سبحانه: ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ لكن التكذيب به باعتبار التكذيب ببعض ما نَطَقَ به مما[2] سبق.

وتوقفُ المراد بالآية على الخبر غيرُ بِدْعٍ في القرآن الكريم، وحالُ عطف «تجعلونَ رزقكم أنَّكم تُكذِّبون» على ما قبله لا يخفَى على نبيِّه، فتأمل والله تعالى الموفق لفهم كتابه الكريم.

وقرأ المفضل عن عاصم: «تَكْذِبون» بالتخفيف[3] من الكذب، وهو قولهم في القرآن: إنَّه ـ وحاشاه ـ افتراءٌ، ويرجعُ إلى هذا قولُهم في المطر: إنَّه من الأنواء؛ لأنَّ القرآن ناطقٌ بخلافه.

---

(١) في (م): يكذبون.
(٢) في (م): بما.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣﴾ إلخ تبكيتٌ كما سمعتَ وذلك باعتبار تكذيبهم بما نطَقَ به قوله تعالى: (نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ) إلخ أعني الآياتِ الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى، من حيث ذواتُهم ومن حيث طعامُهم وشرابُهم وسائرُ أسباب معايشهم.

و«لولا» للتحضيض لإظهار[1] عجزهم، و«إذا» ظرفية، و«الحلقوم» مجرى الطعام، وضمير «بلغت» للنفس لانفهامها من الكلام، وإنْ لم يجرِ لها ذكرٌ قبلُ[2].

والمرادُ بها الروح بمعنى البخارِ المنبعثِ عن القلب دون النفس الناطقةِ، فإنَّها لا تُوصَف بما ذكر، وكأنَّه مبنيٌّ على القول بتجرُّد النفس الناطقةِ، وهي المسماة بالروح الأمرية، وأنَّها لا داخل البدن ولا خارجه، ولا تتَّصفُ بصفات الأجسام كالصعودِ والنزول وغيرهما، على ما اختاره حجَّة الإسلام الغزالي[3] وجماعة من المحقِّقين.

ومذهبُ السلف أنَّ النفس الناطقةَ ـ وهي الروحُ المشار إليها بقوله تعالى: (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) ـ جسمٌ لطيفٌ جدًّا سارٍ في البدنِ سريانَ ماء الورد في الورد، وهو حيٌّ بنفسه يتَّصف بالخروجِ والدخول وغيرهما من صفات الأجسام.

وقد ردَّ العلامة ابنُ القيم قولَ الغزالي ومَن وافقَه بأدلة كثيرةٍ ذكرها في كتابه «الروح»[4]، ووَصْفُها ببلوغ الحلقوم عليه ظاهر.

وأما على القول بالتجرُّد وعدم التحيُّز فقيل: المرادُ به ضعفُ التعلُّق بالبدن وقربُ انقطاعه عنه، فكأنَّه قيل: فلولا إذا حان انقطاعُ تعلُّق الروح بالبدن ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيُّها الحاضرون حول صاحبها ﴿حِينَئِذٍ﴾ أي: حين إذ بلغَت الحلقومَ ووصلَت إليه، أو حان انقطاعُ تعلُّقها ﴿تَنظُرُونَ﴾ إلى ما يُقاسيه من الغمرات.

---

(١) في (م): بإظهار.
(٢) في الأصل: قيل.
(٣) ينظر إحياء علوم الدين ٣/ ٣.
(٤) ينظر الروح ص٤٩ المسألة الخامسة.

وقيل: تنظرون حالَكم، ووجههُ أنَّهم يعلمون أنَّ ما جرَى عليه يجري عليهم، فكأنَّهم شاهدوا حالَ أنفسهم. وليس بذاك.

وقرأ عيسى: «حينئذٍ» بكسر النون[1] إتباعاً لحركة الهمزة في «إذ».

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: المحتضَر المفهوم من الكلام ﴿مِنكُمْ﴾ والمرادُ بالقرب العلم، وهو من إطلاق السبَبِ وإرادة المسبَّب، فإنَّ القرب أقوى سببٍ للاطلاع والعلم.

وقال غيرُ واحد: المرادُ القربُ علمًا وقدرةً، أي: نحن أقربُ إليه في كل ذلك منكم، حيث لا تعرفون مِن حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدَّة من غير أنْ تَقِفُوا على كُنْهِها وأسبابها الحقيقية، ولا أنْ تَقْدِروا على مباشرة دَفْعها إلا بما لا ينجع شيئًا، ونحن المُتَوَلُّون[2] لتفاصيل أحواله بعلمنا وقُدرتنا، أو بملائكة الموت.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ لا تدركون كونَنا أقربَ إليه منكم، لجهلكم بشؤوننا، وقد علمتَ أنَّ الخطاب للكفار. وقيل: لا تدركون كُنْهَ ما يجري عليه، على أنَّ الاستدراكَ من «تنظرون». والإبصار من البصر بالعين تُجوِّز به عن الإدراك، أو هو من البصيرة بالقلب.

وقيل: أُريدَ بأقربيته تعالى إليه منهم رسُلُه عز وجل، أي: ورسلُنا الذين يقبضون روحَه ويعالجون إخراجَها أقربُ إليه منكم ولكن لا تبصرونهم.

﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: غير مربوبين، من دَانَ السلطانُ الرعيةَ: إذا ساسَهم وتعبَّدَهم، ومنه قيل للعبد: مَدِين، وللأَمَة: مدينة، قال الأخطل:

رَبَتْ وَرَبَا في حجْرِها ابنُ مدينةٍ ... تراه على مِسحاتِهِ يَتَرَكَّلُ[3]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥.

(٢) في (م): المستولون.

(٣) ديوان الأخطل ص٥، وجاء في هامش الأصل: تَرَكَّل بمسحاته: إذا ضربها برجله لتدخل في الأرض، كما في القاموس. اهـ منه، وهو في القاموس (ركل)، والمسحاة: ما يُسْحَى به الطين، أي: يُقشر ويُجرف. ينظر القاموس (سحي). وجاء في الديوان: تظل، بدل: تراه.

والكلامُ ناظرٌ إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾.

وقيل: هو من دَانَ بمعنى انقاد وخَضَع، وتُجوِّز به عن الجزاء كما في قولهم: كما تدينُ تُدان، أي: فلولا إن كنتم غيرَ مَجْزِيِّين، وجُعِل ناظرًا لإنكارهم البعثَ. وليس بشيء.

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي: الروح إلى مقرِّها، والقائلون بالتجرُّد يقولون: أي: ترجعون تعلُّقها كما كان أولًا.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في اعتقادكم عدم خَالقِيَّتِه تعالى، فإنَّ عدم تصديقهم بخالقِيَّته سبحانه لهم عبارةٌ عن تصديقهم بعدمها على مذهبهم.

وفي «البحر» وغيره: إن كنتم صادقين في تَعطيلكم وكفرِكم بالمُحيي المُميت المبدئ المعيد، ونسبتكم إنزالَ المطرِ إلى الأنواء دونَه عز وجل(١).

و«ترجعون» المذكور هو العامل بـ «إذا» الظرفية في «إذا بلغت الحلقوم» وهو المحضَّض عليه بـ «لولا» الأولى، و«لولا» الثانية تكريرٌ للتأكيد، و«لولا» الأُولَى مع ما في حيِّزها دليلُ جوابِ الشرطِ الأول، أعني: «إن كنتم غير مدينين»، والشرطُ الثاني مؤكِّدٌ للأول مبيِّنٌ له، وقُدِّم أحدُ الشرطَين على «ترجعونها» للاهتمام، والتقدير: فلولا تَرجعونها إذا بلغَت الحلقوم إن كنتم غيرَ مربوبين صادقين فيما تزعمونه من الاعتقاد الباطلِ فلولا ترجعونها إذا بلغَت الحلقوم. وحاصلُ المعنى: أنَّكم إن كنتم غيرَ مربوبين، كما تقتضيه أقوالُكم وأفعالكم، فما لكم لا ترجعون الروحَ إلى البدن إذا بلغَت الحلقوم، وتردُّونها كما كانت بقدرتكم، أو بواسطة علاج للطبيعة.

وقوله تعالى: «وأنتم حينئذ تنظرون» جملة حاليةٌ من فاعل «بلغت» والاسميةُ المقترنةُ بالواو لا تحتاجُ في الربط للضمير؛ لكفاية الواو، فلا حاجةَ إلى القول بأنَّ العائدَ ما تضمَّنه «حينئذ»؛ لأنَّ التنوين عِوَضٌ عن جملة، أي: فلولا ترجعونها زمانَ

---

(١) البحر ٨/ ٢١٥.

بلوغها الحلقومَ حالَ نَظَركم إليه وما يُقاسيه من هَوْل النَّزْع مع تعطُّفِكم عليه وتوفُّركم على إنجائه من المهالك.

وقوله سبحانه: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ) إلخ اعتراضٌ يؤكد ما سيقَ له الكلام من توبيخهم على صدور ما يدُلُّ على سوء اعتقادِهم بربِّهم سبحانه منهم، وفي جواز جَعْله حالًا مقالٌ.

وقال أبو البقاء: «ترجعونها» جوابُ «لولا» الأولى، وأغنَى ذلك عن جواب الثانية، وقيل عكسُ ذلك[1].

وقيل: «إن كنتم» شرطٌ دخل على شرط، فيكونُ الثاني مقدَّمًا في التقدير، أي: إن كنتم صادقين إن كنتم غيرَ مربوبين فأرجعوا الأرواحَ إلى الأبدان، وما ذكرناه سابقًا اختيارُ جارِ الله[2].

وأيًّاما كان فقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ إلى آخره شروعٌ في بيان حال المتوفَّى بعد الممات إِثْرَ بيانِ حاله عند الوفاة، وضميرُ «كان» للمتوفَّى المفهوم مما مرَّ، أي: فأما إنْ كان المتوفَّى الذي بُيِّن حالُه من السابقين من الأزواج الثلاثة، عبَّر عنهم بأَجَلِّ أوصافهم ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فله رَوحٌ، على أنَّه مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ مقدَّمٌ عليه؛ لأنَّه نكرةٌ، وقيل: خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: فجزاؤه رَوح، أي: استراحة، والفاءُ واقعةٌ في جواب «أما».

قال بعضُ الأجلة: تقديرُ هذا الكلام: مهما يكن من شيءٍ فَرَوحٌ.. إلخ إن كان من المقرَّبين، فحُذِفَ «مهما يكن من شيءٍ» وأُقيمَ «أما» مقامَه، ولم يَحْسُن أن يليَ الفاءُ «أما»، فأوقع الفصل بين «أما» والفاء بقوله سبحانه: (إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ) لتحسين اللفظِ، كما يقع الفصل بينهما بالظرف والمفعول.

والفاء في «فروح» وأخوَيه جوابُ «أما» دون «إن»، وقال أبو البقاء: جواب «أما» «فروح»، وأما «إن» فاستُغني بجواب «أما» عن جوابها؛ لأنَّه يُحذَف كثيرًا[3].

(١) إملاء مامنَّ به الرحمن ٤/ ٣٨٠.
(٢) في الكشاف ٤/ ٥٩.
(٣) إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٣٨١.

وفي «البحر»: أنَّه إذا اجتَمع شرطان فالجوابُ للسابق منهما، وجوابُ الثاني محذوفٌ، فالجواب هاهنا لـ «أما»، وهذا مذهب سيبويه. وذهب الفارسي إلى أنَّ المذكورَ جوابُ «إن»، وجوابُ «أما» محذوف، وله قولٌ آخر موافق لمذهب سيبويه. وذهب الأخفش إلى أنَّ المذكورَ جوابٌ لهما معًا، وقد أبطلنا المذهبين في «شرح التسهيل»[1]. انتهى.

والمشهور أنَّه لا بدَّ من لُصوق الاسم لـ «أما»، وهو عند الرضي وجماعة أكثري؛ لهذه الآية، والذاهبون إلى الأول قالوا: هي بتقدير: فأما المتوفَّى إن كان...

وتُعقِّب بأنَّه لا يخفَى أنَّ التقدير مستغنًى عنه، ولا دليلَ عليه إلا اطِّرادُ الحكم، ثم إنَّ كون «أما» قائمةً مقام «مهما يكن» أغلبيٌّ إذ لا يطَّرد في نحو: أما قريشًا فإنَّا أفضلُها، إذ التقدير: مهما ذكرتَ قريشًا فإنَّا أفضلها، وتمامُ الكلام في هذا المقام يُطلَب من كتب العربية.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في «تاريخه» وأبو داود والنسائي والترمذي وحسَّنه والحاكم وصحَّحه وآخرون عن عائشة ﵂ أنَّها سمعَت رسولَ الله ﷺ يقرأ: «فرُوحٌ» بضمِّ الراء[2]، وبه قرأ ابن عباس وقتادة ونوح القارئ والضحاك والأشهب وشعيب وسليمان التيمي والربيع بن خُثَيم ومحمد بن علي وأبو عمران الجوني والكلبي وفياض وعبيد، وعبد الوارث عن أبي عمرو، ويعقوب بن حسان[3]، وزيد ورويس عنه، والحسن[4]؛ وقال: الرُّوح الرحمةُ لأنَّها كالحياة للمرحوم، أو سببٌ لحياته الدائمة، فإطلاقُه عليها من باب الاستعارة أو المجاز المرسَل، وروي هذا عن قتادة أيضًا.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢١٦.

(٢) المسند (٢٤٣٥٢)، والتاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٢٢٣، وسنن أبي داود (٣٩٩١)، والسنن الكبرى للنسائي (١١٥٠٢)، وسنن الترمذي (٢٩٣٨)، والمستدرك ٢/ ٢٣٦.

(٣) كذا في الأصل و(م)، ووقع في مطبوع البحر ٨/ ٢١٥ (والكلام منه): يعقوب بن صيان، ولعل الصواب: يعقوب بن إسحاق أحد القراء العشرة المشهورين، وينظر التعليق الذي بعده.

(٤) قراءة رويس عن يعقوب في النشر ٢/ ٣٨٣، وتنظر القراءة في المحتسب ٢/ ٣١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥ والكلام منه.

وقال ابن جنّي: معنى هذه القراءةِ يرجعُ إلى معنى الرَّوح، فكأنَّه قيل: فله مُمسكُ رُوحٍ، ومُمسكها هو الرُّوح. كما تقول: الهواءُ هو الحياة، وهذا السماعُ هو العيش(١).

وفسَّر بعضُهم الرَّوح بالفتح بالرحمة أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] وقيل: هو بالضم البقاء.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾ أي: ورزق كما روي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، وفي رواية أخرى عن الضحاك أنَّه الاستراحة.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن أنَّه قال: هو هذا الريحان، أي: المعروف(٢). وأخرج ابن جرير عنه أنَّه قال: تخرجُ رُوح المؤمن من جسده في رَيحانة؛ ثم قرأ: (فَأَمَّآ إِن كَانَ) إلخ(٣).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: لم يكن أحدٌ من المقرَّبين يُفارق الدنيا حتى يُؤتَى بغُصنَين من رَيحان الجنة فيشمّهما ثم يُقبَض(٤).

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي: ذات تنعُّم، فالإضافة لاميَّة أو لأدنى ملابسة، وهذا إشارةٌ إلى مكان المقرَّبين بحيث يلزمُ منه أن يكونوا أصحابَ نعيم.

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن الربيع بن خُثَيْم قال في قوله تعالى: (فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ): هذا له عند الموت، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ تُخبَأ له الجنة إلى يوم يُبعث(٥). ولْيُنظَر ما المرادُ بالريحان على هذا، وعن بعض السلف ما يقتضي أنْ يكون الكلُّ في الآخرة.

---

(١) المحتسب ٢/ ٣١٠.

(٢) عزاه لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٧٨، وعزاه لابن أبي حاتم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٧.

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ١٣/ ٤٠١، وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٦، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٩.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠﴾ عبَّر عنهم بالعنوان السابق، إذ لم يُذكَر لهم فيما سبَق وصفٌ ينبئُ عن شأنهم سواه، كما ذكر للفريقَين الآخَرَيْن[١]، وقوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١﴾ قيل: هو على تقدير القول، أي: فيقال لذلك المتوفَّى منهم: سلامٌ لك يا صاحبَ اليمين من إخوانك أصحابِ اليمين، أي: يُسلِّمون عليك، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦] فالخطاب لصاحب اليمين، ولا التفات فيه مع تقدير القول. و«مِن» للابتداء كما تقول: سلامٌ من فلان على فلان وسلامٌ لفلان منه.

وقال الطبري: معناه: فسلامٌ لك أنت من أصحاب اليمين[٢]. فـ «مِن أصحاب اليمين» خبرُ مبتدأ محذوفٍ، والكلام بتقدير القول أيضًا، وكأنَّ هذا التفسيرَ مأخوذٌ من كلام ابن عباس ﵄، أخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أنَّه قال في ذلك: تأتيه الملائكةُ من قِبَلِ الله تعالى تُسلِّم عليه وتخبِرُه أنَّه من أصحاب اليمين[٣]. والظاهر أنَّ هذا على هذا المعنى عند الموت، وأنَّه على المعنى السابق في الجنة.

وجوِّز أنْ يكون المعنى: فسلامةٌ لك عما يشغَلُ القلبَ من جهتهم، فإنَّهم في خير، أي: كن فارغَ البال عنهم لا يهمُّك أمرُهم، وهذا كما تقول لمَن علَّق قلبَه بولده الغائب وتشوَّشَ فكرُه لا يدري ما حالُه: كن فارغَ البال من ولدك، فإنَّه في راحةٍ ودَعَةٍ. والخطابُ لِمَن يصلُحُ له، أو لسيِّد المخاطبين ﷺ، وعليه قيل: يجوزُ أن يكونَ ذلك تسليةً له عليه الصلاة والسلام على معنى أنَّهم غيرُ محتاجين إلى شفاعة وغيرها.

ولا يخفَى أنَّ كونَ جميعِ أصحابِ اليمين غيرَ محتاجين إلى ما ذكر غيرُ مسلَّم، فالشفاعةُ لأهل الكبائر أمرٌ ثابتٌ عند أهل السنة، ولا جائز أن يكونوا من أصحاب الشمال، فصرائحُ الآيات أنَّهم كفَّار، وما لهم من وليٍّ ولا شفيعٍ يُطاع، وكونُهم من

---

(١) في (م): الأخيرين.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٨١، والبحر ٨/ ٢١٦.

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ٢١٣-٢١٤، وعزاه لابن المنذر السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٧.

أصحاب اليمين أقربُ من كونهم من السابقين، وجعلُهم قسمًا على حِدَة قد علمتَ حالَه، فتذكر فما في العهد من قدم.

وذكر بعضُ الأجلة أنَّ هذه الجملةَ كلامٌ يفيد عظمةَ حالهم كما يقال: فلانٌ ناهيك به، وحسبُك أنَّه فلان، إشارةً إلى أنَّه ممدوحٌ فوق حدِّ التفصيل، وكأنِّي بك تختارُ ذلك، فإنَّه حسنٌ لطيف.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ وهم أصحابُ الشمال، عبَّر عنهم بذلك حسبما وُصِفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ) ذمًّا لهم بذلك، وإشعارًا بسبب ما ابتُلُوا به من العذاب، ولمَّا وقع هذا الكلامُ بعد تحقُّق تكذيبهم وردِّه على أتمِّ وجهٍ، ولم يقع الكلامُ السابق كذلك، قدَّم وصْفَ التكذيب هنا على عكس ما تقدَّم.

ويجوزُ أن يقال في ذلك على تقدير عمومِ متعلَّق التكذيب بحيث يشملُ تكذيبَه ﷺ في دعوى الرسالة: إنَّ هذا الكلامَ إخبارٌ من جهته سبحانه بأحوال الأزواجِ الثلاثة، لم يؤمَر عليه الصلاة والسلام بأنْ يُشافِهَ بكلِّ جملةٍ منه مَن هي فيه، فقدَّم فيه وصْفَ التكذيب الشامل لتكذيبه عليه الصلاة والسلام المشعرِ بسبب الابتلاء بالعذاب كرامةً له ﷺ وتنويهًا بعلوِّ شأنه، ولمَّا كان الكلامُ السابق داخلًا في حيِّز القول المأمور عليه الصلاة والسلام بأنْ يُشافِهَ به أولئك الكفرةَ لم يَحسُن التقديم للكرامة، إذ يكون حينئذٍ من باب: مادحُ نفسه يُقرِئُك السلام.

ويجوز أنْ يقال أيضًا: إنَّ الكلام في حال الكافر المحتَضَر، والتكذيبُ لكونه مقابلَ التصديق لا يكونُ إلا بالقلب، وهو لم يَتعطَّل منه تعطُّلَ سائرِ أعضائه فلذا قُدِّم هنا، ويرشد إلى هذا ما قالوه في دعاء صلاة الجنازة: «اللهم مَن أَحيَيْتَه منَّا فأَحيه على الإسلام، ومَن توفَّيتَه منَّا فتوفَّه على الإيمان»[1]، من وَجْه تخصيص الإسلام بالإحياء والإيمان بالإماتة.

(١) أخرجه أحمد (٨٨٠٩)، والترمذي (١٠٢٤)، وأبو داود (٣٢٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الإمام في ذلك: إنَّ المراد من الضلال هناك ما صدرَ عنهم من الإصرار على الحنث العظيم، فضَلُّوا عن سبيل الله تعالى ولم يَصِلوا إليه، ثم كذَّبوا رسلَه وقالوا: (أَئِذَا مِتْنَا) إلخ فكذَّبوا بالحشر، فقال تعالى: (أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ) الذين أشركتُم (ٱلْمُكَذِّبُونَ) الذين أنكرتُم الحشرَ (لَآكِلُونَ) ما تكرهون، وأما هنا فقال سبحانه لهم: أيها المكذبون الذين كذبتُم بالحشر، الضالُّون من طريق الخلاص، الذين لا يهتدون إلى النعيم.

وفيه وجهٌ آخرُ، وهو أنَّ الخطابَ هناك مع الكفار فقال سبحانه: أيها الذين أشركتم أولًا، وكذبتم ثانيًا، والخطابُ هنا مع النبيِّ ﷺ يُبيِّن له عليه الصلاة والسلام حالَ الأزواج الثلاثة كما يدل عليه «فسلام لك» فقال سبحانه: المقربون في رَوح وريحان وجنة ونعيم[١]، وأصحاب اليمين في سلامة، وأما المكذبون الذي كذَّبوك وضلُّوا، فقدَّم تكذيبهم إشارةً إلى كرامته ﷺ، حيث بيَّن أنَّ أقوى سببٍ في عقابهم تكذيبُهم[٢]. انتهى، وعليك بالتأمل والإنصاف والنظر لِمَا قال دون النظر لِمَن قال.

وقوله تعالى: ﴿فَنُزُلٌ﴾ بتقدير: فله نُزلٌ، أو: فجزاؤه نُزلٌ كائن ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قيل: يشربُ بعد أكلِ الزقوم كما فُصِّل فيما قبل.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي: إدخالٌ في النار، وقيل: إقامةٌ فيها مقاساةٌ لألوان عذابها، وكلُّ ذلك مبنيٌّ على أنَّ المراد بيانُ ما لهم يوم القيامة.

وقيل: هذا محمولٌ على ما يجده في القبر من حرارة النار ودخانها؛ لأنَّ الكلام في حال التوفِّي وعقب قبضِ الأرواحِ، والأنسبُ بذلك كونُ ما ذكر في البرزخ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنَّه قال في الآية: لا يخرجُ الكافر حتى يشربَ كأسًا من حميم[٣].

وقرأ أحمد بن موسى والمنقري واللؤلؤي عن أبي عمرو: «وتصليةٍ» بالجرِّ[٤] عطفًا على «حميم».

---

(١) في الأصل: وجنة نعيم، والمثبت من (م) والمصدر.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٩/ ١٧٤.
(٣) عزاه لابن أبي حاتم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٧.
(٤) القراءات الشاذة ص١٥٢، والبحر المحيط ٨/ ٢١٦.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الذي ذكر في السورة الكريمة كما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ اليقين على ما يُفهَم من كلام الزمخشري في «الجاثية» اسمٌ للعِلْم الذي زال عنه اللَّبسُ[٢]، وبذلك صرَّح صاحب «المطلع»، وذكر أنَّه تفسيرٌ بحسب المعنى، وهو مأخوذٌ من المقام، وإلا فهو العلم المتيقَّن مطلقًا، والإضافةُ بمعنى اللام، والمعنى: لهو عينُ اليقين، فهو على نحو: عينُ الشيء ونفسُه، ولا يخفى أنَّ الإضافةَ من إضافة العامِّ إلى الخاصِّ، وكونُها بمعنى اللام قولٌ لبعضهم.

وقال بعضٌ آخر: إنَّها بيانيةٌ على معنى «مِن»، وقدَّر بعضُهم هنا موصوفًا، أي: لهو حقُّ الخبرِ اليقينِ، وكونه لا يناسبُ المقامَ غيرُ متوجِّهٍ.

وفي «البحر» قيل: إنَّ الإضافةَ من إضافة المترادفَين على سبيل المبالغةِ كما تقول: هذا يقينُ اليقين وصوابُ الصواب، بمعنى أنَّه نهايةٌ في ذلك، فهما بمعنًى، أُضيفَ أحدُهما إلى الآخر للمبالغة[٣]. وفيه نظر.

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ لترتيب التسبيح، أو الأمر به، فإنَّ حَقيةَ ما فُصِّل في تضاعيف السورة الكريمة مما يُوجبُ التسبيحَ عما لا يليقُ مما ينسبه الكفرة إليه سبحانه قالًا أو حالًا، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه وغيرهم عن عقبة بن عامر الجهني قال: لمَّا نزلَت على رسول الله ﷺ: (فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ) قال: «اجْعلُوها في ركوعِكم» ولمَّا نزلَت: (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى) قال: «اجعلوها في سجودكم»[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه لابن أبي حاتم السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٦٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٠٩.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٢١٦.

(٤) المسند (١٧٤١٤)، وسنن أبي داود (٨٦٩)، وسنن ابن ماجه (٨٨٧)، وصحيح ابن حبان (١٨٩٨)، والمستدرك ١/ ٢٢٥.

ومما قاله السادةُ أربابُ الإشارة متعلِّقًا ببعض هذه السورة الكريمة: أنَّ «الواقعة» اسمٌ لقيامة الروحِ، كما أنَّ «الآزفة» اسمٌ لقيامة الخفي، و«الحاقة» اسمٌ لقيامة السرِّ، و«الساعة» اسمٌ لقيامة القلب.

وقالوا: إنَّ الواقعة إذا وقَعَت ترفَعُ صاحبها طورًا وتخفِضُه طورًا، وتُشعلُ نيرانَ الغيرةِ، وتفجِّرُ أنهارَ المعرفة، وتُحصِّلُ للسالك إذا اشتغَلَ بالسلوك والتصفية ووَصل ذِكْره إلى الروح، وهي في البداية مثلُ سِتْرٍ أسود يجيء من فوق الرأس عند غلبة الذِّكرِ، وكلما زاد في النزول يقعُ على الذاكر هيبةٌ وسكينةٌ، وربما يُغمَى عليه في البداية، ويُشاهِد ـ إذا وقع على عينَيه ـ عوالمَ الغيب، فيرَى ما شاء الله تعالى أن يرى، وتُكشَف له العلومُ الروحانية، ويرَى عجائبَ وغرائبَ لا تحصَى، وإذا أفاقَ فلْيَعرِض ما حَصَل له لمسلِّكه ليُرشِدَه إلى ما فيه مصلحةُ وقتِه، ويُعبِّرَ له ما هو مناسبٌ لحَوْصَلَتِهِ ويقوِّي قلبَه، ويأمره بالذِّكر والتوجُّه الكلِّي حتى يَصْفوَ[1] سرُّ الواقعة فيكون سرًّا منوَّرًا، فربما يصيرُ السالكُ بحيث إذا فتَح عينَيه بعد نزولها في عالم الشهادة يشاهدُ ما كان مشاهدًا له فيها، وهي حالةٌ سنيَّةٌ معتبرةٌ عند أرباب السلوك.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ بل هي صادقةٌ؛ لأنَّ الشيطان يفِرُّ عندها، والنفس لا تقدر أنْ تلبِّس على صاحبها، وهي اليقظة الحقيقية، وما يعدُّه الناسُ يقظةً هو النومُ كما يشيرُ إليه قولُ أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه: الناسُ نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا.

ثم إنَّهم تكلَّموا على أكثر ما في السورة الجليلة بما يتعلَّق بالأنفس، وقالوا في «مواقع النجوم»: إنَّها إشارةٌ إلى اللطائف المطهَّرة لأنَّها مواقعُ نجومِ الواردات القدسيَّة الخفيَّة من السماء الجبروتيةِ اللاهوتية.

وقيل في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾: إنَّ فيه إشارةً إلى أنَّه لا ينبغي لِمَن لم يكن طاهرَ النفس من حَدَث الميلِ إلى صغائر الشهوات، وهو الحدثُ الأصغر، ومن حَدَث الميل إلى كبائر الشهوات، وهو الحدث الأكبر، أنْ

---

(١) في (م): حتى يكمل بِصَفْوِ.

يمسَّ بيد نفسِهِ وفكره معاني القرآن الكريم، كما لا ينبغي لِمَن لم يكن طاهرَ البدنِ من الحدَثَين المعروفَين في البدن أنْ يمسَّ بيد بدَنِه وجسده ألفاظَه المكتوبة.

وقيل أيضًا: يجوزُ أنْ يقال: المعنى: لا يصلُ إلى أدنى حقائقِ أسرار القرآن الكريم إلا المطهَّرون من أرجاس الشهوات وأنجاسِ المخالفات.

وإذا كانت هذه الجملةُ صفةً للكتاب المكنون المرادِ منه اللوحُ المحفوظ، وأُريدَ بالمطهرين الملائكةُ عليهم السلام، وكان المعنى: لا يطَّلعُ عليه إلا الملائكةُ عليهم السلام، كان في ذلك ردٌّ على مَن يزعمُ أنَّ الأولياء يرونَ اللوحَ المحفوظ ويطَّلعون على ما فيه.

وحَمْلُ المطهرين على ما يعمُّ الملائكةَ والأولياءَ الذين طُهِّرت نفوسُهم وقدِّسَت ذواتُهم حتى التحقُوا بالملائكة عليهم السلام لا ينفعُ في البحث مع أهل الشرع، فإنَّ مدارَ استدلالاتهم على الأحكام الشرعية الظواهرُ، على أنَّه لم يُسمَع عن النبيِّ ﷺ - وهو هو - أنَّه نظرَ يومًا وهو بين أصحابه إلى اللوح المحفوظ واطَّلع على شيءٍ مما فيه. وقال لهم: إني رأيتُ اللوحَ المحفوظ واطَّلعت على كذا وكذا فيه، وكذلك لم يُسمَع عن أجلَّة أصحابه الخلفاء الراشدين أنَّه وقع لهم ذلك، وقد وقعَت بينهم مسائل اختلفُوا فيها وطال نزاعُهم في تحقيقها إلى أنْ كاد يغُمُّ هلالُ الحقِّ فيها، ولم يُراجع أحدٌ منهم لكشفها اللوحَ المحفوظ.

وذكر بعضُ العلماء أنَّ سدرة المنتهى ينتهي علمُ مَن تحتَها إليها وأنَّ اللوح فوقَها بكثير، وبكلٍّ من ذلك نطقَت الآثار، وهو يُشعرُ بعدم اطِّلاع الأولياء على اللوح، ومع هذا كلِّه مَن ادَّعى وقوعَ الاطِّلاع فعليه البيان وأنَّى به.

وهذا الذي سمعتَ مبنيٌّ على ما نطقَت به الأخبارُ في صفة اللوح المحفوظ، وأنَّه جسمٌ كُتِبَ فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأما إذا قيل فيه غيرُ ذلك انجرَّ البحثُ إلى وراء ما سمعْتَ، واتسعَت الدائرة.

ومن ذلك قولهم: إنَّ الألواح أربعةٌ، لوحُ القضاء السابق على المحو والإثبات، وهو لوحُ العقل الأول، ولوحُ القَدَر، أي: لوحُ النفس الناطقةِ الكلية

التي يُفصَّل فيها كلياتُ اللوح الأول، وهو المسمَّى باللوح المحفوظ، ولوحُ النفس الجزئية السماوية التي يَنتقشُ فيها كلُّ ما في هذا العالم، شكلُه وهيئتُه ومقدارُه، وهو المسمى بالسماء الدنيا، وهو بمثابة خيالِ العالم، كما أنَّ الأولَ بمثابة روحِه، والثاني بمثابة قلبه، ولوحُ الهيولَى القابل للصورة[١] في عالم الشهادة. ويقولون أيضًا ما يقولون وينشدُ المنتصر له قوله:

وإذا لم تَرَ الهلالَ فسلِّم ... لأناسٍ رأوه بالأبصار[٢]

هذا ولا تظننَّ أنَّ نَفْي رؤيتهم للَّوح المحفوظ نَفْيٌ لكراماتهم الكشفيةِ وإلهاماتهم الغيبيةِ، معاذ الله تعالى من ذلك، وطُرُقُ إطلاعِ الله تعالى مَن شاء مِن أوليائه على ما شاء[٣] مِن علمه غيرُ منحصرٍ بإراءته اللوحَ المحفوظَ، ثم إنَّ الإمكانَ مما لا نزاع فيه، وليس الكلام إلا في الوقوع، وورودِ ذلك عن النبي ﷺ وأجلَّة أصحابه كالصديق والفاروق وذي النورَين وباب مدينة العلم والنقطة التي تحت الباء رضي الله عنهم أجمعين، والله تعالى أعلم.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ ما بنَوه على القول بوحدةِ الوجود، والكلامُ فيها شائعٌ، وقد أشرنا إليه في هذا الكتاب غيرَ مرة[٤].

ولهم في اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين عباراتٌ شتَّى، منها:

اليقينُ رؤيةُ العيان بقوة الإيمان لا بالحجَّة والبرهان.

وقيل: مشاهدةُ الغيوب بصفاءِ القلوب، وملاحظة الأسرارِ بمحافظة الأفكار.

وقيل: طُمأنينةُ القلبِ على حقيقة الشيء، من يَقِنَ الماءُ في الحوض: إذا استقرَّ.

---

(١) في الأصل: للتصور.
(٢) سلف ١/ ١١١.
(٣) في (م): من شاء.
(٤) تقدم ٧/ ٣١٣.

وحقُّ اليقين: فناءُ العبد في الحقِّ والبقاءُ به علمًا وشهودًا وحالًا لا علمًا فقط، فعِلْمُ كلِّ عاقلٍ الموتَ عِلْمُ اليقين، فإذا عايَنَ الملائكةَ فهو عينُ اليقين، وإذا ذاقَ الموتَ فهو حقُّ اليقين.

وقيل: عِلمُ اليقين ظاهرُ الشريعة، وعينُ اليقين الإخلاص فيها، وحقُّ اليقين المشاهدةُ فيها. وقيل وقيل.

ونحن نسألُ الله تعالى الهدايةَ إلى أقوم سبيل، وأنْ يشرح صدورَنا بأنوار علوم كتابه الكريمِ الجليل، وهو سبحانه حسبُنا في الدارَين ونعم الوكيل.

(سورة الواقعة)

(ست وتسعون آية) مدنيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ قامت القيامة. وقيل: وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل: إذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها. ووقوع الأمر نزوله يقال: وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله. وانتصاب ﴿إذا﴾ بمضمر «اذكر» ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ نفس كاذبة أي لا تكون **(حين تقع)** نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذٍ مؤمنة صادقة مصدقة. وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات. **(واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾)** [الفجر: الآية ٢٨] ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ **(أي هي خافضة رافعة)** ترفع قوماً وتضع آخرين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الواقعة، ست وتسعون آية**) وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف. **قوله**: (**واللام مثلها في قوله تعالى**: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾) أي هي لام التوقيت كما في كتبته لخمس خلون ونحوه كما أشار إليه بقوله: (**حين تقع**). **قوله**: (**أي هي خافضة رافعة**) [illegible]

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ حركت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء، وهو بدل من ﴿إذا وقعت﴾، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ **(وفتتت)** حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم إذا ساقها كقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: الآية ٢٠] ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ متفرقًا ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا يقال للأصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها من بعض أزواج ﴿ثَلَٰثَةً﴾ صنفان في الجنّة وصنف في النار.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾

ثم فسر الأزواج فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الأول، وهو تعجيب من حالهم في السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال: ما هم وأي شيء هم؟ ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة **(السنية)** وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك: فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك **(والضعة)**، وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل. وقيل: يؤخذ بأهل الجنّة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي أيُّ شيء هم؟ وهو تعجيب من حالهم **(بالشقاء)**.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الواقعة: الآية ٣] خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة قومًا إلى النار ورافعة آخرين إلى مقر الكرامة وحذف المفعول للعلم به، ويجوز أن ينزل الفعلان منزلة اللازم والمعنى أنها ذات وضع ورفع والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى وإسنادهما إلى الواقعة من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه.

قوله: **(وفتت)** بتائين بمعنى كسرت.

قوله: **(السنية)** أي الرفيعة. **قوله**: **(والضعة)** في المصباح وضع في حسبه بالبناء المفعول فهو وضيع أي ساقط لا قدر له والاسم الضعة بفتح الضاد وكسرها. اهـ. **قوله**: **(بالشقاء)** في **الأختري** الشقاء بالفتح والكسر ضد السعادة. اهـ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ خبره تقديره السابقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنّات. وقيل: الثاني تأكيد للأول والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ والأول أوجه ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ أي هم في جنّات النعيم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي هم ثلّة، والثلّة الأمة من الناس الكثيرة، والمعنى أن السّابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى نبيّنا محمد عليه السلام، وقليل من الآخرين وهم أُمة محمد ﷺ. وقيل: من الأولين من متقدمي هذه الأمة، ومن الآخرين من متأخريها. وعن النبيّ ﷺ: «الثلّتان جميعًا من أمتي».

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سرير ككثيب وكثب ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ **(مرمولة)** ومنسوجة بالذهب **(مشبكة)** بالدرّ والياقوت ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَىٰ﴾ وهو العامل فيها أي استقرّوا عليها متكئين ﴿عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في **(أقفاء)** بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء المودّة و﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ حال أيضًا ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ يخدمهم ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ غلمان جمع وليد ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مبقّون أبدًا على شكل الولدان لا يتحولون عنه. **(وقيل: مقرّطون والخلدة القرط)**. قيل: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها، وفي الحديث: «أولاد الكفّار **(خدام أهل الجنة)**».

قوله: **(مرمولة)** أي منسوجة. **قوله**: **(مشبكة)** أي مزينة. **قوله**: **(أقفاء)** مثل أرجاء جمع القفا متصور مؤخر العنق. **قوله**: **(وقيل: مقرطون والخلدة القرط)** **في لسان العرب** خلّد جاريته إذا حَلّاها بالخُلْدَة وهي القرطة وجمعها خِلَدٌ. اهـ. وأيضًا فيه القِرْط الشُّنُف، وقيل: الشُّنُف في أعلى الأذن والقرط في أسفلها، وقيل: القرط الذي يعلق في شحمة الأذن والجمع أقراط وقِرَاط وقُروط وقرطة. اهـ. وأيضًا فيه قَرَّطتُ الجارية فتقرَّطَتْ هي. اهـ. **قوله**: **(خُدّام أهل الجنة)** في المصباح خدمه يخدمه خدمة فهو خادم غلامًا كان أو جارية والخادمة بالهاء في مؤنث قليل والجمع خدم وخدام. اهـ.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ **(جمع كوب)** وهي آنية **(لا عروة لها ولا خرطوم)** ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ **(جمع إبريق)** وهو ماله خرطوم وعروة ﴿وَكَأْسٍ﴾ وقدح فيه شراب وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمر تجري من العيون ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ **(أي بسببها)** وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا يسكرون. نزف الرجل ذهب عقله بالسكر. (﴿ولا ينزفون﴾ **بكسر الزاي: كوفيّ)** أي لا ينفد شرابهم. يقال: أنزف القوم إذا فني شرابهم ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يأخذون خيره وأفضله.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ يتمنّون ﴿وَحُورٌ﴾ جمع حوراء ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء أي وفيها حور عين أو ولهم حور عين، ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ (﴿وَحُورٍ﴾ **: يزيد وحمزة وعلي)** عطفًا على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ كأنه قال: هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحورٍ ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾ في الصفاء **(والنقاء)**

قوله: **(جمع كوب)** **في المصباح** الكوب كوز مستدير الرأس لا أذن له ويُقال: قدح لا عروة له والجمع أكواب مثل قفل وأقفال. اهـ. **قوله**: **(لا عروة لها)** العروة ما يمسك به **في المصباح** عروة الكوز أذنه والجمع عرى مثل مدية ومدى. اهـ. **قوله**: **(ولا خرطوم)** الخرطوم ما يصب. **قوله**: **(جمع إبريق)** الإبريق معرّب آب ريغ أي ما يصب به الماء. **قوله**: **(أي بسببها)** أي عن سببية بمعنى الباء. **قوله**: **(﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي كوفي)** أي قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيارٌ بضم الياء وكسر الزاي والباقون بضم الياء وفتح الزاي.

قوله: (﴿وَحُورٍ﴾) بالجر وكذا ﴿عِينٍ﴾ **(يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة **(وحمزة وعليّ)** الكسائيّ والباقون برفعهما. **قوله**: **(والنقاء)** **في المصباح** نقي الشيء ينقى من باب تعب نقاء بالفتح والمد ونقاوة بالفتح نظف فهو نقيّ على فعيل. اهـ.

﴿ٱلْمَكْنُونِ﴾ المصون. وقال (**الزّجّاج**): كأمثال الدرّ حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أو مصدر أي يجزون جزاء.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنّة ﴿لَغْوًا﴾ باطلًا ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ (**هذيانًا**) ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ إلا قولًا ذا سلامة. (**والاستثناء منقطع**) و﴿سَلَـٰمًا﴾ بدل من ﴿قِيلًا﴾ أو مفعول به لـ ﴿قِيلًا﴾ أي لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلامًا سلامًا. والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلامًا بعد سلام ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ السدر (**شجر النبق**) والمخضود الذي لا شوك له (**كأنما خضد شوكه**) ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ الطلح (**شجر الموز**

قوله: (**الزجاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحويّ رحمهم الله.

قوله: (هذيانًا) **في لسان العرب** الهذيان كلام غير معقول مثل كلام المبرسم والمعتوه هذا يهذي هَذيًا وهَذيانًا تكلم بكلام غير معقول في مرض أو غيره وهذى إذ هدر بكلام لا يُفهم. **قوله**: (والاستثناء منقطع) لأن السلام لم يندلج تحت اللغو التأثيم. **قوله**: (شجر النبق) بكسر الباء ثمر السدر الواحدة نبقة ويُقال: فيه نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في الإصلاح وهي لغة البصريين والأولى أفصح. **قوله**: (كأنما خصد شوكه) أي قطع ونزع منه. **قوله**: (**شجر الموز**) وهو شجر معروف فيما بين العرب وموز بفتح الميم وسكون الواو ثمر يشبه التين، وهذا كثير في نواحي الشام. اهـ قنوي. وفي المغرب الموز شجر معروف قال الدينوري: ينبت الموزة نبات البرْدِيّ وورقه طويلة عريضة يكون ثلاثة أذرع في ذراعين ويكون في القِنْو من أَقْنَائه ما بين ثلاثين مَوْزة إلى خمسمائة وإذا كان هكذا عُمِد القنو. اهـ بحروفه. **وفي لسان العرب** المَوْز معروف والواحدة موْزة، قال أبو حنيفة هو الدينوري: الموزة تَنْبُتُ نبات البرْدِيّ ولها ورقة طويلة عريضة تكون ثلاثة آذرع في ذراعين ويرتفع قامة ولا تزال فراخها تنبت حولها كل واحد منها أصغر من

والمنضود الذي نضد بالحمل) من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ جار بلا حد **(ولا خد)** أي يجري على الأرض في غير أخدود ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢﴾ أي **(كثيرة الأجناس)** ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه. وقيل: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ **(رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت)** أو مرفوعة على الأسرّة. وقيل: هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالىٰ: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يٓس: الآية ٥٦]. **(ويدل عليه)** قوله:

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾ ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة، فإما أن يراد اللاتي ابتدىء إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن، وعلى غير هذا التأويل أُضمر لهن

صاحبه فإذا أخّرتْ قطعت الأم من أصلها وأطلع فرخها الذي كان لحق بها فتصير أُمًّا ويبقى البواقي فِراخًا فلا تزال هكذا. ولذلك قال أشعب لابنه فيما رواه الأصمعي: لم لا تكون مثلي، فقال: مثلي كمثل الموزة لا تصلح حتى تموت أمها. اهـ بحروفه. **قوله**: **(والمنضود الذي نضد بالحمل...)** الخ من قولهم: نَضَد متاعه ينضد بالكسر نضدًا أي وضع بعضهم على بعض والحمل بالكسر الثمر.

قوله: **(ولاخَدٍ)** بفتح الخاء بمعنى الأخدود أي الشقّ في الأرض وجمعه خدود والأخدود مفرد جمعه أخاديد. **قوله**: **(كثيرة الأجناس)** فما ظنك بكثرة الأفراد. **قوله**: **(رفيعة القدر)** فالمراد رفعة معنوية. **قوله**: **(أو نضدت حتى ارتفعت)** أي بسطت بعضها فوق بعض فترتفع بذلك فالمراد رفعة حسيّة قدم الأول لأن الرفعة المعنوية هي المعتدّ بها. **قوله**: **(ويدلّ عليه)** أي على أن المراد بالفرش النساء وجه الدلالة ظاهر ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ [الواقِعَة: الآية ٣٥] راجعًا إلى قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾ [الواقِعَة: الآية ٢٢] أو إلى النساء المدلول عليهن بذكر الفرش لأنها تبسط لأن يضطجع الرجل عليها مع أهله بناء

لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دلّ عليهن ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ (**عذارى**) كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا ﴿عُرُبًا﴾ (﴿عربًا﴾ **حمزة وخلف ويحيىٰ وحماد جمع عروب**) وهي المتحببة إلى زوجها (**الحسنة التبعل**) ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك.

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾

واللام في ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ من صلة ﴿أنشأنا﴾ ﴿ثُلَّةٌ﴾ أي أصحاب اليمين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ فإن قلت: كيف قال قبل هذا وقيل ﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ ثم قال هنا: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾؟ قلت: ذاك في السابقين وهذا في أصحاب اليمين، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعًا. وعن الحسن: سابقوا الأمم أكثر من سابقي أُمتنا، وتابعوا الأُمم مثل تابعي هذه الأمة.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ الشمال والمشأمة واحدة (﴿فِى سَمُومٍ﴾) في حر نار ينفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وماء حار متناهي الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ من دخان أسود ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل

على أن العرب تُسمي المرأة فراشًا ولباسًا وإزارًا. **قوله**: (**عذارى**) في المصباح عذرة الجارية بكارتها والجمع عذر مثل غرفة وغرف وامرأة عذراء مثل حمراء أي ذات عذرة وجمعها عذارى بفتح الراء وكسرها انتهى. **قوله**: (﴿عربًا﴾) بسكون الراء (**حمزة وخلف**) بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيار (**ويحيى**) بن آدم وهو يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش، وهو يروي عن عاصم (**وحماد**) بن أحمد والباقون بضمها. **قوله**: (**جمع عروب**) بفتح العين كصبور وصبر والعرب بضمتين هو الأصل وسكونه للتخفيف. **قوله**: (**الحسنة التبعل**) في **لسان العرب** تبعّلت المرأة أطاعت بعلها وتبعّلت له تزيّنت، وامرأة حسنة التبعّل إذا كانت مطاوعة لزوجها محبة له. اهـ. وأيضًا فيه التبعُّل حسن العشرة من الزوجين. اهـ.

قوله: (﴿فِى سَمُومٍ﴾) السموم في الأصل ريح حارة تدخل في مسام البدن والمراد بها في الآية حر النار تشبيهًا له بالسموم في نفوذه في المسام ومسام البدن منافذه وثقبه.

ولكن لا كسائر الظلال سمّاه ظلّاً؛ ثم نفى عنه برد الظلّ (وروحه) ونفعه من يأوي إليه من أذى الحرّ وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من (الاسترواح) إليه، والمعنى أنه ظل حار ضار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ يداومون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي على الذنب العظيم أو على الشرك لأنه نقض عهد الميثاق، والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله: ﴿(وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: الآية ٣٨]، ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تقديره: أنبعث إذا متنا؟ وهو العامل في الظرف، وجاز حذفه إذ ﴿مبعوثون﴾ يدلُّ عليه، ولا يعمل فيه ﴿مبعوثون﴾ (لأن «إن» والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما ﴿(أوَ آباؤنا) الأولون﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فيه ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٤٨] لفصل لا المؤكدة للنفي. (﴿أَوْ ءَابَآؤُنَا﴾ مدنيّ وشاميّ).

قوله: (وروحه) الروح بالفتح الراحة. **قوله**: (**الاسترواح**) ضد الراحة والمراد هنا الراحة.

قوله: (﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾) انتصاب قوله تعالى: ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٩] على المصدر ولك أن تجعله في موضع الحال أي جاهدين. وفي الصحاح قال الفراء: والجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك في هذا الأمر أي ابلغ غايتك والجهد بالضم الطاقة وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة أي أقسموا بإيمانهم وبالغوا في تأكيدها وأكدوها بما هو غاية وسعهم. **قوله**: (لأن إن **والاستفهام** يمنعان...) الخ أي كل منهما لاستحقاق الصدارة مانع عن عمل ما بعدها لما قبلها فما ظنك بالمجموع. **قوله**: ﴿(أوْ آباؤنا) الأولون﴾ بإسكان الواو من ﴿أَوَ﴾ مدني وشامي أي قرأه قالون عيسى بن مينا وإنه يروي عن نافع

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤﴾

(﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠﴾) إلى ما وقتت به الدنيا **(من يوم معلوم)**، والإضافة بمعنى «من» كخاتم فضة، والميقات ما وقت به الشيء **(أي حدّ. ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها مَن يريد دخول مكة)** إلا محرمًا ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث

المدنيّ، وكذا قرأه أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن عامر الشاميّ والباقون بفتحها.

قوله: (﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠﴾) قال الحسن: لمجموعون في القبور إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة فتكون كلمة ﴿إِلَىٰ﴾ لبيان غاية اجتماعهم فيها وقيل: قوله تعالى: ﴿لَمَجۡمُوعُونَ﴾ معناه لمحشورون فكلمة ﴿إِلَىٰ﴾ على هذا بمعنى في.

قوله: **(من يوم معلوم)** بيان ما في قوله: ما وقت به أشار به إلى أن إضافة الميقات إلى اليوم بيانية بمعنى من كما في خاتم فضة أي إلى الميقات الذي هو اليوم المعلوم وهو يوم القيامة وهو ميقات منتهى الدنيا عند أول جزء منه فإن بقاء الدنيا موقوف محدّد بتحقق أول جزء من ذلك اليوم يقال وقت الفعل بالتخفيف إذ بيّن له وقتًا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النّساء: الآية ١٠٣] أي مكتوبًا بين الوقت. **قوله**: **(أي حدّ)** وعين.

قوله: **(ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة)** إلا محرمًا فميقات أهل المدينة ذو الحليفة بالتصغير ولأهل مصر والشام والمغرب من طريق تبوك بفتح فضم غير منصرف. وقيل: منصرف وعلى ما في القاموس أرض بين الشام والمدينة الجحفة بضم الجيم وسكون الحاء وهي المغرب من رابغ بكسر الموحدة واد بين الحرمين قرب البحر، فمن أحرم من رابغ فقد

وهم أهل مكة ومَن في مثل حالهم ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ﴾ («من» **لابتداء الغاية**) ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾ («من» **لبيان الشجر**) ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ (**أنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ**) في (﴿مِنْهَا﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾).

أحرم قبل الجحفة لأنها متأخرة عنه فيجوز التقدم عليها، وقيل: الأحوط أن يحرم من رابغ أو قبله لعدم التيقن بمكان الجحفة ولأهل نجد اليمن ونجد الحجاز ونجد تهامة بكسر أولها قرن بفتح فسكون وهي قرية عند الطائف واسم الوادي كله. والباقي أهل اليمن وتهامة يلملم ويقال: الملم جبل على مرحلتين من مكة ولأهل العراق أي أهل البصرة والكوفة وسائر أهل المشرق ذات عرق بكسر فسكون والأفضل أن يحرم من العتيق وهي قبل ذات عرق بمرحلة أو مرحلتين. وهذه المواقيت لأهل الأماكن المذكورة ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، وحكمها وجوب الإحرام منها لأحد النسكين وتحريم تأخيره عنها لمن أراد دخول مكة أو الحرم وإن كان لقصد التجارة أو غيرها ولم يرد نسكًا ولزوم الدم بالتأخير وجوب أحد النسكين. وأعيان هذه المواقيت فقط ليست بشرط بل الواجب عينها أو حذوها أي محاذاتها ومقابلتها فمن سلك غير ميقات برًّا أو بحرًا اجتهد وأحرم إذا حاذى ميقاتًا منها، ومن حذو الأبعد أولى. وإن لم يعلم المحاذاة فعلى مرحلتين من مكة، ولو ترك ميقاته الذي جاوزه وأحرم من آخر سقط عنه الدم. والمدنيّ إن تجاوز عن ميقاته المعروف بذي الحُليفة غير محرم إلى الجحفة كره وفاقًا، وفي لزوم الدم خلاف وصحح سقوطه.

قوله: (**من لابتداء الغاية**) أي مبتدؤون الأكل من الشجر والمراد ثمره. **قوله**: («مِنْ» **لبيان الشجر**) إذ الشجر يحتمل الزقوم وغيره فهو أبلغ من قوله: من شجر الزقوم بالإضافة إذ الإبهام أولًا والبيان ثانيًا أوقع في النفوس. قيل: اختلف الناس في الزقوم وحاصل الأقوال يرجع إلى أن ذلك في الفم مرّ وفي اللمس حارّ وفي الرائحة منتن وفي النظر أسود لا يكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصّة كريه من جميع الوجوه أعاذنا الله سبحانه وتعالى منه برحمته. **قوله**: (**أنث ضمير الشجر على المعنى**) لأنه بمعنى الشجرة (**وذكره على اللفظ**) لأنه خالٍ عن التاء (في) قوله (﴿مِنْهَا﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾) وهو لف ونشر مرتب.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ﴾ بضم الشين: (**مدني**) وعاصم وحمزة (**وسهل**)، وبفتح الشين: غيرهم وهما مصدران ﴿ٱلْهِيمِ﴾ هي إبل عطاش لا تروى (**جمع أهيم وهيماء**)، والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو (﴿كَٱلْمُهْلِ﴾)، فإذا ملئوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم. وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان لأن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة، وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضًا فكانتا صفتين مختلفتين ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ هو الرزق الذي يعد للناس تكرمة له ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق فكأنهم مكذبون به، وإما بالبعث لأن من خلق أولًا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيًا.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام (**من النطف**) ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تقدرونه وتصوّرونه وتجعلونه بشرًا (**سويًا**) ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ تقديرًا قسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط

قوله: (**مدني**) أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة. **قوله**: (**وسهل**) بن محمد السجستاني البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**جمع أهيم**) مذكر (**وهيماء**) مؤنث فأصله هيم بضم الهاء كحمر في جمع أحمر وحمراء فأبدلت الضمة كسرة لتسلم الياء كما فعل ذلك في بيض جمع أبيض وبيضاء. **قوله**: (﴿كَٱلْمُهْلِ﴾) في الصحاح يقال: هو النحاس المذاب، قال أبو عمرو المهل درديّ الزيت، قال: والمهل أيضًا القيح والصديد. اهـ.

قوله: (**من النُّطف**) جمع نطفة وجمع لأن ما عبارة عن النُّطَف بقرينة ﴿تُمْنُونَ﴾. **قوله**: (**سويًا**) أي تام الخلقة وحسن الصورة وانتصاب القامة. **قوله**:

(﴿قدَرنا﴾ **بالتخفيف: مكيّ**) سبقته بالشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه. (و﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ **جمع مثل**) أي على أن نبدل (**منكم ومكانكم**) أشباهكم من الخلق ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الأمرين جميعًا: على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم؟ ويجوز أن يكون ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمع مثل أي على أن نبدّل ونغيّر صفاتكم التي أنتم عليها (**في خلقكم**) وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (﴿**النشاءة**﴾ **مكيّ وأبو عمرو**) ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن مَن قدر على شيء مرة لم يمتنع عليه ثانيًا، (**وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى**). ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣﴾ ما تحرثونه من الطعام أي تثيرون الأرض وتلقون فيها البذر ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه وتردونه

(﴿قدَرنا﴾ **بالتخفيف**) أي بتخفيف الدال (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ والباقون بالتشديد. **قوله**: (و﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ **جمع مثل**) بكسر الميم وسكون الثاء بمعنى الشبه والنظير فعلى هذا التبديل محمول على تبديل الذات. **قوله**: (**منكم ومكانكم**) إشارة إلى أن أحد المفعولين محذوف. **قوله**: (**جمع مثل**) بفتحتين بمعنى الصفة فالتبديل تبديل الصفات. **قوله**: (**في خلقكم**) بكسر الخاء وفتح اللام جمع خلقة وهي ما يكون الإيجاد عليه من الهيئات والأطوار.

قوله: (**النشاءة**) بألف بعد الشين والمدّ (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) البصريّ والباقون بسكون الشين بلا ألف ولا مدّ. **قوله**: (**وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى**) بقوله: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٦٢] فإن معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قياسًا على الأولى وترك القياس إذا كان جهلًا كان القياس علمًا وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح وفي الخبر عجبًا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى

نباتًا ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المنبتون (**وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت»**).

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ (**هشيمًا**) متكسرًا قبل إدراكه ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون أو تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم (**بذلك**) من أجلها ﴿إِنَّا﴾ أي تقولون إنا (﴿أَءِنَّا﴾ **أبو بكر**) ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ (**لملزمون غرامة ما أنفقنا**) أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ (**محارفون محدودون لا مجدودون**) لا حظّ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا.

النشأة الأولى وعجبًا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور. **قوله**: (**وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل: حرثت»**) رواه ابن جرير وابن حاتم. اهـ. **جمالين** وفي حاشية العلّامة الشهاب رواه ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. اهـ.

قوله: (**هشيمًا**) الهشم كسر الشيء اليابس من النبات والهشيم من النبات اليابس المنكسر. **قوله**: (**بذلك**) الحرمان. **قوله**: (﴿أَءِنَّا﴾) بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام (**أبو بكر**) شعبة بن عياش يروي عن عاصم والباقون بهمزة واحدة على الخبر. **قوله**: (**لملزمون غرامة ما أنفقنا**) أي من البذر والمؤونة على أن المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل: المغرم المهلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٥] أي هلاكًا. **قوله**: (**محارفون**) **في لسان العرب** المُحَارف الذي لا يصيب خيرًا من أيّ وجه توجّه له والمصدر الحِرَاف والحُرْف الحِرْمَان. اهـ. وأيضًا فيه وقيل: المُحَارَف بفتح الراء هو المحروم المحدود الذي إذا طَلَب فلا يُرْزق أو يكون لا يسعى في الكسب. وفي الصحاح رجل مُحَارَف بفتح الراء أي محدود محروم وهو خلاف قولك: مُبارَك. اهـ. **قوله**: (**محدودون**) بالمهملة من الحد بمعنى المنع أي ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع. **قوله**: (**لا مجدودون**) بالجيم من الجد بمعنى البخت أي لسنا متيمنين.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي الماء (**العذب**) الصالح للشرب ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب الأبيض وهو أعذب ماء ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقدرتنا ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ (**ملحًا**) أو مرًّا لا يقدر على شربه ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ فهلا تشكرون. (**ودخلت اللام على جواب لو**) في قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ ونزعت منه هنا، لأن «لو» لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلّق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة الشرط كـ «إن» ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقًا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها، أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علمًا على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علمًا على ذلك، ولما شهر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به

قوله: (**العذب**) في لسان العرب العَذْب من الشراب والطعام كل مُسْتَساغ والعذب الماء الطَّيّب. اهـ. **قوله**: (**ملحًا**) أي شديد الملوحَة بحيث لا يقدر على شربه إذ الملح صفة مشبّهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو ماء ملح ولا يقال: مالح إلا في لغة رديئة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (**ودخلت اللام على جواب لو...**) الخ جواب عما يقال: قد التزمت البلغاء إدخال اللام في جواب لو للفصل بين ما يتمحّض للشرط وهو كلمة إن وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنًا لمعنى الشرْط وشبيهًا بأداة الشرط وهي كلمة لو فلذلك دخلت اللام في جواب ﴿لَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ فلم لم تدخل في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ وإنما قلنا إن ﴿لَوْ﴾ ليست متمحضة للشرط لأن الشرط عبارة عن تعليق حصول شيء على حصول غيره وذلك يستدعي أن يكون المعلّق أمرًا استقباليًا ولو للمضي فلا تكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين تعلّقت إحداهما بالأخرى بأن يكون امتناع مضمون الثانية منها منوطًا بامتناع مضمون الأولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة بأداة الشرط وليس لها عمل في شيء منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق فاحتيج إلى أن ينصب ما يدل عليه فزيدت اللام في جوابها لتكون علامة ودليلًا على التعليق المذكور. وتقرير الجواب أنها حذفت في جواب ﴿لَوْ﴾ الثانية اعتمادًا على علم السامع بمكانها فإن السامع

وتساوي حالي حذفه وإثباته، على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغنٍ عن ذكرها ثانية، ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فأُدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعًا للمطعوم، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ **(تقدحونها)** وتستخرجونها **(من الزناد)**. والعرب تقدح بعودين تحكّ أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة **(شبهوهما بالفحل والطروقة)** ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي منها الزناد ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ الخالقون لها ابتداء ﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا﴾ أي النار ﴿تَذْكِرَةً﴾ تذكيرًا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به ﴿وَمَتَـٰعًا﴾ ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين

لما علم أنها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة بالأولى وأنها لا بدّ منها في جواب لو مطلقًا واشتهر بين الناس موضعها ومكانها جاز حذفها لأن الشيء إذا علم موضعه واشتهر أنه لا بدّ منه لا يبالى بإسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادًا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية وهو سبق ذكرها في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾.

قوله: **(تقدحونها)** القدح استخراج النار بضرب الزناد. **قوله**: **(من الزناد)** بكسر الزاي جمع زند يقال: ورى الزند وريًا أي خرجت ناره وأوريته أنا والزند العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الأنثى. فإذا اجتمعا قيل: زندان والجمع زناد مثل سهم وسهام. **قوله**: **(شبهوهما بالفحل والطروقة)** **في المصباح** الفحل الذكر من الحيوان جمعه فحول وفحولة وفحال. هـ. وأيضًا فيه طرق الفحل الناقة طرقًا ضربها فهي طروقة فعولة بفتح الفاء بمعنى مفعولة. اهـ. **وفي الصحاح** طروقة الفحل أنثاه يقال: ناقة طروقة الفحل للتي بلغت أن يضربها الفحل وجه الشبه ما في كل من الزند والزندة من كون قدرة الله تعالى

النازلين في القواء (**وهي القفر**)، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم: «أقوت الدار» إذا خلت من ساكنيها. بدأ بذكر خلق الإنسان فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم، ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء، ثم بما يخبز به وهو النار، فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغني عنه الجسد ما دام حيًّا ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ (**فنزه ربك**) عما لا يليق به أيها المستمع المستدلّ، أو أراد بالاسم الذكر أي فسبّح بذكر ربك ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للمُضاف أو للمُضاف إليه. وقيل: قل سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعًا أنه لما نزلت هذه الآية قال: اجعلوها في ركوعكم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي فأقسم و«لا» مزيدة مؤكدة مثلها قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: الآية ٢٩] (**وقرىء ﴿فلأقسم﴾**) ومعناه فلأنا أقسم، اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي «أنا أُقسم»، ثم حذف المبتدأ. ولا يصحّ أن تكون اللام لام القسم لأن حقّها أن تقرن بها النون المؤكدة ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها ومغاربها (**﴿بموقع﴾ حمزة وعلي**)، ولعلّ الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالًا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ (**وهو**

كأنها طالبة من صاحبها اللقاح الذي هو الاقتداح ليؤدّي إلى النتيجة. **قوله**: (**وهي القفر**) وهي الأرض الخالية عن الماء والكلأ. **قوله**: (**فنزّه ربك**) أي لفظ باسم زائد.

قوله: (**وقرىء ﴿فلأقسم﴾**) في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك قراءة الحسن والثقفي ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ بغير ألف. اهـ. **قوله**: (**بموقع**) بإسكان الواو بلا ألف مفرد بمعنى الجمع لأنه مصدر (**حمزة وعليّ**) الكسائي والباقون بفتح الواو وألف بعدها على الجمع. **قوله**: (**وهو

اعتراض في اعتراض آخر) لأنه اعترض به **(بين القسم والمقسم عليه)** وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ حسن مرضي أو **(نفاع جمّ)** المنافع أو كريم على الله، واعترض بـ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مصون عن أن يأتيه الباطل أو من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

(﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾) من جميع الأدناس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لـ ﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ وهو اللوح.

اعتراض في اعتراض آخر) وهو قوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ فإنه اعتراض بين الموصوف وهو قسم وصفة وهي ﴿عَظِيمٌ﴾ وكلمة في بمعنى مع والحاصل أنهما اعتراضان، أحدهما في ضمن الآخر الأول بين القسم وجوابه، والثاني: بين الصفة والموصوف. **قوله: (بين القسم)** وهو ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾. **قوله: (والمقسم عليه)** وهو ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: الآية ٧٧]. **قوله: (نفّاع)** أي كثير النفع. **قوله: (جم)** أي كثير.

قوله: (﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾) في التفسيرات الأحمدية الضمير في ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ إن عاد إلى الكتاب المكنون كان المعنى لا يمسّ الكتاب المكنون في اللوح المحفوظ إلا الملائكة المطهّرون من الأدناس والكدورات وإن عاد إلى القرآن كان نهيًا، معنى أن لا يمس القرآن إلا المطهّرون من الأحداث أو نفيًا على حاله أي لا يمسّه إلا المطهّرون من الكفر. وقد وصف القرآن ح بالأوصاف الأربعة كما لا يخفى هكذا قالوا والمقصود أن قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ وإن كان يحتمل المعاني ولذا تركه صاحب الهداية، ولكن الأكثرين على أنه نفي بمعنى النهي وأن الضمير المنصوب راجع إلى القرآن وأن الطهارة هو الطهارة عن الأحداث أي لا يمسّ هذا القرآن إلا المطهرون من الأحداث فلا يمسّه المحدث ولا الجنب ولا الحائض والنفساء. وقد اشتهر في كتب أبي حنيفة أنه لا يجوز للمحدث والحائض والنفساء مَسُّ المصحف إلا بغلاف متجاف منفصل عنه. وأما قراءته فيجوز للمحدث فقط إن كان حافظًا إلّا لغيره وإن كان ناظرًا فلا يجوز

....

القراءة للمحدث إلا إذا قلبت الأوراق بقلم أو سكين مع الكراهة، هكذا في القنية. وذكر في الحُسَيْني أن الشافعي ومالك لا يجوّزان مسّه للمذكورين ولا حمله والحنابلة يجوزونهما جميعًا للمحدث والجنب دون الحائض والنفساء، وأبو حنيفة رحمه الله لا يجوز مسّه للمذكورين إلا بغلاف متجافٍ. وعن ابن عمر أنه قال: الأحبّ إليّ أن لا يقرأ القرآن إلا المطهّرون. وقد قيل: لا يمسّه أي لا يقرأه انتهت بحروفها.

وفي تفسير فتح القدير للشوكانيّ رحمه الله قال الواحدي: أكثر المفسرين على أن الضمير عائد إلى الكتاب المكنون أي لا يمسّ الكتاب المكنون إلا المطهّرون وهم الملائكة، وقيل: هم الملائكة والرسل من بني آدم ومعنى لا يمسّه المس الحقيقي، وقيل: المعنى لا ينزل به إلّا المطهّرون وقيل: المعنى لا يقرأه وعلى كون المراد بالكتاب المكنون هو القرآن، فقيل: لا يمسّه إلّا المطهّرون من الأحداث والأنجاس. كذا قال قتادة وغيره وقال الكلبي: المطهّرون من الشرك، وقال الربيع بن أنس: المطهرون من الذنوب والخطايا. وقال محمد بن فضل وغيره: معنى لا يمسّه لا يقرأه إلّا الموحدون. وقال الفراء: لا يجد نفعه وبركته إلا المطهّرون والمؤمنون. وقال الحسين الفضل: لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهّره الله من الشرك والنفاق. وقد ذهب الجمهور إلى منع المحدث من مسّ المصحف، وبه قال عليّ وابن مسعود وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي ورُوِيَ عن ابن عباس والشعبي وجماعة منهم أبو حنيفة أنه يجوز للمحدث مسّه وقد أوضحنا ما هو الحق في هذا في شرحنا للمنتقى فليرجع إليه انتهى بحروفه. وفي تفسير ابن كثير رحمه الله قال ابن جرير: حدّثني موسى بن إسماعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يمسّه إلا المطهّرون. قال الكتاب الذي في السماء، وقال العوفيّ عن ابن عباس: لا يمسّه إلا المطهّرون يعني الملائكة، وكذا قال: أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحّاك وأبو الشعثاء بن برّ بن زيد وأبو نَهيك والسديّ وعبد الرحمٰن بن زيد بن زيد بن أسلم وغيرهم، وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلى حدَّثنا ابن ثور حدَّثنا معمر عن

....

قتادة قال: لا يمسّه إلا المطهّرون. قال عبد الله: لا يمسّه إلا المطهّرون، فأما في الدنيا فإنه يمسّه المجوسيّ النجس والمنافق الرجس، وهي في قراءة ابن مسعود ما يمسّه إلا المطهّرون. وقال أبو العالية لا يمسّه إلا المطهّرون ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب. وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: الآيات ٢١٠ - ٢١٢]، وهذا القول قول جيّد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله. وقال الفرّاء: لا يجد طعمه ونفعه إلا مَن آمن به وقال آخرون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا: والمراد بالقرآن هٰهنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر. وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: ولا يمسّ القرآن إلا طاهر. وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره. ومثل هذا لا ينبغي الأخذ به، وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص، وفي إسناد كل منهما نظر والله أعلم. انتهى بحروفه.

وفي تفسير الدرّ المنثور للعلّامة جلال الدين السيوطي أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: القرآن الكريم هو القرآن والكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لا يمسّه إلا المطهّرون. قال الملائكة عليهم السلام هم المطهّرون من الذنوب. أخرج آدم بن أبي أياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في المعرفة عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ قال: القرآن في كتابه والمكنون الذي لا يمسّه شيء من تراب ولا غبار ولا يمسّه إلا الملائكة المطهّرون. أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾.

....

قال: التوراة والإنجيل ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. قال: حملة التوراة والإنجيل. أخرج ابن جرير عن قتادة قال في قراءة عبد الله بن مسعود: «ما يمسه إلا المطهرون». أخرج آدم وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في المعرفة من طرق عن ابن عباس ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. قال الكتاب المنزّل في السماء لا يمسّه إلا الملائكة. أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن أنس رضي الله تعالى عنه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، قال الملائكة عليهم السلام: أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. قال: ذاكم عند رب العالمين لا يمسّه إلا المطهّرون من الملائكة عليهم السلام، فأما عندكم فيمسّه المشرك النجس والمنافق الرجس. أخرج ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ ﷺ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾، قال: عند الله في صحف مطهّرة لا يمسّه إلا المطهّرون قال: المؤمنون. أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن علقمة قال: أتينا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فخرج علينا من كنيف لنا فقلنا: لو توضأت يا أبا عبد الله ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا، قال: إنما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ وهو الذي في السماء لا يمسّه إلا الملائكة، ثم قرأ علينا من القرآن ما شئنا. أخرج عبد بن حميد وابن أبي داود في المصاحف وابن المنذر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ قال: في السماء لا يمسّه إلا المطهّرون، قال: الملائكة عليهم السلام أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ قال الملائكة عليهم السلام، ليس أنتم يا أصحاب الذنوب. أخرج ابن المنذر عن القعنبي قال: قال مالك رضي الله تعالى عنه أحسن ما سمعت في هذه الآية ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أنها بمنزلة الآية التي في عبس ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: الآيات ١٣ ـ ١٦]. أخرج ابن المنذر عن ابن عمر أنه كان لا يمسّ المصحف إلا متوضئًا. أخرج عبد الرزاق وابن أبي داود وابن المنذر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال: في كتاب النبيّ ﷺ لعمرو بن حزم: ولا تمسّ القرآن إلا على طهور. أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة في

....

المصنف وابن المنذر والحاكم وصححه عن عبد الرحمٰن بن زيد قال: كنا مع سلمان فانطلق إلى حاجة فتوارى عنا ثم خرج إلينا فقلنا: لو توضأت فسألناك عن أشياء من القرآن فقال: سلوني فإني لست أمسّه إنما يمسّه المطهّرون ثم تلا ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾. أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمس القرآن إلا طاهر». أخرج ابن مردويه عن معاذ بن جبل أن النبيّ ﷺ لما بعثه إلى اليمن كتب له في عهده أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر. أخرج ابن مردويه عن ابن حزم الأنصاري عن أبيه عن جده أن نبيّ الله ﷺ كتب إليه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. انتهى بحروفه. **وفي شرح السنّة** للإمام البغوي الشافعي رحمه الله في باب المحدث لا يمسّ المصحف قال الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ قال مالك: أحسن ما سمعت في هذه الآية أنها بمنزلة الآية التي في عبس ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣﴾ [عَبَسَ: الآيات ١١ - ١٣]. أخبرنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحٰق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن المحدث أو الجنب لا يجوز له حمل المصحف ولا مسّه. وقال مالك: لا يحمل المصحف بعلاقته ولا على وسادة إلا وهو طاهر إكرامًا للقرآن وتعظيمًا له. وقال معمر عن قتادة قال: لقد كان يستحب أن لا يقرأ الأحاديث التي عن النبيّ ﷺ إلا على الطهارة. وكان مجاهد يقرأ وهو يصلي فوجد ريحًا فأمسك عن القراءة حتى ذهبت. وقال رجل لعطاء: أقرأ القرآن فيخرج مني الريح، قال: تمسك عن القراءة حتى تنقضي الريح، وكان الشعبي لا يرى بأسًا أن يأخذ بعلاقة المصحف غير طاهر. وروي عن أبي وائل قال: كان يُقال: لا يقرأنّ في الحمّام، وكره سعيد بن المسيّب أن يكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم على رأس الشّعر، وجوّز الحكم وحماد وأبو حنيفة حمل المصحف ومسّه، وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا يمسّ المكتوب. اهـ بحروفه.

وفي حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله قوله: أي لا يمسّ القرآن إلا المطهّرون من الأحداث، وهو قول عطاء وطاوس وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي ومالك وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل

....

المصحف ومسّه انتهت بحروفها. **وفي تفسير الإمام البغويّ رحمه الله** قال قوم معناه: لا يمسّه إلا المطهّرون من الأحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناه نهي، وقالوا: لا يجوز للجنب ولا الحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسّه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه والأول قول أكثر الفقهاء. اهـ بحروفه. **وعبارة الخازن** مثل عبارة تفسير الإمام الموصوف مع زيادة يسيرة وهي قوله بعلاقة بعد قوله: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه. **وعبارة تفسير الخطيب الشربيني الشافعي رحمه الله**.

تنبيه: اختلف العلماء في مسّ المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسّه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب عليّ وابن مسعود وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهريّ والنخعيّ والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي، وأما الحمل فلأنه أبلغ من المسّ سواء حمله بعلاقته أم في كمه أم على رأسه وسواء مسّ نفس الأسطر أم ما بينها أم الحواشي أم الجلد أم العلاقة أم الخريطة أم الصندوق إذا كان المصحف فيها وسواء مسّ بأعضاء الوضوء أم بغيرها، وقال جماعة بجواز مسّه وحمله واحتجّوا بأن النبيّ ﷺ كتب إلى هرقل كتابًا فيه قرآن وهرقل محدث يمسّه هو وأصحابه وبأن الصبيان يَحملون الألواح محدثين بلا إنكار وبأنه إذا لم تحرم القراءة فالحمل والمس أولى وبأنه يجوز حمله في أمتعة. وأُجيب عن الأول بأن ذلك الكتاب كان فيه آيتان ولا يسمى مصحفًا ولا ما في معناه وبأنه لو كان كتابًا قد تضمّن مع القرآن دعاء إلى الإسلام، فلم يكن القرآن بانفراده مقصودًا فجاز تغليبًا للمقصود فيه. وعن الثاني بأنه أُبيح للصبيان للضرورة لأنهم غير مكلّفين. وعن الثالث بأن القراءة أبيحت للحاجة وعسر الوضوء كل وقت وبأنا لا نسلم الأولوية المذكورة بدليل أن الكافر لا يمنع من القراءة ويمنع من حمل المصحف ومسّه. وعن الرابع بأن جواز حمل المصحف في الأمتعة محله إذا لم يكن المصحف مقصودًا بالحمل، وقال آخرون بحرمة المسّ دون الحمل. واحتجوا بأن المحرم يحرم عليه مسّ الطيب دون حمله، وأجيب عنه بأنه غير صحيح لأن حمل المصحف أبلغ في الاستيلاء

....

عليه من مسّه فلما حرم الأدنى كان تحريم الأعلى أولى ولأن تحريم المصحف إنما هو لحرمته فاستوى فيه مسّه وحمله بخلاف طيب المحرم فإن تحريمه مقصور على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولو لفّ كمه على يده وقلب به أوراق المصحف حرم عليه لأن القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلب ذلك بعود. وخرج بالمصحف غيره نحو كتب الفقه والحديث، وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسّها إلا أن يكون القرآن أكثر من التفسير أو مساويًا له فيحرم الحمل والمسّ لأنه حينئذٍ في معنى المصحف، وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح المنهاج وغيره. انتهى باختصار. **وفي رحمة الأمة في اختلاف الأئمة** ولا يجوز مسّ المصحف ولا حمله لمحدث بالإجماع. وحُكِيَ عن داود وغيره الجواز ويجوز حمله بغلاف وعلاقة إلّا عند الشافعي ويجوز عنده في أمتعة وفي تفسير ودنانير وقلب ورقه بعود. انتهت بحروفها. **وفي الميزان للعلّامة عبد الوهاب الشعراني رحمه الله** من ذلك قول الأئمة الأربعة بتحريم مسّ المصحف على المحدث مع قول داود وغيره بالجواز، وكذلك قول الأربعة يجوز للمحدث بغلاف أو علاقة إلا عند الشافعي كما يجوز حمله في أمتعة وتفسير ودنانير وقلب ورقه بعود. انتهى بحروفه. وفي شرح المنهاج للعلّامة الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي (ويحرم بالحدث الصلاة) إجماعًا. وفي الصحيحين حديث لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ ومنها صلاة الجنازة وفي معناها سجدة التّلاوة (والطواف) قال ﷺ: «الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحلّ فيه المنطق فمن نطق فلا ينطق إلا بخير» رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم (وحمل المصحف ومسّ ورقه). قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ هو خبر بمعنى النهي والحمل أبلغ من المسّ والمطهر بمعنى المتطهّر ذكره في شرح المهذب (وكذا جلده على الصحيح) لأنه كالجزء منه والثاني لا يحرم مسّه لأنه وعاء له ككيسه (وخريطة وصندوق فيهما مصحف وما كتب للدرس قرآن كلوح في الأصح) لشبه الأولين المعدّين للمصحف بالجلد والثالث بالمصحف والثاني لا يحرم مسّها لأن الأولين كالوعاء للمصحف والثالث ليس في معناه وحمل الثالث كمسّه مسّ الأوّلين وحملهما ولا مصحف فيهما جائز (والأصح حلّ حمله في أمتعة) تبعًا لها (وفي تفسير ودنانير) كالأحديّة لأنهما

....

المقصودان دونه والثاني يحرم لإخلاله بالتعظيم ولو كان القرآن أكثر من التفسير حرم قطعًا عند بعضهم وصوّبه في الروضة والمسّ في الأخيرين كالحمل (لا قلب ورقه بعود) فإنه لا يحلّ في الأصح لأنه في معنى الحمل لانتقال الورق بفعل القالب من جانب إلى آخر والأصحّ (أن الصبي المحدث لا يمنع) من مسّ المصحف واللوح وحملهما لحاجة تعلمه منهما ومشقة استمراره على الطهارة والثاني على الولي والمعلّم منعه من ذلك (قلت الأصح حلّ قلب ورقه بعود وبه قطع العراقيون والله أعلم) لأنه ليس بحمل ولا في معناه ولو لفّ كمّه على يده وقلب به حرم قطعًا وقيل فيه وجهان. اهـ بحروفه. **وفي فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب** للعلّامة أبي يحيىٰ زكريا الأنصاري الشافعي رحمه الله (وحرم) بها أي بالإحداث أي بكل منها حيث لا عذر صلاة إجماعًا ولخبر الصحيحين لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ وفي معناها خطبة الجمعة وسجدتا التلاوة والشكر (وطواف) لأنه ﷺ توضّأ له وقال: لتأخذوا عني مناسككم. رواه مسلم ولخبر الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحلّ فيه المنطق فمن نطق فلا ينطق إلا بخير رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم (ومسّ مصحف) بتثليث ميمه ومسّ (ورقه). قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي المتطهرون وهو خبر بمعنى النهي والحمل أبلغ من المسّ، نعم إن خاف عليه غرقًا أو حرقًا أو كافرًا أو نحوه جاز حمله بل قد يجب وخرج بالمصحف غيره كتوراة وإنجيل ومنسوخ تلاوة من القرآن فلا يحرم ذلك ومسّ (جلده) المتصلّ به لأنه كالجزء منه فإن انفصل عنه فقضية كلام البيان الحل وبه صرّح الأسنوي لكن نقل الزركشي عن عصارة المختصر للغزالي أنه يحرم أيضًا. وقال ابن العماد أنه الأصح ومسّ (ظرفه) كصندوق (وهو فيه) لشبهة بجلده وعلاقته كظرفه ومسّ (ما كتب عليه قرآن) لدراسته كلوح لشبهه بالمصحف بخلاف ما كتب لغيره ذلك كالتمايم وما على النقد (وحلّ حمله في متاع) تبعًا له بقيد زدته بقولي (إن لم يقصد) أي المصحف بأن قصد المتاع وحده أو لم يقصد شيئًا بخلاف إذا قصد ولو مع المتاع وإن اقتضى كلام الرافعي الحل فيهما إذا قصدهما وتعبيري بمتاع أولى من تعبيره بأمتعته. (وفي تفسير) لأنه المقصود دون القرآن ومحله إذا كان (أكثر) من القرآن فإن كان القرآن

....

أكثر أو تساويا حرم ذلك وحيث لم يحرم يكره. وقولي أكثر من زيادتي وبما تقرر علم أنه يحل حمله في سائر ما كتب هو عليه لا لدراسته كالدنانير الأحدية وحلّ (قلب ورقه بعود) أو نحوه لأنه ليس بحمل ولا في معناه بخلاف ما لو قلبه بيده ولو بلف نحو خرقة عليها (ولا يجب منع صبي مميّز) ولو جنبًا مما ذكر من الحمل والمسّ لحاجة تعلمه ومشقة استمراره متطهّرًا فمحل عدم الوجوب إذا كان للدراسة والتصريح بعدم الوجوب وبالمميز من زيادتي وخرج بالمميز غيره فلا يمكن من ذلك. اهـ بحروفه.

وفي تحفة المحتاج بشرح المنهاج للعلّامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي (ويحرم) على غير فاقد الطهورين ونحو السلس (بالحدث الصلاة) إجماعًا ومثلها صلاة الجنازة وسجدة تلاوة أو شكر وخطبة جمعة (والطواف) فرضًا ونفلًا للحديث الصحيح على نزاع في رفعه صحح المصنّف عد الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحلّ فيه المنطق (وحمل المصحف) بتثليث ميمه وخرج به ما نسخت تلاوته وبقية الكتب المنزّلة (ومسّ ورقه) ولو البياض للخبر الصحيح لا يمسّ القرآن إلا طاهر والحمل أبلغ من المسّ (وكذا جلده) المتصل به يحرم مسّه (على الصحيح) لأنه كالجزء منه وحمل ومسّ (خريطة وصندوق) بفتح أوّله وضمّه ومثله كرسي وضع عليه كما هو ظاهر (فيهما مصحف) وقد أعدا له أي وحده كما هو ظاهر لشبههما حينئذٍ بخلاف ما إذا انتفى كونه فيهما أو أعدا وهما له فيحلّ حملهما ومسّهما وحمل ومسّ (ما كتب لدرس قرآن) ولو بعض آية (كلوح في الأصح) لأنه كالمصحف وظاهر قولهم بعض آية إن نحو الحرف كاف وفيه بعد بل ينبغي في ذلك البعض كونه جملة مفيدة (والأصحّ حلّ حمله في) هي بمعنى مع (أمتعة) بل متاع وحمله ومسّه في نحو ثوب كتب عليه (وتفسير) أكثر منه مع الكراهة وحمله ومسّه في (دنانير) عليها سورة الإخلاص أو غيرها لأن القرآن لما لم يقصد هنا لما وضع له من الدراسة والحفظ لم تجر عليه أحكامه وفي بمعنى مع (لا) حلّ (قلب ورقه) أو ورقة منه (بعود) مثلًا من جانب إلى آخر ولو قائمة كما شمله إطلاقه (في الأصح) لانتقاله بفعله فصار كأنه حامله والأصح (أن الصبي) المميّز إذ لا يجوز تمكين غيره منه مطلقًا لأنه قد ينتهكه المحدث حدثًا أصغر أو

....

أكبر (لا يمنع) من مسّه وحمله عند حاجة تعلّمه ودرسه ووسيلتهما كحمله للمكتب والإتيان به للعلم ليعلمه منه فيما يظهر وذلك لمشقة دوام طهره (قلت الأصح حلّ قلب ورقه) مطلقًا (بعود) أو نحوه (وبه قطع العراقيون والله أعلم) لأنه ليس بحمل ولا في معناه انتهت باختصار. وفي شرح أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك للعلّامة الدردير المالكيّ رحمه الله (ومنع الحدث صلاة وطوافًا ومسّ مصحف أو جزئه وكتبه وحمله وإن بغلافه أو ثوب) يعني أن الحَدث وأولى الأكبر يمنع التلبّس بالصلاة والطواف إذ من شرط صحتهما الطهارة فلا ينعقدان بدونها ويمنع أيضًا مسّ المصحف الكامل أو جزء منه وإن آية ولو مسّ ذلك من فوق حائل أو بعود وكذا يحرم على المحدث كتبه فلا يجوز للمحدث أن يكتب القرآن أو آية منه ولا أن يحمله ولو مع أمتعة غير مقصودة بالحمل ولو بعلاقة أو ثوب أو وسادة (إلا المعلم والمتعلم ولو حائضًا لا جنبًا) أي يحرم على المكلّف مسّ المصحف وحمله إلا إذا كان معلمًا أو متعلمًا فيجوز لهما مسّ الجزء واللوح والمصحف الكامل وإن كان كل منهما حائضًا أو نفساء لعدم قدرتهما على إزالة المانع بخلاف الجنب لقدرته على إزالته بالغسل أو التيمم والمتعلم يشمل من ثقل عليه القراءة فصار يكرره في المصحف (وإلا حرزًا بساتر وإن لجنب كبأمتعة قصدت) هذا معطوف على الاستثناء قبله أي إلا المعلم وإلا إذا كان القرآن حرزًا بساتر يقيه من وصول قذارة إليه فإنه يجوز حمله خوفًا من ارتياع أو مرض أو رمد ولو للجنب وأولى الحائض وظاهره ولو مصحفًا كاملًا وهو كذلك على أحد القولين، ومثل ذلك حمله بأمتعة قصدت بالحمل كصندوق ونحوه فيه مصحف أو جزء وقصد حمله في سفر أو غيره فإن قصد المصحف فقط أو قصدا معًا منع إذا كان قصد المصحف ذاتيًا لا بالتبع للأمتعة وإلا جاز كما هو ظاهر، وكذا حمل التفسير ومسّه لا يحرم لأنه لا يُسمى مصحفًا عرفًا، فقوله: كبأمتعة تشبيه في الجواز المستفاد من الاستثناء ويجوز حمل الأمتعة المقصود حملها ولو لكافر. انتهى بحروفه.

وفي شرح العمدة الفاضل حاوي الفضائل والفواضل الشيخ إبراهيم الشبراخيتي على مختصر الشيخ خليل المالكي. ومنع حدث مسّ (مصحف) ولجلده حكمه وأحرى طرف المكتوب وما بين الأسطر بيد أو غيرها ولو لفّ

....

خرقة على عضوه لقوله عليه الصلاة والسلام في كتابه لعمرو بن حزم أن لا يمسّ القرآن إلّا طاهر. وخرج النظر إذا قلب أوراقه طاهر وغير القرآن من الكتب ودفاتر العلم وإن كان فيها الآيات يجوز مسّها، نصّ عليه مسّ في مختصر الواضحة وبطهارة أفضل وشمل المصحف الكامل والجزء والورقة فيها بعض سورة ومثله اللوح والكتف وكتبه كمسّه إلا الآية في الكتاب والبسملة وشيء من القرآن والمواعظ في الصحيفة وما يعلق على الصبي والحائض والحامل إذا حذر عليه أو في شمع لا دون ساتر وخوف غرقه أو حرقه أو يد كافر يبيح مسّه وكما يمنع المسّ يمنع ما في حكمه (وإن بقضيب) يفهم من حرمة مسّه من فوق حائل ولاصق له ولو كثيفًا ومنع (حمله وإن بعلاقة) يجعلها في يده مثلًا أو (وسادة) مثلثة الواو وهي متّكاه (إلا) أن يحمل (بأمتعة) أي معها في صندوق أو خرج (قصدت) بالحمل وحدها دونه لا هو ولا هما. نصّ عليه صاحب الإرشاد (ولو) حملت (على كافر) لأن المقصود حمل ما فيه المصحف لا المصحف لقوله: ولا يحمل المصحف نصرانيّ ولا غير متوضىء إلا أن يكون في خرج أو مدادة وأما على وسادة أو بعلاقة فلا (لا) يمنع الحدث مسّ (درهم) أو دينار فيه شيء من القرآن لإجازة سلف الأمة البيع والشراء بهما فهو عطف على قوله: مصحف (وتفسير) غير ذات كتب الاسم أي التي يكتب فيها الآيات خالصة من خلطها وذات كتبها ولو كتفسير ابن عطية فكتب بفتح الكاف وإسكان التاء وسواء قصد الآي أم لا خلافًا لابن عرفة (ولوح لمعلم) هو مَن يريد إصلاح اللوح سواء كان جالسًا للتعليم أم لا. (ومتعلّم) صبي أو رجل ومفهومه أن غير المعلم والمتعلّم ليس له مسّ اللوح (وأن) امرأة (حائضًا وجزء) لا مفهوم له إذ حكى ابن بشير الاتفاق على جواز مسّ المتعلّم المصحف الكامل قال في توضيحه ظاهره ولو كان بالغًا (لمتعلم) لا مفهوم له أيضًا كما يفيده كلام ابن مرزوق على ما رواه ابن القاسم عن مالك وإن كان ابن حبيب كرهه وإذا ثبت ما ذكره ابن بشير من الاتفاق على جواز مسّ الكامل دلّ ذلك على اعتماده (وإن بلغ) لاضطراره لمسّه (وحرز) فيه قرآن وذكر الله تعالى وأسماؤه وذكره (بساتر) لصحيح أو مريض (وإن الحائض) ونفساء وجنب. انتهى باختصار.

....

وفي كشف المخدّرات والرياض المزهرات شرح أخصر المختصرات في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما (وحرم على محدث) حدث أصغر أو أكبر مسّ (مصحف) أو بعضه ولو من صغير حتى جلده وحواشيه وغيرها بلا حائل لا حمله بعلاقته. انتهى بحروفه. وفي شرح معونة أولي النهى في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما (ويحرم بحدث) أكبر أو أصغر مع قدرة على طهارة (صلاة) لحديث ابن عمر مرفوعًا لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول. رواه الجماعة إلا البخاري وسواء الفرض والنفل وسجود التلاوة والشكر وصلاة الجنازة ولا يكفر مَن صلّى محدثًا ويحرم أيضًا به (طواف) فرضًا كان أو نفلًا لقوله عليه السلام: الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام. رواه الشافعي ويحرم به أيضًا مسّ مصحف وبعضه) ولو من صغير لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾. ولحديث عبد الله بن عمرو بن حزم عن جده أن النبيّ ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا وفيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. رواه الأثرم والنسائيّ والدارقطني متصلًا. واحتجّ به أحمد ورواه مالك مرسلًا (حتى جلده) أي المصحف (وحواشيه) وما فيه من ورق أبيض لأنه يشمله اسم المصحف ويدخل في بيعه (بيد وغيرها) كصدره إذ كل شيء لاقى شيئًا فقد مسّه (بلا حائل) فإن كان بحائل لم يحرم لأن المسّ إذن للحائل ولا يحرم على محدث (حمله بعلاقة وفي كيس وكم) من غير مسّ كحمله في رحله لأن النهي ورد في المسّ والحمل ليس بمسّ ولا يحرم على محدث (تصفّحه) أي المصحف (به) أي بكمّه (أو بعود) لما تقدّم (ولا) يحرم على محدث أيضًا (مسّ تفسير) ونحوه لكتب فقه ورسائل فيها آيات من قرآن لأنه لا يُسمى مصحفًا ولا يُحرم عليه أيضًا مسّ (منسوخ تلاوته) ومأثور عن الله كالتوراة والإنجيل ولا حمل رقى وتعاويذ فيها قرآن ولا مسّ ثوب رقم بقرآن أو فضة نقشت به، (ولا) على ولي (صغير) تمكينه من أن يمسّ (لوحًا فيه قرآن) من محل خالٍ من الكتابة دون المكتوب وإن رفع الحدث عن عضو لم يجز مسّ المصحف به قبل كمال الطهارة (ويحرم مسّ مصحف بعضو متنجس) قياسًا على مسّه مع الحدث انتهى بحروفه.

....

وفي **هداية الراغب يشرح عمدة الطالب** في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه (ويحرم بحدث مسّ مصحف وبعضه) بيد وغيرها حتى جلده المتّصل به وحواشيه لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي لا يمسّ القرآن وهو خبر بمعنى النهي. ورد بأن المراد اللوح المحفوظ والمطهرون الملائكة لأن المطهر من طهره غيره ولو أريد بنو آدم لقيل المتطهّرون. والجواب أن بني آدم على قياسهم بدليل حديث ابن عمر أن النبيّ ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا وكان فيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. قال الأثرم: احتجّ به أحمد ورواه مالك مرسلًا لكن إنما يحرم المسّ إذا كان (بلا حائل) لأن النهي إنما ورد عن مسّه ومع الحائل إنما يكون المسّ له دون المصحف (وله) أي للمحدث (حمله) أي المصحف (بلا مسّ) كحمله بعلاقة وفي كيس وكم للمحدث (تصفّحه) أي تقليب أوراقه (بكمّه وبنحو عود) ولا فرق في ذلك بين الصغير والكبير، لكن لصغير مسّ لوح فيه قرآن ولا يجوز لوليه تمكينه من مسّ المحل المكتوب فيه، ويجوز لمحدث مسّ تفسير ونحو قل، ورسائل فيها قرآن منسوخ تلاوته فإن رفع الحدث عن بعض أعضاء الوضوء لم يجز مسّ المصحف به قبل كمال الطهارة. ولو قلنا: يرتفع الحدث عنه ففيه وجهان: قال في الإنصاف الذي يظهر أن ذلك مراعى فإن أكمله وارتفع وإلا فلا. انتهت بحروفها.

وفي **كشف القناع عن الإقناع** في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما (ويحرم عليه) أي المحدث (مسّ المصحف وبعضه) لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي لا يمسّ القرآن، وهو خبر بمعنى النهي وورد بأن المراد اللوح المحفوظ والمطهرون الملائكة لأن المطهر من طهره غيره، ولو أريد بنو آدم لقيل: المتطهرون. وجوابه أن المراد هم بنو آدم قياسًا عليهم بدليل ما روى عبد الله بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا وكان فيه: لا يمسّ القرآن إلا طاهر. رواه الأثرم والنسائي والدارقطني متصلًا. قال الأثرم، واحتجّ به أحمد ورواه مالك مرسلًا من غير حائل لأن النهي إنما ورد عن مسّه ومع الحائل إنما يكون المسّ له دون المصحف (ولو) كان المسّ بغير يده لعموم ما سبق ولا يختص المسّ بباطن اليد بل كل شيء لاقى شيئًا

....

فقد مسّه (حتى جلده) أي المصحف (وحواشيه) والورق الأبيض المتصل به لأنه داخل في مسماه بدليل شمول البيع له ولو كان الماسّ للمصحف صغيرًا فلا يجوز لوليه تمكينه منه إلا بطهارة كاملة كالمكلّف ولو كانت الطهارة تيممًا مطلقًا. وقال الموفق: إن احتاجه فإن عدم الماء لتكميل الوضوء تيمم للباقي ثم مسّه (سوى مسّ صغير لوحًا فيه قرآن) فلا يحرم مسّه للوح في المحل الخالي من الكتابة (ولا) يجوز تمكين الصغير من مسّ المحل (المكتوب فيه) القرآن من اللوح بلا طهارة لعدم الحاجة لاستغنائه عنه بمسّ الخالي (وما حرم) مما تقدم (بلا وضوء حرم بلا غسل) بطريق الأولى لا العكس فإن قراءة القرآن تحرم بلا غسل فقط، (وللمحدث حمله) أي المصحف (بعلاقته وفي غلافه) أي كيسه (وفي خرج فيه متاع وفي كمه) من غير مسّ له لأن النهي ورد عن المسّ والحمل ليس بمسّ (وله تصفحه) أي تصفّح المصحف (بكمه أو بعوده ونحوه) كخرقة وخشبة لأنه غير ماسّ له (وله مسّه) أي المصحف (من وراء حائل) لما تقدم (كحمل رقى وتعاويذ فيها قرآن) قال في الفروع: وفاقًا وهل يجوز مسّ ثوب رقم بالقرآن أو فضّة نقشت به قال في الإنصاف: فيه وجهان أو روايتان، ثم قال الزركشيّ: ظاهر كلامه الجواز. قاله في النظم عن الدرهم المنقوش هذا المنصور (وله) مسّ (تفسير ورسائل فيها قرآن) وكذا كتب حديث وفقه ونحوها فيها قرآن لأن اسم المصحف لا يتناولها فظاهره قل التفسير أو كثر (وله) مسّ (منسوخ لتلاوته) وإن بقي حكمه كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما (وله) مسّ (المأثور عن الله تعالى) كالأحاديث القدسية (وله) مسّ (التوراة والإنجيل) والزبور وصحف إبراهيم وموسى وشيث إن وجدت لأنها ليست قرآنًا (فإن رفع الحدث عن عضو من أعضاء الوضوء لم يجز مسّ المصحف به قبل كمال الطهارة) لأنه لا يُسمى متطهرًا قبل كمالها (ولو قلنا برفع الحدث عنه) أي عن العضو المغسول قبل كمال الطهارة وفيه وجهان. قال في الإنصاف: الذي يظهر أن يكون ذلك مراعى فإن أكمله ارتفع وإلّا فلا (يحرم مسّه) أي المصحف (بعضو متنجّس) لأنها أولى من الحدث. اهـ بحروفه. وأيضًا فيه (ويجوز كتابة المحدث من غير مسّ ولو لذميّ) لأن النهي كما تقدم ورد عن مسّه وهي ليست مسًّا. اهـ.

....

وفي الضياء المعنويّ على مقدمة الغزنوي في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه ولا يجوز لمحدث وجنب وحائض ونفساء مسّ المصحف إلا بغلافه لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، وهذا وإن قيل في تأويله لا ينزله إلا السفرة الكرام البررة فظاهره يفيد منع غير الطاهر من مسّه. كذا في المبسوطين، والفرق في المحدث بين اللمس والقراءة أن الحدث يحلّ اليد دون الفم ولهذا لا يفترض غسلها في الحدث غير الجنابة. وأما في الجنابة فيفترض غسل اليد والفم فافترقا. فإن قلت: فلو تمضمض الجنب فقد ارتفع حدث الفم فينبغي أن يجوز له القراءة فهل هو كذلك. قيل: قد ذكر بعضهم جواز القراءة والصحيح أنه لا يجوز كذا في الإيضاح لأنه بذلك لا ترتفع جنابته. وكذا إذا غسل المحدث يديه هل يجوز له المسّ، الصحيح أنه لا يجوز لما قلنا وإذا لم يجز للمحدث المسّ فكذا لا يجوز له وضع أصابعه على بياض الورق المكتوب عند التقليب لأنه تبع له. وكذا لا يجوز له مسّ شيء من القرآن مكتوب في غير المصحف من لوح أو درهم أو حائط إذا كان آية تامة، وكذا إذابة الدراهم إلا [illegible] كسرها فلا بأس به حينئذٍ ويجوز مسّ غير الكتابة بخلاف المصحف فإن الكل فيه تبع للقرآن. وكذا كتب التفسير لا يجوز مسّها وكتب الفقه إذا كان فيها شيء من القرآن لا يجوز له مسّ موضع القرآن وله أن يمسّ غيره كذا في الإيضاح. وفي الهداية يكره مسّ كتب الشريعة ويرخص في مسّها بالكم. وفي الحواشي تستحب أن لا يأخذها بالكم أيضًا بل يجدد الوضوء كلما أحدث وهذا أقرب إلى التعظيم. قال الحلواني إنما نلت هذا العلم بالتعظيم فإني ما أخذت الكاغذ إلا بطهارة والإمام السرخسي كان مبطونًا بليلة وكان يكرّر درس كتابه فتوضأ في تلك الليلة سبعة عشرة مرة (وفي النهاية قال المحجوبي:) لا يستحب مسّ كتب الفقه لا تخلو من آيات القرآن ولا بأس أن يمسّها بالكم بالاتفاق لعموم البلوى. وقوله إلا بغلافه قال في الهداية: غلافه ما يكون متجافيًا عنه أي متباعدًا بأن يكون شيئًا ثالثًا بين المساس والممسوس كالخريطة والجراب دون ما هو متصل به كالجلد المشرز هو الصحيح. وعند الإسبيجابي الغلاف هو الجلد المتصل به والصحيح هو الأول وعليه الفتوى لأن الجلد تبع للابس ولهذا لا يجوز للمصلي أن يفترش كمه على

....

موضع النجاسة ويسجد عليه. قال أبو يوسف: لا يترك الكافر لمسّ المصحف وإن اغتسل، وقال محمد: إن اغتسل فلا بأس لأن المانع الحدث فإذا اغتسل زال حدثه. **مسألة:** لا يكره للجنب والحائض النظر إلى المصحف لأن الجنابة لا تحل العين ألا ترى أنه لا يفترض إيصال الماء إليها كما في النهاية ولا بأس بدفع المصحف إلى الصبيان وإن كانوا محدثين لما في منعهم من تضييع حفظ القرآن وفي الأمر بالتطهير حرج عليهم هذا هو الصحيح. فإن قيل: نحن نعلم أن الصبيان غير مخاطبين بالشرائع والتكليفات فما الحاجة إلى ذكرها؟ قيل: إنما ذكره لشبهة ترد وهي وإن لم يكونوا مخاطبين لكن الدافع إليهم مخاطبًا إذا كان بالغًا فيجب أن لا يدفع المصحف إليهم كما أنه ليس له أن يلبس الصبي الحرير أو يسقيه الخمر أو يوجهه إلى القبلة حال البول والغائط فربما يظن ظان أن دفع المصحف إليه لا يجوز قياسًا على هذه الأشياء فأزال الظن ولأن في دفع المصحف للصبي تحريضًا له على حفظ القرآن وذلك ديني بخلاف هذه الأشياء وكذا الألواح لا بأس بأن يمسّها الصبيان لأنهم لا يخاطبون بالطهارة وإن أمروا بها للصلاة تخلّقًا لأن في مسّ الألواح للتعليم ضرورة ظاهرة انتهى بحروفه. وفي شرح منية المصلي للعلّامة محمد بن محمد بن محمد الشهير المشتهر بابن أمير الحاج الحلبي الحنفي المسمى بحلية المُحَلِّي وبغية المهتدي في شرح منية المصلي وغنية المبتدي في مذهب الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه. ولا يجوز لهم أي للجنب والحائض والنفساء، مسّ المصحف إلا بغلافه ولا أخذ درهم فيه سورة من القرآن إلا بصرته وكذا لو كان عليه شيء من القرآن غير سورة لأن حرمة مسّ المصحف لما كتب فيه يَسْتَوي في ذلك المصحف وغيره كالدراهم مما كتب فيه شيء من القرآن، وإنما قال سورة لأنهم كانوا كتبوا على الدراهم سورة الإخلاص وسمّوها الإخلاص الإخلاصية فكرهها الفقهاء ولم يزالوا يأمروهم حتى ترك كيلا يبتَذَل القرآن ذكره شمس الأئمة الحلواني. قلت: ومن ثمة قال الإمام رضي الدين في المحيط ويكره كتابة سورة الإخلاص على الدراهم حين ضربها حتى لا يمسّهن مَن ليس بأهل لذلك وحتى لا تنكسر فتتناثر وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسر السكة أي الدراهم المضروبة الصحاح لما عليها من القرآن وأسماء الله تعالى فتتناثر عند الكسر. انتهى.

....

ثم هذا يفيد أن لا فرق بين أن تكون الكتابة بالمداد ونحوه أو بغير ذلك، وهو حسن. وكذا للمحدث مسّ المصحف. أي وكذا لا يجوز للمحدث مسّ المصحف إلا بغلافه ولا أخذ درهم عليه شيء من القرآن إلا بصرته والأصل في الجميع قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ وما في صحيحي ابن حبان والحاكم وغيرهما عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن وفيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر ويؤيّده ما عن عبد الرحمٰن بن يزيد عن سَلمان أنه قضى حاجته فخرج ثم جاء فقلت: لو توضأت لعلنا نسألك عن آيات، فقال: إني لست أَمَسَّهُ لا يمسّه إلا المطهرون، فقرأ علينا ما شئنا أخرجه الدارقطني وصححه ثم المصحف مثلث الميم والضم فيه أشهر علم على جملة الكلام اللفظي الثابت بالوحي على نبينا محمد ﷺ المتلو الدال على كلام الله تعالى النفسي القائم بذاته وإنما سُمِيَ به لأنه أُصْحِفَ أي جمع فيه الصحائف. وروى ابن وهب في الجامع أن أوّل مَن سمى المصحف مصحفًا عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود. هذا إذا كان الغلاف غير مشرز فإن كان مشرزًا لا يجوز. في المغرب مصحف مشرز أجزاؤه مشدود بعضها إلى بعض من الشيرازة. وليست بعربية أي جواز مسّ هؤلاء للمصحف بغلافه مشروط بما إذا كان الغلاف الحائل بين الماسّ وبين المصحف جلدًا كان أو غيره غير متصل بالمصحف بخياطة أو غير حائل كان شيئًا منفصلًا عن المصحف جلدًا كان أو غيره فلو كان متصلًا به قال قاضيخان اختلفوا فيه والصحيح أنه لا يحل أخذه لأنه صار شيئًا واحدًا انتهى. ويشترط في الغلاف الذي لا يكره مسّ المصحف به شيء آخر أيضًا على الصحيح عند غير واحد من مشائخ المذهب منهم صاحب الهداية وصاحب التحفة وصاحب البدائع وهو أن لا يكون الحائل تابعًا للماس كالكم من الثوب حال كونه لابسَه وهذه عبارة البدائع ثم ذكر الغلاف ولم يذكر تفسيره، واختلف المشائخ في تفسيره. قال بعضهم هو الجلد المتصل بالمصحف، وقال بعضهم هو الكم والصحيح أنه الغلاف المنفصل عن المصحف وهو الذي يجعل فيه المصحف وقد يكون هو الجلد وقد يكون من الثوب وهو الخريطة لأن المتصل به تبع له فكان مسّه مسًّا للقرآن ولهذا لو بيع المصحف دخل

....

في بيع المصحف بلا شرط وعلى هذا فقول المصنّف: والخريطة أحق من الغلاف في أن لا يكره، غير ظاهر فإن الخريطة هي الغلاف بعينه على ما هو التفسير الصحيح له كما ذكره في البدايع ويوافقه ما في القاموس الخريطة وعاء من أدَم وغيره يُشَرَّحُ على ما فيه لكن هذا الذي ذكره المصنّف هو لفظ قاضي خان في شرح الجامع الصغير عقب ما قدمناه عنه آنفًا فلعله تفريع على تفسير الغلاف بالجلد المشرز بالمصحف المستفاد في المعنى من جملة سياقه. وقد نقل الزاهدي عن المحيط أنه أصح القولين ولكن قد كان الأولى بالمصنّف عدم ذكره لعدم ذكره لما يقع تفريعًا عليه فتنبّه لذلك، فإن أخذ بكمّه لا بأس به عند محمد. كذا ذكره قاضيخان في شرح الجامع الصغير وعزاه رضي الدين في المحيط إلى النوادر فقال: وذكر في النوادر أنه لا بأس به لأن المُحَرَّم هو المسّ وأنه اسم للمباشرة باليد من غير حائل ألا ترى أن المرأة إذا وقعت في ردغة حلّ للأجنبيّ أن يأخذ يدها بحائل ثوب وكذا حرمة المصاهرة لا تثبت بالمسّ بحائل. وفي شرح الزاهدي على أنه عامة مشايخنا قالوا: لا بأس بمسّ الحائض المصحف بكمها أو ذيلها، ونقل في النهاية مثله عن المحيط وعن الجامع الصَّغير للتمرتاشي وعن محمد روايتان. وكرهه بعض مشايخنا لأن الثوب تبع له ما دام ملبوسًا ذكره قاضيخان أيضًا في شرح الجامع الصغير، ثم قال: ولهذا لو فرش كمّه على موضع النجاسة وسجد للصلاة لا يجوز وكذا لو قام متخففًا أو متنعلًا على موضع النجاسة وسجد للصلاة لا يجوز انتهى. وعزاها في الخلاصة إلى عامة مشائخنا وقد أوجدناك تصحيحه في المعنى عن صاحب الهداية وغيره من قريب ثم هنا تنبيهان أحدهما: قال بعض مشائخنا إنما يكره له مسّ موضع الكتاب دون الحواشي لأنه لم يمسّ القرآن حقيقة وفي البدائع والصحيح أنه يكره مسّ كله لأن الحواشي تابعة للمكتوب وفي محيط رضي الدين وهذا أقرب إلى التعظيم، والأول أقرب إلى القياس. ثانيهما: لا فرق بين أن يكون المسّ باليد أو غيرها من البدن حتى أنه يكره للجنب والمحدث أن يمسكا بفيهما ما عليه آية من القرآن لأنه يكون مسًا له. وفي شرح الزاهدي: واختلفوا في مسّ المصحف بما عدا أعضاء الطهارة وبما غسل من الأعضاء قبل إكمال الطهارة والمنع أصح.

....

فرع: قالوا: لا بأس بأن يحمل خرجًا فيه مصحف، وقال بعضهم: يكره، وقال آخر: يكره أخذ زمام الإبل التي عليها المصحف. قال المحبوبي: ولكن ما قالوه بعيد وهو كما قال وفي محيط رضي الدين لو كان المصحف في صندوق فلا بأس للجنب أن يحمله انتهى. ووجهه ظاهر. وعند الشافعي إذا كان في أمتعة وقصد حمله لم يجز قطعًا وإن قصد حمل الأمتعة التي هو فيها فالأصح الحل وأما حمل الصندوق وفيه المصحف. فنقل النووي اتفاقهم على تحريمه والوجه له غير ظاهر. وذكر فيه أيضًا ولا بأس بدفع المصحف واللوح إلى الصبيان، أي وذكر في الجامع الصغير لقاضي خان وهو مصرّح به في نسخة إلا أنه كان الأولى بالمصنّف أن يقول واللوح الذي عليه شيء من القرآن كما هو مذكور فيه وفي غيره ومن مشائخنا من كره ذلك قال فخر الإسلام وعامة مشائخنا على أنه لا بأس به لأن في ذلك ضررًا فوقه لأن التعليم من غير كتابة متعذّر، وفي التأخير تضييع حفظ القرآن وفي تكليف الطهارة حرج انتهى. مع أنهم غير مخاطبين بالطهارة وإن أمروا بها تخلقًا واعتيادًا فلا جرم أن نص قاضي خان على أنه الأصح وصاحب الهداية وصاحبِ المحيط على أنه الصحيح ثم اللوح في اللغة كل صحيفة عريضة خشبًا أو عظمًا ذكره في القاموس والصبي الغلام من لدن يولد إلى أن يفطم. والظاهر أن المراد به هنا مَن لم يبلغ من المميزين كما يشير إليه وجه المسألة. والأحوط أن يأخذ بكمّه ثم يدفعه. ليس هذا مما ذكره القاضي في شرح الجامع الصغير، ثم لا يخفى أن الأحوط أن يأخذ بشيء منفصل عن الآخذ وعنه لا بكمه. قال المحبوبي: ولا يقال البالغ مخاطب بأن لا يناوله المصحف مع العلم بحاله كما يخاطب بأن لا يسقيه الخمر وأن لا يلبس الذكور من الصبيان الحرير. وهذا لأن حكم مسّ المصحف مع الحدث أخفّ من حكم شرب الخمر ولبس الحرير مع التعلّق بالأمر الديني وهو حفظ القرآن.

فرع: قال أبو يوسف: لا يترك الكافر أن يمسّ المصحف لأن الكافر نجس فيجب تنزيه المصحف عن مسّه. قال في الإيضاح: وإن اغتسل. وقال محمد لا بأس به إذا اغتسل لأن المانع هو الحدث. وقد زال بالغسل وإنما بقي نجاسة اعتقاده وذلك في قلبه لا في يده. ويكره مسّ تفسير القرآن وكتب الفقه. وفي شرح

....

الجامع الصغير لفخر الإسلام والسنن وما هو من كتب الشريعة للجنب والمحدث والنفساء والحائض لأنها لا تخلو عن آيات. قال شيخنا رحمه الله تعالى: وهذا التعليل يمنع مسّ شروح النحو أيضًا انتهى. يعني لأنها لا تخلو أيضًا من ذلك. وإن أخذه بكمّه لا بأس به لتكرر الحاجة إلى أخذه. كذا ذكروه في شرح الجامع الصغير لفخر الإسلام ومحيط رضي الدين بلا خلاف. اهـ بحروفه.

وفي شرح منية المصلّي الكبير للشيخ الإمام العالم العلامة إبراهيم الحلبي الحنفي رحمه الله (ولا يجوز لهم) أي للجنب والحائض والنفساء (مسّ المصحف إلّا بغلافه) وكذا أكل ما فيه آية تامة من لوح أو درهم أو نحو ذلك لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ وهذا لأنه وإن قيل: إن المراد لا يمسّ اللوح المحفوظ إلا الملائكة لكن ظاهره منع غير الطاهرين من مسّ القرآن لأنه سبق لمدح القرآن بأنه معظم مصان عن غير المطهرين فيفهم منه وجوب تعظيمه وصيانته عن مسّ مَن ليس بمطهر وهذا على تقدير عود الضمير إلى الكتاب كما هو الظاهر، أما على تقدير عوده إلى القرآن فلا إشكال ويكون خبرًا أريد به النهي ولا يصح أن يكون نهيًا لأن الجملة وقعت صفة والجملة الواقعة صفة لا تكون طلبية وفي الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمسَّ القرآن إلا طاهر، رواه أبو داود والترمذي عن عمار بن ياسر (ولا) يجوز لهم (أخذ درهم فيه سورة من القرآن) هذا بناء على عادتهم فإنهم كانوا يكتبون على دراهمهم سورة الإخلاص وإلّا فالحكم كذلك إن كان عليه آية تامة فلا يتناوله (إلّا بصرته وكذلك) لا يجوز مسّ المصحف إلا بغلافه والدرهم إلا بصرته (للمحدث) أيضًا لما تقدم من الدليل لا غير طاهر (هذا) يعني جواز الأخذ بالغلاف (إذا كان الغلاف غير مشرز) أي غير محبوك مشدود بعضه إلى بعض مشتقّ من الشيرازة وهي أعجمية (وإن كان) الغلاف (مشرزًا لا يجوز) الأخذ به ولا مسّه. قال في الهداية: هو الصحيح يعني أن الغلاف ما يكون متجافيًا لا ما يكون متصلًا به لأنه صار تبعًا للمصحف وفي المحيط والغلاف هو الجلد الذي عليه في أصح القولين فقد تعارض التصحيح والذي أخذناه عن المشائخ أنه إذا تعارض إمامان معتبران في التصحيح فقال أحدهما: الصحيح كذا وقال الآخر:

....

الأصح كذا فالأخذ بقول مَن قال: الصحيح أولى من الأخذ بقول من قال: الأصح لأن الصحيح مقابله الفاسد والأصح مقابله الصحيح فقد وافق مَن قال: الأصح قابل الصحيح على أنه صحيح وأما مَن قال الصحيح فعنده ذلك الحكم الآخر فاسد والأخذ بما اتفقا على أنه صحيح أولى من الأخذ بما هو عند أحدهما فاسد فعلى هذا الأخذ بقول صاحب الهداية وهو ما ذكره المصنف من أن الغلاف الذي يجوز مسّه والأخذ به من الجلد المنفصل غير المشرز أولى من الأخذ بقول صاحب المحيط أنه هو المشرز لأنه أحوط (والخريطة أحق من الغلاف في أنه لا يكره) أخذ المصحف بها لوجود حائلين (فإن أخذ) المصحف (بكمّه فلا بأس) به أي بالأخذ (عند محمد) في رواية لوجود الحائل. وفي المحيط قال بعض مشائخنا: يكره للحائض مسّ المصحف بالكم وعامتهم على أنه لا يكره انتهى.

وهذا يناسب ما اختاره من الجواز مع الحائل وإن كان متصلًا كما في الجلد المشرز (وكرهه بعض مشائخنا). قال صاحب الهداية: ويكره مسّه بالكم وهو الصحيح وهو يناسب ما اختاره من عدم الجواز مع الحائل المتصل كالجلد المشرز (لأن الثوب تبع له) وكذا لو بسط كمّه على نجاسته وسجد عليه لا يجوز، ولو حلف لا يجلس على الأرض فجلس على ثيابه وهو لابسها يحنث ولكن يظهر بين الجلد المشرز وبين المسّ بالكم فرق وهو أن المنهي عنه المسّ والأخذ بالكم لا يُسمى مسًّا عرفًا ولا لغة بخلاف الأخذ بالجلد المشرز فإنه يُسمى مسًّا للقرآن لشدة اتصاله به وبخلاف الجلوس على الأرض فإن العرف يُسمي مَن جلس على ثيابه من غير حصير ونحوه جالسًا على الأرض. (وذكر في الجامع الصغير لا بأس بدفع المصحف واللوح إلى الصبيان) لأنهم لا يخاطبون بالطهارة وإن أمروا بها تخلقًا واعتيادًا، قال في الهداية لأنه في المنع تضييع حفظ القرآن وفي الأمر بالتطهير حرج بهم هذا هو الصحيح انتهى. واحترز بالصحيح عما ذكر فخر الإسلام في الجامع الصغير من مشائخنا من كره تعليم الصبي بأن يدفع إليه مصحف أو لوح عليه كلام الله تعالى. وقول المصنّف (والأحوط أن يأخذ بكمّه ويدفعه) لا تعلّق له بما قبله لأن كلام الجامع الصغير في المدفوع إليه وهو الصبيّ أنه لا يكره دفع المبلغ

....

المصحف أو اللوح إليه لا في مسّ الدافع[(١)] وعدمه فإن المسّ بالكم قد تقدم حكمه سواء كان لأجل الدفع إلى الصبيّ أو لغيره **ويكره** أيضًا للمحدث ونحوه (مسّ تفسير القرآن وكتب الفقه) وكذا كتب السنن لأنها لا تخلو عن آيات، وهذا التعليل يمنع مسّ شروح النحو أيضًا. وفي الخلاصة وكذا كتب الأحاديث والفقه عندهما والأصح أنه لا يكره عند أبي حنيفة انتهى. ووجه قول أبي حنيفة أنه لا يُسمى ماسًّا للقرآن لأن ما فيها منه بمنزلة التابع فكان كما لو توسد خرجًا فيه مصحف أو ركب فوقه في السفر (وإن أخذه) أي التفسير وكتب الفقه (بكمّه لا بأس به) لأن فيه ضرورة (لتكرّر الحاجة إلى أخذه) زيادة إلى الحاجة إلى أخذ المصحف لأن القرآن يقرأ حفظًا في الغالب بخلاف التفسير والفقه، وهذا الفرق إنما يحتاج إليه على قول مَن كره مسّ القرآن بالكم. اهـ بحروفه.

وعبارة المحيط البرهانيّ في مذهب الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه في بيان الأحكام التي تتعلّق بالحيض ومنها أن لا يمسّ المصحف ولا الدرهم المكتوب عليه آية تامة من القرآن ولا اللوح المكتوب عليه آية تامة من القرآن لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه كتب إلى بعض القبائل لا يمسّ القرآن حائض ولا جنب وهذه يكره لها مسّ المصحف بكمّها أو ذيلها. قال بعض مشائخنا: يكره لأن الكمّ والذيل تبع لها ألا ترى لو حلف لا يجلس على الأرض فجلس عليها وبينهما ثوبه يحنث في يمينه وجعل ثوبه تبعًا لها حتى لم يعتبر حائلًا وعامّتهم على أنه لا يكره لأن المحرم هو المسّ وإنه اسم للمباشرة باليدين من غير حائل. ألا ترى أن المرأة إذا وقعت في ردعة حلّ للأجنبيّ أن يأخذ بيدها بحائل ثوب وكذا حرمة المصاهرة لا يثبت بالمسّ بحائل بخلاف مسألة اليمين لأن مبنى الأيمان على العرف والجالس على الأرض بثوبه يعد جالسًا على الأرض عرفًا وعادة ولا بأس لها أن تمسّ المصحف بغلاف والغلاف هو الجلد الذي عليه في أصح القولين،

---

(١) قال الشارح رحمه الله في شرحه الصغير بعد هذه العبارة وهو يوهم جواز مس الدافع بلا طهارة لأجل الدفع إلى الصبي ولم يقل به أحد. انتهى بحروفه. منه ١٢ رحمه الله تعالى.

....

وقيل: هو المنفصل كالخريطة ونحوها لأن المتصل بالمصحف من المصحف، ألا ترى أنه يدخل في بيع المصحف من غير ذكر وهو نظير الاختلاف في المسّ بالكم. ولا بأس لها بكتابة القرآن عند أبي يوسف إذا كانت الصحيفة على الأرض لأنها لا تحمل المصحف والكتابة تقع حرفًا حرفًا وليس الحرف الواحد بقرآن. وقال محمد: أحب إليّ أن لا يكتب لأنه في حكم الماسّ الحروف وهي بكليتها قرآن انتهت بحروفها.

وفي الشمني في مذهب الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه: (ولا يمسّ هؤلاء) أي الحائض والنفساء والجنب والمحدث (مصحفًا) لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. ولما روى الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد عن حكيم بن حزام، قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: لا تمسّ القرآن إلّا وأنت طاهر. وفي المحيط ولو غسل الجنب فمه ليقرأ أو غسل المحدث يديه لم يطلق لهما ذلك لأن الجنابة والحدث لا يتجزيان وجودًا وزوالًا إلا بغلاف (متجاف) أي منفصل نحو الخريطة لأن المنفصل عنه لا يكون تبعًا له. وفي البخاري عن أبي واثلة أنه كان يرسل خادمه[1] وهي حائض إلى أبي رزين لتأتيه بالمصحف فتمسكه بعلاقته (وكره) المسّ (بالكم) أو بشيء من الثوب الذي على الماس لأنه تبع له فلا يصير حائلًا بينه وبين المصحف. ولهذا لو حلف لا يجلس على الأرض فلبس ثوبًا وجلس على ذيله على الأرض يحنث. وفي النوادر أنه لا بأس به لأن المحرم المسّ وهو اسم للمباشرة من غير حائل وكره لهم أيضًا مسّ التفسير، وكتب الفقه والسنن لأنها لا تخلو عن آيات ولا بأس بمسّها بالكم بلا خلاف. وكره بعضهم دفع المصحف واللوح الذي عليه القرآن مكتوب إلى الصبي. والصحيح أنه لا بأس به لأن في تكليفهم الطهارة حرجًا. وفي فتاوى أهل سمرقند يكره لهم أن يكتبوا كتابًا فيه آية لأن الكتابة بالقلم وهو في اليد. وذكر أبو الليث أنهم لا يكتبون وإن كانت الصحيفة على الأرض والمكتوب دون آية. وذكر

---

(١) في المصباح خدمه يخدمه خدمة فهو خادم غلامًا كان أو جارية والخادمة بالهاء في المؤنث قليل والجمع خدم وخدام.اهـ. ١٢ منه رحمه الله.

....

القدوري أنه لا بأس بالكتابة إذا كان الصحيفة على الأرض وقيل: هو قول أبي يوسف. اهـ بحروفه.

وفي كتاب **مراقي الفلاح بشرح نور الإيضاح** في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه ويحرم (مسّها) أي الآية لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ سواء كتب على قرطاس أو درهم حائط (إلا بغلاف متجافٍ) عن القرآن والحائل كالخريطة في الصحيح ويكره بالكم تحريمًا لتبعيته للابس ويرخص لأهل كتب الشريعة أخذها بالكم وباليد للضرورة إلا التفسير فإنه يجب الوضوء لمسّه والمستحب أن لا يأخذها إلا بوضوء ويجوز تقليب أوراق المصحف بنحو قلم للقراءة، وأمر الصبي بحمله ورفعه له لضرورة التعلّم. اهـ بحروفه.

وفي **حاشيته للشيخ أحمد الطحطاوي** رحمه الله قوله: (ويرخّص لأهل كتب الشريعة) هو الأصح عند الإمام لأن ما فيها من القرآن بمنزلة التابع ويكره عندهما، نَهى عن الخلاصة والتقييد بالأهل، يؤذن بمنعه لغير الأهل. قوله: (للضرورة) يعني الحرج. قوله: (إلّا التفسير) في الأشباه وقد جوّز بعض أصحابنا مسّ كتب التفسير للمحدث ولم يفصلوا بين كون الأكثر تفسيرًا وقرآنًا. ولو قيل به اعتبارًا للغالب لكان حسنًا وفي الجوهرة كتب التفسير وغيرها لا يجوز مسّ مواضع القرآن منها وله أن يمسّ غيرها بخلاف المصحف. قلت: وذلك هو الموافق لكلامهم لأنهم جعلوا المحرم في غير المصحف مسّ عين القرآن انتهت بحروفها.

تنبيه: قوله في الأشباه وقد جوّز بعض أصحابنا لفظ بعض ليس في الأشباه.
وفي **الدرّ المختار في مذهب الإمام الأعظم** رحمه الله ويحرم (به) أي بالأكبر (وبالأصغر مسّ مصحف) أي ما فيه آية كدرهم وجدار إلّا (بغلاف) متجافٍ غير مشرّز أو بصرة به يفتى وحلّ قلبه بعود (ولا) يكره (مسّ صبي لمصحف ولوح) ولا بأس بدفعه إليه وطلبه منه للضرورة إذ الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر. اهـ باختصار.

....

وفي ردّ المحتار على الدرّ المختار قوله: (أي ما فيه آية...) الخ أي المراد مطلق ما كتب فيه قرآن مجازًا من إطلاق اسم الكلّ على الجزء أو من باب الإطلاق والتقييد. قال: لكن لا يحرم في غير المصحف إلا المكتوب أي موضع الكتابة كذا في باب الحيض من البحر، وقيد بالآية لأنه لو كتب ما دونها لا يكره مسّه كما في حيض القهستاني. اهـ بحروفه.

وأيضًا فيه قوله: غير مشرّز أي غير مخيط به وهو تفسير للمتجافي. قال في المغرب مصحف مشرز أجزاؤه مشدود بعضها إلى بعض من الشيرازة وليست بعربية. اهـ. فالمراد بالغلاف ما كان منفصلًا كالخريطة وهي الكيس ونحوها لأن المتصل بالمصحف منه حتى يدخل في بيعه بلا ذكر. وقيل: المراد به الجلد المشرّز وصححه في المحيط والكافي، وصحح الأول في الهداية وكثير من الكتب وزاد في السراج أن عليه الفتوى. وفي البحر أنه أقرب إلى التعظيم. قال: والخلاف فيه جاز في الكمّ أيضًا، ففي المحيط لا يكره عند الجمهور واختاره في الكافي معلّلًا بأن المسّ اسم للمباشرة باليد بلا حائل، وفي الهداية أنه يكره هو الصحيح لأنه تابع له وعزاه في الخلاصة إلى عامّة المشائخ فهو معارض لما في المحيط فكان هو أولى. اهـ. أقول بل هو ظاهر الرواية كما في الخانية والتقييد بالكم اتفاقي فإنه لا يجوز مسّه ببعض ثياب البدن غير الكمّ. كما في الفتح عن الفتاوى وفيه قال لي بعض الإخوان: يجوز بالمنديل الموضوع على العنق. قلت: لا أعلم فيه نقلًا والذي يظهر أنه إن تحرّك طرفه بحركته لا يجوز وإلّا جاز لاعتبارهم إياه تبعًا له كبدنه في الأول دون الثاني فيما لو صلّى وعليه عمامة بطرفها الملقى نجاسته مانعة وأقرّه في النهر والبحر. اهـ بحروفه.

وفي الدرّ المختار (والتفسير كمصحف لا الكتب الشرعية) فإنه رخّص مسّه باليد لا التفسير كما في الدرر عن مجمع الفتاوى. وفي السراج المستحب أن لا يأخذ الكتب الشرعية بالكمّ أيضًا تعظيمًا لكن في الأشباه من قاعدة إذا اجتمع الحلال والحرام رجح الحرام. وقد جوّز أصحابنا مسّ كتب التفسير للمحدث ولم يفصلوا بين كون الأكثر تفسيرًا أو قرآنًا، ولو قيل به اعتبارًا للغالب لكان حسنًا.

....

قلت: لكنه يخالف ما مرّ[1] فتدبر. اهـ بحروفه. وفي حاشيته للعلّامة الطحطاوي قوله: والتفسير كمصحف فيحرم مسّه مطلقًا سواء كان قليلًا أو كثيرًا أو مساويًا انتهت. **وفي ردّ المحتار** قوله: والتفسير كمصحف ظاهره حرمة المسّ كما هو مقتضى التشبيه وفيه نظر إذ لا نصّ فيه بخلاف المصحف، فالمناسب التعبير بالكراهة كما عبّر غيره. انتهى بحروفه. **وفي حاشيته للعلّامة الطحطاوي** قوله: لا الكتب الشرعية من نحو الحديث والفقه وفي النهر عن الخلاصة كراهة مسّها عند الإمام لا عندهما انتهت بحروفها. وأيضًا فيها قوله: لكن في الأشباه استدراك على المصنّف. اهـ. **وفي ردّ المحتار** قوله: لكن في الأشباه... الخ استدراك على قوله والتفسير كمصحف فإن ما في الأشباه صريح في جواز مسّ التفسير فهو كسائر كتب الشرعية بل ظاهره أنه قول أصحابنا جميعًا. وقد صرّح بجوازه أيضًا في شرح درر البحار وفي السراج عن الإيضاح إن كتب التفسير لا يجوز مسّ موضع القرآن منها وله أن يمسّ غيره، وكذا كتب الفقه إذا كان فيها شيء من القرآن بخلاف المصحف فإن الكل فيه تبع للقرآن. اهـ.

وفي حاشيته للعلّامة الطحطاوي قوله: رجح الحرام أي غلب وهي الواقعة من صاحب الأشباه. قوله: (وقد جوّز أصحابنا)... الخ الجملة مبتدأ خبره قوله في الأشباه. قوله: (للمحدث) أي مطلقًا ولو أكبر. اهـ. وأيضًا فيها قوله: (فتدبر) أي لتعلم الصواب والحاصل أن لأهل المذهب عبارتين مطلقتين بالمنع والجواز وظاهر ما في الأشباه أن الجواز قول الأشياخ والأصحاب جميعًا فيفيد أن ما في الدرر لا يعوّل عليه لشذوذ قائله عن إجماعهم والله أعلم. ونقل العلّامة نوح عن الجوهرة والسراج أن كتب التفسير لا يجوز مسّ موضع القرآن منها وله أن يمسّ غيرها بخلاف المصحف لأن جميع ذلك تبع له انتهت. بحروفها.

فائدة عظيمة في كتاب الدراية في منتخب أحاديث الهداية للعلّامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله. حديث (لا يمسّ القرآن إلا طاهر) أبو

(١) يعني بما مرّ ما في المصنّف. اهـ. طحطاوي ١٢ منه رحمه الله.

....

داود في المراسل والنسائي من حديث عمرو بن حزم في أثناء حديثه الطويل. وأخرجه الدارقطنيّ من طريق أبي ثور عن مبشر بن إسماعيل عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن جده قال: كان فيما أخذ رسول الله ﷺ أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر. تفرّد به أبو ثور وقال: الصواب ليس فيه عن جده. ثم أخرجه من طريق إسحٰق بن الصباغ عن مالك وكذلك. وأخرجه عبد الرزاق والدارقطني والبيهقي من طريقه عن معمر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه ليس فيه عن جده. وقد أخرجه الطيالسي من طريق أبي بكر بن محمد عن أبيه عن جده نحوه. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني والبيهقي. وعن حكيم بن حزام. أخرجه الحاكم والطبراني والدارقطني. وعن عثمان بن أبي وقّاص، أخرجه الطبراني وعن ثوبان رفعه «لا يمسّ القرآن إلا طاهر» والعمرة هي الحج الأصغر. أخرجه عليّ بن عبد العزيز في منتخب المسند وإسناده ضعيف. وعن أُخت عمر أنها قالت له عند إسلامه: إنك رجس ولا يمسّه إلّا المطهّرون. أخرجه أبو يعلى والطبراني وعن عبد الرحمٰن بن يزيد عن سلمان أنه قضى حاجته فخرج ثم جاء فقلت: لو توضأت لعلنا نسألك عن آيات، قال: إني لست أمسّه لا يمسّه إلا المطهّرون، فقرأ علينا ما شئنا انتهى بحروفه.

وفي **إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري** في كتاب الحيض في باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض (وكان أبو وائل) بالهمز شفيق بن سلمة التابعيّ المشهور المتوفى في خلافة عمر بن عبد العزيز فيما قاله الواقدي مما وصله ابن أبي شيبة بإسناد صحيح (يرسل خادمه) اسم لمن يخدم غيره أي جاريته بدليل تأنيثه في قوله: (وهي حائض إلى أبي رزين)[١] بفتح الراء وكسر الزاي مسعود بن مالك الأسدي مولى أبي وائل الكوفي التابعي (فتأتيه). وفي رواية أبوي الوقت وذرّ لتأتيه (بالمصحف فتمسكه بعلاقته[٢]) بكسر العين أي الخيط الذي يربط به كيسه

---

(١) من كبار العلماء سمع الزهري وغيره.اهـ. الكوثر الجاري. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

(٢) العلاقة بفتح العين وكسرها فعالة بمعنى المفعول وهي ما يمسك به ويتعلق لكن الكسر أكثر وأشهر في الأمور الحسيّة كعلاقة السيف ونحوه.

....

وغرض المؤلّف رحمه الله تعالى الاستدلال على جواز حمل الحائض والجنب المصحف لكن من غير مسّه.اهـ بحروفه. **وفي فتح الباري شرح البخاري** وذلك مصير منهما إلى جواز حمل الحائض المصحف لكن من غير مسّه.اهـ. وأيضًا فيه وهو موافق لمذهب أبي حنيفة ومنع الجمهور ذلك.اهـ.

وفي الكوثر الجاري على رياض البخاري للفاضل الشيخ أحمد بن إسماعيل بن محمد الكوراني الحنفي رحمهم الله غايته أنه نقل كما هو رأيه من نقل مذاهب العلماء أن أبا وائل كان يجيز للحائض حمل المصحف بعلاقته، وهذا مذهب كثير من العلماء منهم الحسن وحماد وأبو حنيفة وأما مسّ المصحف فالجمهور على أن المحدث لا يمسّه لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾. ولما روى ابن حبان وحاكم بإسنادهما إلى عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض منها أن القرآن لا يمسّه إلا طاهر. قال الحاكم: ورجاله كلهم ثقات على شرط الصحيح والمراد منه ما كتب لدراسة القرآن كالمصاحف والألواح لا كتب الفقه والتفسير فسقط الإيراد بما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤] إلى آخر الآية. انتهى بحروفه.

وفي عمدة القاري على شرح البخاري للعلّامة العيني الحنفي رحمه الله أن هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه بسند صحيح. فقال: حدّثنا جرير عن مغيرة قال: كان أبو وائل فذكره. انتهت بحروفها. وأيضًا فيها وأبو وائل اسمه شقيق بن سلمة الأسديّ. أدرك النبيّ عليه السلام ولم يره. روى عن كثيرين من الصحابة. وقال يحيىٰ بن معين ثقة لا يُسأل عن مثله. قال الواقدي: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه. وأبو رزين بفتح الراء وكسر الزاي المعجّمة اسمه مسعود بن مالك الأسدي مولى أبي وائل الكوفيّ التابعيّ. روى له مسلم والأربعة انتهت بحروفها.

وأيضًا فيها في بيان استنباط الحكم منه وهو جواز حمل الحائض المصحف بعلاقته وكذلك الجنب ممن أجاز ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب وعطاء

....

والحسن البصري ومجاهد وطاوس وأبو وائل وأبو رزين وأبو حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي والثوري وأحمد وإسحٰق وأبو ثور والشعبي والقاسم بن محمد. وقال ابن بطال ورخص في حمله الحكم وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير وحماد بن أبي سليمان وأهل الظاهر ومنع الحكم مسّه بباطن الكفّ خاصة. وقال ابن حزم: وقراءة القرآن والسجود فيه ومسّ المصحف وذكر الله تعالى جائز كل ذلك بوضوء وبلا وضوء وللجنب والحائض وهو قول ربيعة وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن عباس وداود وجميع أصحابنا. وأما مسّ المصحف فإن الآثار التي احتجّ بها مَن لم يجز للجنب مسّه فإنه لا يصح منها شيء لأنها إما مرسلة وإما صحيفة لا تسند وإما عن مجهول وإما عن ضعيف. والصحيح عن ابن عباس عن أبي سفيان حديث هرقل الذي فيه: و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤] فهذا النبيّ عليه السلام قد بعث كتابًا فيه قرآن للنصارى وقد أيقن أنهم يمسّونه فإن ذكروا حديث ابن عمر نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. وقلنا: هذا حق يلزم اتباعه وليس فيه لا يمسّ المصحف جنب ولا كافر وإنما فيه أن لا ينال أهل الحرب القرآن فقط، فإن قالوا: إنما بعث إلى هرقل بآية واحدة قيل لهم: ولم يمنع من غيرها وأنتم أهل قياس فقيسوا فإن لم تقيسوا على الآية ما هو أكثر منها فلا تقيسوا على هذه الآية غيرها فإن ذكروا قوله جلّ وعلا: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ قلنا: لا حجة فيه لأنه ليس أمر وإنما هو خبر والرب تعالى لا يقول إلا حقًا ولا يجوز أن يصرف لفظ الخبر إلى معنى الأمر إلا بنص جلي أو إجماع متيقن فلما رأينا المصحف يمسّه الطاهر وغير الطاهر علمنا أنه لم يعن المصحف وإنما عنى كتابًا آخر عنده كما جاء عن سعيد بن جبير في هذه الآية هم الملائكة الذين في السماء وكان علقمة إذا أراد أن يتخذ مصحفًا أمر نصرانيًا فنسخه له. وقال أبو حنيفة: لا بأس أن يحمل الجنب المصحف بعلاقته وغير المتوضئ عنده كذلك وأبى ذلك مالك إلا إن كان في خرج أو تابوت فلا بأس أن يحمله الجنب واليهودي والنصراني، قال أبو محمد: وهذا تفريق لا دليل على صحته

....

انتهى كلامه. والجواب عما قاله فقوله بأن الآثار التي احتجّ بها مَن لم يجز للجنب مسّه إلى آخره ليس كذلك فإن أكثر الآثار في ذلك صحاح منها ما رواه الدارقطني في سننه بسند صحيح متصل عن أنس. خرج عمر بن الخطاب متقلّدًا السيف فدخل على أخته وزوجها خباب وهم يقرؤون سورة طٰه فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرأه، فقالت له أخته إنك رجس ولا يمسّه إلا المطهّرون فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب والعجب من ابن عمر بن عبد البر إذ ذكره في سيرة ابن إسحٰق وقال: هو معضل وتبعه على ذلك أبو الفتح القشيري وهذا عجب منه. وقال السهيلي: هو من أحاديث السير. ومنها ما رواه الدارقطني أيضًا بسند صحيح من حديث سالم يحدث عن أبيه قال رسول الله ﷺ: «لا يمسّ القرآن إلا طاهر» ولما ذكره الجوزقاني في كتابه قال: هذا حديث مشهور حسن. ومنها ما رواه الدارقطني أيضًا من حديث الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا فيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. ورواه في الغرائب من حديث إسحٰق الطباع عن مالك مسندًا ومن الطريق الأولى أخرجه الطبراني في الكبير وابن عبد البر والبيهقي في الشعب. وقد وردت أحاديث كثيرة بمنع قراءة القرآن للجنب والحائض. منها حديث عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه نهى رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب قال أبو عمر: رويناه من وجوه صحاح. ومنها حديث عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي رضي الله تعالى عنه يرفعه لا يحجبه عن قراءة القرآن شيء إلا الجنابة صححه جماعة منهم ابن خزيمة وابن حبان وأبو علي الطوسي والترمذي والحاكم والبغوي في شرح السنّة وفي سؤالات الميموني. قال شعبة: ليس أحد يحدث بحديث أجود من ذا، وفي كامل ابن عديّ عنه لم يروِ عمرو أحسن من هذا وكان شعبة يقول: ها الحديث رأس مالي وخرجه ابن الجارود في المنتقى زاد ابن حبان قد يتوهّم غير المتبحر في الحديث أن حديث عائشة رضي الله تعالى عنها «كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه» يعارض هذا، وليس كذلك لأنها أرادت الذكر الذي هو غير القرآن إذ القرآن يجوز أن يُسمى ذكرًا وكان لا يقرأ وهو جنب ويقرأه في سائر الأحوال. ومنها حديث جابر أن النبيّ ﷺ

....

قال: «لا يقرأ الحائض ولا الجنب ولا النفساء من القرآن شيئًا». رواه الدارقطني ثم البيهقي وقال: إسناده صحيح. ومنها حديث أبي موسى قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا تقرأ القرآن وأنت جنب» رواه الدارقطني وعن الأسود أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه بسند لا بأس به وإبراهيم لا يقرأ الجنب وعن الشعبي وأبي وائل مثله بزيادة والحائض. والجواب عن الكتاب إلى هرقل فنحن نقول به لمصلحة الإبلاغ والإنذار وأنه لم يقصد به التلاوة. وأما الجواب عن الآية بأن المراد بالمطهرين الملائكة كما قاله قتادة والربيع بن أنس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبير وغيرهم. ونقله السهيلي عن مالك وأكدوا هذا بقوله: المطهّرين ولم يقل المتطهرين أن تخصيص الملائكة من بين سائر المتطهّرين على خلاف الأصل وكلهم مطهّرون والمسّ والاطلاع عليه إنما هو لبعضهم دون الجميع. اهـ بحروفه.

وفي كتاب سبل السلام الموصل إلى بلوغ المرام (عن عبد الله بن أبي بكر) هو ابن أبي بكر الصدّيق أمه «اسمها قيلة» وأُم أسماء واحدة أسلم قديمًا وشهد مع رسول الله ﷺ الطائف وأصابه سهم انتقض[١] عليه بعد سنين فمات منه في شوال سنة إحدى عشرة وصلّى عليه أبوه (أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم) هو عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي النَّجّاري يكنّى أبا الضحّاك أول مشاهده الخندق واستعمله ﷺ نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويعلّمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وكتب له كتابًا فيه الفرائض والسنن والصدقات والديّات، وتوفي عمرو بن حزم في خلافة عمر بالمدينة ذكر هذا ابن عبد البر في الاستيعاب أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر. رواه مالك مرسلًا ووصله النسائي وابن حبان وهو معلول حقيقة المعلول الحديث الذي يطلع على الوهم فيه بالقرائن وجمع الطرق، فيقال له: معلل ومعلول والأجود أن يُقال فيه المعلّ مَن أعلّه والعلّة عبارة عن أسباب خفيّة غامضة طرأت على الحديث فأثّرت فيه وقدحت وهو مِن أغمض أنواع علوم الحديث وأدقها ولا يقوم بذلك إلا مَن رزقَهُ الله فهمَ

(١) رماه أبو محجن الثقفي فجرحه فاندمل جرحه ثم انتقض به فمات منه أول خلافة أبيه أبي بكر رضي الله تعالى عنهما. اهـ. أسد الغابة ١٢ منه رحمه الله.

....

ثابتًا وحفظًا واسمًا ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتوفون، وإنما قال المصنّف أن هذا الحديث معلول لأنه من رواته سليمان بن داود وهو متفق على تركه كما قاله ابن حزم. ووهم في ذلك فإنه ظنّ أن سليمان بن داود اليماني وليس كذلك بل هو سليمان بن داود الخولاني، وهو ثقة أَثْنى عليه أبو زرعة وأبو حاتم وعثمان بن سعيد وجماعة من الحفاظ واليماني هو المتفق على ضعفه وكتاب عمرو بن حزم تلقاه الناس بالقبول. قال ابن عبد البر أنه أشبه المتواتر لتلقى الناس له بالقبول. وقال يعقوب بن سفيان: لا أعلم كتابًا أصحّ من هذا الكتاب فإن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين يرجعون إليه ويدعون رأيهم. وقال الحاكم: قد شهد عمر بن عبد العزيز وإمام عصره الزهري بالصحة لهذا الكتاب. وفي الباب من حديث حكيم بن حزام لا يمسّ القرآن إلا ظاهر، وإن كان في إسناده مقال إلا أنه ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمسّ القرآن إلا طاهر» قال الهيثمي: رجاله موثقون وذكر له شاهدين ولكنه يبقى للنَّظرِ في المراد من الطاهر فإنه لفظ مشترك يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر. ويُطلق على المؤمن وعلى مَن ليس على بدنه نجاسَة ولا بد لحمله على معين من قرينة. وأما قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ فالأوضح أن الضمير لِلكتاب المكنون الذي سبق ذكره في صدر الآية وأن المطهّرون هم الملائكة انتهى بحروفه. وفي إفهام الأفهام في شرح بلوغ المرام قال الطيبي: هذا بيان لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ فإن الضمير إما للقرآن، والمراد نهي الناس عن مسّه إلا على طهارة، وأما اللوح المحفوظ فلا نافية ومعنى المطهّرون الملائكة وهذا الحديث كشف أن المراد الأول انتهى. ولفظ الطاهر طاهر في الطهارة من الحدث والخبث فلا احتمال في اللفظ ولا في الحديث إن كانت ناهية فيجوز في يمسّ الفتح والكسر وإن كانت نافية فالخبر بمعنى النهي انتهى من إفهام الأفهام بلفظه. وأيضًا فيه قال ابن حجر وروى الدارقطني والبيهقي وقال: صحيح الإسناد والحاكم وقال: حسن غريب لا يمسّ المصحف إلا طاهر وبه يرد ما رواه ابن وهب أن أول مَن سماه المصحف عتبة بن مسعود انتهى. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم.

وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسّه إلا مَن هو على الطهارة من الناس **(والمراد مسّ المكتوب منه)** ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن **(أي منزّل)** ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أو وصف بالمصدر لأنه نزل **(نجومًا)** من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل: جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل، أو هو تنزيل على حذف المبتدأ.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ **(متهاونون به)** كمن يدهن في بعض الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلّب فيه تهاونًا به ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

قوله: (والمراد مسّ المكتوب منه) في شرح السنّة للإمام البغوي الشافعي رحمه الله. قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يمسّ المكتوب.اهـ بحروفه. **وفي التبيين** والصحيح منع مسّ حواشي المصحف والبياض الذي لا كتابة عليه انتهى. **وفي خزانة الروايات** في الشاهان وكما لا يحل للجنب مسّ الكتابة لا يحل له مسّ البياض.اهـ.

وفي الضياء المعنوي لا يجوز له مسّ شيء من القرآن مكتوب في غير المصحف من لوح أو درهم أو حائط إذا كان آية تامة ويجوز مسّ غير الكتابة بخلاف المصحف فإن الكلّ تبع للقرآن. وكذا كتب التفسير لا يجوز مسّها وكتب الفقه إذا كان فيها شيء من القرآن لا يجوز له مسّ موضع القرآن وله أن يمسّ غيره كذا في الإيضاح.اهـ. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله: (أي منزل)** وسُمي المنزل تنزيلًا على اتساع اللغة، يُقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه ردّ على مَن قال إن القرآن شعرًا وسحرًا وكهانة فقال الله تعالى: بل القرآن ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾. **قوله: (نجومًا)** أي متفرّقًا.

قوله: (متهاونون به) أصل الادّهان جعل الأديم ونحوه مدهونًا بشيء من الدهن ولما كان ذلك مليّنًا له لينًا محسوسًا أريد به اللين المعنوي على أن تجوّز به عن مطلق اللين أو استعير له، ولذا سُميت المداراة أو الملاينة مداهنة وهذا مجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية، فلذا تجوز به هنا عن التهاون لأن المتهاون بالأمر لا يتصلّب فيه.اهـ شهاب.

﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي تجعلون (**شكر رزقكم**) التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر. (**وفي قراءة عليّ** رضي الله عنه **وهي قراءة رسول الله** ﷺ «**وتجعلون شكركم أنكم تكذبون**») أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به. وقيل: نزلت في (**الأنواء**) ونسبتهم (**السقيا**) إليهم والرزق المطر أي وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من (**الغيث**) أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس أي الروح عند الموت ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ ممر الطعام والشراب ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ إلى (**المحتضر**) ﴿مِنكُمْ وَلَٰكِن

قوله: (**شكر رزقكم**) بتقدير المضاف. **قوله**: (**وفي قراءة عليّ رضي الله تعالى عنه وهي قراءة رسول الله** ﷺ «**وتجعلون شكركم أنكم تكذبون**»). **في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك** قراءة عليّ وابن عباس ورُويت عن النبيّ ﷺ «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون». قال أبو الفتح: هو على حذف المضاف أي تجعلون بدل شكركم التكذيب. اهـ بحروفه. **قوله**: (**الأنواء**) جمع نوء بفتح النون وسكون الواو والهمزة والنوء الكوكب، يُقال: ناء النجم ينوء إذا سقط وغاب. وقيل: ناء إذا نهض وطلع ولهم ثمانية وعشرون نجمًا معروفة المطالع في السنة وهي المعروفة بمنازل القمر يسقط في كل ثلاثة عشر ليلة نجم منها في المغرب مع طلوع مقابله في المشرق وهم ينسبون المطر المغارب وقال الأصمعي: المطالع. **قوله**: (**السقيا**) بالضم الغيث. **قوله**: (**الغيث**) المطر. **قوله**: النفس أي ضمير بلغت راجع إلى النفس أي الروح وهي وإن لم يتقدم ذكرها لكن الحلقوم يدل عليها. اهـ. قنويّ **وفي حاشية الشهاب رحمه الله** أي النفس تفسير لفاعل بلغت ولذا ذكر النفس لأنها مؤنّثة وأراد بها الروح بمعنى البخار المنبعث عن القلب دون النفس الناطقة فإنها لا توصف بما ذكر. اهـ.

قوله: (**المحتضر**) وهو بالحاء المهملة وبفتح الضاد المعجمة الذي قرب من الميت كذا في البناية فمعناه الذي حضرته الوفاة أو ملائكة الموت هذا في العناية.

(لَّا تُبْصِرُونَ)﴾ لا تعقلون ولا تعلمون ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ (مَدِينِينَ) ﴿٨٦﴾﴾ مربوبين من دان السلطان الرعيّة إذا (ساسهم) ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ تردّون النفس وهي الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم غير مربوبين مقهورين. ﴿فَلَوْلَآ﴾ في الآيتين للتحضيض يستدعي فعلًا وذا قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ واكتفى بذكره مرة، وترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، و﴿فَلَوْلَآ﴾ الثانية مكرّرة للتأكيد ونحن أقرب إليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت، والمعنى أنكم في جحودكم آيات الله في كل شيء، إن أنزل عليكم كتابًا معجزًا قلتم سحر وافتراء، وإن أرسل إليكم رسولًا صادقًا قلتم ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرًا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدّي إلى الإهمال والتعطيل، فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت (**المبدىء المعيد**؟!).

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَأَمَّآ (إِن كَانَ﴾ **المتوفى**) ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (**من السابقين**) من الأزواج الثلاثة المذكورة في أول السورة ﴿فَرَوْحٌ﴾ (**فله استراحة**) ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق ﴿(وَجَنَّتُ نَعِيمٍ)

قوله: (﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾) من البصيرة. **قوله**: (﴿مَدِينِينَ﴾) أي مملوكين، وقيل: محاسبين ومجزيين. اهـ خازن. **قوله**: (**ساسهم**) في المصباح ساس زيد الأمر يسوسه سياسة دبره وقام بأمره. اهـ. **قوله**: (**المبدىء**) بالهمزة ويجوز إبداله وقفًا وهو المظهر للكائنات من العدم إلى الوجود. من باب الكرم والجود. فهو بمعنى الخالق وهو المنشىء للأشياء ومخترعها من غير مثال سبق وهو الأنسب بمقابلته. **قوله**: (**المعيد**) الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا وبعد الممات إلى الحياة في الأخرى.

قوله: (﴿إِن كَانَ﴾ **المتوفّى**) المفهوم مما مرّ. **قوله**: (**من السابقين**) تفسير لقوله ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ لقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: الآيتان ١٠، ١١] **قوله**: (**فله استراحة**) أي مبتدأ خبره مقدّر حذف لظهوره و﴿فَرَوْحٌ﴾ بمعنى استراحة. **قوله**: (﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾) ترسم جنت هنا مجرورة التاء ووقف

﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي فسلام لك **(يا صاحب اليمين)** من إخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم في هذه السورة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي إدخال فيها. وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملّة واحدة، وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنهم غير مكذبين ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ **(أي الحق الثابت من اليقين)** ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ **(رُوِيَ أن عثمان بن عفّان** رضي الله عنه **دخل على ابن مسعود** رضي الله عنه **في مرض موته)** فقال له: ما تشتكي؟ فقال: ذنوبي.

عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، فالكسائي بالإمالة في الواقف على أصله والباقون بالتاء على المرقوم. **قوله: (يا صاحب اليمين)** يعني أنه التفات بتقدير القول ومن للابتداء كما يُقال سلام من فلان على فلان، أي يقال له سلام لك من إخوانك الذين يسلّمون عليك بإرسال التحية لك.

قوله: (أي الحق الثابت من اليقين) فالإضافة بيانية والحق بمعنى الثابت. اهـ قنوي. **قوله: (رُوِيَ أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه دخل على ابن مسعود)** أي عبد الله بن مسعود بن غافل **(رضي الله تعالى عنه في مرض موته...)** الخ.

في أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام العالم الأوحد عمدة الحفّاظ فريد دهره ووحيد عصره عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير تغمّده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه.

قال أبو طيبة مرض عبد الله فعاده عثمان بن عفّان فقال: ما تشتكي؟ قال ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفقر إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني

فقال: ما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا تدعو الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. فقال: ألا نأمر بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: ندفعه إلى بناتك. قال: لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: («**مَن قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا**») وليس في هذه السور الثلاث ذكر الله: اقتربت، الرحمٰن، الواقعة، والله أعلم.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا» وإنما قال له عثمان: ألا آمر لك بعطائك لأنه كان قد حبسه عنه سنتين فلما تُوفي أرسله إلى الزبير فدفعه إلى ورثته، وقيل: بل كان عبد الله ترك العطاء استغناء عنه وفعل غيره كذلك. اهـ بحروفه.

وفي الدرّ المنثور أخرج أبو عبيدة في فضائله وابن الضريس والحارث بن أبي أُسامة وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في شُعب الإيمان عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا». أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤوها وعلّموها أولادكم». أخرج الديلمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «علّموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى». أخرج أبو عبيدة عن سلمان التيمي قال: قالت عائشة للنساء: لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة. اهـ بحروفه.

وفي تفسير الخطيب روى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصِبْهُ فاقة أبدًا» ورواه البيهقي وغيره. وكان أبو طيبة لا يدعها أبدًا، وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ولم يغيره. اهـ.

قوله: (لم تصبه فاقة) في القنويّ لم تصبه فاقة أي فقر أبدًا أي مَن قرأ قراءة معتدًا بها بمراعاة التجويد وملاحظة المعنى حسبما أمكن له فمن واظب على قراءته كل ليلة وأصابه فقر وفاقة فلأجل تقصيراته في التلاوة. اهـ بحروفه. **وفي مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح للعلّامة عليّ القاري رحمه الله (مَن قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تُصِبْهُ فاقة أبدًا)** أي لم يضرّه فقر لما يعطى من الصبر الجميل والوعد

....

الجزيل أو لم يصبه فقر قلبي لما يعطى من سعة القلب والمعرفة بالرب والتوكّل والاعتماد عليه وتسليم النفس وتفويض الأمر إليه لما يستفيد من آيات هذه السورة ويستفيض من بينات المعاني في الألفاظ التي لها كالقوالب في الصورة سيما ما يتعلق فيها بخصوص ذكر الرزق من قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٦٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٢]. اهـ بحروفها.

تمّ ما يتعلق بسورة الواقعة بحمد الملك العلّام،
والصلاة والسلام على أفضل الرسل وآله وصحبه الكرام